

Work can only be obtained from contact between systems in contact with each other. When work is done, such systems tend to even out; and that loss of heat occurs in the form of entropy.

مدحت محفوظ

The entropy of an isolated system not at equilibrium will tend to increase over time, approaching a maximum value.

# سهم كيويبيد

( رواية ليست رومانسية بالضرورة ! )

Every Roman was surrounded by slaves. The slave and his psychology flooded ancient Italy, and every Roman became a slave. Because living in the atmosphere of slaves, he became infected through the unconscious in their psychology. No one could shield himself from such influence.

Carl Gustav Jung

General Theory of Analytical Psychology (1916)



٢- الثالث الساخن

تحذير قانوني  
شخصيات هذه الرواية قد تفصح عن  
آراء ربما يعتبرها البعض صادمة اجتماعيا  
أو دينيا أو عرقيا أو جنسيا .  
القارئ ، والذي يشترط فيه أن يكون  
قد بلغ السن الرائدة قانونا ، يتحمل وحده  
دون المؤلف أو الناشر- كامل مسئولية  
قرار قراءتها ، ولا يحق له بحال العودة  
على أي منهما بأية تبعات .

*To the first person from whom I've learned the meaning of the word 'Arabs' ...*  
**MY MOTHER**

- ▶ **First draft: Saturday, September 02, 2006.**

First PDF publishing of the complete draft (limited): Tuesday, January 30, 2007.

- ▶ **First PDF publishing of the final document: Saturday, March 10, 2007.**

This version's date: Tuesday, January 24, 2023 (some minor formal, linguistic and/or typing corrections have been made).

**Before you read or print, it's highly recommended to download the latest version from this location:**

[http://www.everyscreen.com/views/pdf/SahmCupid\\_02.pdf](http://www.everyscreen.com/views/pdf/SahmCupid_02.pdf)

- ▶ © 2006 - 2023 Medhat Mahfouz. All Rights Reserved.

- ▶ Reproduction, full or partial, in any form, printed or electronic, recent or future, is strictly forbidden without a thorough written permission from the author.

- ▶ Production of electronic edition: Author's Office (*MSoft*)

For Best Printing Results:

I) **Print on both sides:**

Step 1: Select even range of pages, e.g. 1 to 50, or the whole document (which we adjusted to end with even page number).

Step 2: Print 'Odd pages only.'

Step 3: Flip paper stack and print (for the same range, of course) 'Even pages only' with 'Reverse pages' option ticked.

II) Some PDF advanced printing options for older versions of Adobe Acrobat Reader:

'Print as image' may help avoiding some rare Arabic printing glitches, such as deflected display of the cashidas.

٥  
الصيف



## أ- ماضى بعيد

الحشيش بقى رسمى ، وبقية الحاجات ها تحصله قريب !

هذا هو اليوم الأول فى عطلة منى الصيفية . إذن ستأتينا بانتظام لمدة شهر . الجو مولع كده ليه ؟ بتأخذوا مننا على قلبكم فلوس قد كده ، وموش هاین عليكم تصلحوا التكييف ؟ حاولت ميرفت الرقيقة المأخوذة بالهجوم المبالغت أن تشرح لونس أن شركة التكييف سترسل فى الصيانة اليوم ، وأن الحر جاء على حين غرة . وأهم ظلوا يشغلونه فقط لتجديد الهواء طيلة الشهور الماضية ، وحين حاولوا تشغيل دورة التبريد اليوم ، تعطل الجهاز كله . الأستاذ إدوارد لعلمك ما يقصرش فى حاجة . هى كثيرا ما تدخل مع إدوارد فى مشادات بسبب الشغل ، لكن بالنسبة لها خطأ أحمر أن يهاجمه أحد العملاء أو يهاجم الشركة . أنتى على نيائك . المسيحيين دول آخر بخل . عادة ورتوها من كتر ما كانوا بيخبوا فلوسهم خوفا من الجزية . أنتى ما تعرفيش حاجة . ولم ينقدها سوى أن انبرى وحيد للدفاع ، كالعادة بواحدة من نظريات السوق الحرة : إذا كانت شركات السمسرة بتكسب على قلبها قد كده ، ما تروح تفتتح شركة وتكسب أنت ، وتكيفها زى ما أنت عاوز ! وحاول ضهرى أن يفك الاشتباك بهدوء : قالوا لك ها يتصلح النهارده . ثم راح يشرح له أن ميزانيات الشركات تتكون من عمودين ، وليس من عمود واحد ، إذ أن هناك عمود اسمه المصروفات . لكنه لا يستمر على حلمه طويلا ويبدأ الهجوم العكسى المبالغت : أنت فى الأصل موظف ، وعقلية الموظف لا يمكن تتلاقى مع عقلية صاحب البيزنس أبدا . واحد جيبيناته مبرمجة تقول هات ثم هات ، والتانى تقول هات وخذ !

ميرفت البائسة تجد متنفسا أخيرا فتعارض بأدب : موش كل الموظفين يا حاج . قال بناخد على قلبنا قد كده . الحال نايم ، وإللى زاد وغطى كأس العالم بتاع الكورة ، وزى ما أنت شايف أدى إحنا قاعدين قعدة المطلقة !

أسد الذى كان يجلس فى المقعد الوسيط ' الخامس ' فى تلك الساعة المبكرة نسبيا من النهار والقاعة لم تزدهم بعد ، يصيح بمزاحه الخشن : قعدة المطلقة ؟ ميرفت إلى زى البسكوته بتعرف كلمة قعدة المطلقة ؟ فرفشى بأه !

- ( تفرش فعلا : ) أنت فاكرنى من نادى هليوبوليس ؟ أمال لو ما كناش م العباسية زى بعض ؟

- أيوه كده اضحكى ، الجو المولع ها يخلى الأسهم ها تولع هى كمان . أنا إحساسى بيقول كده !

يبدأ ونس فى الغناء : ' أجمل إحساس فى الكون ، أنك تتند... مطبوط ، ودا حالى أنا ! ' . قال الكلمة البذيئة بصوت هامس مادا رقبته نحو إذن أسد .

- بلاش التشاؤم ده . طول عمرك متفائل يا عم عبده . نهارنا فل إن شاء الله !

وتعود ميرفت : أنا بس لى طلب يا أستاذ رامى ويا أستاذ ونس ؟

يرد روميو بالصوت الناعم الذى اعتادته كل الأنسات والسيدات فى القاعة دون أن يحرك فيهن ساكنا : ' تؤمر يا قمر ! ' .

- الشبايبك مقفولة زى ما أنت شايف ، ويا ريت نخف السجاير شوية لغاية التكييف ما يتصلح . ( وتتفقد بعينها المقاعد الخمسة ' الدائمة ' بدءا من الطرف البعيد : ) الأستاذ وحيد سيجار واحد وحتى ما بيخلصوش كله ، الحاج ضهرى موش بيدخن ، أسد ينزل للقهوة يشرب شيشة ، الاتنين الحريقة هما أنتم ، إللى قاعدين تحت رأسى .

ونس يشرح بلهجة مصطنعة كمن لا حيلة له ، أن الحواسيب مرتبطة ببعضها البعض بوصلات ثابتة فى الحائط وبين مكتبنا ومكتبك ومع البروجيكتور ، وإلا كنا انتقلنا نحن أو أنت للطرف الآخر من الغرفة . أما روميو فيعود لوجهه الآخر ، اللهجة شديدة الجدبة والوقاحة لكن التى يعرف الجميع أنها لا تكون جدية حقا أبدا ، يصيح بصرامة أمرة : ' يلعن أبوكم كلكم ! قومى صفى لى حسابى وإدينى فلوسى . ها أفتح محل فى سبتى ستارز . ها استورد فيه السيجار ودخان الپايپ . ها أعمل قسم تيك أوأى ، وها أعمل قعدة الناس تدخن براحتها : سيجار ، پایپ ، شيشة ، شيشة واحدة كبيرة فى النص بعشر خراطيم ، كل حاجة . كمان الجوزة والمعسل بتوع أسد ها تبقى موجودة . دلوقت الحشيش بقى رسمى ، وبقية الحاجات ها تحصله قريب . ها أمنع البانجو بس ، لأنه دون مستوى السيتى ستارز ، وموجود ببلاش فى كل حتة ، أو أقول لك : ها أرميه فى الفحم بتاع البطاطا ، برضه يعمل جو كأنه بدل للبخور . آه ! لاحظى أنى ها أحط برضه عربية بطاطا مشوية من إللى كانوا بيقفوا قدام المدرسة ، علشان المكان كله بيقى دخان فى دخان . بذمتك ما وحشتكيش أيام المدرسة ؟ كام مرة أكلتى بطاطا بعد ما سبتيتها ؟ تخيلى بقى

بطاطا بالبانجو ، ها يبقى طعمها إيه ؟ ها أكسب زى الفل ، أحسن من وشكم ١٠٠ مرة . عارفة ها أسمى المحل إيه ؟ ( يرسم بيده فى الهواء صورة لافتة مقوسة ، ويقول بتباه مسرحى : ) Tobacco Pleasures ! جنة ! عارفة يعنى إيه جنة ؟ وموش ها أعينك فيها يا عدوة التوباكو أنتى ! ( ويهمس مبتسما وصوته ينعم من جديد : ) بأقول لك جنة ! فيه حاجات لسه بدرى عليكى لغاية ما تفهميها . قبل ما أموت نفسى أعرف إيه سبب العنصرية دى كلها ضد السجائر ، إالى هى أقل خطر مليون مرة من مليون حاجة ما حدش يطلع لها قوانين ولا حتى بييجيب سيرتها ؟ السموم البيضاء الخمسة المعروفة ، الدقيق والسكر والملح والهيوئين والكوكائين ، كلها ضد الحب . الأدهى الزيت إالى فى كل حنة حتى الأكل البيتى ، بيدمر صمامات قلوبنا ويعمل لنا كرش . ها يبقى فيه حب فى الدنيا إزاي من غير قلب ، أو مع كرش طالع ربع متر لقدام ؟ إشعنى فيه قانون يملأ تلتين علبة السجائر وش وضهر بكلمة ' التدخين يقتل ' ، ولا نرى على علب الأكل كلمة ' البييتزا تقتل ' أو ' البرجر يقتل ' ؟ الانتحار بقى قانونى فى كل بلاد العالم ، ممكن تدخل عيادة تدفع الفيزيتا وتطلع جثة ، إنما أنك تدخن ممنوع . فىن الحرية وحقوق الإنسان ؟ فىن الحب ؟ فيه حاجة فى العالم بتحب الحب أكثر من دخان سيجارة ماريوانا ؟ تعرفى إيه أنتى عن الحب ؟ يا شيطانة ! يا قمر ! ( ويشعل سيجارته التالية : ) إزاي موش ملاحظة أن السيجارة دى الحاجة الوحيدة إالى بتحرق نفسها علشانك ؟ ! . ويعلق وحيد بالرأى الوحيد المنتظر منه : ' محاربة التدخين تتركز فى أوروبا لأنها اشتراكية ، وأمراض التدخين تكلف الكثير لنظام التأمين الصحى عندهم ، والحل هو خصخصة نظم التأمين الصحى ، وقبلها وبعدها أن تكف الدولة عن النظر لأفراد المجتمع كحفنة من القصر ، وأن ترفع وصايتها عليهم ، وأن يتحمل كل فرد مسئولية تصرفاته ، بما فى هذا ذهاب غير المدخن للمقاهى التى تسمح بالتدخين ' . ويأتى ضهرى بالتعليق الأخير : ' تخيل أنهم وقعوا فى تناقضات مضحكة : يسمحون بتدخين الحشيش الخالص فى الأماكن العمومية ولا يسمحون بتدخينه مخلوطا بالتبغ ! ' .

وتصل منى بالفعل ، هذا قبيل موعد بداية الجلسة بدقائق . وتحبى الجميع ، ممن انقطعت عنهم منذ تلك الزيارة العابرة . ينهض أسد تاركا لها أن تحل محله . تطلب كشفا بحساب أسهمها التى اشتراها لها والدها . تكتشف أنه نجح فى رفع الخمسة وثلاثين ألفا إلى نحو أربعين فى الشهر ونصف الماضيين . تسعد بهذا ، لكن يفوق هذا سعادتها وحماستها لأول أيامها كمتداولة . كان حماسا يفوق الوصف ، وسرى كالعُدوى بين الجميع . الكل يتربق قراراتها ، وقد أفشى والدها كطبعه فى عدم الاحتفاظ بأسرار ، بسرهما بأنها ستعلمهم جميعا كيف يكون التداول . بدأت تتابع موقف أسهم بعينها على الشاشة ، وتقارنه بمنحنيات جاءت بما على حاسوبها . ولأول مرة فى حياتها ها هى تتخذ بعض القرارات الاستثمارية .

... بعد ما حدث ، هذا يوم مثير ونادر حقا فى حياتها ولن تنساه أبدا !



## الحرب قامت !

يرن جرس هاتف ونس الخليوى . كالعادة ، الطرف الآخر هى زوجته تحاتفه من دمياط . يصرخ ونس ناهضا : فيه قلق واضطرابات فى قرى فى أسيوط .

يرد الحاج بهدوء : اهدأ ، تلقاها كالعادة خناقة على أرض ولا شوية ميه .

- لأ ، بيقول لك جماعة إسلامية ، شبان حرقوا الكنيسة ومحلات وبيوت للمسيحيين . بيقول لك كذا قرية وفى نفس الوقت . الظاهر الموضوع أكبر من موضوع الإخوان إالى فات ! الظاهر الحرب ! الحقوا ! الحرب قامت !

- ( يغير ضهرى رأيه بسرعة : ) يبقى العيال إالى أفرجوا عنهم لما ألغوا قانون الطوارئ . التليشيچن عمل لنا زفة إعلامية عن المصالحة الوطنية والديموقراطية والإصلاحات الدستورية وموش فاهم إيه ، بينما كل الخمسين ألف إالى طلغوا رجعوا شالوا السلاح تانى .

وتتوالى الآراء : ' لا ! ده موضوع الارتداد ! ' ، ' فىن الحرية ؟ ' ، ' إالى عاوز يبقى مسيحي سيبوه يغور فى داهية ، لا مؤاخذة يا إدوارد ! ' ، ' الظواهر التى تصبغ الحياة المصرية ستصبح ثلاثا : الحرية الجنسية والانتحار والارتداد عن الإسلام ؟ ' ، ' بل قل ظاهرة واحدة : الحرب الأهلية ! ' ، ' هذا لو حدث سيقضى على كل شىء ! ' ، ' ربنا يستر ! ' ، وهلم جرا !

يهرعون يتقدمهم ونس بجسد يهتز بعنف لغرفة إدوارد ، حيث يختار ونس قناة الجزيرة .

يغضب الحاج من أسلوب التغطية : ' أنا طول عمرى بأسميها قناة الجعيرة ' .

مينا يقول بأسى وانكسار : ' إسلامية واضحة ، شوف الضيوف إالى جايهاهم ' .

ويسخر ونس : ' أنت موش عايش فى الدنيا ولا إيه ؟ أيام الغمز واللمز انتهت من زمان ، دلوقت كل الإعلام حرب ع المكشوف ! ' .

ويلطف روميو السخرية بأخرى : ' كل القنوات بقت كده : شعارها ' الرأى والرأى الآخر ( الأنيل منه ) ' ! ' .

ويؤمن عارف على الكلام : ' فعلا ! بس دى ظاهرة عالمية . الموضوعية شىء نادر حتى فى الإعلام الغربى نفسه ، كله أيديولوجى يسارى ، وعلى رأسه السى إن إن . لقد تماهى الخط الفاصل بين الإعلام والبروباغاندا ؛ تقريبا ما فيش حد محترم غير فوكس نيوز . من ساعة ما عملوها بالعربى ، ما عدتش بأشوف الأخبار غير فيها . يا ريت نبص بصة عليها ' .

الحاج : ' الحكومة بتحارب جنباً لجنب مع المسيحيين ؟ إيه التحريض القذر ده ؟ هو أحمد سعيد رجع حى تانى يا ناس ؟ ' .

يرد ونس بصوته الضخم ، بينما يقود الجميع من جديد منصرفين للخارج : ' هو مات ؟ ! ' .

- ولو ما ماتش هو ميت بالحيا . مين مهتم به النهارده ؟

- ( يغرس إصبغه فى صدره حتى يشعر به زهرى يلامس قلبه : ) أنت !

ولا يجد الحاج ما يرد به .

فى طريق عودتهم مهرولين أيضاً لأماكنهم ، لحظوا مينا وسامر وميرفت ، وقد عقدوا نوعاً من الاجتماع ع الواقف . توقعوا أن تكون ثمة هجمة بيع شرسة ، ونظموا أنفسهم بطريقة استثنائية . لن يسمحوا بأية أوامر شفوية ، منعا للخطأ . ميرفت تتلقى الأوامر مكتوبة ، لكن مع تأجيل تسجيلها لحين تلقيها كلها . سامر يباشر التنفيذ على إحدى طرفيتى البورصة . مينا ينتقل بين الاثنين ، حاملاً الأوامر كى لا يتوزع جهد ميرفت ما بين تلقيها وما بين تمليتها تليفونيا . ثم حين يقارب تلقى الطلبات على الانتهاء سيذهب للوقوف بجانب سامر يمليه شفويا نص الأوامر لتسريع إدخالها ، أو يبدأ الإدخال على الطرفية الأخرى . أما الرد على الهواتف فسيكفون به إدوارد شخصياً .

حدث كل ما توقعوه . كانت النبوءة التليفونية القادمة من دمياط على حق تام . وملاً القاعة زعر كبير لتهوى الأسعار !

بلا منازع كان الوجه الأشد امتقاعاً بين الجميع هو وجه منى . الآمال المحلقة فى السماء قبل ساعة واحدة ، هبطت الآن إلى مركز الأرض .

حلم السيارة ربما تبدد نهائياً . بل وحتى حين تتذكر قدر تباجحها أمام والدها ، وأمام الجميع ممن باتوا يعرفون هذا .

... بالتأكيد ، بعد ما حدث ثم حدث ، هذا يوم مثير ونادر حقاً فى حياتها ولن تنساه أبدا !

بعد دقائق تخرج من جيب بنطلونها الخلفى هاتفها الخليوى المسكين الذى لا يتاح له أبداً التنفس خارج ذلك الجيب الصغير شديد الضيق ( وإن حسده البعض طبعاً على التصاقه الدائم بتلك المؤخرة الصغيرة المثيرة ) . تضغط بعض أزرار وتقول : ' أونكل وحيد ، تسمح لى أقرأ لك خواطر قديمة لى ' .

- طبعاً !

Tell me where to go  
Where they can't see me  
Where they can't feel me  
Where they can't hear me  
I am ashamed of what I am turning into  
Still, I can not stop it  
The merciless beast I am feeding  
Is always around these days  
The sweet things we used to share  
Are fading every time we talk  
The hatred growing between us

Hurts me more than I can say  
How I just wish to simply hold you  
Feel you again, heal me again  
Forget those stupid notions of mine  
Still, I got pride I need to throw out  
And provoke you for a payback  
Confused, searching for an identity  
Hesitant to choose, afraid to decide  
Whom shall I satisfy? You or myself?  
Give me a clue... should I care?

Sunday, December 14, 2003

09:44 PM

- جميل !

- عجبتيك بجد ؟

- عجبني المعنى ، أنا موش خبير بالشعر .

- ده موش شعر ، دى مجرد خواطر .

- عندك حاجة تقوليها ! ده كويس . عجبني . بس السؤال هل ميرى پويينز ممكن تعجب بها ؟ أظن فضلتى تلعبى ما بين التفاؤل والتشاؤم ، وانتهيتى للعدم تقريبا .

- دى ما لهاش دعوة بالتفاؤل والتشاؤم . أنتم موش بتقولوا كده على البورصة برضه ، لا تفاؤل ولا تشاؤم ، إنما حقائق . القصيدة دى واقعية جدا . أنا سميتها Clueless . الإنسان تايه ، الحقيقة وحش ما حناش قده . أنت لا تزداد علما أبدا ، أنت تزداد جهلا فقط ! ما فيش فائدة فى أى حد .

- كلام صعب .

- يعنى ! إنما جايز فى يوم من الأيام الإنسان يساعد نفسه بنفسه .

- بصى يا منى . أنا عشت طول عمرى منعزل أو معتمد على نفسى ، واكتشفت أن ده غلط . موش كل شىء فى الكتب ، وموش كل شىء داخل الإنسان . جزء من الحقيقة موجود عند الناس ، لازم ننتفتح عليهم ونتفاعل معاهم .

- أنا لا يمكن اقتنع بالكلام ده ! العلاقة بين البشر شىء مستحيل !

- جايز تقتنعى لما تكبرى .

- impossible !

ويغنى ونس : مغرور حبيبي كثير !

ويحتج روميو : أنت لك نفس تغنى فى يوم زى ده ؟ !

تذكر وحيد أصل المناقشة ، أشعار منى ، تذكر شيئا قالتها عرضا ، فعاد للابتسام ، وهتف بها متسائلا بحماس ( دون أن تفهم عم يتكلم

بالضبط ! ) : تالالانى ؟ الحقيقة وحش ما حناش قده ؟ ! تالالانى ؟ أنت لا تزداد علما أبدا ، أنت تزداد جهلا فقط ! لك حاجات يا حاج !



وصلت كثير من الأسهم للحدود السعوية الدنيا وأوقف التداول عليها . لم يكن لدى الجميع شيئاً يفعلوه سوى السؤال عن حجم خسائر بعضهم البعض ، ومن ثم تطيبب الخواطر وتمنى انقشاع الغمة حتى الغد . حين هدأت الخواطر قليلاً ، وبدأ الحاضرون يستوعبون الموقف ، كان الحاج أكثرهم هما وتوجسا مما حدث . كان حائراً هل يلقي اللوم على الجماعات الصغيرة التي أطلقتها الحكومة بسداجة من السجون ، أم على الإخوان المسلمين المتغلغلين من الأصل في كل مكان تقريبا . ما سيلي هو أضخم وأسخن مناقشة شاهدتها إطلاقاً قاعة المستثمرين بشركة رمسيس في تاريخها كله ، وعلى غير العادة لم يكن طرفاها الرئيسان وحيد وضهرى ، إنما ونس وضهرى .

الشرارة في هذه المناقشة جاءت من مزاح عادى بين ونس وروميو : ' الأيام دى في كل انتخابات الإخوان المسلمين يوعدوننا بالحرية أكثر من شاكيرا ، بينما القرآن لم ترد فيه كلمة حرية ولا أى اشتقاق لها ولو مرة واحدة ! ' . . . .



في الإسلام النكاح هو الزواج ؛ الزواج التاريخي بين الدعارة والنخاسة .

لا عقوبة على من يجبر فتيانته على البغاء ، وأسر العبيد عماد الاقتصاد ، والنكاح جماع الأمرين معا ،

ولا زنا إلا ' المطارفة ' وفي قول آخر ' المطارفة ' ، أى الجنس غير المأجور حبا أو إعجابا ،

وما عداه فهو ' مهر ! مهر ! بقول ابن صهاك ﷺ !

كان روميو أول من علق : ' دى حاجة تزعل فعلا ! ' ، ' علشان أكون دقيق ، الأحرار جت سيرتهم مرة في القرآن ، كانت عن قتلهم ! ' ، وتؤمن سوسن على الكلام : ' إالى أعرفه أن كلمة حواء كمان موش موجودة ! ' . ' هى جت على دى ! ' ، ' تقولوا إيه في انكحوا ما طاب لكم وما ملكت أيمانكم ' ، ' عارف ليه ' ما ' موش ' من ' ؟ ' . ويتداخل وحيد مداخلته الوحيدة في هذا الحوار والذي سيطول ويتشعب ويغرق في الإسفاف : ' أنا ككاتب عندما أقول مثنى وثلاث ورباع ، لا بد وأن أتبعها بكلمة ' ... إلخ ' ، لأن القصد واضح منها وهو لا نحائية العدد . وبالفعل كان ككل حوارات رمسيس قد خرج بالفعل عن السيطرة فاستلزم من وحيد الصمت : ' أنا شفت بيت دعارة في الجزائر مكتوب عليه ' انكحوا ما طاب لكم من النساء ' ، ' ما ' لأن التفاسير بتقول لأنهن يشبهن السلع ، فلا عقل لهن ، لأنهن من الجركس والروم فما بالك لو من الزنج والحبش والسودان ، ولذا فهن نوع من البهائم ' ، ' ما ' يقصد بما الفروج وليس النساء ' ، ' تفاسير إيه يا عم ؟ أنت لو قريت تفاسير لاكتشفت أن ما فيش كلمة واحدة في القرآن ما فيهاش شبهة ! ' . ' الجركس والروم ؟ موش دول النسوان القمطاة يا عم ونس ؟ يا عم إحنا راضيين بس إحدفوا لنا شوية من لا عقل لهن دى ! ' ، ' عيب يا إخواننا ، النكاح هو الزواج ' ، ' يا منافق ! أمال ليه بتزعل لما أقول لك يا ابن المنكوحه ' ، ' آسف جدا ! النكاح ليس الزواج أو القران ، إنما المغالبة والقهر أو الاختراق والتغلغل ، أصلها نكح النعاس العين ونكح الماء الرمل ' ، ' موش فاهم ؟ ! إيه العيب في كلمة زواج ؟ لازم فيه سر ؟ ! ' ، ' موش عارف ليه بيكرهوا كلمة زواج ؟ لأن لغويا الزواج يحتاج لاتنين ، بينما النكاح يحتاج لخمسة ' ، ' ها ! دلوقت بس فهمت أصل كلمة تخميس ، ها ! ها ! ها ! ' ، ' كده تبقى كلمة جماع مؤدبة عن نكاح ؛ لأنها بتساوى بين الطرفين ، أو تنفع من منظور الاتنين ! ' ، ' مطبوط : النكاح هو المصطلح الذكرى لممارسة الجنس ' ، ' ليه موش ممكن المرأة هى إالى تنكح ويكون لها القوامة ؟ ' ، ' موش عارف ليه ؟ ها ! ها ! ها ! ' ، ' علشان اختلاط الأنساب يا شاطر ! ' ، ' اختلاط أنساب إيه ؟ إيه المشكلة الست تتجوز عشرة ، أو العدة تكون عشر دقائق ؟ أمال التحليل الجينية عملوها ليه ؟ ' ، ' وإفرض الزوج عقيم ليه ما تتجوزش عليه ويفضل معها ! ' ، ' أنت عارف ليه الزواج من أربعة ؟ ده إعجاز علمي عن عجالات العربية ! ' ، ' وتنبأ كمان بالكريك ، بدليل تغيير الكاوتش في الإسلام كل شوية ؟ ! ' ، ' أنت ها تقومهم علينا : ربنا قال المرأة متاع ، زى السرير والدولاب يعنى ! ' ، ' أو زى البهيمة ! ' ، ' تصدق صح : لاحظ ' ما ' طاب وليس حتى ' من ' طاب ' ، ' علشان كده بيسموا المرأة في الإسلام وطأ وركوب وحصيرة وفراش ' ، ' في الإسلام الزوج مفتاح الجنة ، وربنا رافع إيداه من النسوان خالص ! ' ، ' في الإسلام كل النساء عاهرات ' ، ' إزاي ؟ ' ، ' لا استمتاع إلا بأجر ' ، ' مطبوط ! ' آتوهن أجورهن فريضة ' ، ' صح ! في مرة واحد إدى واحدة عطشانة ها تموت في الصحرا شربة ماء مقابل جسدها ، فاشتكت لعمر فلم يتحدث عن اغتصاب أو زنا أو رجم ، أو حتى عن حمل وزواج وبراءة أرحام ، فقط قال له يجب أن تدفع مقابل ما استمتعت نقودا ' ، ' تصدق ، أول مرة أفهم ! فعلا ، المهر فكرة عربية ، وفي الثقافات الثانية البنت هى إالى بتدفع علشان فيه بيت

يفترض أنه دائم بياسسوه سوا' ، ' الدوطة ! إنما رأيك إيه أنت يا عم ونس في حكاية المهر؟ ' ، ' في الإسلام النكاح هو الزواج ؛ الزواج التاريخي بين الدعارة والنخاسة . لا عقوبة على من يجبر فتياته على البغاء ، وأسر العبيد عماد الاقتصاد ، والنكاح جماع الأمرين معا ، ولا زنا إلا ' المطارفة ' وفي قول آخر ' المطارفة ' ، أى الجنس غير المأجور حبا أو إعجابا ، وما عداه فهو ' مهر ! مهر ! ' بقول ابن صهاك رحمه الله ! . ' بالظبط ، المهر من العهر ! ' . ' صح ! أنت عارف إيه معنى الإسلام جعل للمرأة ذمة مالية مستقلة ؟ المقصود ليس من حق الرجل استرجاع أجر ما استمتع به فريضة ، أو علشان إذا جمعت شيئا من رجال من خلف ظهر زوجها ( بالذات خلال سفر الرجل في غزوة أو قافلة ، إلى أن تسمع طرق الأبواب الذى أمر الرسول به بفترة كافية لإخلاء المنازل من الرجال قبل أن يطرق أصحاب البيوت بيوتهم -بالأخص طبعاً منازل أمهات المؤمنين ذوات الـ ' فاحشة مبينة ' المتأيبات بنص القرآن حتى على الفاحشة المستترة ) . ' هل تعرف أن شرعا الزوج غير ملزم بكفن زوجته أو دفنها لأن عقد الاستمتاع أصبح منتهى ؟ ' ، ' تعرفوا أن ' ادبح القطة ليلة الدخلة ' جت في القرآن ' ، ' إزاي ؟ ' ، ' موش قال ' واللاتي تخافون نشوزهن ' ، وليس ' الناشرات ' ، ' ومُجد قال ' علقوا السوط حيث يراه أهل البيت ' ، ' أكيد بتهرجوا ! نكاح ، ركوب ، استمتاع ، كفن ، قطة ؟ منين بتجيبوا الكلام ده ؟ ! ' ، ' فيه كتب اسمها كتب المغازي ، وكتب تاني اسمها كتب المخازي ! ها ! ها ! ' ، ' كل ده في الكتب ؟ ! ' ، ' طبعا ! إحنا نقدر نجيب حاجة من عندنا ! ' ، ' تعرفي أن الإسلام لم يهمل حق المرأة في الاستمتاع الجنسي . الكتب تقول من حق الرجل الاستمتاع بزوجه ما شاء ، ومن حق المرأة الاستمتاع بزوجه ما شاء ' ، ' ما شاء ولا ما شاءت ' ، ' ما شاء . هي كده في الكتب . أمال تروح فين ناقصات عقل ودين ؟ ' ، ' دى إالى طول عمرى ما فهمتها : يعنى لو البواب شهد ضد صاحبة البيت أستاذة الجامعة تؤخذ شهادته هو ؟ ' ، ' تؤخذ لو ضد صاحبة البيت وضد مراته الاتنين سوا ' ، ' مراته ؟ لو ضد صاحبة البيت وزميلتها عميدة الكلية تؤخذ شهادته هو ' ، ' الشيوخ يبطلعوا القطط الفطسا في الستات ، الدورة الشهرية والعاطفية وغيره ، وما يببصوش لنفسهم ، بهائم ما بيعركهمش غير غريزتهم ٢٤ ساعة في اليوم ، ونظرة من واحدة ست ممكن يغيروا بها مليون شهادة ! ' ، ' موش لازم واحدة ست ، كفاية طاجن فته ! ' ، ' تعرف أن بول البيبي الولد لا ينقض الوضوء ، وبول البيبي البنت نجس ؟ ' ، ' يعنى قصدك أن كلمة براءة الأطفال لا تنطبق على بنتي ؟ ' ، ' بمناسبة السرير والدولاب ، أنا بعيني شفت واحد يبسأل شيخ سلفى على التلفزيون أحط الدولاب قدام السرير ولا جنبه ، فقال له استنى الحلقة الجاية لما أدور لك على أثر عن النبي ينطبق على السؤال ده ' ، ' افرض طلع أنه يحط الدولاب فوق السرير ، ينام فين هو ومراته ؟ ' ، ' كان المفروض يختصر الطريق ويقول له دور لى على كلمة حرية ! ' . ويشفق الحاج على اشتمزاز سوسن المتزايد من حوار يعلم أنه إذا بدأ لا ينتهى إلا بنهاية جلسة البورصة ، ثم أن موضوعا جادا للغاية ها هو قد انقلب للتهريج بمجرد الإتيان على ذكر الجنس ، بالذات في يوم لا يحتمل الهزل ، لذا يقطعه : ' أهم ما في الموضوع أنك طلعت لنا إسلام الإخوان موش إسلام ؛ إسلام انتهازى دنوي كذاب ! ' .

بداية هادئة مازحة لنقاش كان من الممكن أن لا يكون أبدا لولا أن صاح ونس مجزم غير متوقع : ' لأ ، ثانية واحدة ! أنا ما قلتش كده ' .

- أنت لسه مسميه إسلام شاكيرا ؟

- دى اسمها تقيه ، إنما هدفهم في الآخر إقامة شرع الإسلام !

ويتدخل أسد مستوضحا : ' إيه التقيه دى يا باشمهندس ؟ ' .

- ما تعرفش التقيه ؟ ! ما تعرفش ' يتقى منهم تقاة ' ؟ ! التقيه . إالى أخذوها في الإنجلش وبقت tactic ، زى ما أخذوا حشاشين بقت assassins ، زيتها زى ما أخذوا كل الكلمات الوسخة في لغاتهم عن عرب الأندلس . في لغة الإسلام الأصولي إظهار غير ما تبطن بهدف نصره الإسلام اسمه تقيه ، وفي لغة الإسلام المودرن بتاع الإخوان المسلمين أبو شوكلاتا كثير ع الوش اسمه فقه الأولويات ، وفي العلمانية بتاع عمك وحيد ما لهوش غير اسم واحد : الكذب ! المهاجر العربي المسلم يداهن ويتملق ويتمسح ويكذب ويفتعل ويراوغ ويتصنع ويستमित ويقبل الأيادي ويلحس الأرجل ، من أجل أن يحصل على تأشيرة الدخول للغرب ، لكنه حتى لو غير دينه لا يتنازل أبدا عن إسلامه وعن فكرة استعباد كل العالم . انظر ماذا سيحدث بعد قليل عندما تشبع بطنه لو كانت جوعانة ، أو ماذا سيحدث على الفور لو كانت شبعانة : لا يصبح له سوى هم واحد : دعوة أهل الغرب للإسلام ! بالذوق ، بالعافية ، بما هو أضعف الإيمان ، أو بما هو أقوى الإيمان ، بما استطاع إليه سبيلا . باختصار يعود هاجسه الأوحده هو الهاجس الديني .

ويصحح الحاج : ' سمه الهاجس الثقافي ' ، لكن ونس قرر أن يسترسل ...



## الإخوان فعلا موش ضد أى حاجة لغاية ما يوصلوا السلطة ، بما فى ذلك أن مسيحي يبقى رئيس الجمهورية !

- أنا نفسى فى مرة أشوف حد يعرف يناقش الواد الحليوة كحيل العين إالى عينوه مرشد للإخوان ، وبيطلع على التليفزيونات يقول كلام أنعم من كلام البنات . التقية دى بيسموها خطاب الحنة والبلاء . هو دائما يقول إن من يناصر الديمقراطية والحداثة هم الإسلاميون ومن يحاربها هم العلمانيون ، وبرهانه هو رفضهم وصول الإخوان للسلطة . حاليا ما فيش بين الإسلام والديموقراطية أية مشكلة . المسلمون يتناسلون كالأميا والديموقراطية تلعب فى صفهم دائما ، سواء فى البلاد الإسلامية أو فى أى مكان ، لأن الديمقراطية بحكم التعريف تقدرش تسمع على واحد ، اسمه رأى الأغلبية . بالديموقراطية سيمسكون الحكم ويجعلون يهود إسرائيل أهل ذمة يدفعون الجزية ، بالديموقراطية سيجعلون شعوب أوروبا أهل ذمة يدفعون الجزية ، بالديموقراطية سيجعلون الصينيين أهل ذمة يدفعون الجزية ، بالديموقراطية سيجعلون كل العالم أهل ذمة يدفعون الجزية ، لا مشكلة لديهم إطلاقا مع الديمقراطية . لو عاوز عاوز تسمع عن الإسلام إالى يريحك ويرطب لك على صدرك روح اسمع الإخوان ، إنما لو عاوز تسمع إالى ها يحصل بجد تعال اسمع الجماعات . مع ذلك ما تقدرش برضه تقول على الإخوان كدايين . هم صادقون جدا حين يقولون السلطة الشعب وأن لا مانع لديهم حتى من المواطنة وحرية الملابس والعري والخمر والحرية الجنسية والمجاهرة بالإلحاد وكل الحريات الفردية . هم بالفعل يريدون الديمقراطية حتى أقصاها وبإخلاص . هم يغسلون أيديهم من كل شىء ، بما فيه الإسلام ، ويلقون الكرة بالكامل فى ملعب الشعب . الحقيقة أن الإخوان فعلا موش ضد أى حاجة لغاية ما يوصلوا السلطة ، بما فى ذلك أن مسيحي يبقى رئيس الجمهورية ! للدقة هم فقط ضد الفساد ، لا لشىء إلا لأنها الفرصة الوحيدة إالى ممكن توصلهم للسلطة . لأن غلط جدا بالنسبة لهم إغضاب الفاسدين أو الحكومة أو أى حد . وحتى لا ندخل فى نقاش فرعى حول وجود الفساد من عدمه ، لو الفساد موجود كان بما ، لو محدود ها يضخموه فى كلامهم ، لو موش موجود ها يخرعوه . هكذا لا توجد أية مشاكل من أى نوع عندهم ، فقط يجلسون وينتظرون ، عينهم على شىء واحد لا يجيد أبدا : السلطة . إنها نفس سيناريو إيران بالضبط رغم الاختلاف البين فى المذهب . لن تصدقنى لو أخبرتك كيف بدأت مؤامرة الخومينى الكاسحة فى ١٩٦٣ ، هذا الذى يتشدد هو وجمهوريته بأنه من أراد فأعاد الديمقراطية لإيران وأنه نصير للعلم وللتقنية ( النووية وغير النووية ) ؟ باسم الدين جيش ملايين الإيرانيين فى الشوارع ستة أشهر ضد ثورة الشاه البيضاء التى أرادت نشر التعليم والارتقاء بالطبقات الفقيرة وديموقراطية ومواطنة حقيقية للناس وتحديثا شاملا لإيران . تخيل مظاهرات شعب كامل تهنف ضد بناء المدارس فى الريف وإلغاء الإقطاع وإشراك العمال فى ملكية المصانع وأربابها ، وليس فقط ضد حق المرأة فى التعلم والتوظيف والانتخاب أو منح الحقوق السياسية لغير المسلمين كالبهائيين والمسيحيين واليهود ؟ ! إن ليس من حق الملالي ولا الإخوان حتى التشدد بأنهم أنصار المستضعفين فى الأرض حسب تعبيرهم الشهير . إذن المشكلة تأتى هنا ، تأتى لحظة أن يختارهم الشعب فى الانتخابات . هنا ستطرح إشكالية أن حاكمية الشعب اختارت حاكمية الله . كده بمعادلات الرياضيات أو بمنطق أرسطو بتاعكم : بما أن الحاكمية للشعب ، والشعب قال الحاكمية لله ، تبقى الحاكمية لله . والآن بما أن الحاكمية لله ، فلا مجال للرجوع لحاكمية الشعب مرة أخرى ، لأن حاكمية الله لا تعترف بالرجوع لحاكمية الشعب . تعاليم الدين واضحة جدا هنا : الحكم بما أنزل الله . وطبعا ساعتها سلم لى ع الديمقراطية وتداول السلطة والمواطنة وحرية الأديان ومساواة المرأة وكل العبط بتاعكم ده ، فالأحزاب الوحيدة التى سيسمح بها أهل الحل والعقد هى أحزاب الأئمة الأربعة ، بعدها يبدأون فى تصفية بعضهم البعض جسديا كى يعرفوا أى المذاهب هو الفرقة الناجية ( أهل الحل والعقد أو بالمصطلح الشيعى ولاية الفقيه ، هم من لا يحكمون لكن من حقهم القيتو على كل همسة يهمس بها من يحكمون أو من يفكرون فى ترشيح أنفسهم للحكم ) .

- ما هذا الكلام ؟ هل يمكن مثلا أن تطبق الجزية ؟ لا أحد يفكر بهذه الطريقة المهمجية المتخلفة اليوم .

- لا أحد ؟ أنت على نياتك أوى يا حاج . أولا أتحدك أن كل الأفكار دى موجودة جوه كل متدين ، تقريبا كل البليون ونص مسلم ، جازى ما يقولهناش لأن الظروف موش ساحة ، لكن باينه فى عينيه وفى طريقة كلامه . دائما المتدين يبص للمسيحي من فوق لتحت ، ولو ناقشته موش لازم يقولوا لك ذمة وجزية ، ها يقولوا لك كنف الإسلام وأمان الإسلام وحى الإسلام . كنف إيه وأمان إيه وأنت محتل أرضى ؟ أمان إيه ؟ هم شوية فراخ ؟ حى إيه ؟ روح احى نفسك الأول ؟ لما النظرات والتساؤلات الداخلية تنقلب لكلمات تلقاه دائما يتكلم عن سماحة الإسلام ، وده لأن معناها أن من حقه الوصول فى معاملته لمستوى العبيد ، أو حتى استلاب أمواله ونسائه وقتله ، كلها كحق مستحق ، وطبعا مستنى جواه اليوم إالى يتطبق فيه الإسلام ويقدر يعمل كل ده . وهم على فكرة شايفينها سماحة بجد ، أو على الأقل حقوق لهم ، طالما تركوا لك الخيار الحر

في عدم اعتناق الإسلام . أنت عارف أصلا كلمة سماحة معناها إيه ؟ هذا نوع من التضليل المتعمد المتكرر جدا في الخطاب الإسلامي ، يأتون بكلمة لتقع على أذن السامع بمعنى مختلف يعلمونه سلفا وقدره جيدا ، وغالبا ما يكون العكس مما تعنيه الكلمة فعلا . من يسمع كلمة الإسلام دين سماحة allowance يذهب ذهنه لأنه دين تسامح forgiveness ، بينما السماحة تعنى علو اليد والسماح أو عدم السماح من قبل من هم الأعلى .

- يعنى أنت تشارك أعداء الإسلام مقولات إنه لا يحترم بقية الأديان وإنه ليس دين سلام وإنه انتشر بحد السيف ؟ !

- لا ، لم أقل هذا . يمكنك اعتبارها لعبا بالألفاظ ، لكنى شخصا لا أعتبرها -ولا حتى لفظ السماحة- هكذا . دائما أبدا هذه هي طريقة الخطاب الإسلامي : نحن نريد تكريم المرأة فلا نخرجها من البيت ، ونريد تكريم أهل الذمة فلا ندخلهم الجيش ، ونريد تكريم عيسى فننفي صلبه المهين ، بينما ما يقصدونه هو استرقاق المرأة واستعباد غير المسلمين ودحض عقيدة ألوهية المسيح ( وإن كنت حتى اليوم لم أفهم كيف أن عدم صلب المسيح ورفع له للسماء بدلا من ذلك يقلل من شأنه ، لكن هذا هو مستوى تفكيرهم ) ! هم دائما أوصياء عليك يعرفون مصلحتك أكثر منك ، ولو قتلوك سيقولون لك هدفنا أن نريحك من منغصات الحياة التي ربما تحدث لك لاحقا . إذن المشكلة ليست في المتكلم الذى يعرف جيدا ما يقول ، لكن في المستمع الذى لا يفهم ولا يريد أن يبذل مجهودا في الفهم والبحث ، إنما يفرح بما يفهمه فهما سطوحيا وجاء على هواه ، أو يأخذ رأس القبة ويطير كما يقولون . يجب أن تفهموا بدقة كيف يفكر الإسلاميون . الغرب الساذج يفرح حين يشجب أو يدين أحد من الأزهر أو من بعض الإخوان التفجيرات ، لكن السؤال الذى كان يجب توجيهه له ليس هل تشجب أو تدين ، فرما يشجبونها ويدينونها ليس لأنها غير إسلامية إنما لأن توقيتها غير صحيح . السؤال الصحيح هو هل أولئك كفرة أم لا . هنا ستجدهم يرفضون بكل العناد ، إذ لو كان هؤلاء خارجين فعلا على الإسلام لما ترددوا في تكفيرهم ، وما أحلى وأسهل التكفير كما تعلم . يجب أن تفهموا بدقة كيف يفكر الإسلاميون ، وماذا تقول الكتب بالضبط . بالنسبة لهم ، ما قلته أنت للتو هو ثلاثة مزاعم لا أساس لها : ١- تقانيا ، الإسلام يحترم الأنبياء ورسائلهم ؛ فعلا يحترم المسيحية ، لكن المسيحية كما يفهمها هو ، أما بلايين المسيحيين الذى يؤمنون أن المسيح إله فليسوا مسيحيين إنما كفار ويجب قتلهم . ذات الشيء عن اليهودية ، يحترمها كما يفهمها ويفيد منها ، أما اليهود ويهوديتهم ( المحرفة ) الحالية ، فهم أبناء قرده وخنازير وتجب إبادتهم . ٢- تقانيا ، كل الإسلاميين بمن فيهم الجهاديون يقولون إن الإسلام دين سلام ؛ وهم يقصدون هذا حقا ، فعندما يصبح الدين كله لله سيعم السلام على الأرض ، إذن الإسلام دين سلام وهدفه النهائى هو السلام . أيضا ٣- تقانيا ، حتى يتحقق هذا هو لم ولا ولن ينتشر بحد السيف ؛ ممنوع شرعا أن تعذب أحدا حتى يسلم ( طبعا باستثناء الأُسرى ، أو أحيانا باستثناء أبناء العمومة من القبيلة حيث كان ممكنا المساومة بين السيف وتأليف القلوب ، وأشهر حالة هي أبو فسيان ) . رسميا ودينيا ما انتشر بحد السيف هو تطبيق شرع الله ، ' حكم ' الإسلام ، شريعة الإسلام وليس الإسلام نفسه . من حَقك أن تطرق بجيوشك باب أى بلد ، على الحدود تقول إنك أتيت لنشر الإسلام بين شعبها ، لو قالوا لك ' متشكرين ، موش عاوزين النهارده ' ، تخبرهم أن من حيث المبدأ ليس من حقهم هذا لأن تلك الرسالة جاءتهم من إله الكون ، وهم ما إلا الوسطجى . لو حاولوا عمل فيهم ساعتها بسيفك ، لا بأس أن تذبح مئات الآلاف بحد السيف ، لا بأس أن تفرض قوانينك ولغتك وجزيتك بحد السيف ، لا بأس أن توقع الرعب في قلوب الجميع بالزعيق فيهم بقول الرسول ' اسلم تسلم ' ، بل وعلى الصعيد الفردى لا بأس أن تستخدم السيف لأشياء كثيرة ولأى مبرر يعن لك ولا حد يقام عليك ساعتها ، فقط شيء واحد ليس من حَقك أن تفعله على وجه الإطلاق : أن تضع هذا السيف فوق رقبة شخص فرد محدد وتقول له اسلم ؛ ارهبه بكل الطرق ، دعه يسلم ، دعه يموت ، لكن لا إكراه صريح مباشر فردى على دخول الإسلام . هل تعرف ما معنى تأمرهم بالمعروف وتنهون عن المنكر ؟ المذكرة التفسيرية أخرجها البخارى في كتاب له على لسان مُجَّد تقول ' كنتم خير أمة أخرجت للناس ، خير الناس للناس ، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام ' ، أى أنك تفعل خيرا بجز الناس من أعناقهم ، لأنك تساعدهم بذلك على رؤية الحق . هذا هو المعنى الذى يفهمه الجميع بمن فيهم ' المعتدلون ' الذين يعارضون الباقين ويقولون إن ' لا إكراه في الدين ' آية غير منسوخة ، لأن لا فرق كبير إن ظلت سارية المفعول ، فسكة أبو زيد كلها مسالك . تعريف كلمة إسلام وردت في القرآن نفسه ' لا تقولوا آمنا بل أسلمنا ( أى استسلمنا -نحن الأعراب- لك يا مُجَّد ) ' . تعريف غير ديني بالمرة ، بل سياسى محض ، وبما أنه تعريف القرآن نفسه ، فهو يجب كل التعريفات الدارجة من شاكلة أن الإسلام هو التسليم والخضوع لله ( طبعا دع جانبا أن محاولة التعريف بجذر الكلمة وهو سلم ، ومنها السلام ! ) .

- وماذا تعرف أنت عن الإيمان ؟

- أعرف أن تعريفه أنيل وأضل سبيلا . هو موجود في الآية التالية مباشرة : إطاعة الله والرسول والجهاد ( = الحراية الشرعية ) بالأموال والأنفس في سبيل الله . باختصار دقيق : الاستحلال والاسترقاق هما غاية الإسلام ، وليس تسهيل طريق الجنة لأمثال إدوارد ومينا . من اللحظة الأولى كان هدف الإسلام واضحا لمخترعيه ولأتباعه سواء بسواء ، نُجِّد لم يعد بالجنة وحوار العين فقط كما تزعمون أيها البسطاء ، إنما وعد بالغنائم بل قسمها عليهم بالاسم والمقدار قبل أن تأتي أصلا في أغلب الحالات ، وبالفعل أغلبها لم يأت في حياته وبالفعل تم لاحقا تحصيل التشبيكات آجلة الاستحقاق هذه : لك كذا يا فلان من مال البحرين وكذا يا إعلان من سوار كسرى وكذا يا خلان من نساء الأصفر ... إلخ ، المهم في كل الأحوال أن لم يحدث أن خطر ببال أى من كل هؤلاء أن الأديان كما اعتادها الناس من كل من ادعى النبوة والرسالة ، هي فقط مجرد دعوة بالكلام والإقناع . الهدف لم يكن يوما هداية الناس للعقيدة ، إنما بسط شريعة الإسلام على كل العالم ، وتحول الناس للإسلام هو مفيد فقط بقدر الحاجة إليه في السيطرة على العالم ، مثل أسلمة بعض أبناء الغرب وتأليف قلوبهم بالمال كما يجري الآن ، لكن بعد السيطرة على الأراضي لا يهم كثيرا أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا بالإسلام . من شاء أن يؤمن فليؤمن فيأمن على نفسه وماله ، ومن لم يشأ فليدفع الجزية ويقبل العيش مواطنًا من الدرجة الثانية ، أو يقتل ، وعامة لا بأس بعدم الإسلام بالذات حين تكون الجزية والاسترقاق مصدرا لعائد مالى أكبر ، والإسلام ازدهر حين كانت عائدات الجزية ضخمة ، وعندما أسلم الجميع عم الفقر ، أو باختصار : بدون غزو بلاد جديدة يموت الإسلام والمسلمون !

- طبعا في رأيك كان ممكنا نظريا أن لا يسلم أحد ، ويقبل الجميع العبودية ، فيصبح حكم أقلية ؟

- يا ريت ! أنت فاكرا العبودية سهلة كده ؟ من الممكن أن تدفع الجزية وأيضا تقتل . مثلا لو ضربت ذميا وسرقته واغتصبت زوجته وبناته أمام أهله وجيرانه ، أو حتى قتلتهم ، لن تعاقب . السبب بسيط هو أن شهادة أى من كل هؤلاء كذمين لا يعترف بها أمام المحاكم طالما هي شهادة على مسلم . لازم يشهد مسلمين في صفك . الذمى عبد تقريبا ، لا يسمح له بالمشى وسط الشارع ، ولا ارتداء أحذية ولا تغطية رأسه . أنت تسرق وتضرب وتغتصب بنات الذمى ، هذا حق ، لكن أن تعذبه من أجل أن يصبح مسلما ، فهذا حرام . ثم قل لى منذ متى كانت للدولة الإسلامية حدود ؟ كل الدول المتعاقبة لم تقر بشيء كهذا أبدا . النهارده أعضاء مسلمين في الكونجرس يقولوا علنا من قال أن الأمريكى يجب أن يكون مسيحيا ، أو يجب أن يتكلم الإنجليزية . غزو صريح يعنى ، وأراهنك بعد شوية ها يتندوا يقتلوا المسيحيين أو إالى بيتكلموا إنجلش . الإخوان أو آل سعود أنفسهم ، أو من يسمون عامة بالمعتدلين ، بيأجلوا الجهاد المسلح ( = الحراية الشرعية ) شوية ويقولوا كل العالم أرض دعوة . كل العالم فسطاط سلام لأنهم حاسين أن نفوذهم تغلغل في كل حنة ، والبركة في فلوس البترول إالى ربنا إداها لهم لهدف ، وما فيش داعى دلوقت للسلاح إلا كرتوش أو علشان تخلص [ بتشديد اللام ] . وفعلا حاربوا في حنت في البوسنة والشيشان ، وممكن يحاربوا في كل حنة لو أحسوا ' بالتمكين ' فيها ، وإلا ما معنى أن يسموا أنفسهم بالجهاديين . أحيانا يطالبون مع الحكومات أو مع إسرائيل باتفاقيات أو هدنات طويلة المدى ، وهى عبارة دقيقة تعنى في الأدبيات العربية-المسلمة الحديدية ، أى لا هى معاهدة ولا حتى هدنة ، إنما فقط هدنة من طرف واحد هو أنت ، وبحد أقصى عشر سنوات ما عداها هو تهاون في شرع الله ، أما من ناحية الطرف الآخر -أى المسلمين- فمن حقه أن ينهيها في أية لحظة يشعر فيها أنه قادر على التمكن منك . يقولون إنهم حاليا يعتمدون فقط الوسائل السلمية والديموقراطية ، وأنها تأتي بنتائج ممتازة منذ كان صلاح أبو إسماعيل يعيد تفصيل الدستور المصرى كل عدة شهور حسبما عن له المزاج ، ولا تزال النتائج ممتازة حتى الآن ، وأنهم بالتالى ليسوا في حاجة ماسة للعنف قبل الوصول لمرحلة التمكين الكامل ، إلا أنه هناك جماعات أخرى لا يعرفها أمثالكم بترد تقول مرحلة الحديدية دى قبل تمام الدين ولا يجوز القياس عليها .

بدلا من أن يثور الحاج على كلام كهذا هدا هدوءا غامض السبب ، وعقب مؤيدا : ' وأنت الصادق موش سلم على الديموقراطية ، إنما سلم على أرواحنا نفسها . عندك حق . الإخوان بتوع الديموقراطية والحداثة ؟ هم فاكرين أنهم بيكلموا ناس مغفلة ؟ حتى لو كانوا بجد موش ناويين يطبقوا الشريعة ، كفاية عيل واحد صغير زى أصحابك المضللين بتوع أسيوط يكفرهم ، وتتقلب كل حاجة تانى ؛ أو حتى موش محتاج يكفرهم ، كفاية يكفرهم . على رأيك ! طالما زى ما بتقول المرجعية عندهم معروفة ومتفق عليها الجميع سلفا . حتى في مصر ، لو قلنا ثقافيا وتاريخيا وتراثيا المصريون لا يفضلون الإسلام المتشدد ، سيقولون لك نصوص الشرع فوق كل شيء . حتى لو فرضا صدقوا في مقولة المستضعفين في الأرض بتاع الخومينى لن يكونوا أقل سوءا من روبيسبيرير أو لينين أو ناصر ، وما أدراك بالمستضعفين في الأرض يوم تصبح لهم السلطة ! تصدق ؟ أول مرة تقول حاجة صح ! ' .

قالها الحاج بلين وهدوء معتقدا أنه هكذا ينهى النقاش إلى كلمة سواء يتراضى عليها الجميع ، لكن ونس رد ببرود يكظم غيظا هائلا : ' ماذا تعرف أنت عن أصحابي بتوع أسيوط ؟ ' .

- لا أعرف شيئا ! مجرد استنتاج ! أنت درست هناك في السبعينيات ولا بد أنك سمعت عنهم !

- أنا لم أسمع عنهم ، أنا كنت صديقا حميما لأهم أهمهم ! كلمة مضللين هي آخر كلمة يمكن أن تنطبق عليهم . مضللين إيه يا حاج ؟ ! مين إللى ضللهم ؟ إذا كانوا هم إللى اخترعوا الحدودة كلها ! دول أصلا كانوا ليبراليين ( مشددا كل حرف من حروف الكلمة ) ، ثم قرروا قراءة القرآن !

- ( ناظرا لوحيد مستجديا منه تأييدا لن يأتي أبدا : ) الفقر يعمل حاجات وحشة في الناس . لولا الفقر ما كانش فيه إرهاب .

- فقر إيه يا حاج ؟ ! بأقول لك ما كانش فيه حدودة أصلا ، وهم إللى اخترعوها . وإللى اخترعوها دول ، كان أهاليهم أحسن منا كلنا عشرين مرة . هات لى اسم منظر واحد للجهد كان فقير ، موش من أصحابي دول ، إنما في أى وقت . هل إللى انتحروا في ١١ سبتمبر كانوا فقراء ولا محتاجين ؟ !

- ( ضاربا كفا بكف ، وناظرا لوحيد لعله يجد فيه نصيرا لشيء آخر ، ناسيا في غمرة انفعاله أنه آخر ما يمكن أن يؤمن به وحيد ، الشيء المسمى بحقوق الإنسان : ) أكيد التعذيب هو إللى خبل مخ العيال دى ؟

- ( ونس يعود بذات الحدة : ) تعذيب إيه يا حاج ؟ أنت ها تعملى فيها وحيد حامد ؟ الحكومة كانت مدلعاهم ع الآخر ، فلوس ، وشقق ، وكل حاجة . خلوا كل الشيوخيين ذوى عاهات ، ولو كانوا قتلوا ألف منهم ما كانتش ها تمس شعرة واحد فيهم . مسيحين المدينة الجامعية في أسيوط -مئات- حظوهم في بدروم مبنى ب ، المطعم ، يناموا ع الأرض في عز الشتاء شهر كامل . شبعوهم ضرب ، وكانوا بيخلوهم هم نفسهم يضربوا بعض على وشهم زى ما تكون لعبة ، يعرفوهم ويخلوهم يلحسوا البلاط ، ومليون حاجة ، ولو اتنين إخوات موش ها أحكى لك كانوا بيخلوهم يعملوا إيه في بعض . يا حاج هم إللى اخترعوا التعذيب موش الحكومة .

- محدش سمع على حاجة زى دى !

- أنت ما سمعتش ، أنا شفت ! لاحظ أنك قلبت وبتدافع عنهم .

طوال الوقت ظل وحيد صامتا صمت الأحجار ، إلا من نظرة هامسة تبادلها مع اللواء عزمى عندما اقترب ونس من ذكر أمور تزامنت مع أيام السادات الأخيرة . الآن فقط يتدخل مدافعا عن ضهرى ، والسبب أنه شعر بأن الموقف بات سيرياليا ، حين بدل الطرفان مواقفهما فيه دون أن يشعرا : ' زى ما أنت قلبت وبتدافع عن الحكومة ، يا بتاع نظرية المؤامرة ! ' .

- خلينا في الموضوع .

- ( وقد وصل السخط لذروته : ) أى موضوع ؟ أنتم دخلتونا في ١٠٠ موضوع لغاية دلوقت ، وبينما لا تفهمون أى شيء ، تحبون فقط الحديث عما لا تعلمون ! أصدقاى هؤلاء ليست لهم أية مطامح أرضية وضيعة كالإخوان ومن شابههم من عديمى الخلق أزيار النساء محترفى الكذب والتقية ؛ إنهم معدن آخر تماما من البشر !



ولم لا ؟ ستترك الاستخبارات ، وسأجعلك محافظا لأسيوط !

كالمتوقع ذهبت غضبة ونس بعد قليل ، عادت الابتسامة لوجهه وشرع في سرد قصته الكبيرة -ككل قصصه أو من الجائز أنها كانت كبيرة حقا هذه المرة : قصة صداقته مع زعماء الجماعة الإسلامية بأسيوط أثناء دراسته الجامعية التي بدأت بعيد حرب أكتوبر بشهر ونصف ، إذ كانت الدراسة قد بدأت في تلك السنة متأخرة عن موعدها .

مبنى كلية الهندسة كان مفخرة عصره ، ضخامة وجمالا معا . المبنى الرئيس عبارة عن مبنى طويل لا يقل عن ١٠٠ مترا ، مكون من ٥ طوابق ، وطوليا منقسم لثلاثة أجزاء ، الأوسط بعرض نحو ٢٥ مترا ، معلق على أعمدة وتحتته مساحة مفتوحة . والمبنى برمته كان أحد أربعة مبان تابعة للكلية . الورش الميكانيكية مواجهة لكامل المبنى بطوله . وضلعا المستطيل الآخرا كانا مختبرات أخرى ، حرارية وجيولوجية وما إليها . كان عبد

النبي ، أى ونس ، ممن يستمتعون بالوقوف طويلا في هذا المسطح الأخضر الذى تحيط به الأبنية الأربعة ، أو تحديدا في المنطقة المفتوحة تحت الثلث الأوسط للمبنى الرئيس ، والتي حيث كان لا بد وأن تعبره كل بنات المدينة الجامعية الواقعة للجنوب من هذا المجمع ، في ذهابن لأقسام كلية العلوم الواقعة شماله ، وهى مجمع ضخيم آخر من ٦ أقسام ، كل منها يحمل اسم أحد أقسام كلية العلوم . والواقع أن اسم كلية العلوم لم يكن اسما دقيقا ، لأنه كان يستضيف ضمنا كامل كليتي الطب والصيدلة أيضا ، باستثناء السنوات النهائية التي تدرس في المستشفى الواقع خارج الحرم الجامعى في مدينة أسيوط نفسها . كان ونس يتطلع للفتيات وهن يعبرن القلب الأخضر لكلية الهندسة ، ثم يصعدن السلالم الخمس الممتدة بطول هذا الثلث ، ثم يجتازن هذا هبوطا خمس السلالم الأخرى في الطرف الثانى . ثم يرقبهن وهن عائدات في المساء . رغم أنه طويل وعريض ولا يمكن إلا أن تلحظه ولو كان واقفا وسط عشر أشخاص ، ورغم نشاطه الاجتماعى الواسع ، إلا أنه لم يرتبط بأية فتاة من أسيوط ، وانتظر إلى أن عاد لدمياط .

لو وقفت في تلك المساحة ونظرت للشمال ، أى جعلت الورش إلى ظهره ، كنت تجد بوابة قسم الهندسة الميكانيكية إلى يمينك ، وبوابة قسم الهندسة الكهربائية إلى يسارك . كل بوابة تقود إلى بهو . في بهو قسم الهندسة الميكانيكية ، تعرف ونس لأول مرة بعاصم وعصام . كان يسبقهما في السن بعامين ، ثم سرعان ما أصبحا زملاء في سنة أولى ميكانيكا . كانت الجامعة كلها تعج بمجلات الحائط الشيوعية ملتزمة بالكلمات والشعارات . أما عاصم وعصام فقد أسسا أسرة خاصة للقسم أسمياها أسرة الأصدقاء ، وكانا يعلقان صحفا بيضاء تماما ، ويدعوان الزملاء للكتابة بأنفسهم . تخيل الجميع أن ذلك مؤشر تحرر فكرى وانفتاح وإيمان بتعدد الفكر ، إلى أن اتضح بعد قليل - في قول البعض - أنه مؤشر للخواء أو البحث عن طريق أكثر منه مؤشرا للحرية ؛ إذ اختفيا لنحو شهرين ، ثم عادا بالعصى والسلاسل الحديدية يقودان الحجازر ضد الطلبة الشيوعيين . لم يكونا الأوائل ولا المؤسسين ، لكن انضمامهما فرق كثيرا ، وكثيرا جدا ، فتقريبا كل الباقين كانوا تافهين وظلوا تافهين ، يهمهم تقصير الجلباب وارتداء الساعة في المعصم الأيمن أكثر مما يهمهم فهم الحكمة العميقة وراء الجهاد (= الحراية الشرعية) . اليوم تشير لهما الصحف على أنهما العقل العميق لكل الحركة الإسلامية المسلحة التي بدأت في السبعينيات ، والتي تصاعدت حتى أخذت صورة تنظيم القاعدة وغيره من التنظيمات الجهادية العابرة للقارات . وعن عصام بالذات يشيرون لأنه مؤلف أهم الأدبيات ، وكذا كاتب المرافعة التي ألقاها عمر عبد الرحمن أمام المحكمة نيابة عن كل الجماعة . وعن عاصم تذكر كل مصر أنه السجين الذى كانوا يحضرونه على نقالة ، فهو لم يكن قد برأ بعد من إصابته البليغة خلال هجومهم الكاسح على مديرية أمن أسيوط صبيحة يوم عيد الأضحى ، اليوم التالى لاغتتيال الرئيس السادات !

كان معظم تلك المواجهات مع الشيوعيين يدور في كلية العلوم ، مجمع المباني الضخم الثانى -بخلاف الهندسة- فيما يسمى في أسيوط بالجامعة الجديدة . بدأت هذه المواجهات في أوائل سنة ١٩٧٥ . كان النشاط برمته مدعوما من المحافظ مُجد عثمان إسماعيل ، الذى كان رئيس استخبارات حرب أكتوبر ولا يشك أحد في دهائه وكفاءته ، وعرف لاحقا أنه هو الذى اقترح على الرئيس السادات فكرة الاستعانة بالإسلاميين ، فرد عليه ' ولم لا ؟ ستترك الاستخبارات ، وسأجعلك محافظا لأسيوط ! ' . حوار دار في بداية عقد السبعينيات ، وتكرر طبق الأصل مرة ثانية قبل أقل من عشر سنوات ، بين زبيجينيو برجينزسكى ناصح الأمن القومى وبين رئيسه جيمى كارتر ، مع اختلاف المناسبة : احتلال السوفييت لأفغانستان . الرئيس ريجان ، رغم ما عرف عنه من حزم وحدة وميل للمواجهة ، لم ينبذ الفكرة بل جعلها الشئ الوحيد الذى يمكن أن يرثه عن ولاية كارتر الكارثية ، ثم نماها بأسلوبه هو بأن جعلها جزءا من سياسة جلوية متكاملة أعم لتقويض الشيوعية . سياسة اقترحتها مؤسسة دراسات محافظة اسمها هيريتيدج Heritage Foundation ، وسميت إعلاميا فيما بعد بـ Reagan Doctrine . ( وكلمة محافظ عندهم تعنى الإيمان بأفكار الآباء المؤسسين لأميركا ، وليس التدين أو التزمم الأخلاقى أو التفكير الرجعى أو معاداة الحريات الشخصية ) . هنا لم تعد تخص أفغانستان فقط ، ولم تعد قصرا على دعم الإسلاميين فقط ، إنما شملت كل حركة معارضة للشيوعية . شملت أنجولا نيكاراغوا فييتنام لاوس كمبوديا إثيوبيا ، كل مكان . وشملت أحيانا التدخل العسكرى المباشر ، كما حدث مع ليبيا . باختصار ، لقد جعل ريجان من كل أرض الكوكب نارا ملتته تحت أقدام السوفييت ، وعجل بالسقوط المروع لإمبراطوريتهم !

- خيلنا في ١٩٧٥ !

كان المحافظ يعطى كل طالب من الجماعات شقة من إالى كان اسمها المساكن الشعبية ، وإلى عادة كنت تحتاج ٢٠ سنة أقدمية في الزواج والإنجاب علشان تاخذ واحدة . ده طبعا بخلاف الفلوس وكل أشكال الدعم إالى تتخيلها داخل وخارج الجامعة . لم يكن عاصم وعصام يظهران

كثيرا عندنا بالقسم . ولم يحضرا المحاضرات ولا غيرها ، ولم يحصلوا على بكالوريوس الهندسة أبدا . الحاجة الوحيدة إلی كانت واضحة أو ملموسة لنا كطلبة صغيرين ، هي المطالبة بتطبيق الحدود . دى كانت أول مرة كنا نسمع فيها كلمة اسمها قوانين وضعية . أغلب المناقشات حوارين صحف الحائط الإسلامية كانت هل معقول نرجع نقطع الإيدین ونجلد ونرجم ونجز الرءوس فى الشوارع ، ده بسبب سداجتنا بينما الناس دى كان لها تفكير تانى . لقد تجاوزا بمراحل أحلام مُجد عثمان إسماعيل فى ميلاد سيد قطب جديد على يديه . بالمقارنة بهما ، سيد قطب ، تنظيرا وأفعالا ، لم يكن سوى طفل كسيح .

أيا ما كان ، ما يهمننا هو أن صلة ونس بهما لم تنقطع قط . منذ اليوم الأول لمجيئه لأسيوط عنت لونس فكرة أن يكون منظم رحلات . الفكرة أن الرحلات الجماعية تحصل على تخفيضات فى السكك الحديدية . كان قبل كل عيد أو أجازة طويلة يعلن عن رحلة ذهاب وعودة للقاهرة . هذه كانت مجرد توفير نفقات السفر على الطلبة . لكن أحيانا كان ينظم رحلات أخرى . ترفيهية وسياحية مثلا لبحيرة قارون ولبحيرة قارون الطبيعية بالفيوم . أو مثلا للمنيا ، مدتها يوم واحد فى شم النسيم ، وتشتمل على نزهة نيلية وجلس بالبنوادى الممتدة بكورنيش النيل فيها ، الكورنيش الأشهر والأجمل ، الأخضر الأطول والأعرض فى كل المدن المطلة على النيل ، كل مدن حوض النيل . وأحيانا طبعا بعض رحلات للأقصر وأسوان ، وإن لم تجد إقبالا كبيرا لارتفاع تكلفتها .

توطدت علاقته بعاصم وعصام بحكم طبيعته الاجتماعية التى يستلزمها بيزنسه . حين أصبحا إسلاميين لم يثقا فيه كثيرا كى يكون عضوا بالجماعة ، لكنهما تمسكا به لحنكته وخبراته البيزنسية . وعهدا إليه بطبع مذكرات الامتحانات التى بدأت تصدرها الجماعة الإسلامية بعد سيطرتها على اتحاد الطلاب ، الذى أبقوا عليه رئيسا له ، لكن على لائحته هم . بالتالى هو لم يخسر ماديا من سيطرة الجماعة على الحياة الاجتماعية ليس للجماعة فقط ، بل على مدينتى أسيوط والمنيا بكاملهما . جامعا منعوا كل الأنشطة الترفيهية وضربوا رواد الحفلات وحاربوا الرحلات . ثم إن رحلة كرحلة المنيا مثلا لم تعد ذات معنى ، لأن الناس كلهم منعوا أصلا من الاحتفال بشم النسيم باعتباره عيدا وثنيا ، وأصبح كورنيش المنيا لطول السنة خرابا مهجورا ، بعد أن كان كرنفالا دائما للصدقة والحب والجمال فى كل الفصول .

- فى الأول وعلى عكس كل الجماعة إلی كانت شيوعية كانوا ليبراليين ( هكذا كنا نسميهم حتى لا يدخلنا وحيد فى متاهة التعريفات ) . كانوا يبقروا كل حاجة ، ويعلقوا عندنا فى القسم صحف حائط بيضاء ، مجرد أفخ ٧٠ × ١٠٠ لا شىء عليها . والطلبة هي إلی تكتب ، وشوية شوية ابتدوا يقرأوا القرآن ويبحثوا . إلی أقدر أشهد به وشهادة الحق لله موش لإنسان ، الناس دى ناس دوغرى ولا تعرف تلعب ولا تراوغ بالكلام ، أو ما يسمى شرعا بالثقية .



## إلى موش عادى أنى أول مرة أشوف علماني متطرف بيدافع عن الإسلاميين المتطرفين ،

### زى ما تكونوا فى مركب واحد !

- أظن لو سمعوا إلی بتقوله عليهم دلوقت كانوا قتلوك ؟

- يقتلونى ؟ بالعكس ! إلی بأقوله على لسانهم ده ، كله كلام يتباهون به ولا يوجد به كلمة واحدة ينجلون منها . حتى كلمة زى الإرهاب ، إلی ما كانتش طلعت على أيامنا ، لو قلت لواحد فيهم أنت إرهابى ، يقول لك شكرا ، ويعتبرها مديح وتنفيذ لوصية الله ' ترهبون به ... ' ( طبعا دلوقت لو قلت لإخوانجى أو سلفى أنت متخلف يزعل ، والمفروض يتباهى بتخلفه لأن الأصولية هي عودة للوراء ! ) . المشكلة موش هنا ؛ المشكلة أن السادات أو مُجد عثمان إسماعيل نفسهم كانوا هواة . معلوماًهم عن الإسلام سطحية جدا ، ففوجئوا بما لم يتوقعوه . بعد كل إلی حصل ، مسكت الشرطة واحد منهم . واحد ، خد بالك ؟ واحد كان قبل كام يوم دخل على مأمور قسم المنيا ، وراح يديه أوامر وتهديدات ، إن ما عملش كذا وكذا ها يعملوه هم بنفسهم ، وهو نفسه ها ينال جزاءه . وفعلا نفذ التهديدات إلی قالها ، وبقت الخطوة إلی جاية هي عقاب الشرطة على تقصيرها فى تنفيذ أوامره . باختصار كده ، الشرطة ما تحركتش إلا لما بقت هي نفسها مهددة . كانت فى حالة دفاع عن النفس يعنى ، لأن عارفين أنهم ها يتحطوا على list استحلال الدم . أربع سنين كاملة . فى أوائل ١٩٧٩ زودوها أوى فى الشارع . علقوا يفظ فى مداخل الأحياء تقول مثلا ' الجماعة الإسلامية - جمهورية مصر الإسلامية - إمارة المنيا - حى المولد النبوى ' ، وبالداخل كانت تطبق الحدود على السكان مسيحيين ومسلمين وتعلق رءوسهم على أعمدة الإنارة بعد قطعها . لم تقتصر أنشطتهم على ' أرض المولد ' ، فى الخارج كانوا مثلا

يضرِبوا الناس العادية إلى بيحتفلوا بالأعياد على كورنيش النيل في المنيا ، أو يمارسون بلطجة وحرق محلات خمر وكنائس وصيدليات وحاجات تانية في الأحياء السكنية نفسها . المنيا دى على فكرة غريبة شوية . كان فيها مثلا أسماء مشهورة لمحال نظارات أو ساعات أو صيدليات ، كانت هى الأصل إلى ممكن تقابل فيه صاحبها الأصلي الأرمنى أو الأجنبى ، صاحب الاسم ، بينما إلى موجود هنا في القاهرة ومشهور جدا ، كان مجرد الفروع . حاجة نادرة موش كده ؟ جازير في الأسكندرية ، إنما عامة صعب يكون الأصل في مكان تانى غير القاهرة . كل إلى بأقول لك عليهم دول اتكسرت محلاتهم ، واضطروا يبيعوها ، وكمان فرضوا على المشتري الجديد ( المسلم طبعاً ) تغيير الاسم ، يعنى حرموه بالقوة والتهديد من الاستمتاع باسم الشهرة . المهم ، عارف لما اتمسك الواحد ده حصل إيه في أسيوط ؟ الجماعة لمت كل الطلبة المسيحيين من كل مباني المدينة الجامعية -الحكاية إلى حكيتها لكم- حبسوهم وعذبوهم ولو حاولت الحكومة تقرب كانوا بيتدوا يقتلوا الرهاين . وفعلا ما أفرجوش عنهم إلا لما أفرجت الشرطة عن المعتقل إلى في المنيا .

- يعنى كلنا كنا مغيبين وحضرتك كنت فاهم أن ١١ سبتمبر هو مسألة وقت ؟

- طبعاً ما كنتش أعرف أنهم ها يدكوا ماها تان بالطريقة إلى تمت ، إنما أقدر أقول إني كنت قاعد كل السنين دى مستنى حاجة زى دى ، إن لم يكن أكبر . تخيلى كان دائما قنابل نووية يشترونها من المافيا الروسية بأموال بن لادن ، ويهربونها لكل عواصم الغرب حيث تفجر كلها في يوم واحد . كل إلى فهمته من ٣٥ سنة في أسيوط طلع صحيح . موش كده ويس ، إنما ظل الغرب ٥ أو ٦ سنوات كاملة بعد ١١ سبتمبر ، يتخبط في فهمه للإسلام ، وعندما بدأ يفهم في الستين الأخيرتين ، كان لأول مرة يقول البديهيات التي كنت أسمعها يوميا بنفسى أيام كان جورج دبليو . بوش لسه طالب في الجامعة . ما قدروش يفهموا أنه لا توجد أسباب اجتماعية ولا سياسية ولا اقتصادية للإرهاب ، فقط أسباب دينية . جازير في وقته كانت فيه أسباب اجتماعية وسياسية واقتصادية وراء كتابة الدين بهذه الطريقة ، لكن بمجرد أن كتب أصبح ديناً ، أصبح مقدساً ، أصبح عقيدة ، ولم يعد بوسع أحد تغيير حرف واحد فيه ، وإلا ما معنى أن يسمى ديناً ؟ ما قدروش يفهموا أن المشكلة ليست في بن لادن ، المشكلة في القرآن ! ما قدروش يفهموا أن السؤال المحورى في الإسلام ليس حتى القرآن ، إنما سورة التوبة ، إما أن تقبلها وتنضم لتنظيم القاعدة أو أحد فروعها ، وإما أن تلتف حولها بتفسيرات وتماحيك معوجة فلا يهتم بك أحد أو يعترف كذاباً أو صاحب أجنحة خفية كما يعتبرون الإخوان وأحزاب تركيا الإسلامية مثلا . الشيخ السمح البشوش الطيب بتاع برنامج ' مكارم الأخلاق ' إلى بيحبيه كل يوم في التليفزيون قبل نشرة الأخبار يوعظنا بالحب والسلام والأخوة والتواصل والتعايش والآخر وموش فاهم إيه ، موش واحد باله أنه طول الوقت بيكلمنا بآيات منسوخة . كمان موش واحد باله أن كل القصص إلى بيحكيتها قصص من شباب الرسول ، يعنى بصراحة هو بيتكلم من غير ما يدري عن مكارم أخلاق الجاهلية . إنما مثلا أخلاق الإسلام - كما يعرفها من يسبون على السنة كالإخوان بالذات - حاجة تاني ، كلها قتل ودبح وخيانة عهود . مشكلتك يا حاج أنك واخذ الإسلام من برنامج ' جئت لأتمم ( على ما تبقى من ) مكارم الأخلاق ' موش أكثر ، وده موش هو الإسلام .

- وما هى أخلاق الإسلام بتاع أصحابك ؟

- بص يا حاج : أنت لسه موش فاهم إيه أصل المشكلة . أنتم لم تعطونى فرصة للحديث عما أردت أصلاً الحديث عنه ، هذا لعلكم تفهمون حقيقة ما يجرى في الصعيد الآن .

ويسخر روميو : ' كل ده ولسه ما أخذتش فرصة ؟ ! ' .

- يا حاج ، أنت أو أى حكومة أو أى شعب ، ممكن تخترعوا إسلامات زى ما أنتم عاوزين ، لكن في أول اختبار لها تواتوا برهانكم ها يسقط . تلك هى مشكلتك كما هى عينها مشكلة ٩٩.٩٪ من المسلمين ، أما مشكلتى أنا فهى أنه حين لم أجد طريقاً ثالثاً أو حلاً وسطاً ، لغير أن أصبح جهادياً أحمل السلاح طبقاً لأصح دين على وجه الأرض ، أو أن أرفض وجود الله نفسه من الأصل . أنا كنت مؤمن زى كل الناس العادية ، إنما وجدت نفسى أمام أحد طريقين : هؤلاء منقطعهم قوى للغاية ، حتى في موضوع تطبيق الحدود ، كان لهم طريقة في الإقناع . بيتدوا معاك أنت مؤمن بوجود ربنا ولا لأ ؟ إذا قلت آه ، يقولوا لك هو إلى خلقنا ولا لأ ؟ إذا قلت آه ، يقولوا لك وهو فيه أحسن من إلى صنع الساعة علشان يصلحها ؟ أنت موش ممكن تشتري ثلاجة أو غسالة من غير كتالوج ، والقرآن هو كتالوج الإنسان . وبكده يدخلوا لك في عدم صلاحية القانون الوضعى وضرورة تطبيق الحدود ثم في تكاليف الجهاد ( = الحراية الشرعية ) وفرض العين ، ولا يمكن تفلت منهم إلا لو كنت قلت من الأول خالص أنا لا أومن بربنا . كلامهم كان مقنع جداً ، لدرجة إما أكون علمانى وأتف على ربنا ، وإما أروح أتدرب على السلاح ، لا

طريق ثالث ولا حلول وسط . ومن تلك اللحظة قررت أكون علماني ، وكانت الحججة التي كتبتها في نفسي : إذا كانت جدليتهم برمتها تقوم على أساس واحد هو أن لا يمكن لموجود أن يوجد بدون خالق ، فالسؤال المنطقي هنا هو من خلق الخالق ؟ هكذا هم أمام أحد أمرين : إما أن الإله غير موجود لأنه يحتاج لخالق له ، وإما يكونون قد أنشأوا الاستثناء أن من الممكن أن يوجد موجود بلا خالق ، وهنا تنهار فرضيتهم الأصلية التي يثبتون بها وجود الإله .

- يا سلام سلم ! أنت اتعديت من وحيد ، ولا جازير أنت إल्ली عديته ؟ أول مرة أعرف أنك علماني متطرف . ( ويضرب كفا بكف : ) عادي ! إنما إल्ली موش عادي أنى أول مرة أشوف علماني متطرف بيدافع عن الإسلاميين المتطرفين ، زى ما تكونوا في مركب واحد !

- لا تسألني أنا . أنا لا أقدم ولا أؤخر . لا أحد يقدم أو يؤخر . أنت لا تستطيع أبدا أن تحتطف روح الإسلام الحقيقي من أولئك الجهاديين . ما فيش عشرين إسلام زى ما البعض فاهم . أو زى حتى ما فيه ناس بتقول إن كل واحد من الـ ٣ بليون متدين في العالم له نسخته الشخصية جدا من الدين . أنت ما بتشوفش برنامج God of the Day ولا إيه ؟ ! الإسلام بتاعك ده -وعفوا للتعبير- الإسلام الشعبي أو الإسلام المصرى أو البلدى أو إسلام كتاب القراءة للصف الأول الابتدائي ، ما يمشيش بمليم عند الناس إल्ली بتقرأ بجد ! لو بليون مسلم قالوا إल्ली أنت بتقوله ، برضه لا يقدمون ولا يؤخرون ، طالما ناس طبيين وفي حالهم . من يهيمون فقط هم من يحملون السلاح ويضربون في أسبوط وفي نيو يورك . كما قلت ، لو كنت قد وقفت يوما واحدا في مناقشات طلبة جامعة أسبوط مثلى ، لعرفت أن معايير التطرف والاعتدال لا يحددها مزاجك أو إحساسك أنت الشخصى . لو أسميت تدينك أنك الشخصى يا حاج ضهرى شيئا غير الإسلام ، فلا بأس ، لكن طالما أسميته الإسلام فأنت لم تعد حرا . هناك نصوص منزلة تحدد ما هو الإسلام ، ما هو معتدل وصرط مستقيم وما هو منحرف وشاذ ، وأيضا تحدد ما هي روح الإسلام .

- هل ما تقوله هذا يمثل روح أى شىء ؟

- أصحابي إल्ली بأنتكم عليهم مجاهدين عظام وعندهم ثقة بالله وعزة نفس ويرفضون التقية . الدين بتاعهم ما فيهوش متناقضات بالمرة . بصراحة كان عندهم حل لكل حاجة .



لا إله إلا الله ! أنت نيلتها خالص ! خليت ربنا بيلعب معانا استغماية !

ينبرى الحاج معارضا كالمتوقع : ' حل إزاي يعنى ؟ ' .

- يعنى لا يمكن ' لكم دينكم ولى دين ' تمشى مع ' الدين عند الله الإسلام ، ومن يقبل ... ' . ولا يمكن ' لا إكراه في الدين ' تمشى مع ' عن يد وهم صاغرون ' . ولا يمكن ' الحكمة والموعظة الحسنة والتي هي أحسن ' تمشى مع ' وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ' . ولا يمكن ' وإن جنحوا للسلم ' تمشى مع ' اقتلوهم حيث ثقتهموهم ' . ولا يمكن ' لا ينهاكم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ' تمشى مع ' فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا ' . كل حاجة عند الناس دى متظبطة ومحسومة . سورة التوبة نزلت في الآخر وتنسخ كل آيات الكف عن قتال المشركين أو ما يسمى المهادنة والمواذعة ، بل ربما تنسخ أيضا أشهر سطر في الإسلام ' بِيَسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ' ، فهي الوحيدة التي لا تبدأ بها ، لا رحمة بعد ولا أرحام ، إنما فقط البراء والوعيد وانتهاه كل العهود والمهدنات مع الآخر مرة واحدة وللاأبد ، وتوبة إن كنت أحبك تانى توبة . آية السيف لا تحتمل التأويل وليس لها واقعة تنزيل محددة ، إنما هي تتحدث عن أشهر سلم وسلام أصلا ، ثم تعطى بعدها رخصة مفتوحة لقتال كل من لم يسلم أو لم يعتدى ، ويا ليت أحدا احترام حتى الشق الخاص بالأشهر الحرم فيها ( حتى لو كل آيات القتال واقعات خاصة فسوف تدخل في باب القياس والأسوة الحسنة ، لأنه لا يوجد في مكان آخر نهي عام صريح عن قتال غير المسلمين . ليست هناك قاعدة أصلا حتى يكون هناك استثناء ، بمعنى لو هي استثناء ، فلن نعرف أبدا استثناء من ماذا ؟ الحقيقة ببساطة أن القتل هو القاعدة ) . كانوا يسهلون علينا فهم أو حفظ الفكرة بالقول أن تلك الآيات لا تدخل أصلا في إطار التقويم الإسلامى ( الهجرى ) ، الذى ليس بالصدفة لم يبدأ مثلا بميلاد الرسول أو حتى بنزول الوحي عليه ، إنما هو تحديدا تقويم لتاريخ الجهاد المسلح ( = الحراية الشرعية ) . التقويم بدأ يوم حمل محمد السلاح ، والوحي انتهى يوم تأسيس الدولة ، فما حاجتنا للوحي ولدينا دولة ؟ الجهاد ( = الحراية الشرعية ) الذى علينا أن نحياه الآن ، والذى تراجع قليلا في الريعين الأوسطين للقرن العشرين ، إلا أنه في الواقع لم يتوقف أبدا تقريبا . ذلك أنه حتى والعالم كله يتخيل الخلافة العثمانية وقد أصبحت رجل أوروبا الذى ينازع الموت ، كانت تقود

بنجاح هائل غزوات مظفرة ضد الأرمن تبيدهم فيها بالملايين . سمعت ده وقلت لنفسي إن في بازار الأديان إلى أنا عايشين فيه ( أو في البوتيكاك حسب موضه الأسماء إلى كانت ماشية أيامها ) ، قلت لنفسي إسلام الجهاد ( = الحراة الشرعية ) ده موش حاجة بسيطة ، ولا يمكن ها يعدى بسهولة ، ولا ها يقدر السادات ولا حتى ريجان يتحكموا فيه . وقد كان !

- نبي حضرتك ؟

- موش نبي ولا حاجة . والصراحة إحنا ما كناش فاهمين بالظبط هم بيتكلموا عن إيه ، ولا أن خطتهم عالمية ، ولا أنهم ها يهيجوا الإعلام الأميركي والرئيس الأميركي على ما أسموه ' مذبحه ' في البوسنة مات فيها ٧ أو ٨ آلاف مسلم ( بينما هؤلاء المحتلون الأتراك ، إلى جات لهم أيام كانوا يفكروا يدخلوهم الاتحاد الأوروبي ، أبادوا من الصرب ٧ أو ٨ مليون أو جايز أكثر ، وزيه من كل شعب أوروبى آخر ، يعنى بليون أو اتنين بحساب التكاثر الطبيعى ) ، ولا كنا متخيلين أنهم ها يقيموا إمارة و' قاعدة ' في أفغانستان ينطلقون منها لكل العالم ، وأن بالتالى خطتهم ها توصل في يوم من الأيام لنيو يورك وواشيجتون وكل حتة . باختصار ، دى ناس بتاخذ تعليماتها من السما مباشرة ، من القرآن وبس ، ومن سوره سارية المفعول وبس ، وحضرتك متصور أنك ممكن تجادلهم وتقنعهم ؟ أنت لا تتخيل مدى قوة الدين عندما يحصر في سورة واحدة فقط !

- أنت اتجننت ؟ القرآن كله كلام ربنا ، وأنت ها تقسمه سارى المفعول و expired ؟

- أنا ما ليش دعوة . أنا بأقول لك إلى كان بيتقال . وبيقولوا ما على الرسول إلا البلاغ .

- وبرضه بيقولوا ما شتمك إلا إلى بلغك .

- دى موش من الشرع ؛ الشرع بيقول ما ناقل الكفر بكافر ! إنما أنت إزاي موسوعة في كل حاجة ، وما سمعتش عن النسخ في القرآن ؟ ثم أنه موش بدعة عند أصحابي دول ؛ موجود عند الإخوان وعند الوهابيين وبصورة أو أخرى موجود في الأزهر . فيه ٥ أو ١٠ كتب تراثية من مئات السنين ، كلها حتى متطابق الاسم ' الناسخ والمنسوخ لفلان ' ، ' الناسخ والمنسوخ لعلان ' ، وقبلها جميع التفاسير الكبرى المعتمدة ، كلها متفقه على إلى قلته لك : سورة التوبة نسخت كل آيات الكف عن قتال المشركين . يا حاج ، سورة التوبة أقصر من أن يكون بها تناقضات داخلية . سورة التوبة تختلف عن معظم نصوص الأديان أن لا شعر ولا مجاز ولا احتمال أوجه بها . فقط تعليمات صريحة واضحة ولا لبس فيها . بل تقول بوضوح إن كل ما عداها كفر ، بما فيه بقية القرآن نفسه ، لو اجتزأته بعيدا عنها ، وعن حقيقة نسخها له . بصراحة أكثر سورة التوبة هي القرآن ، بدليل أن الوحي انتهى بعدها . ما فيش غير سورة النصر ، إلى بتزف بشرى أن **Mission Accomplished!** ، الدولة قامت خلاص ، ولا حاجة بنا لأى وحى بعد اليوم . أنت حين تطبع القرآن كاملا ، أنت لا تطبع الإسلام ، أنت تطبع الإسلام زائد شىء آخر لم يعد له لزوم . عليك يا سيدى أن تطبع المصحف بما هو فعال من سور وآيات فقط ، هذا هو صحيح الإسلام . ويمكن إنجازا ، أو للاعتبارات العملية ، أو علشان الناس موش فاضية تقرأ ، طباعة سورة التوبة فقط كمصحف abridged . بما المختصر المفيد وتقريبا كل ما يهم البشرية -مسلمين وغير مسلمين- اليوم ، أقصد منذ اكتمل الإسلام حتى يكتمل الزمان . باختصار كده ، هي إلى ها تجيب لك م الآخر !

- كلام فارغ ما يدخلش الدماغ . يعنى إيه ناسخ ومنسوخ ؟ ربنا رجع وغير رأيه ؟

- إنها جدلية المراحل يا حاج ، الاستضعاف والتقية وتبليغ الدعوة مرحلة ، والتمكين والجهاد ( = الحراة الشرعية ) وقتال المشركين مرحلة . الإخوان يؤمنون بالمراحل ولا يجاهدون إلا حين تنضج الظروف في مكان ما ، لكن المشكلة أنهم فيما عدا ذلك ينكرون فكرة المراحل من قبيل التقية وإخفاء نواياهم المستقبلية ، وإن كان على أية حال الكل يعرف أنهم يكذبون طوال الوقت وأن أهدافهم دنيوية بالكامل بل وأنهم ليسوا ذوى دين من الأصل . السلفيون -وأحيانا نسميهم الحنبلية أو الوهابية أو السننية [ بضم السين ]- يؤمنون مثل الإخوان بالمراحل ولا يجاهدون إلا حين تنضج الظروف كدها بهم -وأقصد المصريين طبعاً- لرفع السلاح في الحرب الأهلية في جنوب السودان مثلا ، لكن الفارق الكبير أنهم لا يكذبون قط ، يعلنون أنها مراحل وأن هذه هي مرحلة الدعوة والتبليغ ، ويتمنون على الحكام الأخذ بأسباب القوة حتى تنضج مرحلة الجهاد ، ولم ولن يخرجوا على الحكام أبدا . أصحابنا دول شىء ثالث : بداة هم ممن لا يكذبون أبدا ، لكنهم في ذات الوقت لا يعترفون بالمراحل ويقولون الاستضعاف انتهى بالهجرة ، ولن يعود أبد الدهر . يرفضون مبدأ السلفيين التقليديين المسمى ' العذر بالجهل ' ، بالذات النهارده ، عندهم العالم كله تخطى المرحلة الأولى ، كله سمع عن الإسلام من خلال الساتيليت والإنترنت ، أو من خلال أهم وسائل التبليغ جميعا : ١١ سبتمبر ، وليس له عذر بعد في عدم اعتناقه . يقولون إن السلفية التقليدية ستظل تدعو للإسلام وتحارب البدع آلافا من السنين ملتزمة العذر بالجهل

للناس ، ولن يتغير شيء ، لأن الناس -وبالأخص الحكام- غير جاهلة بالإسلام ، إنما ترفضه أو تداوره عمدا . هذا ربما يسمى بخطأ في قراءة الواقع لكن قطعاً ليس في الإيمان ولا في صدق القول أو صراحة النية . ثم إن يا حاج ربنا ما غيرش رأيه ولا حاجة . هو من الأول خالص قابل كده ، مرحلة وها تعدى ، فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله أمره .

- لا!!!!!! ده أنت نيلتها خالص ! خليت ربنا بيلعب معانا استغماية !

- يا عم قلت لك أنا ما ليش دعوة . أنا بأقول لك إلی كنت بأسمعه . أنا موش بأدافع عن حد . كل إلی أعرفه أن دى بالنسبة لهم آيات وكتب موجودة ، وما حدش فيهم كان يقدر يطنشها ، أو يعدى عليها بسرعة زيك كده .



### أتحدى زكريا قبرص أن يأتيني من كتبه الغارق فيها بأحد قال مجرد إن عمر بن الخطاب والحطابة كافر !

- الدين موش كتب وبس . الدين حاجات تاني كتير ما يفهمهاش إلی زيك . أنت إلی عامل شوية عيال هايفة هم الإسلام . أنت الظاهر بتسمع زكريا بطرس كتير !

- مع احترامي له ولأن كلامه ككل علماني عقلاني أكثر منه تحاريف مسيحية ، ومع احترامي لنجوميته وكاريزميته ومهاراته الخطابية وخفة ظله ، ومع احترامي لأن رد فعل المشاخص عليه كان الصمتووو الرهيووو ، ومع احترامي لدخوله التاريخ أحد أكبر رموز التنوير في التاريخ المصري ، وللزلزال إلی عمله في العقل العربي المسلم ، إلی ربما لا يعادله إلا تحرير إسبانيا ، أو سقوط الخلافة المميشة (قصدي خلافة المش ، أوه ! قصدي الخلافة الإستانبولي القديمة ) ، مع احترامي لكل ده ، ساعة ما أنا شاركت في النقاشات دى في أسبوط ، زكريا بطرس ده كان لسه ما اتولدش ، أو بالكثير كان مشروع قسيس ما يعرفش غير الصلاة والصوم ، ولغاية وقت قريب لم يقرأ أصول الإسلام كاملة بنفسه وكان مجرد باحث مبتدئ ينتقل بحوث طه حسين وسيد القمني وخليل عبد الكريم ، موش أكثر . كمان مع احترامي لأبو إدوارد إلی لا يمكن يكون فكر في عودة الإسلام ليثرب بتاعته كفكرة واقعية ( وإن كنت أنا دلوقت شايفها ممكنة بفضل كم الإعلام المسيحي شبه العلماني إلی اجتذب الملايين وغير خريطة العالم الدينية ) ، أجزم لك أن كل مصر ، مسيحيين ومسلمين ، كهنة ومشاخص ، حكام ومحكومين ، لم تكن تعرف شيئا عن الإسلام الحقيقي ولا عن الجهاد ( = الحرابة الشرعية ) ولا عن سورة التوبة ، وتراها كلها كلاما فات أوانه ، ومن يطرحونه هم حفنة من الشباب المخبول ' المتطرف ' الذى لن يذهب لأى مكان . بص : أنا لست في حاجة لمشاهدة أحد ولا لقراءة أحد ، زكريا بطرس أو غيره . هؤلاء حفنة من فتران الكتب لم يحدث لأيهم مرة أن تحدثوا لساعة واحدة -ولا أقول شهورا وأعواما متواصلة مثلى- مع هؤلاء المجاهدين وجها لوجه ، ورأوا تلك الوحشية التي تندافع من أحناكهم فتملاً وجهك بصاقا يقشعر له بدنك ، أو تحفظ من عيونهم فتصطك بعنف كل أجزاء جسمك . أتحدى زكريا قبرص أن يأتيني من كتبه الغارق فيها بأحد قال مجرد إن عمر بن الخطاب والحطابة كافر !

- ماذا قلت ؟

- هو فعلا ابن لخطاب وحطابة ، وغير اسمه لاحقاً ، لا اجترأ ولا مبالغة !

- لا أقصد هذه ، أقصد ما قلته عن الكفر .

- نعم ، كان أغلب النقاشات حول تطبيق الحدود ، وفي مرة واحد اتفلسف على عاصم وعصام وقال لهم عمر أوقف تطبيق الحدود لأن الظروف كانت موش مناسبة ، فردوا عليه الاتنين في لحظة واحدة وبصوت واحد : ده لأنه كافر !

- ( بغيظ شديد ) : لا ! ده أنت زودتها خالص ! سيدنا عمر كافر ؟ أنت اتجبلت يا راجل أنت ؟



إذا كان مُجَّد هو نبي الإسلام فإن عمرا هو إلهه ؛ إله دين العرب ، الصهاكية ، حيث صهاك هي والدة الإله ، وفي رواية أخرى جدته !  
تقانيا -أو بأى معيار كان- عمر كافر ، لأنه أحل ما حرم الله ، وحرم ما أحل الله .

فقط هناك تخریجة واحدة لتبرئته من الشرك : أن يكون هو نفسه الإله ، تجسد زى المسيح يعنى !

... اشطب أى من الصحابة ، كان سيكون لدينا ذات الإسلام اليوم ، اشطب عمرا لم تكن تجد شيئا !

بل اشطب تابعه الإمعة الهامشى جدا مُجَّد العبيط الأهل نفسه ،

كان عمر سيختار مسلمة أو سجاح أو أيا من كان نبيا ورسولا ' خلت من قبله الرسل ' ( فابن صهاك لم يبعث نبيا لأحد من قبل ) ،

أو بالأحرى ، كان سيمضى فى صنع قومية لمن لا قومية لهم دونما حاجة لدين أصلا .

إن المسيحية كانت قد فتت فى عضد الحضارة وهيأت الساحة تماما كانت جاهزة لخروج جردان جزيرة البعر من جحورهم لأول مرة !

- عندهم عمر مشكلة مركبة وفى نفس الوقت بالغة المحورية . سلوكه الپراجمتى غير المراعى للدين فى كثير أو قليل ، المهتلك أكثر مما يجب فى تطبيق حدود الله ، يكفى أى واحد منها تماما لتكفيره ، والقصاص كما لعلك تعلم لا نهاية لها : تعليق حد السرقة ، المرأة التى باعت جسدها مقابل شربة ما ، تبرئة المغيرة بن شعبه من جريمة زنا صارخة لأنه أحد أعمدة حكمه الطاغوتى ( فحول جرمته من زنا إلى لمم -أى شوهده عاريا ينكح امرأة لكن دون ثبوت أن عضوه كان ساعتها داخلها- فلم يجرم ) ، وهلم جرا . فى المقابل يوجد العكس : مُجَّد كان يتخصص فى الدين لأنه موش فاهم أصلا الفائدة من الدين ، بينما عمر كان يرى فى الشرائع القاسية فرصة لن تتكرر لفرض سلطة يتمكنون بها من حكم العباد ... إلخ . بل إليك ما هو أبعد : إن احترامهم لهذا العمر الكافر أضعاف احترامهم لمحمد . أنا أكلمك عن أناس شديدى الذكاء والثقافة وتفتح الفكر غاصوا حتى الأعماق فى الإسلام وتاريخه وشخصياته ، ولا بد أنهم يعرفون أنه إذا كان مُجَّد هو نبي الإسلام فإن عمرا هو إلهه ؛ إله دين العرب ، الصهاكية ، حيث صهاك هي والدة الإله ، وفى رواية أخرى جدته ! تقانيا -أو بأى معيار كان- عمر كافر ، لأنه أحل ما حرم الله ، وحرم ما أحل الله . فقط هناك تخریجة واحدة لتبرئته من الشرك : أن يكون هو نفسه الإله ، تجسد زى المسيح يعنى ! ... اشطب أى من الصحابة ، كان سيكون لدينا ذات الإسلام اليوم ، اشطب عمرا لم تكن تجد شيئا ! بل اشطب تابعه الإمعة الهامشى جدا مُجَّد العبيط الأهل نفسه ، كان عمر سيختار مسلمة أو سجاح أو أيا من كان نبيا ورسولا ' خلت من قبله الرسل ' ( فابن صهاك لم يبعث نبيا لأحد من قبل ) ، أو بالأحرى ، كان سيمضى فى صنع قومية لمن لا قومية لهم دونما حاجة لدين أصلا . إن المسيحية كانت قد فتت فى عضد الحضارة وهيأت الساحة تماما كانت جاهزة لخروج جردان جزيرة البعر من جحورهم لأول مرة ! باختصار ، هم على دينه لكن يكرهون استخفافه بالدين . هم يحترمون فيه أنه هو الذى أوحى لمحمد أن يوحى لله أن يوحى لمحمد بتحجيب النساء ، وبتحريم الخمر -هذا فى كل المرات الثلاث التى تدرج فيها التحريم . أيضا هم يحترمون فيه تحريمه لنكاح المتعة ، ويحترمون فيه سيفه الذى أول كل شىء -وأخطر كل شىء- أقتع مُجَّد أن يتخلى عن انبهاره الساذج بعيسى بن مريم إلى آخر الترهات التى ظل يحشوها له فى دماغه ورقة بن نوفل . هل تعرف لماذا مُجَّد هو الوحيد فى التاريخ الذى سمى نفسه نبيا ورسولا معا ؟ سعى نفسه نبيا كى يخاطب اليهود كنبى جديد لهم ، وسمى نفسه رسولا كى يخاطب المسيحيين بأنه مجرد رسول آخر يضاف لبطرس وپولس وغيرهما ، جاءهم -كما جاء هؤلاء ' لأصحاب القرية ' ( أنطاكية )- من إلههم ، أى من يسوع المسيح ، فالوهية عيسى شىء لا يحتمل أدنى شبهة إن لم يكن عبر كل القرآن ، فعلى الأقل فى القرآن المكى الذى وضع عندما كان مُجَّد بعد تلميذا مبتدئا يتهجى بصعوبة شديدة ألف باء أديان ( وطبعا رفضه كلا الفريقين ازدراء لجهله الكامل تقريبا بالقراءة ، واكتشافهما أن كل معلوماته الدينية ' تناتيش ' ، ' طشاش ' و ' طراطيش كلام ' سطحية من هنا وهناك لا أكثر ) . عيسى دونا عن الجميع بالذات مُجَّد ' أحيا الموتى وأسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين ' ، دونا عن الجميع بالذات مُجَّد ' الوحيد الذى لم يوخزه الشيطان بإصبعيه فى جنبه ' ، دونا عن الجميع بالذات مُجَّد ' سيأتى حكما مقسطا ' ليدين الناس -كل الناس ، بالذات مُجَّد ، ودونا عن الجميع ظل -أى مُجَّد- يرتحف منه حتى آخر لحظة فى عمره ، حتى فى لحظة ذروة مجده -اقتحام مكة وباطن كعبتها- وضع يده على تمثاله هو وأمه واعترف بفصامه الصريح قائلا حطموا كل شىء إلا هذا ، واحمو كل الصور إلا هذه ، بل فى الواقع جعله إله أعظم من الله نفسه حين قال إنه ' لم يستنكف أن يكون عبدا لله ' ( إذا كان عيسى به كل هذه الصفات يا غبى ، فما هى الحاجة لنبى مثلك ؟ ! ثم يا حمار ، سواء كان يخلق الطير بإذن الله أو بإذنه هو ، فهو إله فى الحالتين ، وكل الفارق أنه إله مخلوق وليس إلها أزليا وليس ' أحسن الخالقين ' ! وأخيرا يا بهيم حاول ما تتكلمش أصلا فى لاهوتيات وحاجات عقد لا أنت ولا أى واحد فىنا ممكن يفهم فتفوتة فيها ، كلمة واحدة وخلصنا : قل الروح من أمر ربى وسكرنا الدكائة على كده ! ) . فقط عمر هو الذى أقتعه أن يعكس كل هذا ويعيد صياغة كل الأنبياء وكل الرسل ، ويعيد النظر فى

‘ ثوابت ’ من هم الأعلون ومن هم الأدنون في هذا العالم . أفتعه أن يضع كل منهم -بمن فيهم ذلك الذي يقال عنه إله- في حجمه الحقيقي ، حيث لا بد وأن يكون الجميع دون نبي العرب ورسولهم ، ولا بد أن يكون مُجَّد أولهم وآخرهم وخيرهم جميعا . أفتعه أن الطموح لا يجب أن يكون هداية -أو حتى حكم- الجزيرة ، فالنبي الأعظم حرى بحكم كل العالم . أفتعه أن يسحب بالضرورة اعترافه بكل الآلهة ، إلا ما خلقناه نحن بنو قريش بأنفسنا ، فهو الوحيد الذي يستحق أن نوجه له قبة السجود ، لا إلى موطن آلهة الكفر الأورشليمية في الغى والغباء المحمدي الباكر ( الذي وصل لدرجة أن تسمى هو نفسه باسم عبرى هو طه ) ، وأن نقدر له يوم الجمعة العربي لا يوم السبت اليهودى ، ثم بعد هذه وتلك أفتع بسيفه البتار الفاروق العرب أن قرآنهم أفصح من معلقة امرئ القيس ، وأنهم أعلى من كل البشر ، وأخيرا أفتع معظم العالم باتباع الإسلام . أما ما لا يهتمونه في عمر فهو انتقائيته ، بمعنى تسيبه في تطبيق الحدود الأخرى .

- أنت قلت ‘ مجرد إن عمر كافر ’ ، ما معنى ‘ مجرد ’ ، هل هناك شيء آخر ؟

- نعم ، في بعض النقاشات وصلت لدرجة أن كدت أضع على طرف لسان أصدقائي هؤلاء أن مُجَّدا نفسه كافر ، ولم يغضبوا أو يهتروا وتعاملوا مع الأمر على أنه احتمال وارد ! لم نصل لنقطة النقاش الصريح ، لكن إحساسى بما أقول الآن كان قويا جدا . مثلا مع وجود قصة كالغرائيق العلى هم لا يثقون في وحى سليم يقبله العقل إلا في سورة التوبة ، ويعلمون مثلا أن تنزيه الأنبياء وما شابه كثير ، هي حيلة تقديس اضطرته إليها السياسة ومقتضى الحال ، ولتغطية تحبطاته وسهواته وجهله وضعف ذاكرته وتفاهة شخصيته وحواديت فسقه وفجوره التى لا تنتهى ... إلخ .



### كام إسلام عملت لغاية دلوقت ؟

إسلام مدفوع مقدما وتسليم البضاعة في المشمش ( الحور العين ) ،

إسلام بالدفع الفورى خد وهات ( المؤلفة قلوبهم ) ،

إسلام ‘ شكك ’ بالدفع الآجل ( مال البحرين وسوار كسرى ونساء الأصفر ) ،

إسلام ببلاش خالص ( بمجرد كلمة واحدة يستلم عمر كل ملف الإسلام خالصا مخلصا لنفسه ) ؟

- ده أنت كنت زعيم كبير بقى ! ؟

- أنا غير متأكد -إنما جازي- أن أنا نفسى صنعت التاريخ من غير ما أشعر ، وفتحت عينيهم على حاجات ما كانوا شايفينها : مُجَّد الإمعة الدمية ضعيف الشخصية الجبان خائن العهود في الظهر الأبعد ما يكون عن أسطورة القائد الكبير المزعومة ، مُجَّد كسير الروح المعدم والمشكوك في نسبه ومن ثم العجينة الطيبة في يد كل من هب ودب ، بدءا من العجوز خديجة ( مخدوجة الوجه القبيحة الشمطاء ) حتى الطفلة الحسناء عيوشة ( ذات الأسنان اللبنية ) ؛ قصدى طبعاً بتوع ‘ بين القصيرين ’ ، عشوشة الشعشوعة النعوشة النغوشة الدندوشة الفحشوشة المحشوشة الفرفوشة الهيوشة النعبوشة المنهوشة المنتوشة ، عيوشة المقروضة بطلة فيلم ‘ منكوحه العين ’ في حفلة من ٦-٩ ، وإلى برضه قلبها نجيب محفوظ بعد شوية لقحوبة القبوحة ، وإن كانت الفرفوشة تعنى من كان يضعها العين على كتفه كى تشاهد الأحباش مفتولى العضلات بينما -كرمت اللات فرجها- يداعبها هو جنسيا بالأداة الوحيدة التى يملك -إصبعه الشريف ، ثم تعنى من استقلت بشخصيتها وراحب تلاعب الشبان بنفسها خلف البعير أثناء الغزوات وأشهرهم المدعو صفوان ، وأخيرا التى أصبحت لدى فصحاء فقه البيوع ‘ الرفوثة ’ أى القوادة ممكيجة الجوارى التى يرفث عندها الناس وأشهرهم المدعو أبو شبل .

- خلصنا ! عيوشة النعكوشة ، صدق نجيب العظيم !

- ما تفهمونيش غلط ، كل حاجة موجودة في الثلاثية ، حتى الشيخ المتسول أبو هريرة ! كمان ما تفهمونيش غلط أن قاموس أسماء العاهرات في بقية رواياته يعمل سيرة مُجَّدية أخرى قائمة بذاتها : حميدة ، صفية ، نفيسة ، زنوبة ، قدريه ... إلخ ، وكمان بدءا من ورقة حتى عمر ، إلى آخر كل من حكموا من خلف الستار . هل يعتقد زكريا قبرص أن قادة الجماعة الإسلامية لم يكونوا يعرفون أن مُجَّدا كان جباناً ؟ ؛ لا يعرفون لماذا يتحدث دوما عن ضرب الأعناق ، بينما القتال هو طعن الصدور والبطن ، والسبب إنه ببساطة يتكلم طوال الوقت عن الأسرى ؟ ! هل لم يكونوا يعرفون ما يقوله عن فضائح مُجَّد ، ولم يكونوا يعرفون أنها فضائح ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه ولد بعد موت أبيه بأربع سنوات ، وأن

علاقة أمه ببخيرة الراهب طبقت الآفاق ؛ امتدت من مكة للشام ( وتوجد في الفلكلور المصرى عنه حتى اليوم ) ، ومن قبل مولده إلى مآتما ، وأن قرآنه نجاه صراحة عن مجرد الاستغفار لها ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن من نبهه لكارثة الغرائق ولقدر غبائه المذهل فيها ولكونها انتحار نھائى لكل شىء له إن لم يتراجع عنها ، كان مجرد عابر سبيل لا شأن يذكر له ؟ هل لم يكونوا يعرفون الآليات التى كانت تشتغل بها عصابة حمادة وتوتو ، أن كل ما توسمت ماما خديجة فى حمادة المطيع الطيع هذا ، هو السذاجة المطلقة بحيث يقبل أن ترسله للغار ليلا ونهارا بدلا من تجعله ينام معها ، وفى اللحظة المناسبة تكشف له فرجها فيفرح ومن فرط سعادته يصدق على الفور تفسيرها بأن ملاكا قد جاءه ، ولفرط بلاهته لم يسألها أى نوع من الملائكة بالضبط هذا الجبريل الذى لا يستحى من الأفخاذ ولا يستحى من الشعر ؛ شعر العانة ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن شفاعتهن لترتجى لدرجة أن الصبية الثانية الأخرى كانت تمارس ساديتها على كهولته طوال الوقت ؛ بخلاف السباب والتفريع المتواصلين والتعبير عن غضبها بالكفر الصريح به بالقسم فى وجهه برب إبراهيم ( أى رب الأحناف ) ، كانت مثلا تجلس أمامه وهو يصلى وتباعد ساقها كى تجعل من فرجها قبلة ، ولم يكن يعترض أو ربما أسعده ذلك ؟ هل لم يكونوا يعرفون أى جبروت هذا الذى يجعلها بعد أن تزنى تدعى المرض وتشتترط على ذلك البائس المسكين أن يأتيها ( وطبعاً لا تقصده هو إنما بن الخطاب والخطابة ، فالقصة كلها سيميولوجيا صراع سلطة بينها وبين هذا الأخير ) ، يأتيها عمر بقرآن يتلوه جميع الناس حتى آخر الزمان يشهد بكونها قديسة ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنها جعلته -أى مُجَدِّداً- بائساً ذليلاً ' يلف حوالين نفسه ' شهراً ؛ نهار واعتزل الناس شهراً ، ثم ' رغم بيان ربه ! ' ، لم يقو هذا المكتئب للأبد على مواجهة الشهود أعواماً ، فقط إلى أن نبش قبورهم -دنسها ومثل بأجسادهم وبصق فى أفواههم ، بمجرد أن صاروا جثثاً هامدة لا تقوى على النطق فى وجهه ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن تعريف الماسح والممسوح ( أو فى قول آخر الفاسخ والمفسوخ أو الفاشخ والمفشوخ أو النافخ والمنفوخ أو الكانس والمكنوس أو الماسح والممسوح أو الغاسل والمغسول أو الكاسح والمكسوح أو السالخ والمسلوخ أو الناكح والمنكوح أو الوسخ والموسوخ قصدى الوسخ والأوسخ ، إلى آخر اختراعات الواسع اللاسع ) ، هو القرآن العمرى الذى نسخ القرآن المحمدى أو بعبارة أدق قرآن ورقة بن نوفل ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن عمراً هذا الذى أوحى وأملى معظم الجزء المتأخر من القرآن ، والذى وصل رعب مُجَدِّد منه لدرجة أن تصور أن الشيطان نفسه يرتعد من عمر ويتحاشى طريقاً يمر بها ، ذلك العمر لم يحدث يوماً أن حفظ من ذلك القرآن شيئاً ، وكان يكره أن يستفتيه أحد فى أمر ديني ذلك أنه لا يفهم فيه ، وفى مرة نادرة للغاية تجرأ أحدهم وسأله كيف هو هكذا شديد الجهل بأبسط أوليات الدين فأجاب ( أى لم يقتل كالعادة ) ، قال ' ألهانى الصفق بالأسواق ' ( هل هذا هو السبب حقاً ؟ ! ) . وطبعاً -وهو الذى لا يغفر أن يشرك به- حرم بالكامل رواية الحديث أو ذكر آثار مُجَدِّد وطالما ضرب ونفى مههر الأحدث أبا هريرة ، مؤسساً مبدأ اسمه لا تصدوهم عن القرآن بالحديث ، والأهم منه قبلها أن بطش بالمسكين نفسه وهو على فراش موته بأن نھر عن كتابة أية وصية والاكتفاء بالقرآن الذى نجح هو فى تضييطة بالكاد على مقياس رؤيته وخططه للمستقبل ( وبالإجمال يمكن دون أى خطأ اعتبار عمر هو أول قرآني فى التاريخ ، ولو ظهر اليوم لذبح كل أهل السنة ! ) ؟ هل لم يكونوا يعرفون لماذا لم يحدث ولو مرة واحدة أن تحاجج عمر وعائشة بالقرآن الذى يعلمان تمام العلم أنهما ' طابخينه سوا ' ؟ هل لم يكونوا يعرفون لماذا كان عمر شديد القسوة على عائشة ، وأفلح فى النهاية فى البطش بها ، ألح على قرآن يلزمها أن تقر فى بيتها ، واضطر للتشهير بإحدى زوجات مُجَدِّد الكسول زئر النساء الضعيف سليل بلاد الشام كى يجبره على إنزال أحكام الحجاب ، وأجبر سائر نساء المسلمين على ارتداء الأحجبة القميئة القبيحة حتى اليوم ، وكذا أوعز لمحمد بآيات وأحاديث استباحة الزوجات ضرباً ، وبالمثل آيات استباحة إتيان المرأة من الدبر أيام لم يكن مدرجا على أجددة مُجَدِّد الشخصية وكان ينهى عنه أشد النهى ( ' أتوا حرثكم أنى شئتم ' : أتحدى أى واحد يطلع لى كلمة ' أنى ' دى فى أى قاموس عربى أو غير عربى . هى كلمة مخترعة كحل وسط قصد بها أن تكون ذات وقع صوتى يوحى بأين أو أينما ، ذلك كى يرضى عمر . زيتها زى لعبة سورة الأعراف إلیى بتبتدى بـ ' المص ، كتاب أنزل إلیك فلا يكن فى صدرك حرج منه ' ، وكتاب تعنى أمر وفرض . عندما تسأل عن معنى المص يقولون لك حروف مقطعة لا معنى لها ، لكن بعد أن تكون الرسالة قد وصلت بكامل عنفها ووعيدها لكل منكوحات المسلمين ! ) ، وهلم جرا .

- أنت بتألف تاريخ من عندك ؟ ! كام إسلام عملت لغاية دلوقت ؟ إسلام مدفوع مقدما وتسليم البضاعة فى المشمش ( الحور العين ) ، إسلام بالدفع الفورى خد وهات ( المؤلف قلوبهم ) ، إسلام ' شكك ' بالدفع الآجل ( مال البحرين وسوار كسرى ونساء الأصفر ) ، إسلام ببلاش خالص ( بمجرد كلمة واحدة يستلم عمر كل ملف الإسلام خالصاً مخلصاً لنفسه ) ؟



أول من أنشأ للعرب تقويمًا بدايته لحظة الصفر في تنفيذ خطته

بالمهجرة ليثرب فالاستيلاء على أموال اليهود وحمل السلاح لغزو العالم انطلاقًا من هناك ،

وأول من نقل الخلافة من وظيفة دينية وإدارية إلى وظيفة حربية ،

وطبعا أول من أعطى نفسه أول لقب عسكري في الإسلام وهو أمير المؤمنين ...

- أنت ما سمعتش عن ' وافقنى ربي في تسع ( قتل الأسرى ، التطهير العرقى ، الجزية ، الاسترقاق ، تحجيب النساء ، تحريم الخمر ، قبلة الصلاة والحج ، إلى آخر أركان الإسلام التسعة المعروفة ، أو للدقة هي عشرة زى وصايا اليهود وما حدش أحسن من حد ، والعاشرة هي رجم الزناة الذى زعموا أن الإله الذى لم يره أحد منهم لم يوافقنى عليه ، فجعلته وجعلتهم يوافقون رغم أنفه وأتوهم . تلك كلها بخلاف عشرة ملايين أخرى فرعية جاءت في صورة أحاديث محمد بن بحيرة البصرى ، المتحدث الرسمى باسم دين الإسلام ، اسمى أنا ! ) ' ، ذلك أن ' جعل الحق على لسان عمر ' ( ولا أحد غير عمر ، كلمة الله وروحه ؟ ! ) ، أما بقية الوحي والذى جاء كله في فراش عائشة فلم يكن إلا الزبالة والتفاهات ؟ ألم تسمع عن أن الأحاديث يمكن أن تنسخ القرآن نفسه ؟ متى ؟ عندما يكون عمر متعجلا جدا ! عندما يكون شخص قد مات وميراثه قد يذهب لأهله الكفار الأعداء بناء على كلام سابق غيبي لمحمد عن بر الوالدين . عندما لا يحتمل الأمر الانتظار حتى التوارى للمقابلة جبريل ، بل يحتاج تشريع أحكام المواريث فورا . كما قلت أنا أكلمك عن أناس شديدي الذكاء والثقافة وتفتح الفكر وعمقه . هل لم يكونوا يعرفون أنه كان ينتهر كل مناسبة للحط من قيمة مُجَّد سواء في حياته كإهانتة له بعد صلح الحديبية أو بعد موته كالتوسل باسم العباس لطلب المطر ، وهو أساسا لا يؤمن بالاستسقاء ولا حتى بوجود آلهة ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن كلماته ظلت لها القداسة العليا والقيتو فوق كل قرآن وحديث لدى جميع الخلفاء والولاة والفقهاء اللاحقين عليه ( الشىء الوحيد الذى نسخ رسما ولم ينسخ حكما هو حد الرجم ، لماذا ؟ لأن ما قال عمر إنه قرآن أصبح هو القرآن ، مهما تحللت جنته في قبرها ومهما أتى من خلفوه بكتابة وحفظه وسدنة وكهان وفريسيين يتخيلون أن بإمكانهم شطب كلمة قالها عمر يوما . وطبعا غنى عن الذكر الوثيقة العمرية التى أسست دقائق علاقة الاستعباد لغير المسلمين ، ولم يستطع معها الخليفة بن أبى طالب نفسه ' أن يحل عقدة شدها عمر ' ، حتى لو كان مُجَّد وقرآنه قد لم يفكروا في ربطها أصلا ) ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن خطته لغير المسلمين هي الإبادة التامة وإن تدريجيا ، وأقلها البدء بإقصائهم التام عن أية وظيفة عمومية والضرب المهين بعصاه الشهيرة لكل من يستخدم أحدهم حتى لو كان في مقام أبى موسى الأشعري . هل لم يكونوا يعرفون أنه لم تكن لدى مُجَّد مشكلة مع الخمر ، وعمر هو الذى ظل -رغم إدمانه هو نفسه لها- يستحث الوحي تلو الآخر حتى حرمها ، ذلك أن عينه كانت على المواصفات الواجبة في تشكيلات المستقبل المسلحة ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه أول من أنشأ للعرب تقويمًا بدايته لحظة الصفر في تنفيذ خطته بالمهجرة ليثرب فالاستيلاء على أموال اليهود وحمل السلاح لغزو العالم انطلاقًا من هناك ، وأول من نقل الخلافة من وظيفة دينية وإدارية إلى وظيفة حربية ، وطبعا أول من أعطى نفسه أول لقب عسكري في الإسلام وهو أمير المؤمنين ...

Commander of the Faithful ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه الشخص الذى أتى بمفهوم أن الإسلام هو نهاية التاريخ ، أمرا عمرو بن العاص والعاصية ( في قول آخر لأهل مكة : العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ، أشهر كلوباتية ، أقصد أشهر ذوات الرايات ، وأيضا لا اجترأ ولا مبالغة إنما تقرير واقع حال وأسماء على مسميات ) ، أمره أن احرقوا جميع الكتب فالقرآن به كل شىء ( نعم يقصد جميع الكتب ، ويقصد صحيح البخارى قبل كتب مكتبة الأسكندرية ) ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه الذى أقع مُجَّد -العبيط الذى رفض عرض قريش بالمال الملك يوما- أن حياتهم ستنتهى قبل أن يقنعوا مائة شخص من أهل مكة ، وأن الأفضل من الإقناع الودى الذهب ليثرب حيث ستصبح قوافل رءوس الأموال القرشية لقمة سائغة بالذات خلال الأشهر الحرم ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه من أنزل الوحي يأمر بزواج مُجَّد ( هذا الغلبان الذى صرف النظر عن الزواج بعد خديجة ، رغم علم عمر أنه ليس ذكرا سويا يستطيع فعل شىء مع جسد المرأة ، لكنه السيف سبق العذل وبات أمرا واقعه أن أعلنه بنفسه للناس نبيا ) ، ذلك لأنه عزوفه هذا هو الطامة الكبرى لو اتبعه الجميع في وقت المفروض فيه أننا نخطط لاحتلال العالم ؟ هل لم يكونوا يعرفون أنه صاحب مبدأ بدر الخالد ' ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض ' ، الإبادة العرقية المطلقة التى أصبحت في ثانية قرآنا يتلى للأبد ، كل الذكور البالغين يقتلون حتى المقعد منهم طالما قاومت قريتهم ، ثم أقعته ( حين أثبت جبل أحد خطأ نصيحة اللقمة السائغة وإن أثبت صحة نصيحة قتل الأسرى التى تهاون فيها مُجَّد وسال لعبه للمال ) أن ثروات اليهود أكثر وأكثر وخبرتهم الحربية أقل وأقل ، وبعدها سيصبح إقناع أهل مكة أسهل كثيرا ، ودون الحاجة لعقد هدنة أو حديبية معهم أصلا ، وظل وراءه حتى نقضه ونفذ مشيئة عمر الأصلية ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن أبا بكر هذا الذى لم يقل كلمة لا لمحمد مرة قط ولو على سبيل المزاح شخص تافه ساذج ، وفي أول أيام خلافته ذهب للسوق كى يتاجر فزجره عمر لغبائه

الذى لم يفهم أنه الآن حاكم كل العالم ويجب أن يقبض على الجاهز أعلى مرتب وحوافر وبدلات وأرباح يتلقاها إنسان على وجه الأرض ؟ لاحقا منح هذا خيال المآنة قطعة أرض لأحد الألابيش فنزعها منه ابن صهاك فجاء الألبوش ليسأله أنت الخليفة أم عمر فقال وكله ذلة هو الأقوى ، لكن حتى هذا لم ينقذ خيال المآنة الذى عينه إله الصهاك فى السقيفة بحد السيف مهددا بقتل فاطمة ابنة حماسة الأقرع ( بفرض أنها ابنته ) وأبيها ابن أبى طالب ( بفرض أنه ابنه ) ، لم يمنع من قدوم عمر وتحقيره لذلك التيس المستعار على رءوس الأشهاد كيف يتصرف فى شىء من تلقاء ذاته دون أمر صريح من إلهه ، إله الدين ، إله الصهاك . هل لم يكونوا يعرفون أن أبا بكر هذا محدود الأفق ، ترك لخالد بن اللقيط واللقيطه ( فى قول آخر : سيف الله المذلول ، أيضا لا اجترأ ولا مبالغة ) ، الحرب كما أعبادية بنظام المقاوله يغتنم لحسابه ويوزع بمزاجه ثم يعطى الدولة ما يجود به ، وأن خلافه مع عمر حوله لم يكن بخصوص أمر مفرط التفاهة من قبيل قتل إمرئ مسلم والزنا بامرأته إنما هو خلاف رئيس للغاية حول مفهوم الدولة المركزية الشمولية مطلقة السلطات ( مع علمهم طبعاً أن أبا بكر أتفه من يسن شيئاً جديداً من تلقاء نفسه إنما اتبع سنة نوح الذى كان يعامل سيف الله المسلول ذات المعاملة الخاصة جدا وشبهها فى حينها بتعاقدات شركة بلاكووتر ، ولم يبد عمر رأياً وقتها ولم يأمر بنزول قرآن ) ؟ هل لم يكونوا يعرفون أن عمرا -الذى دعا للتعامل مع الحكام بالقتل وحده- قتل أبا بكر الزنديق هذا فى نهاية المطاف ، لأن هذا الخليفة الكارتوونى كفر بإله الإسلام ( أو لم يفهم يوماً من هو أصلاً ) ، فحاول أخذ اللعبة على محمل الجد ، ولم يفهم أنه يجب أن يكون كما نبيه وصديقه مجرد واجهة لمركز القوة الحقيقى ، وظيفته أمران لا يتجاوزهما أبداً : ١- أن يتلقى لعنات وسخرية الناس ، ٢- أن يكون المستهدف بالقتل حال وقوعه ؟ ( ثم موجهاً كلامه لمينا : ) ألا تعرف أنت يا مينا أن الرجل الثانى نعيم لا يعرفه إلا من احتل وظيفة الرجل الأول ؟



حلوة حكاية عمر بن الخطاب والخطابة ( لا اجترأ ولا مبالغة ) ،

وعمر بن العاص والعاصية ( فى قول آخر لأهل مكة : العاهر الأبتى والعاهرة الأشهر ، لا اجترأ ولا مبالغة ) ،

وخالد بن اللقيط واللقيطه ( فى قول آخر : سيف الله المذلول ، لا اجترأ ولا مبالغة ) .

... السؤال : هل بن الخطاب والخطافة اجترأ ومبالغة ؟ !

- ( مداعبا : ) ماشى يا عم ونس ! أنا وإدوارد مساحينك ! بس لعلمك الإسلام كله على بعضه عبارة عن عقدة الرجل الثانى ، بعد كل الإرهاب والحروب إالى عملها لا يزال بعيدا جدا عند أن يكون الدين الأول فى العالم ، وكل تصرفاته ليس إلا ردود أفعال ! إنما حلوة حكاية عمر بن الخطاب والخطابة ( لا اجترأ ولا مبالغة ) ، وعمر بن العاص والعاصية ( فى قول آخر لأهل مكة : العاهر الأبتى والعاهرة الأشهر ، لا اجترأ ولا مبالغة ) ، وخالد بن اللقيط واللقيطه ( فى قول آخر : سيف الله المذلول ، لا اجترأ ولا مبالغة ) . . . السؤال : هل بن الخطاب والخطافة اجترأ ومبالغة ؟ !

- طب الخطابة دى أمرها سهل ، أومال لو عرفتم كل قصة صهاك كالعاهرة متعددة الأغراض ؟ عموماً ، الرجل الثانى ٣ أنواع على الأقل ، فيه قوى لا يرضى بأقل من أن يتم نوره زى عمر ، وفيه ضعيف وراضى بضعفه زى أبى بكر ، وفيه ضعيف وعنده عقدة من ضعفه زى ناس كثير ، منهم نبينا العظيم إالى بتصفوه فى فلكلوركم بالأقرع با أعباط مصر . ( ثم مغنيا : ) أنا الفرج ، أنا الفرج ، لا أعرف المستحيل ، ولا أرتضى للسجود بديلا !

- لك نفس تغنى النهارده كمان يا بنى آدم عديم الدم ؟ !

- أنت موش فاهم : الصلاة للفروج هى الصلاة الوحيدة التى لا ييطلها كلب ولا حمار ولا غلام !



ليس هناك إسلام مكى وإسلام يثربى ، إنما هناك إسلام مُحمَّد وإسلام عمر ،

ولأن مُحمَّدًا -المهجوس طيلة الوقت بفقره وعجزه الجنسي وجهله بنسبه وجهله ككل- هو إمعة في كل مراحل حياته ،

وهى من خصوصيات شخصيته اللصيقة التى ليس بوسعه تغييرها ، لذا انقلب كل شىء من النقيض للنقيض بانضمام عمر .

هل يغيب عن ملاحظة أحد أنه منذ يوم نكح بحيرة آمنة ،

مر أكثر من نصف قرن من الجهود المضنية للتلات ورقات -ورقة وبحيرة وخديجة- لتصنيع نبى للعرب ،

لم تنمر إلا عن ٧٠ تابعا أغلبهم من العبيد ، لكن حين انضم عمر أصبح للإسلام بفضل لمسته الإلهية ملايين الأتباع فى شهور ؟

إذن قبل عمر كان الإسلام مجرد هرطقة مسيحية ركيكة مألها الاندثار المحتوم ، وبه صار برنامجا حربيا للعرق العربى

( إن جازت تسمية أولئك الهوام مطاريد جميع الشقوق عرقا ، أو جازت تسمية ما فعله عمر بميلاد القومية العربية ) ؛

كان هناك إسلام اعتباطى بدائى ساذج مات وانتهى ، ثم جاء إسلام دموى شره شرس هو الذى غزا العالم ولا يزال يحاول إلى اليوم !

- المسيحيون والمستشرقون وكل الدنيا يقسمون الإسلام لقسمين متسامح وعنيف ، إسلام مكى وإسلام يثربى . أنا لا أراه هكذا . قبل كل شىء إسلام مكة لم يكن ملائكيا جدا بدليل أن أول دم فى الإسلام لم يكن لمسلم ، إنما بالعكس لقريشى قتله سعد بن أبى وقاص لأنه اكتشف أمر الدين الجديد وكان بعد تنظيما سرىا ، وأول سلاح فى الإسلام كان 'لحى بعير' ، أى عظمة فخذ ، يعنى زى فيلم أوديسا الفضاء بالضببط ! على عموما مُحمَّد كان بطبعه شخصا طيبا بائسا بلا طموحات وأميل ما يكون للتسامح المسيحى حيث كل المؤثرات حوله -كخديجة وورقة وأغلب عابرى سبيل مكة- مؤثرات شبه مسيحية . ذهابه للمدينة لم يكن ليغير شيئا فى حد ذاته . ما استجد وقلب كل المعادلات هو شىء واحد محدد جدا : دخول عمر بن الخطاب والخطابة للصورة ! إذن ليس هناك إسلام مكى وإسلام يثربى ، إنما هناك إسلام مُحمَّد وإسلام عمر ، ولأن مُحمَّدًا -المهجوس طيلة الوقت بفقره وعجزه الجنسي وجهله بنسبه وجهله ككل- هو إمعة فى كل مراحل حياته ، وهى من خصوصيات شخصيته اللصيقة التى ليس بوسعه تغييرها ، لذا انقلب كل شىء من النقيض للنقيض بانضمام عمر . هل يغيب عن ملاحظة أحد أنه منذ يوم نكح بحيرة آمنة ، مر أكثر من نصف قرن من الجهود المضنية للتلات ورقات -ورقة وبحيرة وخديجة- لتصنيع نبى للعرب ، لم تنمر إلا عن ٧٠ تابعا أغلبهم من العبيد ، لكن حين انضم عمر أصبح للإسلام بفضل لمسته الإلهية ملايين الأتباع فى شهور ؟ إذن قبل عمر كان الإسلام مجرد هرطقة مسيحية ركيكة مألها الاندثار المحتوم ، وبه صار برنامجا حربيا للعرق العربى ( إن جازت تسمية أولئك الهوام مطاريد جميع الشقوق عرقا ، أو جازت تسمية ما فعله عمر بميلاد القومية العربية ) ؛ كان هناك إسلام اعتباطى بدائى ساذج مات وانتهى ، ثم جاء إسلام دموى شره شرس هو الذى غزا العالم ولا يزال يحاول إلى اليوم ! هل تعرفون لماذا أسلم عمر ؟ الإجابة : الأمر برمته جاء بالمصادفة ؛ سمع مُحمَّدًا ذات مرة يتحدث -كالعادة- عن شىء لا يعرف معناه بالضبط ؛ شىء اسمه بأس الحديد ، فلمعت فى ذهنه فكرة هى العكس بالضبط من تصوراته القديمة عن الأنبياء كمجرد دراويش بهلاء ، فقرر أن يصنع نبيا بدرع وسيف ، وبأس حديد جديد لم يكن قد خطر من قبل بعقل حمادة الصغير المحدود ! هل تعرفون أول كلمة قالها عمر لمحمد لدى إشهار إسلامه ؟ الإجابة : ' فيم الاختفاء ؟ ' ، وفى التو واللحظة بدأت المواجهة إن لم نقل استعراض القوة حول الكعبة . تلك اللحظة هى التى سطر فيها عمر أول آيات الوحى فى قرآنه ' أيها المدثر قم فانذر ' ؛ القرآن الذى لا يجب أن يستمر للنهائية فريدا بين كل كتب التاريخ باعتباره الكتاب الوحيد الذى يتكون من تفرغ تلفظت شخص أثناء إصابته بنوبات الصرع ، تلك اللحظة التى دخل فيها السيف للإسلام ومن حينها لم يخرج أبدا . عمر كان أول من تمنطق سيفا فى الإسلام ، السيف الذى أصبح يلقب به للأبد فاروقا ، وطبعا سرعان ما أسس تقويما خاصا للعرب يؤرخ للحظة بدء قيادته هو لدينهم الخاص . للأسف ، الغرب يعشق صب جام غضبه على مُحمَّد ويلصق به كل صفات الإجرام والدموية ، وأنا لا أدافع عنه ( فقطعا ارتكب بيديه من المجازر الدموية ما لا يعد ولا يحصى ، إلا أنها كلها فى ظل الوحى المنزل عبر عمر ، هذا الذى لم يعرف عنه يوما أى اهتمام ولو بأبسط الأمور الفقهية ) ، لكننى أرى فيما يقوله الغرب ظلما على شخص لا يستحق منا إلا الشفقة ، وأيضا أراه سوء تحليل تاريخى وسياسى ... إلخ . هل تعرفون ما هو المرسوم الإمبراطورى رقم ١ فى الإسلام ؟ إنه قرار عمر يوم توليه بعزل خالد من قيادة الجيوش ، بعدها سرعان ما بطش بكل أمثاله من مراكز القوى وأمرأ الجيوش وكل من تصور للحظة أن الأغنام تحتمل الشرك فيها مع الإمبراطور ، مروراً بآبى وقاص حتى سائر رعييل الحرس القديم وكل من لا زال لمحمد الإمعة مكانا فى قلوبهم ، وأخيرا يوم أنجز ثورة التصحيح هذه كاملة قال قولته الشهيرة ' اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ' ! أصدقائى الذين عرفتهم عن قرب لم يكن مُحمَّد يعينهم فى شىء ، لا خصومة ولا ود ولا أى شىء ، just irrelevant : كينونة غير ذات صلة لا بهم ولا بالإسلام . يا إخواننا : زكريا قبرص لا يحارب إلا

طواحين هواء ، والناس دى فاهمة كل إللى بيقوله من قبل هو ما يلبس العمه ، ومع ذلك لم يفكروا للحظة فى الكفر بالإسلام ، بل قرروا رفع رايته من جديد وأفضل من الأصل . إنهم لحظة تاريخية لا نظير لها فى عمر الإسلام ، هذا الذى وجد لأول مرة من ينزع عن القرآن وعن مُجَدِّ قداستهما الزائفة ، ثم يجدون بعد ذلك بين أيديهم ما يمحضون به بهذا الدين لآفاق أعلى غير مسبوقه !



هؤلاء المسيحيون والعلمانيون مهما بحثوا فى الكتب لن يفهموا أبدا ما فهمته : أنا عاينت عن كتب ولحظة بلحظة ميلاد الشيء الكبير !

أنا قرأت ' ميثاق العمل الإسلامى ' -الكتاب الذى رسم خريطة الأحداث الكبرى للعالم للثلاثين عاما التالية- قبل أن يطبع ؛

قرأته كمجلات حائط ، بل حتى قبل أن تعلق على الحائط ويقرأها أحد .

أولئك متوقفون عند إسلام مُجَدِّ وتناقضاته وفضائحه وجرائمه ،

بينما الإسلام الفاعل على الساحة إسلام أنضح أرقى وأشرس ، صادق صريح ومباشر ، وفوق الكل أنه بلا متناقضات تذكر !

- أعداء الإسلام أنفسهم لا يقولون ما تقوله أنت !

- مع احترامى للجميع ، هؤلاء المسيحيون والعلمانيون مهما بحثوا فى الكتب لن يفهموا أبدا ما فهمته : أنا عاينت عن كتب ولحظة بلحظة ميلاد الشيء الكبير ! أنا قرأت ' ميثاق العمل الإسلامى ' -الكتاب الذى رسم خريطة الأحداث الكبرى للعالم للثلاثين عاما التالية- قبل أن يطبع ؛ قرأته كمجلات حائط ، بل حتى قبل أن تعلق على الحائط ويقرأها أحد . أولئك متوقفون عند إسلام مُجَدِّ وتناقضاته وفضائحه وجرائمه ، بينما الإسلام الفاعل على الساحة إسلام أنضح أرقى وأشرس ، صادق صريح ومباشر ، وفوق الكل أنه بلا متناقضات تذكر ! أنا لا أعول كثيرا على لعبة التناقضات الداخلية . المحدثون أغرقوا فى دراسة كل آية وكل حديث وكل خبر ، وأزالوا كل تناقض بينها ، ولو واجهتهم بتناقض جديد مارسوا نفس اللعبة ، بحيث لن تصل معهم أبدا لنتيجة . هم يستطيعون هذا دون لجوء للتأويل والعياذ بالله ! ( فاكرين كلامى إالى ضحكتم عليه ؟ ! ) . عندهم ١٠١ قاعدة ممكن يعملوا كل حاجة عاوزينها ، يكفى بوحدة منها اسمها المطلق والمقيد يقلبوا لك كيان آية آية فى القرآن ويطلعوها تقصد عكس المعنى إالى أنت فهمته بالظبط . الفارق المهم جدا هو الابتداع ؛ هم لا يستخدمون إلا أدوات التريزى التقليدية والبدائية جدا ( ال ١٠١ التى لا تريد ولا تنقص ) ، بينما التأويل بتاع الرازى ونصر أبو زيد هو نوع من استخدام الذكاء الحاسوبى الفائق ، إن لم يكن شطحات فيلم خيال علمى ! فى زمن الأئمة كان يوصف المحدثون بتيوس الدين ، لكن بمرور الوقت صاروا من بيدهم مفاتيح ملكوت السموات ، صاروا السلطة المطلقة وأهل الحل والعقد وسط أهل الحل والعقد أنفسهم ، بيدهم مفاتيح العقيدة والأصول يكيّفونها كما شاءوا تبعاً لتقويتهم أو تضعيفهم لأى حديث ، أو تعديلهم أو تجريحهم لأى شخص . إن محاولتهم عدم استبعاد شىء مهما كان الهراء فيه يجعلهم أبطال الإسلام الحقيقيين ، لكن لو تعمق أو تمهل زكريا بطرس قليلا وحاول معرفة رأيهم فى تلك التناقضات ، لوجد أن الحلول التى قدموها أفدح خيالا من كل ما يخطر له وأبشع ألف مرة من وجود التناقض فى حد ذاته . والمثال الذى يستهوينى هو جواز الغدر بالعدو ، كالاغتيالات أثناء النوم أو تحاشى مواجهة الجيوش أصلا ومباغنة النساء والأطفال وذبحهم بهدف إنزال الرعب فى الجيوش . ذلك -أى مبدأ جواز الغدر- لا يوجد به أمر نبوى صريح ولا يوفيه حديث ' الحرب خدعة ' لأن هذه تقانيا ليست حروبا ، لكنه جاء نتيجة توفيق معقد جدا لعدة أحاديث وأخبار مع بعضها البعض ومع أشياء أخرى من بينها مثلا كون الإرهاب وإنزال الرعب فى القلوب تكليفات قرآنية مباشرة أو باستطاب الوسيلة لها ( هذه تختلف عن قتل النساء والأطفال فى حال التمترس بهم ، فهى حرب والتى بالمناسبة لا أعرف لماذا تغضب حماس أو القاعدة من قتل نساها وأطفالها ، بالذات وأنها من الحالات النادرة التى تتفق فيها شريعة جينيف مع شريعة الإسلام على شىء ؟ ) .

- عاوز تقول إيه ؟

- عاوز أقول إنى شاهدت دقيقة بدقيقة بزوغ النواة التى ترعرعت بحيث قتلت السادات وطردت الشيوعية من أفغانستان وأسقطت كل إمبراطورية السوفييت ، وتغلغلت فى كل عواصم أوروبا ، وضربت من نيروى لموسكو . أصحابى دول كانوا نواة النواة ، وأنا عارف أنا بأقول إيه . أنا لم أشاهد تنظيما صغيرا معزولا فى أصحابه كالتكفير والهجرة ، ويتم القضاء عليه بعد كام سنة أو كام شهر . كمان هم ليسوا ورقة محروقة خاوية وفسدانة زى الإخوان . أنا لا أدعى العبقرية بأثر رجعى ، إنما أقدم شهادتى كما هى . كنت متأكد أنهم موش ها يتفعضوا زى شكرى مصطفى أو الناس ها تسخر منهم زى ما بتسخر م الإخوان . كل موقفى أنى حسيت أن دى ناس صاحبة منظمة واعية وفاهمة ، موش دراويش

واتكاليين ، فاكرين أن ملايكة ها تيجى لهم فى آخر لحظة تنقدهم م المشنقة . ناس موش سهلة ، وما حدش ها يقدر عليهم فكريا ، وده إالى حصل فعلا . هى دى خطورة أحداث الصعيد : أنتم ببساطة موش فاهمين الناس دى ، ولا فاهمين مخم شغال إزاي ، ولا حتى الحكومة فاهمهم . لما جه مبارك ، والتليفزيون ابتدا يجمع الشباب دى مع المشاوخ ، وفى نهاية كل حلقة كان المرحوم حلمى البلك يقول المجموعة دى من الشباب أعلنت التوبة ، أنا ما كنتش بأشوف أى توبة خالص . كنت شايف أن المشاوخ هم إالى ابتدوا يقولوا نفس كلامهم . من المستحيل أن تكسب هؤلاء فى مناظرة دينية ، تأتى ببينتك وهم ببينتهم . لن يجديك التمسح بالشافعى وأبى حنيفة ، بينما القرآن نفسه واضح فاضح فادح . كل الحرب على الإرهاب فاشلة لأنها لم تفهم هذه الحقيقة . ما فيش إسلام معتدل وآخر متطرف ، زى ما بيقول بتوع الحرب على الإرهاب وتعديل المناهج وحوار الأديان وثقافة التسامح ، وكل أصحاب القرب المقطوعة دى ، إالى كل ما يعينوا مفتى أو إمام معتدل فى حنة يكتشفوا أنه بقى متطرف ، زى أخونا حجاب كده ، ويضربوا كف على كف !

- ( ضهرى لا يزال مستفزا ، بل يزداد : ) أنت بتخرف تقول إيه ؟ دول نبذوا العنف بوضوح وصراحة ، والزعماء بتوعك إالى أنت محترمين أوى دول ، طلعا كتب تقول كده .

- ( بيروود يثير الغيظ أكثر : ) لا بوضوح ، ولا بصراحة ! كل إالى قالوه إنه حين لا يؤتى الجهاد ( = الحراية الشرعية ) نتائجه يوقف .

- لأ ، قالوا كمان إن السادات مات شهيد !

- موش عاصم وعصام !

- ( وكأنه عثر على كنز : ) افرض حتى ! ' الجهاد ( = الحراية الشرعية ) حين لا يؤتى نتائجه يوقف ' ؟ ييقوا كفرة ! إيه الفرق كده بينهم وبين سيدنا عمر إالى كفروه ؟

- لا ، ده سؤال فوق مستواى . ممكن تروح تسألهم . أهم عندك فى سجن طرة . إالى أعرفه حاجة واحدة : أصحابي دول ناس محترمين جدا : بما أن الله قال : أكملت لكم دينكم ، فلا يمكن بحال أن يقبلوا أن يكونوا هم السبب فى انتقاصه من جديد . ما أستطيع أن أجزم لك به أن وقف الجهاد ( = الحراية الشرعية ) لا يعنى عندهم العودة للاستضعاف والتقية والخطاب المزدوج كالأخوان المسلمين ؛ إنه مجرد وقف ، لا أكثر ولا أقل . هم لا يكذبون أبدا ، وهذا هو الفارق بينهم وبين كل المتدينين من كل الأديان !



هل تعتقد أن خادم القرفين الشهيرين ، أو مرشد الإخوان ،

أو رئيس التنظيم العالمى لعلماء المسلمين ( خليفة الكون ) ، أو الأمين العام له ( رئيس وزراء الكون ) ،

أناس يؤمنون حقا بوجود إله ؟ !

يلحظ ونس أن الوجوه لا تبدى تفهما ولا اقتناعا ، لذلك قرر أن كلما استغلقت حلقاتها انفرجت ، فقرر المضى فى الشوط حتى آخر أعماق مصطلحاته الشرعية : ' أحيانا بيسموا التقية الخلاف على هل تكفير الحاكم سياسيا أم تكفيره شرعيا . هذا كلام أناس لا تفهم ؛ الموضوع لا علاقة له بالتقية بل بأشياء أعمق مليون مرة . أنت لن تفهم شيئا مما أردت شرحه قبل أن تفهم الفارق بين التكفير السياسى والتكفير الدينى ، هنا يكمن بيت القصيد ، بل أكبر خلاف فاصل فى الإسلام : أناس تجاهد من أجل الأغنام ويكفرون الحاكم لأنه لا يسمح لهم بفعل ما ييغون ، وبين أناس تجاهد من أجل الدين وترى كل هذا المناوشات السياسية مع الحاكم - حتى لو جائر - حقارة ومفسدة لا أكثر . من مُجد وهارون الرشيد حتى الإخوان والشيخ حجاب هى لم تكن إلا دولة النوع الأول الأرضية الوضيعة . ومُجد نفسه من هذا الفصيل وكان مستعدا لأن لا يعزل كسرى أو ملك الروم لو آمن به كنى ومن ثم تركه يطبق الشريعة التى تحل استحلال واسترقاق شعبه له هو - أى لمحمد . سأسبسط لكم الأمور : على العكس من كل أديان الدنيا كتب الإسلام ملغزة ولا أحد يفهمها بدون التفاسير ؛ إذن المسلمون نوعان : نوع يقرأ ونوع لا يقرأ . النوع الثانى معروف وهو إسلامك الشعبى الحلوى اللذيذ يا عم ضهرى ، أما النوع الأول فنوعان : إما مجاهد سفك للدماء ، وإما علمانى . النوع الثانى معروف وهو أمثال وحيد وأنا وعارف وكثيرين ، أما النوع الأول فنوعان : إما مؤمن حقا ويجاهد وهذا غالبا مضحوك عليه ، وإما لا يؤمن بأية آلهة ويجاهد لأنه يعرف أصل الكذبة والمهدف منها ، وهنا أضع مُجد نفسه وكل الصحابة-العصابة انتهاء بخادم الحرمين وكل كوادر الإخوان المسلمين . هل

تعتقد أن خادم القرفين الشهيرين ، أو مرشد الإخوان ، أو رئيس التنظيم العلمى لعلماء المسلمين ( خليفة الكون ) ، أو الأمين العام له ( رئيس وزراء الكون ) ، أناس يؤمنون حقا بوجود إله ؟ ! ' .

- وما هو موقع أصحابك من هذه الخريطة ؟

- هل لاحظت كلمة ' غالبا ' مضحوك عليه ' ؟ هم تلك الفئة الصغيرة جدا الباقية من كل تلك الخريطة . إنهم الجماعة المستثناة من المؤمنين الحقيقيين الذين لا يستغلهم أحد من هؤلاء المجاهدين الدنيويين . ما أردت قوله إن الدولة الإسلامية التي ينادى بها الجميع ليست هي ذات الشيء عندهم جميعا . السؤال هل يمكن يوما أن يحدث العكس : دولة دين ومبادئ ؟ الإجابة هي نعم ! الأهم أن هذا حدث فعلا ! هؤلاء لا ينطبق عليهم ما قاله وحيد للشيخ حجاب أن الإسلام المثالى شىء نظرى وغير قابل للتطبيق ؛ لقد أنشأوا بالفعل المجتمع الذى يريدون : طالبان !

- ( هنا ومن جديد تنور فجأة نائرة الحاج : ) ما لفتش غير طالبان يا متخلف أنت ؟



طالبان هي الاعتدال عينه ؛

إنها التجسيد الأمثل لمقاصد الشريعة وروحها ، وليس فقط نصوصها !

- ما لها طالبان ؟ موش أحسن من لو كانوا ٣ طلاب ؟ ها ! ها ! إسلامك أنت يا حاج هو المزييف هو المصطنع ، هو التطرف . طالبان هي الاعتدال عينه ؛ إنها التجسيد الأمثل لمقاصد الشريعة وروحها ، وليس فقط نصوصها ! قل لى شيئا واحدا خالفت فيه طالبان الشرع . بالعكس هم الأكثر دقة والتزاما ، وفى نفس الوقت فهما لمقاصد الشريعة ، دونما تزوير ولا احتيال ولا فهولة . المشكلة فى الحديث الذى قاله عارف هو كلامه الكثير عن المال ' يؤتوا الزكاة ' و ' عصموا منى دمائهم وأمواهم ' . طالبان لا تفكر فى الأموال . هل اغتتم أحد من طالبان أو القاعدة شيئا لنفسه كما فعل الرسول والصحابه-العصابة ؟ هل ارتزقوا يوما كما يفعل الإخوان المسلمين المرتزقة ؟ الفقير منهم ظل فقيرا ، والثرى أنفق ما يملك على الجهاد ( = الحراية الشرعية ) . كلنا كنا متأثرين باليسار آنذاك ، لأنه ها يجيب حقوق الناس الغلابة إلى زينا ، لكن مع ذلك لم أكن علمانيا متبلورا كما أنا اليوم ، وعامة اهتمامى بالأديان كان محدودا جدا . ده وقت كانت فيه كل الأديان مهتانة . الكتابة ضد الدين كانت متوفرة جدا على أيامنا : العصن الذهبى ، ماركس ، داروين ، فرويد ، سارتر ، لويس عوض ، وغيرهم وغيرهم ، وكان بيتقال دائما إن كل دين به تناقضات داخلية . بيتقال إن كل دين فيه تحاريف أقل من إالى قبله ، لكن لا تزال هناك تناقضات ومفارقات . كنت بأسمع الكلام ده ولا أهتم به ، لغاية ما اتعرفت على العيال دول . من خلال إصرار هؤلاء على استبعاد كل السيرة وكل السنة ومعظم القرآن ، فهمت أنه لو فتشت الكتب ها تلقى تناقضات الإسلام أكبر من أى دين ، وهذا طبيعى لأنه جاء من شخص بدائى جاهل لأمة بدائية جاهلة . فى التسعينيات -وقبل ما يظهر زكريا قبرص- لما طلع إالى اسمهم القرآنيين ، وهلل لهم المستنيرين واليساريون وأشبه العلمانيين على أساس أنهم سيخلقون إسلاما أكثر اعتدالا ، قلت بل سيخلقون ( دون أن يقصدوا ) إسلاما أكثر شراسة ، ذلك لأنى عرفت من كان يمكن واقعا تسميتهم بالقرآنيين ، قبل هؤلاء بعقود ، وأعرف بالضبط كيف يفكرون . الفارق ليس أن النصوص أكثر أو أقل شراسة ، إنما هو أن البشر أكثر انضباطا وصرامة . أنت إزاي يا حاج موش واخذ بالك أن دى الموضة إالى ماشية اليومين دول أن أغلب الفقهاء بدءوا يرموا الأحاديث فى الزبالة ، ويقولون هو المبشر والندير وليس عليهم بمسيطر ، ولسنا فى حاجة للسنة بما فى هذا طريقة الصلاة ؟ الرسول مجرد حامل رسالة فى نظر أصحابى دول . مستحيل مثلا أن يسمى أحد منهم ابنه على مثل اسمى ، عبد النبى . ده على الأقل بيعفيهم من الخوض فى متاهة أحاديث الرسول ، أغلبها ضعيف أو غريب أو شاذ أو أحيانا مضحك . ( ثم ضاحكا : ) مع ذلك هناك حديث يجوبونه أكثر من سورة التوبة : ' أمرت أن أقاتل الناس ، حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، وقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دمائهم وأمواهم ' ، أما الآية فتقول ' قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يجرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق ، من الذين أوتوا الكتاب ، حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ' . مرة أخرى السياسة ضد الدين : القتل حتى يعطوا الجزية أم حتى يعتنقوا الإسلام ؟ !



## ثلاثة من المبشرين بالجنة اقتتلوا بعضهم البعض ،

### ولا أحد يعرف ماذا سيحدث حين يلتقون هناك مرة أخرى ؟ !

- قرآنيين ؟ أنت خلّيت فيها قرآن ؟ أنت بتتكلم عن إسلام من غير مُجّد ومن غير قرآن ! ، ده حتى ما ينفعش يبقى اسمه إسلام !

- هم ليسوا بدعة بالكامل كما قد يبدو لك . أعمدة الصحابة-العصابة كانوا يعرفون جيدا ملابسات كل تنزيل ، وهم أول وأكثر من شكك في ألوهية الوحي ؛ عائشة شككت في كل ما يخص النساء وفي هرولة جبريل طوال الوقت لإشباع أهواء مُجّد الجنسية ، وعمر غير ذى مرة جعل مُجّداً يغير من الوحي أو يأتي بنص بديل لعدم اقتناعه هو بالنص الأصلي ، ثم حين أصبحت السلطة له أبطل ما شاء من أحكام القرآن ، وطبعا لو كان مؤمنا حقا بأنه وحى إلهي لما فعل ، وفوق الكل لو كان الصحابة-العصابة الأجلاء يعتقدون حقا في كلمة واحدة من الوحي لما تحاربوا ذلك الحراب الجليل بينهم ، بالذات عندما بدأت أموال مصر تتدفق وتغرق جذب جزيرة البعر ( بعر البعير الذى من حيث اشتق العرب اسمهم ) بما لم يحلموا به قط . ثلاثة من المبشرين بالجنة اقتتلوا بعضهم البعض ، ولا أحد يعرف ماذا سيحدث حين يلتقون هناك مرة أخرى ؟ ! باختصار ، لم يوجد تاريخيا أحد مهم من قادة الإسلام اقتنع بغير أن ما جاء به مُجّد هو من عندياته وليس وحيا ، مع ذلك يظل هناك شىء واحد فوق مستوى الشبهات : سورة التوبة ! موش عاجباك كلمة قرآنيين ، ممكن تسمى أصحابي دول توباويين لو حببت ( أو طوباويين ، ما تفرقش كثير ! ) . هناك حديث مما يسمى بالقدسى يقول ما معناه إن البشر سيظلون يخطئون والله سيظل يغفر ؛ هذا كلام لا يرضى به أولئك . إنهم بيورتانيون ! ، وهذه البيوريتانية الإسلامية التي لا تعترف بشىء اسمه الخطيئة ، هي النضج الأسمى للدين ولمفهوم العبادة : عالم جديد مقدم يقتل كل من لا يقوى على العيش طبقا لشفرته ! أصدقائي لم يكفروا عمرا بن الخطاب والخطابة أو مُجّدا بن بكرة أو الصحابة-العصابة لمخالفتهم الحرف أو النص ، إنما لمخالفتهم لروح الإسلام كما يرونها في ذروة الرسالة المحكمة الواضحة : سورة التوبة ؛ إقامة الدين كله لله . هم يكفروهم لأنهم لا يرون فيهم إيمانا صادقا بما يكفى ؛ لأنهم تحولوا لعصابة نهب وبلطجة وتغاضوا من سبيل هذا عن الكثير من جوهر الشريعة . تسامحوا مع الكثير من الفسق والملذات وحكمتهم الأهواء والأطماع والصراعات الشخصية ، معتقدين أنه بمجرد تأسيس الإمبراطورية إنما يوفون أمر الله لهم بإقامة حكمه على الأرض ، لكن ما أبعد دولة الإسلام تلك عن حكم الله الحقيقي الذى يريد على الأرض ، بل ربما ما أبعد أن يكونوا هم أنفسهم مؤمنين بوجود الله أصلا .

- أنا موش فاهم حاجة ؛ أول مرة أسمع كلام فاضى وغريب عن الإسلام لهذه الدرجة ، ولم أقتنع ولا بكلمة واحدة !



### غلبة ؟ إللى بتقول عليهم أقوى من أى نبى ، غلبة ؟ !

- وحيد بيه ممكن يفهمنى أكثر منك : أصحابي دول مكن ! عاوزين مجتمع على طريقة روايات الخيال العلمى الشمولية : ١٩٨٤ ، ٤٥١

فهرنهايت ، عالم جديد مقدم ، وما شابه ، أو على الأقل لو موش خيال علمى يبقى زى مجتمع كتاب كفاحي . هم لا يتسامحون قيد أنملة مع الشهوات والضعفات الإنسانية ، ولا يتوانون عن تنفيذ حد القتل في كل من يخرج ولو شعرة عن الشريعة ، وطبعا في كل غير المؤمنين من غير المسلمين ، وتخليص مجتمعهم المثالي من أمثالهم . إنهم لا يبحثون عن حوريات الجنة كما تشنعون عليهم ، إنما يريدون جنة سورة التوبة هنا والآن ؛ على الأرض ! أنت سألتنى عن الجزية ، ولم أجبك ، هل تعرف لماذا ؟ لأنى أشك في موضوع الجزية ، أو لا أعرف رأيهم فيه بالضبط . المنطقى إنهم لا يقبلون بالجزية ولا بالعبودية ولا بملكات اليمين أصلا ، هم يؤمنون فقط بالدين الكامل ! صحيح الجزية موجودة في سورة التوبة ، لكن روح سورة التوبة تتخطى هذا بكثير ، إنما تسعى ' للدين كله ' ، لا تريد كفاراً في العالم أصلا . هم لن يكرهوا على الإسلام أحداً بحد السيف ، إنما سيقتلونهم قبل أن يفكر في اعتناق الإسلام . هذا ما طبقوه بالفعل . مع الإخوان أو الشيخ حجاب أو كل أهل السنة عامة أنت تدخل في مهارات قد تستغرق عمرك كله : إذا حدثتهم عن فضائح وجرائم الصحابة-العصابة ، قالوا لك صلى الله على سيدنا مُجّد وعلى آله وصحبه وسلم ( رافعين صوتهم مع كلمتى آله وصحبه ، حيث الصلاة واجبة على الآل والصحب ومحرمه شرعا على المسيح عيسى مثلا ، هذا الذى يرددون دون أن يفهموا أنه سيحاكم كل هؤلاء يوما بمن فيهم مُجّد ) ، قالوا لك إن الصحابة-العصابة جزء من الملة والطعن فيهم كفر ، فإذا أفحمتهم قالوا كل إنسان يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله . بعد ذلك إذا حدثتهم عن فضائح وجرائم مُجّد ، قالوا إنما لا ينطق عن الهوى والتشكيك في تنزيهه خروج على الملة ، فإذا أفحمتهم قالوا إنما هو ما إلا بشر مثلنا والمقدس هو إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . بعد ذلك إذا حدثتهم عن فضائح وجرائم القرآن ،

قالوا لك الماسح والممسوح وأسباب التنزيل وكتب التفاسير ولا تسألوا عن أشياء إن تبدى لكم سيئكم ولا يعلم تأويله إلا الله ، فإذا أفحمتهم ( قائلا مثلا أما والحال هكذا ما حاجتنا أصلا للدين ولتكفنا عقولنا -على علاقتها ؛ الدين هو المطلق الذى يصلح لكل زمان ومكان ، ما يوجد -ولو لحرف واحد منه وليس لكل صغيرة وكبيرة فيه- أسباب تنزيل ، ليس مطلقا ولا يصلح لكل زمان ومكان أى ما هو بدين ، ما يتغير بالنسخ كل ربع ساعة أو حتى يتغير تبعا للعقل والمنطق وتطور العلم ما هو بدين ، أن يغير رنا رأيه ١٠ مرات بخصوص زواج المتعة ما هو بدين ، وما يجتمل ' الاجتهاد ' ولو بعد مليون سنة ، ما هو بدين ، وطبعا -بحكم التعريف- ما يتهاون للحظة عن تكفير كل بقية البشرية ، ما هو بدين . السبيل الوحيد لتطور أى دين هو أن ينشق أنصار الفكر الجديد ويدخل الفريقان فى حرب ، طبعا حول أيهما هو الحقيقة المطلقة ) ، إذا أفحمتهم فى ذلك قتلوك . أصدقائى أولئك يقتلونك من البداية ! شفت إزاي كانوا سابقين عصرهم ، والدنيا كلها تعلمت الإسلام منهم ؟ ! عرفت قصدى إيه لما بأقول روح الإسلام ؟ قصدى أنك تصفيه من كل حاجة وتبقى شكل المجتمع المثالى المنضبط شديد الالتزام هذا . لازم تفهم أن دول ناس لا يعرفون التهور ولا النزوات ، ولا ينجرفون وراء كلمة انفعال طائشة هنا أو هناك للرسول أو لغيره . هم أكثر نضجا وثقافة وحنكة واتزان من أى نبي ! فى نظرهم ربما تلقى مُجد بعض الوحي ، وربما لم يتلق أى شىء على وجه الإطلاق ، لكن ما أعجبهم هو محتوى سورة التوبة ، ورأوه وحيا إلهيا لا مرأى فيه حتى لو لم يكن قد نزل بأحد ، وحيا موجها لهم هم ، وهذا وحده هو المهم !

- آه ، دلوقت بس إالى فهمت : موش أنت لوحدك إالى نبي ؛ كلكم أنبياء !

- كفاكم افتراء على الناس . على الأقل كفاكم من قرص الحور العين المشروخ البائخ ! هل تتخيل أن أصدقائى هؤلاء تعينهم كثيرا تلك الجنة-المأخور التى يصفها القرآن ؟ ! هل تتخيل أنهم يصدقون أن الوظيفة الوحيدة المعروفة لله فى الجنة هى ترقيع أغشية البكارة ؟ ! أنت لسه برضه موش فاهم : أولا حجم الوعود ما هواس أخطر ما فى الموضوع ، الخطير أنها تكليفات سماوية . أنا عارف الناس دى ، وهم على عكس كل الناس ما هى فاهمة : غلابة !

- ( مذهولا : ) إالى عملوا مجزة مديرية أمن أسيوط غلابة ؟ إالى قتلوا ١٨٠ ضابط وجندى غلابة ؟ إالى قطعوا رأس الطباطب المسيحى القائد النويتهجى للمديرية فى يوم العيد ده ، موش بسيف ولا سكين ، إنما من غزارة الرصاص ، غلابة ؟ إالى بتقول عليهم أقوى من أى نبي ، غلابة ؟ !

- طبعا غلابة وغلابة جدا ! أنت ما تعرفومش . كلنا نعرف الإخوان ، صح ؟ أنا نفسى طول عمري أقابل مرشد الإخوان وأقول له لنتفق أولا أن فرصتكم فى الفوز فى أية مواجهة سواء فكرية أو حربية مع الحكومة أو مع الغرب أو حتى مع مسيحي مصر أو مع أى أحد هى معدومة . ثانيا أنا لا أومن بالآلهة ، ولا أعتقد أنكم أنتم تؤمنون بها . محصلة هذا وذاك إن إيه رأيكم أننا سوا ننسى لعبة الدين خالص ونبندى نلعب دنيا ؟ كل حالات القداسة انتهت ، اتضح أن كلنا ولاد تسعة ، وتعالوا نلعب فكر ضد فكر ، من غير ريش على رأس حد . لماذا لا نقدم أنفسنا مجتمعين للغرب كمستسلمين تابعين له ، كل همتنا هو التعلم منه بأدب ، وبهذا ننفع أنفسنا وننفع شعوبنا ، بدلا من التمسك بأوهام دينية لن تذهب بنا إلا إلى الفناء ؟ أصحابي لا يمكن أن أقول لهم كلاما كهذا ؛ فهم ليسوا إخوانا وحياتهم ليست لعبة . إنهم يعيشون فى عذاب مقيم طوال الوقت ، لديهم تكليفات إلهية لا تعرف التفاوض أو التنازل أو الحلول الوسط . هؤلاء الجهاديون لا يستطيعون التنازل عنها حتى لو أرادوا . النمو ١١ . / النهارده ، مصر أعلى دولة نمو فى العالم ، تقدر تقول لى فيه إرهاب أو فيه حرب فى الصعيد ، بل بالعكس ما كانش موجود ودلوقت رجع ؟ السبب أنهم شايفين الحكومة الكافرة بتقوى أكثر . من إمتى مثلا كان الشعب الفلسطينى أهم عند حماس من الدين ؟ يموت كله ولا يتنازلوش حرف واحد عن كلام رنا . إذا كان هذا ينطبق على الإسلاميين الأى كلام الانتهازيين ، فما بالك بالمسلمين الحقيقيين الذين فرزوا الجوهر الحقيقى للإسلام وعرفوا الغث من الثمين فيه ؟



**لو كان حديث مُجد عن رعبه من احتلامه بإحدى زوجات عمر تستحم عارية فى نهر صحيحا ، فتلك مصيبة ، ولو كان مكذوبا فالمصيبة أعظم !**

الحقيقة أن كلام ونس عن زكريا بطرس ، أو حتى عن الإسلام عموما ، هو كلام يؤخذ منه ويرد . للحق ، ونس كان سباقا فى كل شىء تقريبا ؛ فى نظريته حول دينوية الإسلام أو -حسب قوله- دناءة أهداف مؤسسيه وكذا أغلب التابعين وصولا للإخوان المسلمين ، فى احترامه لرفقة

طلبة كلية الهندسة جامعة أسيوط ولصدق عقيدتهم ، وفي توقعه لأشياء أبعد حتى مما حدث في ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . للحق أيضا ، لم يكن هناك أى شيء يمكن أن يثير استغرابه فيما يخص الإسلام . في الثمانينيات قرأ كتب سيد القمنى ، ولم يجد في ربطها المذهل بين رسالة مُجّد وبين أطماع السياسة والثروة جديدا أو ما يثير اندهاشه . رغم ما فعلته هذه الكتب الصغيرة من زلزال جبار في أوساط المثقفين المصريين ، إلا أنها لم تثر انطبعا يذكر لدى ونس . في التسعينيات قرأ دائرة المعارف الإسلامية لدى صدور توضيحتها الثانية ، وكانت من أثنى ما عاد به من الكويت . تعرف من خلالها على أسماء عشرات المستشرقين ، واقتنع أنه لم ولن يوجد باحث مصرى أو عربى ، يمكن أن يلم يتعمق ويكشف أعماق الإسلام السرية ، بحيث يضاهى هؤلاء الجبابرة الأوروبيين العلمانيين من القرنين التاسع عشر والعشرين ممن يتميزون بتفانى وموضوعية ومنهج علمى من طرز نادرة ، لكن مع كل ذلك لم يعتبرها شيئا جديدا أو يمكن أن يثير فيه انطبعا كبيرا . مع انطواء الألفية قرأ ونس كتب خليل عبد الكريم ، ولم يجد في تحليله لأسباب التي نزلت أو عدلت بسببها سور القرآن ، أو في ربطه بين رسالة مُجّد وبين طفولته المسحوقة وحياته الجنسية المضطربة ما يثير اندهاشه ، لكن شيئا استوقفه بقوة وهزه من الأعماق ، فتح عينيه للحظة استنارة مذهلة وغير للأبد الطريقة التي يتعامل بها مع الإسلام : إنه أسلوبه المستخف الساحر في التعامل مع كل ما هو مقدس !

لقد ذهبت أيام أسيوط الخوالى وتقريبا طواها النسيان . مرت السنون وعلى نحو عام لم يعد لونس ذات الإهتمام القديم بمسألة الدين ، إلا أن سؤالاً لم يفارقه أبدا ، لسبب بسيط أنه لم يخرج بإجابة له أيام انغماسه الشديد تلك : إذا كانت كتب التفاسير والحديث والسيرة التي قصد بها أصلا التقديس ولا شيء إلا التقديس ( بدليل أنه بمرور الوقت راحت تحتلق معجزات صنعها مُجّد من كل شكل ولون ، غير عابئة بأن القرآن نفسه نفى هذا صراحة ونهى عنه أكثر من مرة ، حتى معجزة القرآن قال إنها لا تخص بلاغته إنما تخص الصرفة [ بكسر الصاد ] ، أى أنها من صنع الله الذى صرف أنظار الناقدين عن عيوب القرآن اللغوية ، وتحيل أنت حجم المشكلة حين يكون الخالق نفسه أميا ! ) ، إذا كانت قد مررت لنا كل هذا الكم من الفضائح والجرائم والمخازى ، فماذا عساها تكون الصورة الحقيقية الأصلية لتلك العصبية من الأعراب الأفظاظ البدائيين الجهلة الذين غزوا العالم ونهبوه وفرضوا بداوتهم وقبحهم وجاهليتهم عليه ؟ الآن ، ها هو يجد أخيرا -ومن حيث لم ينتظر أو من حيث صرف النظر- باحثا محترفا ينفذ لأول مرة ما تعلمه هو من صحبه الأسيوطيين : أن يخرق ما بين السطور ، يقرأ روح الحدث التاريخى متجاوزا ظاهر النصوص المنمق ، إنما يغوص حتى يكاد يشم رائحة الشعور المشعثة لأولئك الذين صنعوا تلك الأحداث ، أو حسب عبارته في مقدمة كتابه عن نشأة مُجّد أنه ' يقرأ سيرة مُجّد بعقل يقظ وعين مفتوحة وبصيرة ثابتة ولب واعى ' .

ما من شك أن أغلب عمالقة المستشرقين حاولوا فعل هذا بامتداد قرنين كاملين ، لكن أكاديميتهم الحرفية كانت تقيدهم دائما ، كما لم يستشعروا يوما أنهم أطراف في حرب ما . اختلف الأمر نوعيا مع الجيل الجديد من الوعاظ الأميركيين الذى تنامى بهدف التصدى لتصاعد حركات الإسلام العنيفة في أوساط الأميركيين السود . يمكن القول بلا ريب إن كرة الجليد التي وصلت لما نراه في العقد الحالى من حملات كاسحة شرسة من كل حذب وصوب على الإسلام ، قد بدأت تحديدا بالترجمة الإنجليزية لصحيح البخارى في منتصف الثمانينات من القرن السابق . قبله كان عليك الرجوع لمخطوطات ، ليس هذا فقط بل باللاتينية غالبا ، ولم يكن مطبوعا سوى القرآن وسيرة بن إسحاق ( العنوان الذى يراه المستشرقون أكثر علمية للكتاب المعروف عندنا باسم سيرة بن هشام ) ، وهما -أى القرآن والسيرة- لا يغنيان ولا يسمنان من جوع لدى المقارنة بالثروة الهائلة -حجما ونوعية- التي وجدها أولئك فجأة بين أيديهم بطوفان أقوال مُجّد التي أجلت كل غموض واقتضاب في المرجعين السابقين . ترجمة البخارى أخرجت الدراسات الإسلامية من نطاق المستشرقين ممن يجيدون العربية بالضرورة ، بأن جعلتها متاحة لكل من شاء البحث . هؤلاء صدموا في الأحاديث النبوية بما باتوا يسمونه بالتعاليم السرية للإسلام ، وكانت ذخرا ووقودا هائلا وناجحا جدا لحرهم لم يحملوا قط بمثله ، فأصبحوا الرعيل الأول المتسلح بالاطلاع الدقيق على الإسلام ، وأول من تحول في التاريخ المسيحى ( ثم العلمانى بعد قليل ) من الدفاع للهجوم الفكرى الكاسح ( وقطعا قبل يفعل هذا الأب زكريا بطرس بعقد ونصف على الأقل ) . على أنه بسبب كون أولئك طرفا طوال الوقت في مناظرات ومعارك فكرية مع مشايخ الغرب ، فقد كانت الأكاديمية الحرفية تقيدهم هم أيضا .

خليل عبد الكريم كان شيئا مختلفا عن الجميع ( في الواقع ربما رغما عنه فهو يصدر كتبا قد تقع تحت طائلة بطش المؤسسة الدينية الرسمية ) . لقد نحت لنفسه طريقة لولبية فريدة وشهيرة في الغمز واللمز لما وراء النص ، حول كل شيء بدءا من ' الهندسة والقلوطة والصنفرة ' التي قامت بها خديجة نحو طفلها فريبها فبعلمها فنبهها المأمول ، حتى أصغر واقعة في السيرة المحمدية ، بحيث تفسح أمامها وأمامك مساحة واسعة للتخيل ، وهذا ما أعجب ونس فيه : أكاديمية رحيبة حققة لا تفرض عليها كتب التقديس أطرا ولا خطوطا حمراء . على سبيل المثال كان ونس يقول لنفسه إذا كان

المشايخ يتباهون بأن القرآن الكريه قد حفظ في الصدور ، فنحن لدينا أشياء كثيرة أخرى حفظت في الصدور ، وهي من حقها أن يكون لها ذات القدر من الأهمية عند التحليل العلمي . يضرب ونس أمثلة لتلك الروايات الفلكلورية زواج مُجَّد من تسع وتسعين ( هذه بالذات نقلها عن أمه في طفولته ) ، مهانته إذلاله وعذابه على أيديهن جميعا ، سلبهن أمواله الطائلة أولا بأول حتى مات مدينا مقترضا بالربا ثمنا لحفنة شعير من يهودى كافر ، بل لم ينته الأمر عند هذا الحد بل سلبوا ابنته ما تركه لها من ميراث رمزي ، تعهده في المقابل لكل أمهات المؤمنين هؤلاء -الأبرار القدوة- بعذاب مضاعف في نار جهنم ، مفاخذته لعائشة في سن السادسة ، نكاحها في سن السادسة ( خليل عبد الكريم قال فيها الثامنة ناعتا ضمنا بالتزوير رواية عائشة الرسمية التي تقول التاسعة ، وأنا أضيف أنه لم ترد في كتب التاريخ واقعة واحدة للزواج من طفلة لم تحض ، لكن هذه الآية وضعت كى تلمح لأن نكاح عائشة هو من خصائص النبوة ، ولأنهم ناس واطية فاهمين أن نبههم لازم يكون على رأسه ريشة وله حريم ضخم وعلى كل الألوان بما فيها المحرم ، علشان الدنيا تفهم أنه فوق البشر العاديين وتحترمه ، ومن هنا جاءت لديهم فكرة خصائص النبوة أو امتيازات ترف النبي ) ، عهر عائشة واسع الخيال والذي فاق حوادث سرايب ألف ليلة وليلة السرية ( التي على الأقل لم يكن بها رضاع الكبير سنة عائشة الأشهر ، والتي ما كان ليخصها أغلب الفقهاء بما دون غيرها من المسلمات ، إلا لعلمهم وإشفاقهم على جوعها الجنسي ، وفي كل الأحوال ليس احترامنا للنص القرآني ' يا أمة رضعت من ثديها الأمم ' ، أو لقول شيخ شهير ' رضاع الكبير وسام شرف على صدر كل مسلمة ' ، إنما في الواقع حبا في أغنية ' الطشت قال لي ' إلى غنتها لما خلعت هدموها خالص قدام كل أمة قريش علشان تشرح لهم النبي بيستحمي إزاي ) ، علاقة مُجَّد المحارمية مع فاطمة ، نسبه المبتور ، لواط عمر وحناء دبره ، نفاق كل الصحابة بحيث لم يحدث أن آمن أحد قط بمحمد في حياته بما في هذا على بن أبي طالب ، وألف قصة وقصة مشابهة لم يقدر لها التدوين الرسمي يوما ، أو دونت لكن نعتت بالضعف أو الجرح أو الدس ، إلا أنها في كل الأحوال تعد في عرف العامة في أعلى درجات الصحة ألا وهي التواتر ، أو حسب تعبيره : ' إذا كان الحديث الصحيح قد أجمع عليه حفنة فقهاء مزورين ( أى من يعترف منهجهم بالروايات المسندة فقط لرواة عدول ، وتعريف الرواي العدل ليس الذى ينقل الحقيقة وبدقة ، إنما الشخص المؤمن إيمانا أعمى بالدين ، والمنتمى بالضرورة للشلة الضيقة جدا من سدنة الإسلام الأوائل ) ؛ فإن الحديث المكذوب ( ودقتها أحد أمرين : المنكر أى الصحيح لكن أنكره كهنة التقديس هؤلاء ، أو المدسوس وهو بالفعل من تأليف جمهور الناس ) ، هو على العكس : ١- رواية قطعية الثبوت ( عن لسان ملايين الناس ) ، ٢- قطعية الدلالة ( لما يريدون نقله من معلومات وآراء واضحة المعنى شاهدها بأعينهم ، لكن يخشون التصريح المباشر بما خوفا من بطش كهنة المعبد فنسبوا للنبي ) ، ٣- بل هو أقوى بكثير ، لأنها الإجماع عينه ، لأن ألف مليون إنسان قد اتفقوا عليه ، وكتبوا له الخلود رغم أنف كل تزوية الدين ( الذين من المذهل -أو بالأحرى من الطبيعي- أن ينكروا مثلا سيرة ابن إسحاق ويتهمونهم بالتدليس ، رغم أنها أقدم كتاب في الإسلام ومن الطبيعي أن تكون أصحابها وأدقها وأكثرها بكارا وعذرية وصدقا ، قبل أن يدشنوا مفهمة التزوير العملاقة لهم ، والتي لا تقارن بتلك المفهمة الصغيرة التي أقامها عثمان لنسخ القرآن ) ! ' .

دائما ما يلقي ونس بهذا العباء على كاهل الجامعات أو مؤسسة الثقافة الجماهيرية ، أن تجمع هذه الحوادث وتطبعها كما جمعت وطبعت السيرة الهلالية ومثيلاتها ، ويضيف لها آلاف أخرى من العبارات الدارجة التي تستحق تعقب جذورها مثل أنه يريد أن يعرف مثلا لماذا يعبر الشعب المصرى عن الانبهار ببناء ' يا دين النبي ! ' أو ' وحياء إلى نبي النبي نبي ' ( خديجة ، ورقة ، عمر ؟ لا نعم قصدهم على وجه الدقة ) أو ' يا عدوى ! ' ، هل كلها استكثارا على مُجَّد وعمر ما فعلا أم ماذا ؟ ! أو لماذا ينادى الصوفية ' الإله حى ! ' -دونا عن كل صفات الرب الأخرى- آلاف المرات بلا انقطاع مع علمهم اعتياد المصريين جميعا الدعاء أو التشفع أو القسم بـ ' المسيح الحى ! ' ، أليس هذا تمردا مبطنا منهم يستغلون فيه اعتراف الكرهان المبكر الساذج بعقيدة ألوهية المسيح ، ذلك لإغاية ابن صهاك وجحافله بأنهم ليسوا الدين الصحيح أو على الأقل ليسوا ديننا جديدا أو لعلمهم ليسوا ديننا أصلا ؟ ! أو لماذا السخرية من الحج في ' التعلب فات فات ' ، ولماذا التعلب بالذات ؟ ! أو لماذا تذكر مُجَّد طوال الوقت -باستخدام تقانة الجناس اللفظى عينها- باسمه الأصلي ' قتم ' الذى حاول محوه من ذاكرة الناس ، ليس فقط بمجرد تذكير حيادى أو ضمنى إنما يجعله لفظة سباب شديدة التهجم والقبح والعدائية بعبء الأم . أو كلمة كذا ' والسلام ' التي تقال دليلا على الاستهتار وعدم الجدية ، هل لأنها الكلمة التقليدية التي كان ينهى حمودة بما خطابات كلها على العكس تهديد ووعيد لزعماء القبائل أو الأمم المجاورة ، وقد اختار الشعب المصرى كلمة السلام بالذات لأنه آخر شيء إطلاقا يمكن للعرب أن يقصدوا أو يصدقوا إياه أو فيه ؟ ! أو ماذا عن تسمية الشباشب بالذات بخدوجة وزنوبة وغيرهما من أمهات المؤمنين ؟ ! أو ماذا عن اسمى حسنين ومُجَّد اللذين لا يوجدان سوى في مصر ، فإذا كانت حسنين مفهومة حبا في المسكينين -حسب الزعم الشائع- اللذين ذبحا ، فمن هما المحمدين ، هل مُجَّد المكي ومُجَّد البصري أم من بالضبط ؟ ! أو ما معنى

تشبيه الكلام العبثى بسور القرآن ' سورة عبث ' أو ' عبس ' ؟ أو ما معنى المداعبة والامتداح بـ ' ابن الدين ' و ' بنت الدين ' ؟ أليست من ' الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم ' ، تلميحا لأن المصريين سادة شرفاء والعرب أولاد ' أو ' البديلة ؟ [ وصحة النص هن ولفروجهن ، وهى أحد أمثلة الترخص اللغوى للكراهان الكريه ] . ' الذين ' فقط بدون ابن أو بنت ، يمكن أخذها على محمل السخرية من النصوص المقدسة نفسها ، وأشهرها النص الذى يصنف البشر لثلاثة أنواع : المغضوب عليهم والضالين و ' الذين ' ، أو يمكن أخذها على محمل السخرية من لغتهم الفصحى فى حد ذاتها التى هيهات أن يستعملها المصريون ولو حتى فى مساء يوم القيامة ، ومنها هذه الكلمة الغربية على اللسان المصرى العامى ، وبالتالى فهى تستخدم للإشارة للعرب . أو - وهم الأكثر جدية وخطرا من كل هذا - لماذا اشتقوا كلمة عدوى السالفة [ بفتح الدال ] من ذات حروف كلمة عدوى [ بضم الدال ] ، أو من كلمة معتدى ، أليس تذكيرا ذكيا وغير مباشر لابن العاهرة متعددة الأغراض ولكل من جاء بعده بتلك الحقيقتين - العدا والاعتداء - طوال الوقت ؟ أو لماذا تستخدم السيدات المصريات الشعبيات اسم ابن المتعددة بالذات اسما رمزيا للردح والمواقف العدائية بالقول مثلا ' يا عووووومر ! ' أو ' يا سى عووووومر ! ' ، وليس مثلا ' يا حسن ' أو ' يا مرقص ' أو ' يا كوهين ' أو ' يا ' خريستو ' ، أليس هذا لأن الحس الشعبى المصرى أدرك من اللحظة أن ما يدور حوله الإسلام هو ابن صهاك النهاب السلاب وليس أى شىء أو أحد آخر ، والذى لا يقوى عليه ربما إلا ربح نساء قتم الفاجرات ؟ ! أو لماذا يهزأون بالعربجانة الشهيرة باسم جنة الإسلام بتسمية أثارها ' سمك لبن تمر هندی ' ، ويستخدمونها كالمزق الأقصى لأى شىء هو ميعة أو فوضى عارمة ؛ أو بالأحرى لماذا يسمون أصلا بيوت الدعارة عربجانة ؟ أو لماذا يقول المصريون ' اعمل عيشة ' أو ' بهائم يا رسول اللات ' ؛ هل لأنه جعل النساء بهائم فقط تركب وتنكح وهو ما لم يعرفوه من قبل ، أم لأنه هو نفسه بهيمة ؟ أو هناك الترهيب من مصر ، فيفترض أن نبى الصهاك قال ذات مرة ' إن مصر ستفتح فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها دارا فإنه يساق إليها أقل الناس أعمارا ' ، ويفترض أن الحجاج أعتى عتاة العرب قال ناصحا ولاة مصر ( ومصر تعنى السور أو المحروسة بحورس ) : ' اتق فيهم ثلاثا : نساءهم فلا تقرهم بسوء وإلا أكلوك كما تأكل الأسود فرائسها ، أرضهم وإلا حاربتك صخور جبالهم ، دينهم وإلا أحرقوا عليك دنياك ! ' ، ولا يأبه ونس كثيرا هل هذه المقولات حقيقية أم لا ، ولا يهم حتى إن كان مخترعها العرب كى يبرروا رعبهم أو اخترعها المصريون لإرعابهم ، فالمهم - والمهم فقط - أنها تقال !

أو يسأل ونس هل يمكن لأحد أن يأكل كسرة خبز استخرجت من بئر صرف صحى لأن مستخرجها أكد له أنها كسرة خبز وليست قاذورات ؟ يضرب هذا تشبيها بمليون رواية أغلبها يوصف بالمكدوب ، وجاء البخارى لينتقى ألفين أو ثلاثة منها ويقول إنها طعام طيب والبقية خبائث أو نحوها . عندما تستخرج هذه المئات المحدودة فهى موصومة بالضرورة بحكم المحيط الجارف الذى جاءت منه . فلقونا بكلمة السند والعنينة . السند قاله آخر شخص والكل كان قد مات ولا تثبت قولهم مخطوطة أو غيره . البخارى كله لا قيمة له . الجرح والتعديل والأسانيد كلها كهانة كهان التقديس ولا تقوم دليلا علميا بمليم . الأخبار الضعيفة أقوى مليون مرة من أحاديثكم القوية لأن الشعب موش الشيوخ المرتزقة هم من حفظها . ثم هل لو كان للأصل مهابة وقدسية حقيقية لكان قد جرؤ أحد على التدليس عليه ؟ ثم هل ببساطة هذا دين يهدى أم أحاجى وألغاز تحير وتدير الدماغ ؟

إلا أنه - أى ونس - يرى فى نفس الوقت أن جميع ملايين الروايات والأخبار حقائق بمعابر التراث الشعبى حتى لو مكذوبة كوقائع تاريخية ، ويرى الحل فى معاملتها جميعا كما يعامل أى حكي فلكلورى فى الدنيا ، فتعتبر مبحثا من مباحث علم الأنثروبولوجيا الثقافية ، ويتم إخضاعها للأدوات العلمية لدراسة ثقافات الشعوب والتنقيب عن مدلولاتها ... إلخ . يصيغ الفكرة ببساطة فى سؤال : هل جاءت تلك الروايات من الهوى أم نطق بها بشر ؟ إذن هى مادة يجب أن تخضع للتحليل العلمى ، لا أن تحمل بجرة قلم كأن لم تكن ، كما يحاول المشاخذ . هو يبرهن على أهمية تلك الدراسة بأنه مثلا لو كان حديث مُجَّد عن رعبه من احتلامه بإحدى زوجات عمر تستحم عارية فى نهر صحيحا ، فتلك مصيبة ، ولو كان مكذوبا فالمصيبة أعظم ! هذا يرفع قيمة الرواية للسماء مليون ضعف ، لأنها لم تعد مجرد حديث لمحمد عن ورعه أو شهواته أو حتى توهمه لوله أنه صار الملك داود الثانى ، إنما قرينة هائلة على نظرة جمهور الناس الواسع للعلاقة غير المفهومة بين رجلين يعرفون فارق العزم بينهما بينما يتصدر الضعيف الصورة . عامة يرى ونس أن أى حديث يوصف بالمكذوب هو أرجح بمراحل أن يكون قد ورد على لسان مُجَّد من أى حديث يوصف بالصحيح ، ذلك أن المؤكد فى كل هذه الأخيرة أن فعل بها كهنة التقديس كل الأفاعيل الممكنة ، فيوم دونوا الأحاديث كانوا كمن يريد اليوم كتابة تاريخ نابوليون فى مصر بناء على النقل الشفاهى وحده ، بل وتحديدا منه النقل عن السنة مشاخذ الأزهر بالذات . هكذا دواليك لأى حديث أو خبر ضعيف أو مدسوس ، إذ يصبح أهم بما لا يقاس من كل الأحاديث والأخبار الصحيحة مجتمعة ، لا يفرق كثيرا إن كان فى حقيقته صحيحا

أم منحولا ، فمن منظور الفلكلور كل الأحايث صحيحة . علينا طوال الوقت قراءة الأمر برمته بعين خارجية محايدة وفي نفس الوقت متحررة متغلغلة لما بين السطور ، فيسهل لنا حينئذ فهم طبيعة الإسلام الحقيقية ودوافع البيئة التي أفرزته ومنظورات الشعوب الأخرى التي اقتحمها له ، هكذا يلخص ونس دفوعاته .



### رسول إمعة ... إمعة ، إمعة ، بس يعيش !

على أية حال لقد فرض ١١ سبتمبر الإسلام على الأجندة العقلية للعالم كله ، وليس على ونس وحده ، فعاد من ثم للاهتمام المكثف بالموضوع ( بالذات بسبب نظرة من حوله له كخبير بالشأن الإسلامى ، وللحق ما هو كذلك ولا يهيمه أن يكون كذلك ، ظلوا يستشرونه فيه كلما وقعت هجمة من هجمات جماعات مصر التسعينيات ، والآن في ٢٠٠١ أصبح فجأة قبلتهم الكبرى والوحيدة ) ؛ إلا أنه فيما يخص ظاهرة زكريا بطرس التي داهمت الجميع بعيد سنوات قليلة ، فإنه -طبقا لمفاهيم ونس تلك- محق في انتقاده له بأنه يلتزم أكثر مما يجب بحرفيات الأثر الإسلامى ، وأن ها قد حان الوقت لقراءة روح الإسلام لا التوقف الدقيق عند النصوص كما يفعل هذا الكاهن الذى يحرص على ألا يتخطى ذلك الخط الأحمر أبدا . لم تنل تقديره أبدا مقولة الكاهن التليفزيونى المصرى الذى اتخذ من بلدان أوروبا قاعدة له ( وليس بالضرورة قبرص كما ابتدع عليه ونس تلك التسمية ) ، المقولة التي لا يكف لحظة عن ترديدها ' أنا لا أتى بشيء من عندى ' ، وراها شيئا محبطا يقلل من أهمية برامج زكريا بطرس بدلا من أن يزيدا أثرا ، كما رأى فيها تماونا في وظيفة الباحث الذى يجب أن يخرج علينا باستنتاجاته الشخصية . ونس كان محقا في أن القراءة التي تتجاوز حرفية النصوص يمكن أن تصل بالمرء لأشياء مذهلة ، أقلها صورة الشخص الإمعة الدمية التي رسمها في عقله لنبي هذه الأمة وقائدها ، هذه التي استقاها من منظر رآه يوما لدرويش نخيل كهل ذى لحية بيضاء طويلة مدببة وضحكة بلهاء متواصلة ضخمة ، يحمله أتباعه على أكتافهم ويبالغون في الحديث عن شفاعته ومعجزاته ، بينما هو لا شيء بالمرء لا ينطق ولا يقول شيئا وربما ذهب عقله ، تلك كلها فقط من أجل الارتزاق باسمه على بسطاء الناس . في كل هذا كان ونس يتبنى بذات النمطية المنظور الفلكلورى لأولياء الله لدى بسطاء الناس : رسول إمعة ؟ ! ... إمعة ، إمعة ، بس يعيش ! بل لم يكن يغيبه كثيرا تأليه الصوفية المصرية لابن آمنة رغم علمهم بأن كل العرب قطاع طرق لا أكثر ، والسبب أنهم بهذا تحايلا على الغزو العربى بأن جعلوا الدين الشيطاني الدخيل نسخة أقرب ما تكون للمفاهيم الروحية المصرية وإن بأسماء أشخاص جدد ، ناهيك عن أن الإسلام الحقيقى كما أراد له صانعوه الأصليون أن يكون ، هو الذى في الواقع يغيبه بشدة تأليه أى أحد من دون الله الذى هو عمر ، ويسمون أولئك الصوفية بأهل البدع ويكفروهم !

واقعة مهمة يدلل بها ونس على واقعة مهمة تدل على ' استعباط ' الناس لمحمد هى الفعلة الطريفة للشخص المعروف باسم أبى بهيسة . مواقف سخرية قريش واليهود بل والصحابة المسلمين أنفسهم من مُجَّد لا تعد ولا تحصى ، لكن هذا الصحابي الجليل بالذات ، أراد شيئا خاصا جدا ، هو أن ينكح مُجَّدا في مؤخرته على مرأى من جميع الناس . ذهب إليه وأدخل نفسه تحت قميصه وراح يحك نفسه فيه من الخلف . إلى هنا والموقف عادى فكل الصحابة يسخرون من الأفاق قثم مدعى النبوة يوميا بهذه الطريقة ، موحين أنهم يصدقون إنه نبي وأن حك أجسادهم به يدخلهم الجنة حسب وعده الحق . الذكى الطريف الذى تفرد فيه أبو بهيسة هو السؤال الذى طرحه في هذه اللحظة شديدة الخصوصية ، وما هو إلا سؤال شرعى دارج للغاية : ما الذى لا يجل منعه يا رسول الله ؟ وبصفة مُجَّد رسولا من إله السماء الذى لا يراه أحد ، كان ملزما أن يجيب الإجابة التي طبعا كان يعرفها سلفا أبو بهيسة بل وكل جمهور النظارة ، وهى الماء . وهكذا استطاع الرجل استنكاح مُجَّد منزلا المنى في مؤخرته أمام كل أمة لا إله إلا اللات !

ليس آخر تلك المكتشفات توصل ونس لأن مُجَّدا ذاك كان مصابا بمرض الزهري الذى ربما انتقل إليه من إحدى تلك العاهرات اللائى كان يتسلل لهن من خلف ظهر خديجة التي لم تشبع فضول شبابه تجاه جسد المرأة ، أو اللائى راح لاحقا يأمر جنوده ونفسه بالاستمتاع بهن مكافأة على غربة الجهاد ( = الحراة الشرعية ) ، وأنه وصل لمرحلة متقدمة من ذلك المرض ( الواضح أن الطب الشرقى احتار فيه فلم يداوه أو حتى يذكره ، ومن هنا جاء اعتبار العموم له سحرا أو جنونا أو على الأقل سلسلة متتابعة من الأمراض المستقلة لا رابط بينها ) ، أذهبت عقله ( البخارى وحده به عشرات الروايات عن واقعات سها فيها مُجَّد عن أشياء مهمات بما فيها أصول الدين ، وربما هذا تفسير آخر لندرة الوحي تدريجيا فتوقفه نهائيا بعد قليل ) ، سمحت للقرآن أن يقرأ على سبعة أحرف تساهلا مع ذاكرته الضائعة ، فاقمت عجزه الجنسي المزمع منذ شبابه ،

وأصابته بالهلاوس فراح يتخيل مثلا أنه يعاشر زوجاته دون أن يفعل ، بل وكثيرا ما أنسته ما يقول إنه قد أوحى له ، ورفعت النسيان إلى مرتبة أهم خصيصة من خصائص النبوة إطلاقا ، فكان السر وراء ملايين التناقضات التي أعييت الفقهاء في ترقيعها ، ووراء أغلب الفاسخ والمفسوخ وهلم جرا ، وهو -أى الزهرى- الذى وضع من ثم مُجْداً في آلاف المواقف المحرجة ، لولا أن عمرا وعائشة كانا هناك طوال الوقت يضبطان الصورة ويداربان الأمور ويستردان الهيبة ويلقيان التهمة زورا على السحر والشياطين الأشرار ( ليس تماما والدليل أنهم شهدوا رسميا بتوقعهم منه أن يهدى يوم حجة الوداع ، استثناء من محاولتهم الدءوب تصوير أمر ذهاب عقله على أنه استغرق عاما وانقضى ) ، أو يفسر لماذا بطش به عمر بمنتهى المهانة على فراش موته ومنع دخول أحد إليه خشية أن يعترف في لحظة مواجهة الموت أنه باع الدين إليه مجانا ، وطبعا يفسر لماذا تزوج العشرات ولم يدخل بمن وحرم على منكوحاته ( والأصح ناكحاته ) الزواج منه بعده ، ذلك أن عنته هى سر حربى أعظم يجب أن يظل محصورا تحت حراسة مشددة في أضيق نطاق ممكن ( the most closely guarded secret of all times -أو للدقة هو نفسه أفشاه ذات مرة في قول غير ذائع جدا ، حين اعترف أنه ' يكسل [ بسكون الكاف وفتح السين ، من الكسل ] ، وتعنى عدم إتمام الممارسة الجنسية ) . كان الكل يعرف أنه عنين وباعترافه ، فما هو الحل ؟ اخترع قصة أكلة لحم اسمها الكفيت هبطت بصحبة التنزيل العزيز من السماء ( والمقصود على الأرجح كفتة محشوة بالشطة تأتي من سوريا أو من أى داهية ، والأرجح منه أنها لم تأت قط ، إنما فقط سمع بمفعولها السحري المرعوم ، والأرجح وأرجح أنها فكرة أمره بما ملاكه الحارس مهندس الكون ابن الخطاب والحطابة ) . كان المهم أن تحلق من العدم أسطورة عن الفحولة ، بعدها تسهل المشكلة ويصبح كل المطلوب قطع أى لسان يحاول التشكيك فيها . نكح النساء له ولكرامته ولأمواله يفسر أيضا قصة افتراض حفنة شعير بالربا دليل مذلتة القصى في أواخر سنينه ، بملاحظة أنه رجل كان الله قد أحل له أخذ الطعام والشراب مجانا من أى أحد حتى لو كان في هذا هلاك الأخير ، ثم أخيرا مات بالطبع بسبب ذلك الزهرى ( مرض جنسى الانتقال آخر -السيلان- هو الذى يقف وراء تبوله الدائم على نفسه ، الأمر الذى يظهر في وسواسه الهائل نحو البول الذى ترجم في إناء دائم الاستقرار تحت فراشه ، وفي آلاف الأحاديث عن التنجس بالبول وهجوم الشياطين بالبول وعذاب القبر بالبول والتداوى بالبول والتبرك بالبول ودخول الجنة بالبول ... إلخ ، وفي التدقيق الشديد مع محيطيه فيما يخص التطهر من البول وإدمانه هو للتعطر لمداواة رائحته -وطبعا دع جانبا رائحة ما يتبقى بعد مسح كائن فقارى مؤخرته بثلاث حجرات فهى قصة أخرى ، كلها معا كنوع من الدفع الإسقاطى عن الذات ، بل وفي قتل كل من يشير لبقع ثيابه دونما حتى فرصة للاستتابة ) .

لم يكن ونس واثقا جدا من نظرياته فاحشة الغرابة هذه عن نبي الإسلام ، لذا حزن حزنا هائلا يوم سمع خير رحيل الشيخ خليل عبد الكريم . كان ينتظر بلهفة بالغة كتابه التالى ، إما ليؤصل له نظرياته هذه تأصيلا علميا موثوقا ، وإما لينفيها ويريجح منها ؛ وفي كلتا الحالتين كان قد عقد العزم على أن يقبل أى شىء يتوصل له باحثه العبقري الكهل المرح المنتعش دوما هذا !

هذه وتلك هى الأشياء التى يمكن أن تؤخذ من ونس ، أما ما يرد منه فهو على الأقل كلامه السلبى عن الأب بطرس . ربما أحيانا لا يبدو زكريا بطرس بذات العمق البحثى ولا بمخطورة الاستنتاجات كما خليل عبد الكريم مثلا ، بل وربما يمكنك حسم الأمر برمته بالقول إن الفضل الأول والأخير في تفكيك أختام القداسة عن الإسلام سيظل للأبد حقا لكبار المستشرقين ، الذين لولاهم لاندثرت غالبا من الأصل كل مخطوطاته بما فيها أحاديث البخارى وسير ابن هشام وما تبقى سوى القرآن الذى يحفظ شفاها في الكتابيب نصا مجردا ، معلقا في الهواء بلا تفاسير ولا أسباب نزول ؛ لكن يظل ثمة فارقا هائلا بين الأمرين لم يلحظه ونس أبدا في حالة ذلك الكاهن ' الذى جاء للحرب متأخرا ' حسب رأيه . لقد قرأ كل المثقفين تلك الكتب العلمانية المذكورة مثلما قرأها ونس . كانت كتابات قوية جدا في نظرهم ، لكن الشعور الغالب عليهم كان هو نفس شعوره بالضبط -المزيد من الحسرة لغلبة ما يسمونه طاغوت الغيب والخرافة على عقول أبناء هذه البلاد- إلا أن رد فعلهم على ظهور بطرس كان مختلفا عن شعور ونس المتعجرف هذا . في حلقاته الأسبوعية المسلسلة من ٢١-٦٠ من برنامجه التليفزيونى الأول والأشهر ، قدم الرجل ما بين خريف سنة ٢٠٠٣ وصيف ٢٠٠٤ موسوعة نقدية كاملة عن الإسلام ، كانت بمثابة إسهام عمره العلمى الرئيس ، تتجاوز جهد أى فرد واحد من هؤلاء السابقين ، حتى وإن استقت كثيرا من إنجازاتهم بطبيعة الحال . هذا جهد يقول عنه هو نفسه إنه يستغرق منه ١٨ ساعة يوميا ، وهو شىء يحظى عادة باحترام المثقفين الجادين المنتجين ممن يعرفون المشقة الحقيقية للبحوث الجدية ، ذلك بالذات حين يصدر عن كهل في السبعين . يزيد على هذا أنه جهد تليفزيونى ، أى مادة تحقق انتشارا واسعا يحسدونه هم عليه ، وهم المحرومون من مثله ، وهذا التطور التقنى في تليفزيون الساتلايت وفى الإنترنت ، كفيل وحده بإجهاض فكرة أن أولئك جاءوا للحرب متأخرين . كان شعورهم هو أن شيئا جديدا مختلفا يحدث هذه المرة : إن هذا الرجل ينجح فيما فشل فيه كل طابور التنويريين العلمانيين ذوى الخلفية المسلمة في نحو قرن كامل . لقد أحسوا بجواء طازج يدخل لرائهم لأول

مرة ، يشعروهم أن ذلك الواقع الجسيم يمكن له أخيرا أن يتغير ، وأنهم ربما كانوا الجيل المحظوظ الذى سوف يشهد ذلك الشئ الذى طال انتظاره ١٤ قرنا . نعم ، بالطبع كانوا يتحفظون أو يتندرون أو حتى يستنكرون مفارقة أن من يفعل هذا هو رجل دين ، وليس علمانيا مثلهم ، إلا أنهم شعروا لأول مرة أن حلم تحظيم المقدسات الموهومة يمكن له أخيرا أن يتجاوز جلسات المثقفين على مقاهى وسط القاهرة ، كى يتجسد تغييرا حقيقيا على أرض الواقع .

بل الحقيقة -فيما يخص الأكاديمية الحرفية والتي اشتهر الأب بطرس بالالتزام الصارم بها ويدينه ونس بسببها- أن كان أول من أطاح بها ذات مرة على نحو ساحق ، وذلك فى أمر محدد ألا وهو نسب مُجَّد . فقد راح ينقب وراء ما يشاع عن نسب مُجَّد المبتور ، وخطر بباله مقارنة بعض التواريخ ، ليكتشف أن مُجَّدا ولد بعد موت عبد الله أبيه المفترض بأربع سنوات . لم يقف عند هذا الحد بل راح يربطه بكتاب عبد الكريم الأخير ، وبحقيقة أن بحيرة الراهب كان أول من نطق بنبوءة مُجَّد وهو بعد طفلا ، وهو الذى زكاه رضيعا لخديجة زوجا ، أى قبل أن يقع الزواج بعشرين أو واحد وعشرين سنة كاملة ، وخرج -أى بطرس- للاستنتاج بأن بحيرة هو الأب الجسدى لمحمد . على أنه كما هو واضح فالاستنتاج غير قطعى وغير قوى ( أو ربما ننتظر من أبطال روايتنا هذه أن يحصوه بعض الشئ ! ) .

... هذا هو الفارق بين الفعل العملى والتأثير الواقعى وبين مجرد العلم والمعرفة ؛ الفارق الذى لم يفهمه ونس أبدا !



### تفتكروا مين أول من أحل دمه علنا فى الإسلام ؟

يستشعر ونس قدر الوجوم الذى سببه كلامه على وجوه الجميع ، ففكر أن يلطفه بشئ طريف ، وإن كان من المشكوك فيه أنه أدى هذا العرض فعلا . يداعب الحاج : ' إيه الحكاية ؟ عملت واحد المسيح-الضد ، إنما أظن ما فيش حاجة اسمها مُجَّد-الضد ؟ ! ها ! ها ! ها ! ' . لم يضحك أحد ، فجرب شيئا آخر : ' عارفين مُجَّد التجوز كام واحدة ؟ غلط ! نسيتم عروسة المولد إالى كل سنة تبعتها له مصر . هو ده التنين إالى ما قدرش عليه مار جرجس بتاعكم ، ولأنكم عارفين مزاجه فى النسوان بقتوا تتقوا شره بواحدة بكر كل سنة . آه ، يا بلد ! ' . ثم جرب شيئا ثالثا أقل هزلا : ' ها أقول لكم حاجة ظريفة بمناسبة القتل ، تفتكروا مين أول من أحل دمه علنا فى الإسلام ؟ ' .

- أيوه القتل كثير . قصدك مين ؟ النقراشى ؟ الشيخ الدهي ؟

- كل دى اغتبيالات . جماعات سرية أو أفراد تنفذ القتل وبعدين تقول السبب . أنا قصدى إصدار فتوى علنية سلفا ، معروف صاحبها بالاسم ، بإحلال الدم ، ثم ترك عموم المسلمين تنفذ .

توالت إجابات الحاضرين : أنور السادات ؟ سلمان رشدى ؟ نجيب محفوظ ؟ فرج فودة ؟ نصر حامد أبو زيد ؟ سيد القمنى ؟ مين ؟

- أول واحد أحل دمه علنا فى الإسلام ، كان واحد قبل كل دول . واحد حبيى الروح بالروح ، وحبيب كل طلبة ميكانيكا أسيوط . الدكتور أبو بكر الصعدي . كان تخين زى كده بس أبيضانى أوى ، حبوب ومرح وروحه ما فيش بعد كده ، وكان زبون لأغلب الرحلات إالى بأعملها ، الوحيد إالى موش طالب إالى كان بييجى معنا ، ولغاية النهارده أنا محتفظ بصورة له وإحنا بنجدف سوا فى مركب فى النيل . إالى مسميهم أنت عيال هايفة قالوا عليه كافر ، وأحلوا دمه . هو علمانى فعلا ، وكان نجم المناظرات الشهرية العلنية المشهورة فى مدرج سنة رابعة فى قسم الهندسة الميكانيكية إالى كان بيعجها أساتذة وطلبة من كل الكليات ، وكان أشهر من يدافع عن فكرة أن الله غير موجود . على أيامنا ما كانش فيه مشكلة فى إالى بيسموه كافر ، على الأقل ؛ / الناس -طلبة وأساتذة- كانوا كده ، لكن المشكلة إالى اختاروه علشانها هى أنه كان رمز وكان محبوب جدا من كل الناس . الراجل رغم أنه كان على وش أستاذ ، يعنى تحطى سن الشباب بكثير ، اضطر يهاجر أميركا ، وساعتها لا كان فيه حاجة اسمها أسامة بن لادن ، ولا حتى الثورة الإيرانية . ( ويردف ضاحكا : ) يعنى أول من استحل دمه كان صاحي ، وأول من اخترعوا فتاوى استحلال الدم كانوا أصحابي برضه !

- ( دون غيره ، يجاوبه أسد ضحكته : ) بصراحة يا أستاذ ونس أنت نكتة جامدة بجد ؟

- أنتم موش عاوزين تفهموا ليه ؟ قلت لكم ده بازار ، زى ما مر علينا ماركس وسارتر ، مر علينا دول . بازار ، وأنا كان إالى يهمنى فيه أكل العيش ، أنظم رحلات ، أطبع مذكرات ، أبيع هدموم من پور سعيد بالتقسيم . كنت حبيب الكل . كنت رئيس اتحاد الطلبة لما كان بينظم

حفلات ديسكو ، ورئيسه لما كان بيكسر حفلات الديسكو ؛ رئيسه لما كان بيعمل مظاهرات شيوعية ، ورئيسه لما كان بيكسح رجلين الشيوعيين . أظن ما فيش صراحة أكثر من كده ؟

ويعود ضهري : انتهازي يعنى ؟

- الله يسامحك !

- أنت تعرف ربنا أنت ؟ !

- ( ولوهلة عاد لسخريته المعتادة : ) هو يسارى موش عاجبكم ، إرهابى موش عاجبكم ، أكل عيش موش عاجبكم ؟ نعمل إيه ، حيرتونا معاكم ؟ ! أنا لست انتهازيا ، إنما بصراحة فقدت إيماني باليسار حين ضاعت آمالي العريضة فيه ، عندما رأيته يتساقط كالدجاج الدائخ أمام الإسلاميين . أنا لى قاعدة بسيطة جدا فى رسم الخط الفاصل بين الخير والشر : الدعوة أو ما يسمى فى المسيحية بالتبشير ؛ لو راقبت مراحلها جيدا ستكتشف أنها نسخة طبق الأصل من تجنيد العاهرات الصغيرات ، الكل يتزلف للفتاة ويحتفل بها ، وبعد أن تقع بيداً الجميع فى استعبادها وإذلالها . من يريد دعوتى لدينه مسيحيا كان أو مسلما هو شرير فى نظرى . أنا أعتبر الدعوة مرضا نفسيا ، لأن معناها أن الشخص غير واثق من إيمانه ، ويريد اختباره بمناقشة الآخرين فيه طوال الوقت . بالنسبة لى ، فقط من يعتر بدينه لنفسه ، هو الإنسان الخير .

أما ضهري فلا يزال بعد محتدا : ' أنت ؟ بتتكلم عن الخير والشر ؟ أنت ما فيش أى حل ينفع معاك . عارف أنا بكرة ها أعمل إيه ؟ ها أجيب وابور زلط وأسوى لك المطبات الكبيرة إالى جوه دماغك إالى عاملة زى قدرة الفول دى ! ' .

بالفعل نجحت منى -غالبا دون أن تقصد- فى تحويل الموقف محتدم التوتر إلى جو الفكاهة . ضهري -بالتأكيد دون أن يقصد- حول الحوار للمزاح حول رأس ونس الأضلع الضخم . أما روميو الذى كان قد حاول عبثا من قبل إعادتهم لمتابعة أسعار الأسهم ، فقد جرب هذه المرة أن ينهى الحوار بطريقة أفضل : بص أنت وهو وهى : أحسن حل للحكاية المسيحيين والمسلمين هى النكت !

ويضحك إدوارد ناهضا وكأنه بدوره يأمر بإغلاق حوار كهذا لم يكن من الواجب أن يدور أصلا فى شركته : فعلا ، زمان كان الواحد منا يخترع نكتة على القسيس ويروح يقولها لصاحبه المسلم ، يلقاه اخترع نكتة على الشيخ وجاى يحكيها له !

ويعلق روميو بمباهاة : ' أنا صاحب نص النكت إالى على المشاخر فى البلد دى ! واحدة ست راحت للسيدة زينب صلت لها ودفعت جنيه وقالت يا ست نجحى الواد ابني . بعدين راحت الحسين ودفعت جنيه وقال يا حسين نجح الواد ابني . وبعدين راحت للسيد البدوى ودفعت جنيه وقالت يا بدوى نجح الواد ابني . الواد سقط . راحت للشيخ وسألته إزاي ده حصل . قال لها أنتى عبيطة يا ست أنتى ؟ حد يعمل كده ؟ أدى كل واحد أخذ الجنيه وانكل على الاتنين التانيين وما عملش حاجة . فيه نكتة زيبها بالضبط على العدرا مريم ومار جرجس والملاك ميخائيل . النكتة الكبيرة إالى فضلنا نضحك عليها أسبوع كامل ، لا دى ولا دى . إنما أن يوم ما اخترعت النكتة الأولى ورحت أحكيها لإدوارد ، لقيته كان اخترع الثانية وجاى يحكيها لى . تفتكر يا حاج إيه أقوى فى چيينات المصريين ، النكت ولا الدين ؟ ! ' .



**- لكن الحرية يجب أن تكون مسئولة ؛ حريتك تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين !**

**- إذن الخطوة الأولى هى تجريم كل الأديان المسماة بالسماوية !**

بينما عاد الصخب والعصبية من جديد يشمل الجميع ، حين عادوا لملاحظة الأسعار ، وأنها لا تزال تهوى ، أعطى البعض المزيد من أوامر بيع للأسعار . ' الجرى نص الجدعنة ، يا عم ! ' . أما وحيد المستمسك بكوييد ، فقد راح يجتر فى صمت التساؤل تلو الآخر . كيف عرف ونس كل هذه المعلومات ؟ إن خبرة حياته هو الآخر هائلة . هل فعلا القرآن ليس به ما يمت لجذر كلمة حرية بصلة ؟ ثم ما هو المعنى اللغوى لـ ' عن يد وهم صاغرون ' ، قالها ضهري منذ أيام ، وها هو ونس يكررها ، أنا لا أفهمها ؟ أيهما الأخطر ، هذا الكلام ، أم نكتة كيف دون أن يشعروا ( باللا شعور ) بدلا موافقهما خلال الحوار ؟ على أية حال هذه الأخيرة باتت أشياء مألوفة بالنسبة لى . هذه هى مصر ، وهؤلاء هم المصريون ، حياتهم حياة سيربالية كما هذا الموقف بالضبط ، تحبظ مطلق ! الآن حانت فيما يبدو لحظة الحقيقة التى لعلى حاولت تحاشيها فى حياتى . الآن يتوجب على فيما يبدو التعمق أكثر نحو لب المشاكل .

تدرجياً يهدأ اللغظ ، ثم يدخل شاب يحمل حقيبة معدنية ويقول إنه فنى التكييف . يتذكرون الحر ويستقبلونه بعاصفة من السخط مما لا ذنب له فيه . ثم يتذكرون أسد وما كان قد قاله فى الصباح . ينهالون عليه تقرعياً : ' أنت إحساسك زى الزيت ! ' ، ' قلت السوق ها يطلع جت له مصيبة ودته فى ستين داهية ! ' ، ' إوعى تقول أنا متفائل تانى ! ' ، أما منى فقالت : ' الظاهر إن أنا إالى وشى وحش ! ' .

- أنت عارف Clueless دى تبقى إيه يا أونكل ؟

- إيه ؟

- تبقى ال suicide note بتاعتى !

- اوعى تكونى فكرتى تانى فى الانتحار النهارده ؟

لا شك أن الخاطر الكابوسى الرهيب بأن كل منهم قد يرفع السلاح يوماً فى وجه صديقه الجالس لجواره ، قد عاد ليمر بخواطرهم جميعاً مرة أخرى اليوم . ضهرى قال ما لا يقل عن ألف مرة خلال هذه السويكات القليلة عبارة تكرارية أقرب للهديان الوسواسى غير الواعى وكأنه يطرد بها شيطاناً رجيماً تلبسه : ' أى حاجة فى كلامك ممكن تكون صح إلا كلمة ' الحرب قامت ' . الشعب المصرى شعب طيب ، وطول عمر ما حصلت فيه حرب أهلية ولا ها تحصل ! ' . الخلاصة أن سلم الجميع أمرهم للقدر . بالأحرى بدرجة أو بأخرى يتناسون الأمر ، يتعمدون التلهى عنه ، مثلاً بعدو آخر كفى التكييف أو أحاسيس أسد الطائشة . فيما يخص البورصة ، لا بد وأن الكارثة سوف تمر بسلام كما كل مرة سابقة . خبرتهم الطويلة تطمئنهم دوماً بشيء كهذا ، فيفضلون الارتكان إليها . الأهم ربما أن كلام ونس على غلظته وصدومته ، كان مصدراً غامضاً لبعض الراحة . على الأقل أشعرهم أن العدو ليس قدراً غاشماً خفياً ، إنما هو من لحم ودم ، بل وصديق شخصى لأحدهم . مع هذه التطمينات المتفائلة وربما الزائفة ، اضحمل تدرجياً بعض الامتناع عن وجه منى . الآمال التى حلقت فى السماء فى بداية النهار ، ثم هبطت إلى مركز الأرض فى منتصفه ، استقرت الآن عند سطح الأرض . إنها العودة للأرض كما يقال بالإنجليزية كناية عن التفكير بواقعية . سواء أنت السيارة أم لم تأت ، لا يصح أن تكون هى كل الحياة .

... قطعاً ، بعد ما حدث ثم حدث ثم حدث ، هذا يوم مثير ونادر حقاً فى حياتها ولن تنساه أبداً !

- أنا طبعا ضد التعصب والهمجية إالى بتحصل دى يا أونكل ، بس فيه كام نقطة موش فاهمهم ؟ موش المفروض يمنعوا الحرب الدينية على التليفزيونات والإنترنت ، لأنها ها تقلب حرب على الأرض نتيجتها فظيعة زى إالى بيحصل النهارده ؟

- المفروض الحرية مطلقة باستثناء حرية أعداء الحرية . المشكلة أنه يصعب أحياناً ملاحقة هؤلاء . هناك قنوات ومواقع بتنصب على الناس وتاخذ فلوسهم ، والحل الوحيد هو الوعى بمعنى كل فرد مسئول عن نفسه ، تمام زى عمليات المضاربة فى البورصة هنا ، كل مستثمر مسئول عن قراراته ( هناك رأى آخر أنها تؤدى دوراً إيجابياً فى صيرورة الانتخاب الطبيعى ، حيث تزيد من فقر الأغبياء فلا يتزاوجون أو يتكاثرون فيتخلص المجتمع منهم ويزداد قوة ) . بالنسبة للإسلام ، فأقل ما يقال هو إن على المؤمنين به أن يتعودوا التعايش مع الهجوم ٢٤ ساعة يومياً عليه ، ويستمررون فى إيمانهم لو شاءوا . المسيحية تعودت هذا منذ قرون ، ولا يزال لها بعض أتباع . حكومتنا نفسها -وهى كيان أرضى واقعى وليست مجرد فكرة غيبية- كان يمس طرف شعرة لها يذهب وراء الشمس ، والآن أصبحت تهاجم ٢٤ ساعة يومياً ، تعودت هذا ولم تنداعى إنما لا زالت مستمرة فى شغلها . رجال البيزنس أنفسهم تمارس الصحافة حقدماً عليهم ٢٤ ساعة يومياً ، ومع هذا لا يزالون يبنون وينتجون ، والأنبياء ليسوا بأفضل ولا أشرف ولا على رأسهم ريشة مقارنة برجال أو نساء البيزنس .

- لكن الحرية يجب أن تكون مسئولة ؛ حريرتك تنتهى حيث تبدأ حرية الآخرين !

- إذن الخطوة الأولى هى تجريم كل الأديان المسماة بالسموية ! كلها -وبالذات الإسلام- بما شرائع وعقوبات صارمة ، ونحول السلطة الدينية حق التدخل فى حيوات الأفراد وحريراتهم .



من حق كل أحد أن يهاجم الإسلام ، وليس من حق أحد أن ينكر الهولوكوست ،  
لأن الهولوكوست تاريخ ، والتاريخ علم ، والعلم مقدس ، أما الدين فهراء !  
اليهودية -تماما كما الإسلام- لا حصانة لها ، لا في أوروبا ولا في غير أوروبا ؛  
بإمكانى أن أسب إبراهيم وموسى وداود كما أشاء ، ولن يقول أحد لى شيئا !

- لكنهم يقولون إنك تستطيع فى أوروبا أن تهاجم الإسلام وتسخر من مُجَّد ولا يمس لك طرف ، لكنك لا تستطيع إنكار محرقة اليهود وإلا دخلت السجن . أليس هذا ازدواجا للمعايير ؟

- إطلاقا ! ذلك شىء طبيعى تماما : من حق كل أحد أن يهاجم الإسلام ، وليس من حق أحد أن ينكر الهولوكوست ، لأن الهولوكوست تاريخ ، والتاريخ علم ، والعلم مقدس ، أما الدين فهراء ! اليهودية -تماما كما الإسلام- لا حصانة لها ، لا فى أوروبا ولا فى غير أوروبا ؛ بإمكانى أن أسب إبراهيم وموسى وداود كما أشاء ، ولن يقول أحد لى شيئا ؛ ! أما بمجرد أن انكر محرقة اليهود أو مذابح الأرمن ، فسأصبح صاحب أجنحة سياسية وبرنامج كراهية ومحرضا دينيا ومهددا للسلم الاجتماعى ، وسيريد المجتمع كله -وليس اليهود أو الأرمن فقط- سجنى من أجلها .



- وهل دستور مصر هو الثانى فيه ماسح وممسوح ؟ !

- بالفعل ليس من حق أى قانون أن يعارض المادة الثانية من الدستور ، لكن من حق بقية المواد أن تفعل .

من الخطأ أن يأخذ الإخوان المادة الثانية و' يطيروا بيها ' ويقولوا مصر دولة إسلامية ، بينما الدستور ملئ بالمواد التى تجهضها ، كحرية الاعتقاد ، أو الأخطر منها حرية التعبير ، والمواطنة ، والالتزام بالمواثيق الدولية ، وهى كلها تتعارض جذريا مع الإسلام .  
فقهاء الإسلام أنفسهم يعرفون هذا ويسمونه تكامل الأدلة !

- حاجة رابعة يا أونكل : إيه حكاية الدستور ؟ المادة ٢ بتقول ممنوع إقامة الأحزاب على غير مرجعية الشريعة الإسلامية ، والمادة إالى بعدها بتقول المواطنة وممنوع إقامة الأحزاب ذات المرجعية الدينية . موش تناقض ده ؟

- ما المشكلة ؟ الدستور كل متكامل ، وكل مواده نافذة . مادة تمنع قيام الأحزاب العلمانية ومادة تمنع قيام الأحزاب الدينية . أين التناقض ؟ ممنوع إقامة الأحزاب على وجه الإطلاق .

- فكرة هاييلة ! أنا شخصيا موافقة يطبقوها .

ويعلق ونس ساخرا : ' الدستور المصرى جايز بيغير رأيه مرة كل ١٠ سنين ، لكن ربنا بتاعنا يقول حاجة بالليل ولما يصحى الصبح يغير رأيه ، وفى أى حاجة موش التحريمات وتدرج التشريع ، من أكبر حاجة زى نسخ اليهودية والمسيحية وإعلانها كفرا ، حتى أصغر حاجة تخص كيد زوجات مُجَّد لبعضهن البعض . تعرفى المثل إالى بيقول كلام الليل زى ... ؟ هو ده الماسح والممسوح فى القرآن ! ' .

- وهل دستور مصر هو الثانى فيه ماسح وممسوح ؟ !

- بالفعل ليس من حق أى قانون أن يعارض المادة الثانية من الدستور ، لكن من حق بقية المواد أن تفعل . من الخطأ أن يأخذ الإخوان المادة الثانية و' يطيروا بيها ' ويقولوا مصر دولة إسلامية ، بينما الدستور ملئ بالمواد التى تجهضها ، كحرية الاعتقاد ، أو الأخطر منها حرية التعبير ، والمواطنة ، والالتزام بالمواثيق الدولية ، وهى كلها تتعارض جذريا مع الإسلام . فقهاء الإسلام أنفسهم يعرفون هذا ويسمونه تكامل الأدلة !

كما لا يملك عموم المصريون إلا إحالة كل ناكبة نائبة إلى مادة للضحك ، لا يملك وحيد إلا أن يكون جادا دائما أبدا ، فطفق يشرح لمنى المزيد عن مواد الدستور بعيدا عن أسلوب ونس الساخر ، ثم فجأة يهم بالانصراف مستندنا إياها ، ودون انتظار نهاية الجلسة على غير العادة ، وحاملا حاسوبه أيضا على غير العادة .

... داعبته منى بمل هو ذاهب لينتحر ؟

... بالمرة ، لم يكن هذا صحيحا .

... لقد اعتزم أن يقضى أمسيته بحثا على الإنترنت ، عن نسخ إلكترونية من كتب الإسلام الكلاسية .



## أرمسيس هذه تقع في مملكة الواقع أم هي التواءة في بعد المكان ؟

يا للهول ! أمى ١٩٧٥ التى يتحدث عنها ونس هى عينها التى عشتها أنا ، أم أن ثمة التواءة زمان أينستائينية فى الأمر ؟ أرمسيس هذه تقع فى مملكة الواقع أم هى التواءة فى بعد المكان ؟ حين جئت من بيروت ، كانت الدنيا غير الدنيا ، الأيام غير الأيام . كانت أيام الحرية ، كان الجنس طاغيا بما فى ذلك فى الأفلام المصرية ، كانت الأزياء لا تغطى سوى عشرة سنتيمترات من السيقان ، كانت مضيفات التليفزيون الشهيرات يتحسسن على الهواء الشعر الكثيف لصدر أحمد رمزى المكشوف ، ويسألونه هل فقدت منه أزرار القميص أم ماذا . بمجرد هزيمة الطاغية فى ١٩٦٧ انطلقت قوى التحرر فى المجتمع بقوة هائلة . زملائى فى الجامعة الأميركية كانوا مهتمين بالرحلات . ذهبت معهم مرة للأقصر وأسوان ، ولا أقول إنى لم استمتع . فى المرة التالية قالوا لنذهب للأهرام فلم أهتم . فى المرة الثالثة قالوا لنشاهد الآثار الإسلامية فاحتججت فى التو واللحظة ' إيه القرف ده ؟ ! ' . حاولوا إفهامى أن الإسلام ما هو إلا فلكلور محلى فى مصر ، وأنه محصور فى مكان اسمه شارع پور سعيد . هناك كل المكتبات التى تطبع الكتب الإسلامية ، وهناك كل الطرق الصوفية ، وهناك كل المساجد الشهيرة . سنبداً من السيدة زينب ، ثم المتحف الإسلامى ، ثم يمينا سنجد الآثار القديمة كلها ، وسنجد قاهرة نجيب محفوظ ، ثم صعودا أو إكمالا للدائرة سنعود إلى القلعة .

حاولوا إثنائى بأنها ليست الأماكن الجهيمة التى قد أتخيل . لقد حولها محمد عبد المطلب لرحلة حب جميلة حين غنى قائلا إنه يذهب من السيدة للحسين جيئة وذهابا مرتين يوميا من أجل حبيبته . قلت ، ربما ليست جهيمة ، لكنها بالنسبة لى هى التخلف عينه . ماذا لو كنت مكان ونس فى أسيوط فى تلك السنوات ؟ هل كنت سأعامل بمثل هذا التعالى والاستخفاف ؟ ماذا أسمى هذا بالضبط ؟ حماقة ؟ غيبوبة ؟ التواءة زمانية ؟ يا لى من قزم ؟ أمن حقى بعد اليوم أن أزعم أنى مثقف أو عالم أو حتى أفهم أى شىء ؟ كنت أرفض أن أعطى يوما من عمرى للتنزّه فيما أرى لا طائل منه ، بينما هو كان شاهد عصره يوما بيوم على ميلاد شىء فى عضون عقدين من الزمان فقط أو أكثر قليلا ، جلجل العالم كله وأسهم فى سقوط الاتحاد السوفيتى وقوض أشهر برجين فى الكوكب وأشعل حروبا لا نهاية لها بامتداد الخريطة ؟ هل الأمر حقا على هذه الصورة التى رسمها ونس ؟ ! هل كل العالم انقلب رأسا على عقب لمجرد أن شابين ليبراليين من أسيوط قررا ذات يوم قراءة القرآن الكريه ؟ ! يا هول الدراما ! الإلياذة والأوديسا لعب عيال لا أكثر إذن !

البحث الذى أرادته وحيد جاء أكرم وأسهل بكثير مما توقع . برنامج واحد لا يأتيك فقط بكل عيون التراث الإسلامى ، بل أيضا بلسان العرب وكل القواميس الضخمة التى استصعب هو نفسه ككاتب استخدامها يوما ، وكل شىء بالمجان . بحث عن كلمة حر وحرية وغيرها ، حتى أعياء البحث ، وقال لن أصل لحقيقة جازمة . فقط لا بد أن ونس يستند لدراسة عميقة ، بل ربما قرأ القرآن كله يوما خصيصا من أجل هذه الكلمات . أوه ! ربما لا أحد فى حاجة لذلك أصلا . اسمه ' الإسلام ' ، فكيف يسمح بالحرية ، بل كيف يتلفظ أصلا بمجرد الكلمة الرجيمة ؟ بل ، أوه ! يا لغبايى ! كان المفروض أن أعرف هذا من صميم تخصصى ، الاقتصاد . السعودية تنشىء المدن الحرة ، لكن لا تسميها المدن الحرة ، إنما تسميها المدن الاقتصادية . إنهم لا يفعلون هذا بالصدفة . صحيح أن أحدا لا ينطق بشىء علنا ، لكن الأمر واضح بما يكفى : إنهم واعون جدا لكونها كلمة بذيئة ملعونة أئيمة نجسة ، ويتوجب شطبها من القواميس من الأصل . ' اذهبوا فأنتم الطلقاء ' هى آخر ما يمكن أن يسمح به الخط الأحمر لاستخدام اللغة ! أوه ! بل يا لى من جاهل ساذج ! الطلقاء هذه ليست كلمة حسنة بالمرّة ، إنها لفظة تحقير وإذلال هائلة ؛ تذكير لهم بكونهم أسرى ، والوقوع فى الأسر هو المهانة الأعظم بالنسبة لأى عربى ، الوحيدة الأشد وطأة من الموت كهلا فى الفراش !

أوه ! بل يا للهول ! القرآن يتحدث عن العقل ، لكن انظر ما تعنيه الكلمة فى العربية : إنها من عقال بمعنى التكبيل والتغليل ، بينما فى اليونانية واللاتينية والإنجليزية وربما كل لغات الدنيا جاءت من ذاكرة بمعنى الاستذكار والتفكير . أوه ! بل هناك فضيحة أخرى : ' الحكمة ' ، ما أصلها العربى ؟ إنه الحكمة [ بفتح الحاء والكاف ] ، وهى قطعة اللجام الحديدية التى توضع فى فم الحصان ؟ يا للهول ! ثم بعد هذه وتلك تسألنى لماذا عقول أطفالنا غير مبدعة ولماذا نحن متخلفون ؟ ! إن أقصى ما يراه العاقل أو المتزن نسبيا منهم فى العقل أو فى الحكمة هو مجرد كبح وتكبيل تلك الغرائز البدوية المجنونة الجامحة حوله ، بينما العقل والحكمة يعينان الحرية والانطلاق عند شعوب لا تعانى من مثل غرائزهم البدائية الهمجية تلك . لا يكمن أن يكون قصدهم مجرد كبح المشاعر لصالح إطلاق الفكر ، وقطعا لا يمكن أن يكون قصدهم إطلاق العنان للخيال ؛ فقط ما تعنيه العقل والحكمة عمليا هو مجرد الاتباع الأعمى للسلف الصالح لا أكثر !

بعد ذلك بدأ يبحث عن تفسير ' عن يد وهم صاغرون ' . فهم أن عن يد تعنى عن فضل وإحسان . واكتشف عبر أدبيات الفقه الكبرى ، وصفا مرعبا للطقوس النمطية الواجبة لدفع أهل الذمة للجزية ، التي يجب عليهم الالتزام بها وعلى السيد المسلم الحرص عليها . على الذميين أن يحنوا رأسهم أولا ثم يدسون أيديهم في جيوبهم ويخرجون الجزية ويدفعونها شاكرين ' عن يد وهم صاغرون ' ، فقط ليتلقى الواحد منهم بعدها صفة على القفا الممدد أفقيا ، كنوع من المن والإحسان من السيد المسلم ، عليه عندها أن يقبل اليد التي صفعته ، شكرا لها على تكرمها وتفضلها بذلك . أى إخلال بهذه الطقوس ، أى تذر من الدمى ، أو أى تهاون من المسلم ، هو إنكار لما هو معلوم من الدين ، كفر بأمر إلهي صريح يقول بما لا لبس فيه : ' عن يد وهم صاغرون ' . يا له من مشهد مشوق حقا يستحق فيلما سينمائيا : علماء معهد وايزمان ، قمة علماء الحجرة ، يركعون أمام القعيد المقتز أحمد ياسين كى يصفعهم على قفاهم !

وأخيرا توقف وحيد في تفسير القرطبي عند هذه القصة تفسيرا للآية ، قرأها عدة مرات وعقله الباطن يحدثه أن بما شيئا غامضا ما ، لم يستطع فهم كنهه بالضبط : ' جاء رجل إلى ابن عباس فقال : إن أرض الخراج يعجز عنها أهلها فأعمرها وأزرعها وأودى خراجها ؟ فقال : لا . وجاءه آخر فقال له ذلك فقال : لا ، وتلا قوله تعالى : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر إلى قوله وهم صاغرون ، ثم قال أيعمد أحدكم إلى الصغار في عنق أحدهم فينتزعه فيجعله في عنقه ؟ ' .



### سفاح المدينة يضرب من جديد !

كلا ، الإسلام ليس رحلة مع محمد عبد المطلب ؛ الإسلام ليس لعبة ، الإسلام هو ' وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ' . الكلام واضح : ' إلا ليعبدون ! ' الإسلام عبودية مطلقة ، ومثلا الأصل في الصلاة ركوع وسجود ٢٤ ساعة يوميا ، وتم تخفيضها بناء على مفاوضات شاقة بين محمد والله ، وبإيعاز له من نبي اليهود المنحل موسى ( ولا يهم إن قيل إننا سرقنا قصة الفصال من ٥٠ إلى ٤٥ إلى ٤٠ وهكذا من فصال إبراهيم وربنا على عدد أبرار سدوم وعمورة ) . إن مرضاة الله هى أن تنفذ أمره حرفيا ، وفورا . لا تقعد ولا تستريح أو تتسلى بقراءة اتفاقيات جينيف أو باعتذار فرنسا لمن قتلتهم في الجزائر ، بل تنهض لسكينك ، وتجز في مساء واحد رقاب سبعمائة أو ثمانمائة يهودى من الوريد إلى الوريد ، كلهم ذكور بالغين ممن نبت شعر عانتهم . ثم تأخذ منهم أموالهم التي يسمونها بنوك ماخاتان ، وتسبى بقية أسرهم ، فتتزوج أجمل نساء هؤلاء الخونة ، إذ على الأقل ستضمن أنهن لن يفكرن في خيانتك أبدا . أما لو كانت موهبتك العضلية أفضل ، فيمكنك بسيفك المسلول أن تقطع مائة ضعف هذا العدد في نفس الفترة الزمنية ، وتحيل لون نحر الهدسون للأحمر . تجز رقاب ٧٠ ألفا في اليوم ؟ أليس الرقم كبيرا بعض الشيء ؟ لو الرقبة تحتاج منك لعشر ثوان ، هذا يعنى مائتى ساعة ، واليوم بكامله به ٢٤ فقط ! نعم ، شلالات الدم شىء يستحق المباهاة طبعا ، لكن ليس لهذه الدرجة . عفوا دكتور جوبلز ، دعنى أخالفك قليلا . أنا لا أحب البروياجاندا والدعاية للذات ، حين يببالغ فيها أكثر مما يجب . ييسموها بالمصرى فشر أو معر . ما علينا ، ثمانمائة رقم معقول جدا !

بالضبط ! الإسلام ليس ' وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ' . هناك فرق بين الوسيلة والغاية . هذا الإله هائل السلطة ليس إلا الوسيلة ، وسيلة كى ' تظبط عيلتك ' : تخلى أولادك يسمعوا كلامك ولا يسألون عن أشياء لو بدت لهم تسيؤهم ، وتخلى بنتك تجرى لما تسمع صوتك وتلبس النقاب وتستخفى تحت السرير ، كى ' تظبط الفصل ' : تقطع ألسنة التلاميذ المشاغبيين من أمثالى ، كى ' تظبط البلد ' : تخلصه من كل مثيرى الفتن من أصحاب البدع والمستحدثات نعم ، هذا الإله لا يعدو إلا الوسيلة أما الغايات فهى شىء آخر ؛ قطعاً ، الإسلام هو شىء آخر ؛ الإسلام هو ' عن يد وهم صاغرون ! ' !

إذن هؤلاء محقون بالفعل في استمساكهم بالجهاد ( = الحراية الشرعية ) . الصفقة تجرى كما يلى : هل تريد أن تحكم العالم ؟ المطلوب شىء واحد فقط لا غير يا سيد الأرض : العودة لفريضة الأجداد الغائبة ! إن سقف الوعود عال جدا حقا . لو ' استشهدوا ' سينالون الحور العين ممن تتجدد عذريتهن كلما فضوها لهن ، ولا شك أنهن -بخلاف نساء الأرض- لن يتذمرن أبدا من آلام فض البكارة . أذكر أن هذا شىء كانت أمى تجاهر بالاشتمزاز منه علنا أمام كل الناس . يا لك من حسنة الطوية يا أمى . تتحدثين عن حقوق المرأة ، حقوق أن لا تخرج من الدار إلا للقبر ، وربما لم تكونى تعلمين أن ليس لها حتى على زوجها حق تكفينها ودفنها ، أن تذهب للقبر عارية ، ذلك أن في الإسلام لا مليم للمرأة إلا مقابل متعة . ثم قطعاً لم يذهب خيالك الطاهر لقراءة إعلان حقوق الطفل في الإسلام : ولدان مخلدون ذوى شرح مأمون أبدا لا ينزفون ، بلايين البيتر

بان للخدمة الجنسية حين يأتي المزاج ، ولخدمة الأشغال اليدوية حين يذهب المزاج ( في رواية ضعيفة يفسر سبب عدم النزف بأن للولدان أعضاء  
أثوية أيضا ، وهو مردود عليه بأن الحور ينفون ) . كل ما خطر بخيال المسلم مرة ، ولم ينله ، مهما كان انحراف هذه الشهوة ، سيحده في الجنة .  
هذه كلها من أجل ماذا ؟ من أجل أن يستشهد الأتباع في سبيل بناء الدولة . أوه ! بل هناك كلام عن أن لشهادة البحر حوافر خاصة ، أليس  
هذا غريبا بعض الشيء ؟ ربما كان الماء الفرع الأعظم لأولئك القوم الصحراويين ! كلا ! إنه ببساطة المزيد من الحفز على التوسع الجهاد ( = الحراية  
الشرعية ) بحيث يشمل كل الدنيا : الغزو عن طريق البحر . إنه الاستشهاد غرقا لن يذهب بك للجنة فقط ، بل سيخلصك رسميا من كل ديونك  
الأرضية ، ويجعل دائيك يخطون رءوسهم في الحيطه ، وهيهات لهم أن يمسسوا درهما مما أورثته لأبنائك من ثروة ! أما إن لم تستشهد فسوف تنال  
ترضية لا بأس بها أيضا : إن لم يكن حمام دم مصحوبا بجزائن بنك إنجلترا ، فبالأقل جزية دسمة مصحوبة بصفعة على القفا لألبيرت أينستين وبيبل  
جيتس وديفيد بيكام ورئيس أميركا وملكة بريطانيا وپاپا روما . أيضا هناك مادونا وشارون ستون استرقاقا واستحلالا وملكاً لليمين . مادونا  
وشارون ستون ؟ أحقا ؟ ! ربما الحرى بي أن أفكر نفسى في الانضمام لقوافل الجهاد ( = الحراية الشرعية ) !

ربما كان أوزوولد شپينجلر على حق يوم قال إن النصر مكتوب دوما لمن هو الأكثر بداءة وتخلفا . واضح أن أمنا الطبيعة تصادق على  
كلامه ، أكثر مما تصادق على كلام داروين . تلوح ابتسامه على وجه وحيد . أوه تذكرت الآن ! كان لى صديق في الجامعة يقول إنه يفهم فلسفة  
شپينجلر أكثر مما يفهمها شپينجلر نفسه ؛ ربما على البحث عنه والاتصال به . بالفعل ليس لدى المتخلفين شيئا يحسرونه ، هكذا قال ، وهذا ما  
يفعله ماسحو الأحذية وحمالو محطات القطار في لبنان ، حين أنشعوا لطافتهم الشيعة حزبا اسمه حزب الله ، وراحوا يدعون إسرائيل لتدمير لبنان  
مرة كل عدة سنوات ، لا لشيء إلا ليفقد من هو صاحب ثروة في لبنان ثروته ، وهكذا تتساوى الرءوس . هل تنتهى الأمثلة من هذا النوع ؟ من  
قال إن فهم أمنا الطبيعة حكر على أرسطو أو داروين أو سبنسر ؟ ألا يحتمل أنها قصدت بالتحويؤ للأليق هؤلاء المجاهدين الأبرار ؟ سنفتح فيينا ،  
وستدق لنا أجراسها . الله قال لماذا تبحنون للسلم وأتمم الأعلون ، وبمجرد العودة للفريضة الغائبة ، سترجع لنا كل البشرية . وعد صادق صدقه  
الأجداد ، ويجب أن تصدقه كل الأجيال . لكن لماذا يتحدثون دائما عن فيينا بالذات ، ويصممون على فتحها ؟ أوه ! إنها المدينة التي استعصت  
في ١٦٨٣ على الإمبراطورية التي يسخر منها هذا الوقح المدعو ونس ويسمىها خلافة الجبنة القديمة ، إنها إحدى مرتين فقط استعصى علينا فيهما  
شيء أو استجرأ أحد كهذا الليوبولد الأول -وفقط بفضل نظيره البولندى الذى دس أنفه فيما لا يعنيه- على إيقافنا ( والوقفه الأخرى هى كما  
تعلمون لذلك النمساوى الآخر حاكم الإمبراطورية الفرنسية المدعو شارل مارتيل ، في توروز نواحي پواتييز قرب الحدود الإسبانية قبل ٩٥١ سنة  
منها بالضبط ) . نحن لسنا جبنة قديمة ، نحن من ستدق لهم أجراس كل كنائس العالم دقاقتها الأخيرة قبل أن نسكنها للأبد ( أو على الأقل قبل أن  
يوقفنا نمساوى ثالث بعد ٩٥١ سنة أخرى . عفوا شوارزينجر ، غالبا لن تكون أنت ؟ ! ) .

... لا ، بل دعك من فيينا وبنك إنجلترا وصفعات القفا . أنا لى مستواى الخاص ، طموحى الأكبر بمراحل ، وبل وفي نفس الوقت سأجعله  
تطبيقا دقيقا وحرفيا لمبدأ الأسوة الحسنة . أنا لدى خبرة ممتازة بثروات كل أحد . أنا أعرف كل القطط السمينة ، بل وبعضهم معرفة شخصية .  
سأكون قائمتى الشخصية للثمانمائة يهودى الموعودين بسكيني الثالثة . لا ، بل سأحصل على سيف قبيح ضخم كالمرسوم تحت الشهادتين على  
علم السعودية ( ذلك البلد الشجاع الذى بنى مسجدا في كل شارع بالغرب ويرفض بناء كنيسة واحدة فيه ويقطع رأس كل متعلمن ) ، لا أعتقد  
أن سيضن على به المجاهد الأكبر ، خادم القرفين الشهيرين ، بالذات لو وصفته له بالسيف متوسط الجمال . أى والله لقد أضاءت لى هذه  
اللحظة قصور نيو يورك ومدائن كاليفورنيا حتى لأبصرها كأنياب الكلب من مكابى هذا ، أو بالإنجلش كأنها skyline ! ستبدأ القائمة بميردوك  
صديقى الذى شبهونى به يوما ، وتنتهى لا أعرف بمن بالضبط من هؤلاء أبناء القردة والخنازير ، هؤلاء الذين يقولون عن حمارى الحبيب يعفور إنه  
كربه الرائحة ، وأنا واثق أنهم يقصدونى أنا ، ولا يعلمون أن يعفور هذا -أول من آمن بي من الفقاريات ونُحق بالشهادتين- قد اكتسب اسمه من  
كثرة تعفير نفسه بالتراب ، أى من كثرة التيمم الذى أوصت به السماء . حين يروننى سيسألون : ' بم جئتنا ؟ ' ، فاستل سيفى بسرعة البرق  
وأصبح بقوة الرعد ( بتوع بيروت وميرامار ! ) : ' لقد جئتكم بالذبح ! ' ، ثم أعمل به في رقابهم ، ولو أفلت أحد سأرسل خلفه تجريدة اغتيالات  
على طريقة خواتيم أفلام ' الأب الروحى ' ، تريض له صباحا وتتسلل لمخادعه بالسيف ليللا ، أو تتمشى به ساعة كاملة ثم تزعم شم طيب رأسه  
وتقتله من الخلف ، ولو اقتضى الأمر سأذهب معهم لأشير لهم من بعيد على ذلك الهارب الملعون . أوامرى ستكون واضحة : ' اسفكوا دماءهم  
جميعا حتى لو وجدتموهم متعلقين بأستار تمثال الحرية ' . أيضا حسبت حساب أن يستهبل ميردوك -الذى أعلم أنه الخبث نفسه- ويرفض الإرشاد  
على أرقام حساباته السرية في بانك أوف نضير . سوف أقدم زندا في صدره ثم أشويه بالنار ثم أسمل عينيه ، وحين يعترف سأجز عنقه ( كلها

طبقا لما تنص عليه اتفاقية جنيف لقواعد التعذيب ، باب استنطاق الاعتراف بالثروة ) . الحصيصة بعد هذه وتلك لا شك لدى فيها : قبل أن يحل المساء أكون قد حصلت على غنائم لن تقل عن عدة تريليونات من الدولارات ، أشرع بعدها في انتقاء عشر أو عشرين امرأة ( حيث إنى لا أنوى بيع الكل ) ، وأبدا في اغتصابهن واحدة واحدة ، ولأجعلن أولاهن أرملة ميردوك الشابة الجميلة ، فعدة أمثال هؤلاء كما تعلمون هى صفر من الأيام ، ثم أن وجوه وأجساد النساء الثكالى عادة ما تكون أكثر إثارة -حتى من مادونا وشارون ستون- بسبب كثرة اللطم والانتحاب على أزواجهن وعائلاتهم المسفوحين !

... أنا لست مجرد كتلة من العاهات الجسدية والنفسية ، ولست بحاجة لكيس دهنى فى قفاى يثبت نبوتى الخارقة . سأفوق الجميع ، سأصبح شهيرا جدا ! أكاد أتخيل عناوين الصحف تقول : ' سفاح المدينة يضرب من جديد ! ' ، ' عودة سفاح يثرب ! ' . لا بل سأكون سفاح جميع المدن ، سفاح نيو يورك ، سفاح كل العالم !

... أما بالنسبة للنساء ، فلن أدقق كثيرا . على الأقل أنا لست بعد خيرا جدا بفقته الغنائم والأسلاب والأنصاب والاعتصاب وما ملكت الأيمان وأسواق النخاسة ، ثم أنى لست معنيا جدا بالزواج من امرأة أكبر منى بربع قرن ثم أثنى عليها فوراً بطفلة أخطبها وهى فى KG 2 وأدخل بها حين تصل الصف الثانى الابتدائى ، فأدخل موسوعة جينيس لأن جمعت بين زوجتين الفارق بينهما سبعين سنة ، وأدخل تاريخ الأدب لأن نغصت على شيكسبير فرصة تأليف مسرحية عن تزويج الأخت الصغرى قبل الكبرى . صحيح أنى وصلت الآن لسن البلوغ عند الذكور الذى هو الخمسون ونيف ، وانفجرت لدى فجأة الشهوة نحو النساء ، إلا أنى لست عقيما ولا عنيما ، حتى أضطر للتباهى بتسع وتسعين زوجة ومئات الإماء والأمتاع ( بعضهن بقوادة من الله شخصيا دائم الفضل ، والذى -عند اللزوم- يرسل هبات ربحه كى يعرى السيقان المثيرة ونفحات وحيه كى يؤلف الأجساد الملتاعة ويطل الزيجات الخاطفة ويصح الصحيحة على طريقة فيلم صلاح أبو سيف ، أو أن أطلق فى المقابل من أضحت بدينة أو دميمة وأجعلها تركع مهينة تحت قدمى يوميا فى ذهابى ومجيئى للمسجد تستجدبنى الإبقاء عليها كخادمة ) ، تلك كلها بينما لا ولد أو بنت إلا بفضل استبضاع الزوجات لأنفسهن ( زاد الله فضلهن ) ، أو بينما حياتى كلها منذ ذلك البلوغ سىء التوقيت ما هى إلا دنو ولمس من غير مسيس ؛ ما هى إلا توق مجنون لانتصاب سرايى لا يأتى أبدا ، مهما سعيت خلفه مع خالة أو طفلة أو زوجة ابن أو أرملة سيد القوم ( طبعا هذه الحالة الأخيرة لا تنتظر ، ولا محل فيها لشهور العدة وما إلى هذه من شكليات ) ، أو يأتى ويذهب سريعا بلا قذف واحد يستوجب الغسل يمكن أن يطفئ حريق شهوتى ، لا يفلح فى هذا كله الطواف المحموم على دستة كاملة منهن كل ليلة ، ولا يفلح فيه بعدهن الطواف بالمقابر بحثا فى ظلمتها عن جثة طازجة بعد لامرأة أو حتى لرجل أو ما تيسر من العنز أو البطبخ ، أو مهما تحاشيت من إتيان الدبر فكرة عمر اللعينة التى تعمد هذا السادى السافل إذلال قضيبى المرتخى بها ، أو لا يفلح فيه نزول معوذتين على من السماء كل دقيقة ، أو حين تتجاوز الأمور حد العنة ويستفحل بدماغى مرض بلاد الكفار المدعو الزهرى ، لن يتضح فى الصباح التالى إلا أنى لم آت النساء سوى فى خيالى فقط ، ولن يحدث إلا أن ستفرك رمانة المنى عن ثوبى . إن القذف عندى طبيعى وسليم ولا يعانى إربى من إمساك مؤقت أو مؤبد ، كما لا أعتقد أن ميردوك بسداجة بعر الجزيرة بحيث يهتز كثيرا إن خلقت عنى نفسى أسطورة لا داعى لها حول فحولة فذة موهومة ( وإن كنت أعلم أن الكذبة كلما كبرت كلما سهل تصديقها ) ؛ ثم الأسوأ من كل شىء أنه لو لدى كل هذا العدد من الجميلات لأنجبت ألف طفل وطفلة ، وهذا مما لست واثقا من رغبتى فيه بعد !

... بالنسبة للنساء ، أنا لست طماعا جدا ! تكفينى الآن رمانة تغدق على بعطائها ، وأقله أن لا أجد تحت سريرى مبولة أو كلبا ميتة أو براز شاة كان فى الأصل بعضا من أوراق اللوح المحفوظ ، أو غيرها من مصادر الروائح المثيرة للاهتمام . أيضا ما حاجتى لمئات الزوجات وملكات اليمين وليس لدى أصلا قمل فى رأسى ، ولست ممن يخرج من دبره الدود أو من ذكره نحو القملة ، أو ما حاجتى لفدية من صيام أو صدقة أو نسك كى أبرأ منها ؟ !

... بالنسبة للنساء ، أنا لست طماعا جدا ! لست بالمحروم الذى ' يصبص ' لكل نساء العالمين أو أجن لرؤية سيدة فى حضن رجل ، ولست بالنوفو ريش الذى كان مسكينا وبيتما فطعم فأوى فاغتر فراح يجمع النساء حوله للمباهاة ، وطبعا لست فى حاجة لمن ينهرنى ' ولا تمدن عينك إلى ما متعنا به أزواجنا ... ' .

... بالنسبة للنساء ، أنا لست طماعا جدا ! حتى وإن كنت أحترم الصابغة وسائر العبادات الوثنية عامة ، فلست مثلهم من عبدة الفروج بحيث يذهب عقلى لرؤيتها فأتحيل نفسى نيبا أو أركع للصلاة لها ( حتى لو كانت هذه هى لحظة صدقه الوحيدة ) . أصلا ، أنا لست من بلاد اشتهرت بأن لديها مشكلة تاريخية مع الملابس الداخلية !

... على كل حال : بالنسبة للنساء ، أنا لست طماعا جدا ! غالبا سأترك مادونا وشارون ستون للإخوة . أنا شخصا أفضل جولدى هون !



أنت فاكِر يا معفن أنت ، أنك ها تدخل الجنة ،

وإديسون إالى اخترع النور إالى فى السقف ده ، ها يدخل النار ؟ !

ذهب ليستريح فى الفراش . كان حزينا لأنه لم يكن يتخيل يوما أنه سيقضى دقيقة واحدة من عمره فى مثل هذه البحوث ، وآسفا على أن المتدينين ينتصرون حتى لو انهزموا . إنهم يفرضون أجدنهم علينا ويستنزفون طاقة تفكيرنا ، وهذا كاف . ألم يكن من الأجدر بى أن كنت قد قضيت هذا الوقت فى قراءة بحث عن مستجدات الهندسة النانوية أو مقال عن خصائص رقاقة إنتل الجديدة ؟ حتى لو قالوا نفس محتوى كلامنا بالضبط من حادثة وتحرر وتسامح فهم منتصرون ، لأنهم يحفظون رأس الأفعى المقدسة أمنا سالما فى بيات شتوى ، إلى ميقات يستقوون فيه ويقولون هذا الدين الذى طالما أجمعنا -نحن وأنتم- على تقديسه ، نصوصه الرسمية كذا وكذا ، ولم ترد قط لا على الحادثة ولا التححرر ولا التسامح .

على ذكر الهندسة تذكر الأستاذ الدكتور حسن فهمى ، أحد رواد تدريس الهندسة فى مصر . أمى كانت تقدره جدا ، وكانت تعتر بإعجابها بما كفنانهة أما اعتزاز . ولاحقا حين اعتزلت لم تنقطع عن الاتصال به وبابنته فريدة لتشييد بها وبفنها كراقصة . هناك نادرة شهيرة تروى عن دكتور فهمى . لا شك أن ونس يعرفها فهو مهندس ميكاني مثله . ذات مرة سأله طالب عن أصحاب المخترعات الذين يروى قصصهم ويشيد بهم : ' لكنهم كفرة يا دكتور ! ' . كفرة ؟ نفس الكلمة التى استخدمها ونس اليوم باستسهال شديد . بماذا رد عليه ؟ جعله ينهض ويأتى ليقف أمامه ، وقال له ببرود كاد من بطئه أن يوقف قلوب بقية الطلبة : ' أنت فاكِر يا معفن أنت ، أنك ها تدخل الجنة ، وإديسون إالى اخترع النور إالى فى السقف ده ، ها يدخل النار ؟ ! ' ، ثم طرده من المحاضرة . ويقال إن لاحقا اضطر ذلك الطالب لترك كل كلية هندسة القاهرة . هذه قصة لم أقرأها فى كتاب ، فهى لا توجد فى أى كتاب ، كذلك لم يروها لى دكتور حسن ، ولا حتى أمى . لقد كان يتناقلها زملائى فى المدرسة الابتدائية فى بيروت . نعم ببساطة ، لقد وصلت هناك ، وسرت بيننا كما النار فى الهشيم .

ثم تذكر كل تلك المظاهرات وأحداث الشغب وحوادث القتل التى تجتاح بلاد الإسلام كلما حدث ما يسمونه إساءة أحدهم للنبي . متى يفهم هؤلاء المسلمون أن ما يقدسونه أعتى التقديس ويصابون بالجنون والسعار من أجله فى كل مرة يمسه فيها ، هو أشياء لا تثير أية قداسة بالمره لدى غيرهم . متى تفهون أنه بالنسبة لبلايين البشر ، وكلهم بأيدي وأقدام وأدمغة وثروات مثلكم أو طبعاً أفضل منكم ، لا يمثل نبي الرحمة وسيد الخلق ( الذى وضعتم عليه لافتة ممنوع للمس ) ، سوى مغتال سفاح هجام بلطجى دجال زئر نساء ومولع بجنس الأطفال . أنا لا أؤيد هذا الكلام ولا أنفيه . فى الواقع أئى أسمع عن مثل هذه الأشياء لأول مرة اليوم ، لكن المؤكد أن هذا هو ما تراه البلايين فى قديسكم وفى سيرته العظيمة-العطرة . متى تفهمون أن البلايين لا ترى فى خير البرية إلا أسوأ البشر أخلاقاً قاطبة عبر كل التاريخ ، لا يضاهيه أحد ، لا دو ساد ولا راسپوتين ، لا نيرون ولا هتلر ، لا چاك السفاح ولا رمضان التورينى ، لا أحد ولا واحدة ، ولا حتى عمرو بن العاص والعاصية أو خالد بن اللقيط واللقيطه سيف اللات المذلول . لقد قتل مُجَّد بيده وحده شخصيا من يهود شبه جزيرة العرب -أصحابها الحقيقيين- أكثر ممن قتلهم هولوكوست النازية ، إن وضعنا التكاثر الطبيعى فى الاعتبار . ربما كان نيرون يغنى وروما تحترق ، لكن مُجَّدا هو الوحيد إطلاقاً فى التاريخ الذى يقهقه وهو يقتل ، بل ويتباهى علنا بأنه ' الضحك القتال ' . أى دين هذا الذى يأمرك -لاحظ ' يأمرك ' ومعناها أن إن لم تفعل عصيت إن لم تكن كفرت- يأمرك إذا مر أحد أمامك وأنت تصلى ، لا تنبهه أو توعيه بأداب الدين أو حتى تتحامل على نفسك وتعيد صلاتك ، إنما قم من فورك واقتله ، بعدها عد لتكمل صلاتك من حيث توقفت ؟ أى دين هذا ، بل أية صلاة بالضبط تلك ؟ عبدة الشيطان أنفسهم لا يفعلون ذلك ! القلة المؤمنة من هؤلاء الغربيين تقول هل خلت كل الدنيا من البشر حتى يختار الإله شخصا كهذا رسولا ، أما الغالبية العلمانية الساحقة ، فترى فقط أن تلك صفات تذهب بالإنسان العادى من أمثالنا للسجن إن لم يكن للمشنقة ، لا أن تصنع منه نيبا مقدسا . لماذا لا تقبلون الأمر على علته ، تسمحون لهم بالاختلاف ، وتمضون أنتم فيما تحبون بلا مظاهرات أو حرائق أو قتل راهبات المستوصفات ؟



## يا نهار أسود ! ده بيقول له ما تشتغلش !

ثم فجأة يهب وحيد من على الوسادة صارخا بصوت عال ، وقد تذكر قصة ابن العباس : يا نهار أسود ! ده بيقول له ما تشتغلش !



## هل تتصور حجم الاستنتاجات والتداعيات التي يمكن أن تبني بعد ذلك على حقيقة أن نبي العرب نفسه ليس عربيا ؟ !

ظلت المعارك تتفاعل في الصعيد لأكثر من أسبوع . كان الوضع سيئا جدا ، وخرجت كل الأقسام والشاشات تلقي اللوم على كل أحد . البعض لا يرى غضاظة في حرية الاعتقاد طالما لا إجبار فيها وطالما من تحولوا للمسيحية هؤلاء أناس مسالمون ، والبعض يقول إن حرية التعبير يمكن أحيانا أن تهدد السلم الاجتماعي ولا بد من وضع ضوابط لها . وفي نهاية المطاف يمكن القول إن قوات الأمن احتوت الموقف لمدى معقول ، أساسا بفضل تعزيزات كبيرة أرسلت إلى هناك ، وقد تم بالفعل قتل واعتقال المئات من أعضاء التنظيمات المتطرفة . في البورصة ظل الوضع ينتقل ببطء من سيء إلى أسوأ ، لكن بمجرد ما هدأت الأمور حتى انتعشت الأسعار قليلا ، وإن لم تعد لمستوياتها الأصلية . مع ذلك بدأ الجميع ينسون -أو يحاولون نسيان- ما حدث . وعاد العملاء في رمسيس -وفي مقدمتهم منى تعيسة الحظ- يمنون أنفسهم من جديد بصيف تشتعل فيه الأسعار . وحيد هو الوحيد الذي لم ينس ، وعاد يجر أطراف الحديث مع ونس .

بدأ وحيد الحوار بداية ودية لا تخلو من مجاملة وعرفان : ' لقد كنت أستشعر أنك على حق . بالفعل لقد اكتشفت أن مُجدا إمعة أهبل لا يختلف كثيرا في سذاجته همجيته وفساده عن حجاب المزواج الغبي الذي جاءنا يوما ولفظته رمسيس على الفور ! أيضا قرأت صديقك خليل عبد الكريم ؛ ممتع بل أكثر من رائع ، وأشارك حزنك على موته ، فإذا كانت خديجة عنده هي ' هندوز ' الإسلام المكي التنسكي التصوفي ، فماذا كان سيكتب عن عمر المهندس الحقيقي للإسلام اللاحق الدموى المجرم ، وهلم جرا ؟ أيضا استرجعت أهم البرامج التي قدمها الأب زكريا بطرس . فقط اكتشفت شيئا أو شيئين قد فاتاهما : هناك أناس أكثر محتلمون لأن يكونوا الأب الحقيقي لمحمد ، لكنني أميل لترجيح الأب بطرس أنه بحيرة الأسقف النسطوري المختص بجزيرة العرب ، والساكن في محراب ببصرى على حدود الشام معها ، وأراه استنتاجا مبدعا . مع ذلك لقد استند كاهننا التليفزيوني فقط على قول آمنة إن الضوء خرج من فرجها فأضاء قصور بصرى ، وما ببصرى من قصور ، وتفسيره هذا المعرفة الوثيقة بينه وبين نصارى ( أو نساطرة ) مكة والذين تدور داخلهم كل أسماء القصة من عبد المطلب حتى ورقة حتى خديجة حتى آمنة ... إلخ ، واستند على تركيته زوجا لأغنى كينونة مالية في قريش ؛ خديجة صاحبة نصف القوافل . أنا أود الاستناد لبعض قرائن أخرى قد بدت لي جديدة : لا شك أن بحيرة -كما أغلب عليه القوم دنيا أو دينا في ذلك الوقت- كان يتمنى أن يأتي من نسله النبي التالي ، لا شك أنه كان يتردد كثيرا على مكة بحكم وظيفته ، ولا شك أنه ضاجع نساء كثيرات لهذا الغرض في مكة وغير مكة ( بالأحرى حديثات الترميل بالذات ) ، لذا فالمثير للفضول هنا هو لماذا كان أول الجميع إعلانا لوصول النبي الجديد وهو بعد في المهدي صبيا . الإجابة المباشرة المعروفة أنه رأى في ظهره وحمة النبوة . فرح لأن أخيرا ها هو واحد ممن راح يلاحق النساء من أجله -وطبعا يعود لتفقدن بعد تسعة أشهر !- قد جاء بهذه العلامة الإعجازية المفحمة . من فرض فرحته راح يهمل للخبر ( وإن اكتشف خطأه بعد قليل وحاول كتم السر وفرض الحراسة المشددة على الصبي ) . هذا يفسر شيء آخر ، هو تلك المحاولات المتكررة -التي لم يفسرها أحد- لقتل مُجدا رضيعا طفلا فضيبا ، بالذات من قبل اليهود ؛ لقد تسرب لهم إعلان بحيرة ، وطبعا تركية بهذه القوة من أب لابنه تفسر في نفس الوقت لماذا خطبت خديجة نفسها لطفل رضيع ! استنتاجاتي سليمة لغاية كده ؟ ' .

- خد عندك دى كمان باعتبارى مغرم بالأغاني : عارف ' طلع البدر علينا من ثنيات الوداع ' بتاع استقبال يثرب لمحمد القادم من الجنوب مع صحبه المهاجرين ؟ إيه معنى ثنيات الوداع ؟ إنها مكان إلى الشمال جدا : في الشام ! وطبعا أم كلثوم تغنى كالعادة دون أن تفهم شيئا مما تقول . موش هي برضه إلى غنت ألف أغنية عن الحب ، بينما هي نفسها ...

- خطير الدليل ده ! هل الأغنية واردة في مرجع مما يسمونه بكتب الصحاح !

- نفس النظرية : لو صحيحة فتلك مصيبة ، ولو مكذوبة فالمصيبة أعظم . طبعا منحولة ؛ مستحيل أن يكون قد غنوا شيئا كهذا ، ولم يعدهم فورا عمر أو مُجدا . لك لو شئت أن تبحث عن ألفها ومتى ولم ألفها ، لكن هذا لا يهمنى ، المهم أن الناس تغنيها والرسالة الشفوية فيها واضحة وضوح الشمس ( موش البدر ! ) .

- بصراحة ، أنا اهتممت فقط بالمصادر التي يعتبرونها موثوقة . مثلا ، محاولة تحديد تاريخ ميلاد فلان أو مين أبو علان هي أمور عبثية ، لأن الكتب متناقضة وعشوائية وتذهب في كل اتجاه . السبب أن هؤلاء أناس أغبياء جهلة بدائيون ومن 'الظلم' أن نطالبهم بالدقة فيما كتبوا ، أو بالأحرى فيما نقلوا شفاهيا لأنهم لا يعرفون الكتابة أصلا . ما فاجأني فيما يخص نسب مُجَّد أن القطعة الأهم والتي لم يلحظها أحد ، هي حديث مبكر جدا ورد في البخارى ( صفحة ٥٠ وأنا عندى مشكلة مع صفحة ٥٠ في كتب الدين ها أحكيها لك بعدين ) ، يصف مُجَّدًا فيه بالرجل الوحيد أبيض البشرة بين كل الجالسين ، ويزيد حتى أن كل أعضائه بما فيها الخصوصية جدا أماما وخلفا لوئها أبيض . حديث البخارى يكاد يفسر كل شىء من أسرار السيرة النبوية الأذكى وأزكى من سوسن المريخ : من ناحية هو يلقي مزيدا من الأضواء على لغز تعلق خديجة العجيب الغريب المريب به بحيث حطمت كل التقاليد لتتزوجه وأسكرت والدها ليلتها لتتحاشى رفضه ... إلخ . لا شك أن تعلق خديجة بالطفل مُجَّد ، وهى صاحبة الشبق الهائل لأن يظهر نبي في مكة عاصمة تجارها ، هو دليل على معرفتها بنسبه ، وفرحتها أو 'عشمها' أن هذا النسب القادم من نواحي أورشليم يمكن أن يؤهله للنبوّة ، لتيقنها ثيولوجيا أن العرب عرق 'غير مختار' ولم ولن ينجب نبيا أبدا ، وهذه كلها إثبات آخر تؤكد في حد ذاتها صحة نظرية النسب الشمالى هذه . من ناحية أخرى وصف البخارى ذلك يؤكد فعلا قدوم نسب مُجَّد من بلاد الشام ، ويفسر نفور أقرانه الصبية منه وصمته ميله للوحدة . هل تذكر وصف جيون لانطباع الجنود الرومان عن أبناء الشام أنهم أطرياء مختنون ( وأبناء مصر أنهم كالحون متجهمون ، وهكذا ) ؟

- ها ! ها ! ها ! أنت أدري ، أنت من عاش هناك .

- ما الذى يضحكك ؟

- هل تذكر أول خلاف وقع بيننا ؟ أنك عنصرى ! الآن يتضح أنك ربما تكون أول شخص فى التاريخ حاول قراءة صحيح البخارى قراءة إثنية !

- ما علينا ! أليست قصص خنوثة مُجَّد لا حد لها ولا حصر ، من إطالته لشعره وصباغته له وتكحيل عينيه ولبسه ثياب النساء وتبوله جالسا وسعاداته بحك الرجال جسدهم به ولحسهم إياه ودخولهم تحت ثيابه وقذف المنى فى مؤخرته ... إلخ ؟ بالمثل ، ضعفه الجنسى لا يحتمل الشك ، منه عدم وجود سجل لنشاطه الجنسى العالى أو حتى العادى حتى سن ٥٥ ، فهل من العادى أن ينشط الرجال فجأة بعد ذلك ، دورانه على نسائه بغسل واحد دليل أنه لا ينتصب ولا يقذف ، بحثه عن الإشباع حتى مع الحيوان أو النبات أو دم الحيض أو حتى الجثث ، خيانة عائشة ، عدم إنجابها ... إلخ ، ... إلخ . كل هذا يفسر عقده الجنسية وسط عربان يمارسون الجنس مع ٢٠ زوجة وأمة يوميا ، ولماذا كان عجينة طيبة فى يد زوجته ، لا يستأف أو يستنكف أن تحطبه هى ، وأن لا يدفع مهرا ، وأن تبقية عاطلا وتخرج لتشتغل هى ، وأن تنفق عليه ببقية عمرها ، ويفسر طبيته الكبيرة ككل ، للردح الأكبر من حياته إذا ما قورن بالـ *natural born killers* ، القتلة المحترفين من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وعمرو وخالد ... إلخ . كانت خديجة تأمره أن يذهب لقاع ذاك القمع البركاني الصغير المسمى حراء ، الذى يفوق فيلم منزل الرعب رهبة ، حيث لن تراك أو تراها ، تخاطبك أو تخاطبها ، إلا بعض النجوم السحرية ، زائد بعض الغيوم التى يمكنك أن ترى فى تصاورها المتحركة اللا نهائية شبح أى شىء وأشباح كل الأشياء . كانت خديجة تأمره أن يتنسك فيتنسك ، أن يتواصل تحتته شهرا فيتواصل ، وتجلس فى الخارج ولا يعترض ، فالواضح أن لا مكان للشهوة الجنسية بينهما ولا لأى شىء يفسد خطة التعبد الهلاوسى الإرهابى العنيفة التى ضحت بعمرها ومالها من أجلها ، إلى أن ابتهج قلبها ببطوط القطرة الأولى من الوحى ، ويا له من وحى ، وحى رقيق اتلبس وقطع الخلفة صاحبنا بسببه : ' اقرأ ! ' ( وطبعا بعض المسيحيين المتعجرفين -ليس فقط لا يفهمون طبيعة أفلام الرعب ، إنما أيضا لا يفهمون السيرىالية ولم يشاهدوا أيا من أفلام بونويل- يسخرون قائلين : ' يقرأ ماذا ؟ هل كان فى يده لوح ؟ هل مُجَّد يعرف القراءة ؟ بينما القصة ببساطة أنه كان يقول له ' اكره ' ، فسمعها اقرأ ، ومن هنا نشأ سوء الفهم والضرب وتقطيع الجنت والبهدة وقلة القيمة بين الاتنين ! ' ، متناسين أن الأمر برمته -وحسب إجماع أهم كتب السيرة- كان : حلما ! حتى لويس عوض نفسه ما كان يصح له أن يورط قلمه فى دراسة هل كان مُجَّد أميا أم لا . من من العرب أصلا كان يقرأ أو يكتب ؟ ! أشعر شعرائهم كانوا أميين . ما أهمية الأمر برمته ؟ المهم هل هو جاهل أم لا . ما فائدة إن كان يجيد القراءة بينما لا علم لديه بأى شىء مما جرى أو يجرى بالدنيا -أو حتى بالدين- أو بأى من علومهما ؟ إذن لقد كنا نعرف حلم الجوعان وحلم الأعمى ، وها هو مُجَّد يضيف لنا حلم الجاهل : أسهل حلم يمكن أن يسأل فيه فرويد بل قطعاً كان سيفرح به جدا ويدرجه فى كتابه لو كان قد سمع به : شخص جاهل حلم بأن

أحدهم ضربه علقه بعدها يصبح عالما ، وموش مهم ، علقه تفوت ولا حد يموت ! ) . كانت تأمر أبا بكر فيأخذ مُجَّدًا ' من يده ' ( هكذا بالحرف قالت السيرة ) ويذهب به لورقة ، كلها ومُجَّد نفسه صامت ، تقريبا كان أقرب للأبكم طيلة الفترة المكية ، قطعة عجيب تنقل من الفخذ الأيمن للفخذ الأيسر لماما خديجة دون أن تفكر في السؤال عن السبب ، وكذا ويفسر ميوله النسطورية التي حاولت مزج شريعة موسى بصوفية يسوع ( بصراحة أنا تعاطفت معه طيلة الفترة المكية ) ، وأخيرا يفسر لماذا اختطف منه عمر رسالته وحوها ١٨٠ درجة في لحظة ودون كلمة اعتراض واحدة منه إنما انسياق أعمى مبتهج أهوج تام ( أيضا شيء مثير حقا للإشفاق تلك القسوة التي بطش بها الناسخ -عمر- بالنسخ -مُجَّد ) ؛ بل في الحقيقة بياض بشرة مُجَّد يفسر كل شيء تقريبا . أكاد أجن أن أحدا لم يحاول فعل هذا من قبل !

- فعلا ! ذلك يربط الكثير من الأشياء معا على نحو مدهش .

- مُجَّد هو بالأكثر نصف عربي أو بالأحرى نصف مستعرب ، والنصف الآخر أعجمي . هل تتصور حجم الاستنتاجات والتداعيات التي يمكن أن تبني بعد ذلك على حقيقة أن نبي العرب نفسه ليس عربيا ؟ ! أقلها أنه يفسر جزءا من الفارق الملموس بين طيبة آل البيت عامة ووحشية الصحابة إطلاقا ، وأهمها أنه يكاد يفسر بالكامل لغزا طالما استعصى على ، وهو لماذا أنشأ الفاطميون القدامى دولة حدائية في شمال أفريقيا ، ولماذا أنشأ الهاشميون ذات الشيء طيلة القرن العشرين في الأردن والمغرب بمحبة وافتتاح كاملين على الغرب والأديان الأخرى ؛ السبب ببساطة أنهم ليسوا عربا أصلا ( طبعا ناهيك لو وضعنا جانبا نظريات الدروز والإسماعيليين الأبعد ، التي يمكن أن تنسب أجدادهم الفاطميين لأي شيء إلا نسب مُجَّد أو أي مما فيه شبهة عروية ) . آخر بصراحة : سيد القمني ( الذي لا يختلف عن زكريا قبرص ، أو بالأحرى هذا الأخير لا يختلف عنه ) ، كان المفروض يؤلف كتاب ' الحزب الأموي ' موش ' الحزب الهاشمي ' ، لأن الأمويين هم من تمثلوا دولة الإسلام وهم من دفعوا لها ثم هم من استماتوا من أجلها حتى أسسوها ، أما بنو هاشم فكل ما فعلوه أن حملوا بها ، إن لم يكن حملوا فقط بمجرد نبي ودين ولا شيء أكثر !

- هايل ! يظل هناك شيء فات شيوخنا وقساوستنا الدواهي في قصة النسب تلك ، هو دليل الفقهاء الوحيد على كون مُجَّدًا ليس ابن زنا . إنهم لم يسألوا أنفسهم لماذا أبو سفيان بالذات هو الذي شهد بذلك . ليس السبب أنه أسلم والسيف على رقبته أو لأنه ممن ألفت قلوبهم بقطعان هائلة من الإبل ، إنما لأنه آخر من يمكن أن يتكلم عن الحسب والنسب ، فهو شخصيا مختلط النسب من جهة أمه ، بل نفسه زوج لعاهرة جعلها -دونا عن كل النساء- أما لأشهر أولاده ( وما أدراك ما هند ؟ هند الهنود طويلة البظر آكلة لحوم البشر ! ) . إن معظم -إن لم يكن كل- الأمويين أبناء عاهرات ، وطبعا ليس من مصلحة أيهم أن يرى الناس في العهر ما يعيب ، بل في الواقع ربما كان يقصد سب مُجَّد بنفي الزنا عن أمه !

ويتداخل زهري : ' ولا واحد فيكم فاهم حاجة . أبو سفيان لم يشهد أصلا أن مُجَّدًا ليس ابن زنا ، بل العكس هو الصحيح . سؤال هرقل الأصلي كان هل هو قريب لك ، طبعا رد بنعم ، بالتالي هو أجبر على الرد على السؤال التالي بأنه ذو نسب . الواقع أنه لم يناده -لا هو ولا قريش ، لا أمام هرقل أو غير هرقل- يوما إلا بابن أبي كبشة . هل تعرفون من هو أبي كبشة هذا ؟ إنه جد آمنة لأمها ! ' .

- لكن كلامك يا ونس عن عمر قد ينطوي على نكتة ربما لم تأخذ بالك منها أنت أيضا ، أو ربما هي تحتاج لأرسطو كي يشرحها لنا بما يسمى المنطق أو الاستدلال -أو الرشد- الدائري المفرغ circular reasoning : عمر قال ' نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ' ، بينما مُجَّد نفسه قال ' أتمنى أن يعز الله الإسلام بأحد العميرين ! ' .

- أنتم ما تعرفون حاجة عن العرب ، خراج إيه وصغار إيه ؟ الحكاية موش محتاجة القرطبي أو ابن عباس ، أمي لما كانت تلقانا قاعدين موش بنعمل حاجة تغضب علينا وتقول ها تقعدوا لي قعدة عربان ، أو زى العربان ، يعني كسالى تنابلة لا نعمل شيئا !

- النكتة أن أولاد العاهرات هؤلاء هم وصفونا نحن المصريين بالعبيد ، وكانوا يكتبون لولا أنهم ' إن مصر إنما دخلت عنوة وإنما هم عبدنا نزيد عليهم كيف شئنا ونضع ما شئنا ' .



لا يمكن أن أكون مثلاً ضد حكومة رمسيس الثانى أو يوليوس قيصر أو الجنرال فرانكو ؛

أنا فقط ضد الحكومات المنتخبة ديمقراطياً !

- أريد أن أصحح لك شيئاً قد يهكم بصفتك ليبرالى اقتصادى : موش أصحابى بتوع أسويط هم إالى دينوا المجتمع . لم يتدين المجتمع بسبب أى من هؤلاء ، لا بسبب العمال البسطاء إالى راحوا السعودية وانبهروا بفلوسها وافترضوا أن الفضل فيها للشريعة ، ولا بسبب شرايط كاشك أو المحلاوى أو حافظ سلامة أو الإخوان عامة ، ولا بسبب طبعا أتباع الجماعات المسلحة أصحابى . كل هؤلاء وأولئك كانوا جزراً معزولة ، والناس العادية ، طبقة وسطى أو حتى أقل ، تبص لهم كلهم بتعالى وأنفة وتقول عليهم مجانين أو متخلفين . إالى دين مصر لازم يكون حاجة أكبر من كده بكتير . الشعب المصرى موش بسهولة يمشى ورا أى حد ، لازم الحكومة شخصياً . رغم كل ما يبدو على السطح من شتيمته للحكومة ٢٤ يومياً ، الشعب المصرى يعبد حكومته ، وما يطاوعهوش قلبه يطرف عينه من غير ما يستأذنها ، لأن البديل -إالى هو الليبرالية بتاعتك- أسود من العمى ، بديل مربع -منافسة ومسئولية ووجع دماغ ومستقبل مجهول وقرف وانشغال بال من أولها لآخرها ؛ وعلشان ترتاح مصر منذ فجر التاريخ اشتراكية ، وأشك أن ده ممكن يتغير . ما تنساش أصلاً يا نصير إلغاء الحكومة ، أن الحكومة والدولة نفسيهما اختراع مصرى ! المهم ، إالى دين مصر هو حكومة مصر ، تليقزبونها ، وتحديدا شخص واحد عهدت له بالمهمة اسمه مُجَد متولى الشعراوى ، وأتمنى ألا تعتبرها واحدة أخرى من نظريات المؤامرة الخيالية منى ، فهى بالنسبة لى أشياء معاشة ملموسة ، تحسها وترها فى ابنتك وفى زوجتك وفى أصدقائك ، لا فى تصورات ولا سيناريوهات تفترضها دون أن تراها كالبورصة مثلاً .

ويتداخل زهرى الذى ظل يستمع فى صمت على غير عادته : ' بالضبط ! الحكومة عند كل شعوب الدنيا أسلوب لتنظيم الحياة ، أما عند المصريين فهى مسألة جينيات ! المهم ، أنا لا أعرف -طالما لديك كل هذا العداء للحكومات- لماذا لا تترك إله التوحيد فى حاله ، وتعتبر الحكومة هى أسوأ اختراع فى التاريخ ، لا سيما وأنها أيضاً اختراع مصرى وأنت معادى لكل ما هو مصرى ؟ ' .

- أنا لست على طول الخط ضد الحكومة . لا يمكن أن أكون مثلاً ضد حكومة رمسيس الثانى أو يوليوس قيصر أو الجنرال فرانكو ؛ أنا فقط ضد الحكومات المنتخبة ديمقراطياً ! ثم أن الحكومة ليست هى ما قلت عنه أسوأ فى التاريخ !



كل أنبياء التوحيد كانوا معاقين جسدياً ( وطبعاً ذهنياً ) ؛ كلهم كانوا مشوهى الأبدان أو على الأقل عاجزين جنسياً ، الأمر الذى لم يترجم فقط فى عقم وعدم إنجاب إنما فى تشوهات حادة فى الشخصية .

هذا ينطبق على الجميع من إبراهيم القواد عديم النخوة والولد ،

وأختاتون المخنث ضخم المقعدة والعقدة معا ( فهو زوج جميلة الجميلات نفرتيتى ) ، وموسى الذى وجدوه فى سلة ،

انتهاء بمحمد المنكوب ٢٤ ساعة يومياً بعنته ( حتى أقلهم شراً -يسوع- ليس بريناً تماماً من عاهة الضعف الجنسى ) ،

والاستثناءات من الأسوياء كداود وسليمان ، سرعان ما تركوا ماضيهم الدينى وعاشوا حياة خالية من الخرافة !

يلحظ ونس ما يعانیه وحيد الواجم من محنة فكرية ، ويميل عليه هامسا فى أذنه : ' فيه إيه ؟ ' .

- أود أن أشكرك على أن ثققت بى فى موضوع الزهرى واندهاشك من توصلى له بسرعة ؛ إنها فى الواقع أكبر من ثققتى أنا فى نفسى . فقط لدى سؤال لن يجيبه إلا أنت : إذا كانت هذه أعراض زهرى مؤكدة ، وإذا كان الزهرى غير معروف العلاج آنذاك ، وإذا كانت عائشة قد عاشت حتى نحو السبعين ، فهل معنى هذا أنها لم تسمح له بلمسها ، على الأقل منذ بدأت تزوغ عيناه على أخريات ، وبدأت هى تعى أنوثتها ؟

- أهذا ما يشغلك يا صديقى المسكين ؟ ربما ستسأل بالتالى عن متى بدأت تعى أنوثتها ، أو عما عساه يكون عمر البلوغ للفتيات فى أرض الفقر والجوع والأجساد النحيلة والتقاتل على الطعام حتى على موائد الجنة بنص القرآن ؟ الإجابة لو يهكم الأمر ، أن عدد مرات الحيض التى مرت عائشة فى حياة مُجَد تعد على الأصابع !

- هناك حديث لها يفهم منه أنها كانت تريه فرجها حين يصلى ، وحديث آخر أشد قطعياً أنه لم يره منها قط ، لكن يقال عنه -أى هذا الحديث الأخير- إنه منكر وقد ابتدعه امرأة مجهولة !

- رائع ! كلاهما تنطبق عليه نفس القصة : لو صحيح فتلك مصيبة ، ولو مكذوب فالمصيبة أعظم . فالمهم -سواء كان لم ير فرجها ولم يلمسه ، أو رآه ولم يلمسه- هو ما تنقله هذه الأحاديث لنا من انطباع عموم الناس عن تسلطها وإذلالها له وتحريمها لنفسها عليه وفسقها مع غيره . ما قصده هو ارحم نفسك ؛ المشكلة أعمق من هذا بكثير ! كل أنبياء التوحيد كانوا معاقين جسديا ( وطبعا ذهنيا ) ؛ كلهم كانوا مشوهي الأبدان أو على الأقل عاجزين جنسيا ، الأمر الذي لم يترجم فقط في عقم وعدم إنجاب إنما في تشوهات حادة في الشخصية . هذا ينطبق على الجميع من إبراهيم القواد عديم النخوة والولد ، وأختاتون المخنث ضخم المقعدة والعقدة معا ( فهو زوج جميلة الجميلات نفرتي ) ، وموسى الذي وجدوه في سلة ، انتهاء بمحمد المنكوب ٢٤ ساعة يوميا بعنته ( حتى أقلهم شرا -يسوع- ليس بريئا تماما من عاهة الضعف الجنسي ) ، والاستثناءات من الأسوياء كداود ( الطفل المعجزة ) وسليمان ( المولود ملكا ) ، سرعان ما تركوا ماضيهم الديني وعاشوا حياة خالية من الخرافة ! حتى الإنسان البدائي الذي دائما ما تتهمه بأنه تطيرى واخترع الأديان بسبب عدم قدرته على تفسير الظواهر الطبيعية ، كان علمانيا أكثر مما تتخيل ، وقرأ التوراة لترى كم مليون مرة ترك اليهود إلههم ، فأصغر هزيمة عسكرية هي دليل على أنه ليس أفضل إله أو أنه وهمي الوجود ، وطبعا يبدأ الأنبياء والكهنة حملة غسيل مخ كاسحة من جديد أن هذا ليس لضعف الإله أو لوهيمته إنما لعدم طاعتهم هم .

- أعرف هذا ، ورأى كما تعلم أن الدين هو ما يجب وصفه بالإلحاد !

- السؤال الذي أقصده : هل قررت إضاعة بقية عمرك في التفكير في مثل هذه التفاهات ؟ هل تُجِد هو الوحيد الذي جعل من كل عاهة في جسده أو في نسبه أو في عقله أو في سلوكه أو في هلاوسه النفسية ( أو حتى من أمراضه العضوية كالصرع أو غيره ) ، علامة نبوة ؟ هل كان التاريخ سيختلف حقا لو كانت عائشة قد سمحت أو لم تسمح لمحمد أن يلمسها ؟ هل ... ؟ هل ... ؟ ما يمكنى قوله هو أنك تسير ببحثك في الاتجاه الخاطئ . لتترك مثل هذه الأسئلة لأمثال زكريا قبرص يضيعون عمرهم فيها . التاريخ لا يصنعه إن كان فلانا قد لمس فرج فلانة أم رآه فقط ولم يلمسه ، أشياء أعمق كثيرا هي التي تصنع التاريخ ؛ أشياء يفعلها البشر دون علم بالضرورة منهم لماذا يفعلونها . هذه ليست نظرية مؤامرة ؛ هذه حقيقة . ( ويضحك : ) نجيب محفوظ أراح نفسه وجعل عائشة تشيخ مبكرا ؛ فقدت جمالها وأصبحت شمطاء فجأة ، وإن على أية حال كان متحفظا ولم يصل لحد أن يجعلها كعائشة الفاحشة الأصلية تزين ' تشوف ' جارية حسناء وتطوف بما لاصطياد الشباب لإطفاء شهواتها المكبوتة ( زائد دخلها من القوادة طبعا ) . لا تستغرب ! هذه رواية حقيقية ، ومن مرجع سنى ، لكن عامة ليس بوسع أحد أن يدعى أن الروايات الشيعية عن الصحابة-العصابة أقل مصداقية ولا سندا ولا تحقيفا من نظائرها السنية ، بل أراها مفتاحا رائعا يكمل القطع الناقصة من الصورة ، وهي الأكثر منطقية واتساقا لسبب بسيط أنها متحررة من قناع التقديس لكل من هب ودب ، بالذات وأنها جاءت من على وشيعته ، الأناس الأقرب للتقوى والصلاح والأقل ميلا للكذب والتزوير ، بينما الصحابة-العصابة رموز علنية لا تبارى في التاريخ للغنائم والدسائس واستحلال كل الأفعال لأنفسهم .

- ظللت طيلة عمري أعاف هذه التي تسميها تفاهات ، لكنها هي التي لم تعفنا . لك كل الحق فيما تقول ؛ لم احتقر نفسي قدر احتقارها في الأيام الأخيرة التي كرستها لقراءة الإسلام . بصراحة لم أتخيل يوما أن أجد ما وجدت ، وظللت أردد : ' أى دين هذا ؟ ! لا توجد صفحة واحدة فيه وإلا وتنضح إما بالدم وإما بالسائل المنوى ، إن لم يكن عادة بالاثنين معا ، أما غلاف ذلك الكرهان الكريه فمصنوع من جلد فأر مدبوغ بجيذ المراهيضي ! ' .



## ب- ماضى أبعد

الله أرسل نوحا كى يغرق الأرض ، وإبراهيم كى يهلك سدوم وعمورة ، وموسى كى يقتل الفلسطينيين ،

فما الغرابة إن أرسل مُجدا كى يذبح كل البشرية ؟ !

تمر الأيام -أسبوعا آخر أو نحوه- ويكاد ينسى الجميع ما حدث . لقد خفتت أخبار الصعيد ، ولم تعد فى صدارة النشرات أو التصريحات ، ووجدت برامج التليفزيون الحوارية أشياء جديدة أكثر إثارة ، بالذات بخصوص مظاهر جديدة لممارسة الحرية الجنسية ، لكن الزلزال الذى أصاب وحيد لم تتوقف توابعه . قبله كانت أغلب نقاشاته مع الحاج ضهرى ، والآن احتل ونس هذه الصدارة ، على أن الحقيقة أن ضهرى كان موجودا دائما ليس فقط بحكم ترتيب ما يسمونه مقاعد مجلس الأمن ، إنما موجود فى صميم المناقشات نفسها دون أن يشعر أيهما ، أو إلى أن كشفته مناقشة مطولة أخرى ، لعلها ستصبح الأخيرة فى مسلسل دروس ونس لوحيد فيما يخص الإسلام وفرق الإسلام .

- أنت عارف دلوقت بيفكروا إزاي ؟ يقولوا الله أرسل نوحا كى يغرق الأرض ، وإبراهيم كى يهلك سدوم وعمورة ، وموسى كى يقتل الفلسطينيين ، فما الغرابة إن أرسل مُجدا كى يذبح كل البشرية ؟ ! ربما رفع موسى السلاح للدفاع لا للغزو ، لحماية الدين لا لفرضه على الأغيار ، من أجل أرض ميعاد هى فلسطين لا كل العالم ، لكن هل هناك ما يمكن أن يثبت أن الرسائل كانت أنواعا متباينة ، أو أن إسلامنا ليس رسالة من الله ، إله المسيحية الطيب نفسه ، فقط بعد أن وصل لدروة فهمه للبشر وأرسل دينه الأخير وعدا حقا بكل الأرض لمحمد وآله وقبيلته ؟ هكذا الرسالة ! ما المشكلة ؟ ! الأبعد أن الإسلاميين فى الغرب ممن يطالبون بحكم الشريعة وبالولاية العظمى لأنفسهم باتوا يعلنون كل الأوراق صريحة بشجاعة ( أو ربما لأن الكلام فى الغرب لا يحتاج لشجاعة ، أو لأن أحدا لم يعد يشتري التقية وأصبح اللعب كله على المكشوف ) : الإسلام ليس دينا ودولة ، إنما فقط : دولة ! لا تنس أنه بالذهاب لأفغانستان والاختلاط بفرق شتى من مختلف بقاع العالم ارتفعت لديهم نبرة الاستحلال والاسترقاق والغزو ( الإخوانية بالأساس ) ، وبات من الصعب اليوم أن ترى ذات النقاء البيوريتانى الذى رأيت عليه إيمان أصدقائى فى أسبوت قبل عقود طويلة ، وإن كنت أظن أعرفه لو قابلته . لم يكونوا سلفية حنبلية-وهابية-ألبانية غير جهادية لا شأن لها بالسياسة ، ولا سلفية جهادية مسلحة لا شأن لها إلا السياسة ، إنما جهاديون من نوع خاص ، جهاديون من أجل السلفية ، من أجل إقامة الحياة البيوريتانية النقية المتقشفة ؛ لكن يبدو أن قدر كل حركة إسلامية التحول فى خاتمة المطاف لحركة جهادية ، فالجهاد (= الحراية الشرعية ) هو ما يدور حوله الإسلام ، هذا هو صحيح الإسلام وتلك هى طبيعته وتركيبته ، وآخر مثال المطامع السياسية العالمية الجديدة لحكام الخليج بعد تراكم الثروة والإحساس بالنفوذ بين أيديهم . السلفية إلىى تبدأ كل خطبة لهم بعبارة كل بدعة ضلالة ( وما هومش كيف أكثر من أن يقولوها بالميكروفونات والكاسيتات والساتلايت والإنترنت ) ، تحمل تناقضا آخر أعمق من هذا ، هو أن مصيرها المحتوم حمل السلاح ، فالإسلام كل لا يتجزأ ، وسورة التوبة التى يتحاليون عليها بأنها الولاء والبراء بالقلب والاعتزال ، هى ذروة الإسلام وغايته . ثم بعد أن تتحول من سلفية لسلفية جهادى كما فعل الشباب السعودى وانضم للقاعدة ، ما المانع بعدها أن تتخلى عن الشكليات السلفية ( أو حتى عن الإيمان نفسه ) ، بأن تصبح جهاديا فقط ، جهاديا عصريا تستفيد بالكامل من إنجازات الغرب كى تقهره بها ، وهذا هو حال الإخوان والذين لحق بهم مؤخرا حكام الخليج ؟ القاعدة الفقهاء تقول الدولارات تبيح المحظورات ، لأن عند الإخوان الدولارات من الأصول والمحظورات من الفروع ، وكل الأشياء تحسن فى الرب : التوحيد والقتل والتقية والنهب تصبح كلا واحدا يتماهى معا ولا يتجزأ ! فرق ومناهات خضت فيها لعشرات السنوات ، جعلتنى أعيد النظر فى أشياء كثيرة . حتى عصام وعاصم نفسيهما لم أعد أراهما بعد كشيء واحد ؛ عصام يبدو لى الآن مصريا جدا ، بينما عاصم يبدو لى شديد العربية ، لكن مثل هذه التفرقة لم تكن واضحة بالمرء لى أيامها . كانا صديقين لا يفترقان للحظة ، هذا يشوش عليك أنهما نسختان من ذات الشيء ، بينما الآن أرى بجلاء أن أحدهما كان مفكرا هادئا والآخر ناشطا عنيفا . اليوم أكاد أربط عصام وحده دون صديقه بمجلات الحائط الليبرالية التى تحولت لإسلامية ، وأربط عاصم بالأساس بتكسير سيقان الشيوعيين وبمذبح مديرية الأمن ( من البداية كان كل طالب أو طالبة فى جامعة أسبوت يعلم بحكم المعاشة اليومية أن الشخص الثالث المكتوب اسمه على دستور الجماعة شخص أهبل أرعن لا وزن له ومجرد أمير شكلى لا أحد يفهم لماذا اختاروه ، واليوم أضيف بثقة أن عاصما بالمثل لم يشارك فى تأليف 'ميثاق العمل الإسلامى' ، وأن كل الجهد التنظيرى للصحة الإسلامية التى ولدت سنة ١٩٧٥ يخص عاصما ولا أحد آخر ) . من الطبيعى أن تأثرت أنا نفسى بتلك الضوضاء الذهنية ، وغرقت فى النصوص وحرفياتها

وتناقضاتها ، فقط لأكتشف في النهاية أن انطباعاتي الأولى جدا التي كونتها سنة ١٩٧٥ قبل أن أقرأ أى شيء ، كانت هي الانطباعات الصحيحة .

- وما هي هذه الانطباعات ؟

- هي باختصار أن مُجَّدًا -دائما أبدا ، ولاحظ دائما أبدا هذه- أقرب لشعار يرفعه الجميع كي يحشدوا الناس حوله ، لكن الإيمان الحقيقي الذى فى الصدور شيء مختلف ، عليك أن تبحث وراء الأقوال -وهى مختلطة جدا ومربكة جدا- لتعرف كنه الإيمان الحق لدى كل أحد . مبدئيا مُجَّد كان إنسانا أبسط وأجهل من أن يصنع أى شيء ، ناهيك عن أن يخلق بنية معقدة متكاملة لدين ( كم عدد خلايا مخه أصلا ؟ أعتقد شخصيا أنها تعد على الأصابع ! ) . الشيعة تقول بعصمة الثالث المقدس ( مُجَّد-على-فاطمة ) ، ولا غضاضة عندهم حتى من التباهى بدقائق العلاقة المحارمية بين مُجَّد وفاطمة ( بفرض أنه كان ينبج أصلا ) ، فأى شيء صدر عن ثالثهم هو القداسة المطلقة عينها . أما إيمان أهل السنة والجماعة -بالذات حين تميل من السلفية إلى الجهادية- فهو الإيمان بألوهية عمر ، وترى الإيمان بمحمد نفسه ( ناسك مكة الشاب البائس المتخبط ) شركا ويحظرون مثلا التعبد عند قبره أو الاحتفال بمولده . أما الله فهو شيء لا يكاد يعرف الصحابة-العصابة وتابعيهم عنه شيئا . من هنا أتى تكفير السنة للصوفية الموزعة بدورها ما بين فرق تعبد مُجَّدًا وفرق تعبد الله . فى جميع الأحوال ، كل هؤلاء المعبودين هم بلا استثناء أصنام جامدة ، والكلمات الظاهرية لا تكفى وعليك البحث عن الجوهر الحقيقي لعقيدة كل أحد لترى حول أى شيء تتمحور وما هو المقدس أو الخط الأحرر أو الوتر المكشوف الذى تلتهب الدنيا حين تقترب منه ، ومن هنا مثلا فإن المقصود بكلمة السنة أنها سنة إله الإسلام الحقيقي ، عمر ، سنة النهب والسلب واستعباد العالم ، لا أكثر ولا أقل .



للإسلام الجدى ثلاثة خطوط حمراء : المسلم تابع أعمى ، والمسلمة جارية ، وغير المسلم عبد ، عدا هذا كل شيء قابل للنقاش !

كل شيء فى العقيدة الإسلامية يمكن الاجتهاد فيه وتغييره إلا جوهرها والشيء الذى تدور حوله : استرقاق واستحلال شعوب العالم ؛

هذا هو قدس الأقداس الذى لو اقتربت منه أو حاولت فضحه فقد تجاوزت الحد الذى تراق دونه كل الدماء .

... افهموها بقى : العرب لم ولن يكونوا يوما إلا حفنة لصوص ،

والإسلام هو أضخم وأجح غارة سلب ونهب فى تاريخهم وفى كل التاريخ الإنسانى ،

والمشكلة المزمنة أن سيظل أحفادهم يلمون للأبد بتكرارها !

- أنت فاطر ماذا قالت الفتاوى بعد موجات الارتداد الهائلة الأخيرة ؟ قالوا لا شأن لنا بالارتداد طالما ستحتفظ به فى قلبك ، لكن أن تجاهر به فأنت تتحدى دولة الإسلام ؟ الإخوان مجاهدون نعم ، أكثر الناس اتباعا للسنة نعم حتى لو يرتدوا الجلابيب مثلها ، وقطعا لا علاقة لهم بشاكيرا إلا كون كل واحد فيهم يلم بأن يسبها ، من هنا فالسؤال الحقيقى هو : من أجل أى شيء بالضبط يجاهدون ؟ خادم القرين نفسه إلى يقولوا عليه نايم فى حضن أميركا هو جهادى . الراجل يقول حاجة بسيطة : إزاي أخلى سكان العالم مسلمين بالفعل قبل أن أخليهم مسلمين بالقول . ويكرس أموال البترول لتحويل المسيحين والبوذيين وكل الدنيا للإسلام ، وطبعا هو يعرف أهمية ما يفعل واضعا فى الاعتبار حقيقة أن الإسلام one way ticket ، ولو عاوز ترجع ها تعدم . الموضوع محصور إذن فى خلافات حول تقدير المراحل لكن الهدف واحد : الدولة الإسلامية العالمية ، الدولة التى طالما كانت دولة أغنام وأسلاب وسبايا وحرب وملكات يمين ومطامع شخصية وشهوات وانحلال . ما ينطبق على هؤلاء هو العكس بالضبط من مقولة إن الإسلام دين ودولة ؛ الإسلام دولة فقط ، وعمر هو الإله . مُجَّد نفسه قال ' كل أمتى معانى إلا المجاهرين ' و' إن الله غفر لأمتى ما حدثت به نفسها ؛ ما لم تعمل أو تتكلم ' . عارف دى معناها إيه ؟ معناها أنك موش لازم أصلا تكون مؤمن بمحمد ولا برينا علشان تروح الجنة ، المهم أنك ما تعلنش ده وتتحدى دولة الإسلام . المهم الدولة موش الدين ؛ المهم الإذعان حتى لو خلت دولة الإسلام من مؤمن واحد . دعك من النصوص وتضارب الفرق ، ولتحاول رصد ما هو الإسلام وتياره الرئيس على أرض الواقع . سأقولها لك بدقة وصراحة : للإسلام الجدى ثلاثة خطوط حمراء : المسلم تابع أعمى ، والمسلمة جارية ، وغير المسلم عبد ، عدا هذا كل شيء قابل للنقاش ! كل شيء فى العقيدة الإسلامية يمكن الاجتهاد فيه وتغييره إلا جوهرها والشيء الذى تدور حوله : استرقاق واستحلال شعوب العالم ؛ هذا هو قدس الأقداس الذى لو اقتربت منه أو حاولت فضحه فقد تجاوزت الحد الذى تراق دونه كل الدماء . ... افهموها بقى : العرب

لم ولن يكونوا يوماً إلا حفنة لصوص ، والإسلام هو أضخم وأنجح غارة سلب ونهب في تاريخهم وفي كل التاريخ الإنساني ، والمشكلة المزمنة أن سيظل أحفادهم يحملون للأبد بتكرارها ! السيطرة على العالم - كل العالم- هي الحلم العربي ، ولو بتتابعوا الأغاني زي ها تلاحظوا أن كل يوم يعملوا عليه أغنية جديدة ! من ١٤٠٠ سنة عمر بن الخطاب والخطابة جابها م الآخر : ' نحن قوم أعزنا الله بالإسلام ، فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا ! ' . إذا كان هناك شيء اسمه ثوابت الأمة فهو فقط هذه العبارة ؛ هي الشيء الوحيدة إلى موسى يمكن يطلع أبداً من مخيلة الإخوان وكل الإسلاميين السياسيين التايوانى أو النص كم أو الوقيع أو الفرز التاني -سموهم زي ما تحبوا- رغم أنى متأكد وأعرف كويس أن أغلب أشهرهم لا يؤمن بالله أصلاً . أنت لا يمكنك تمثل كيف يشتغل عقل أو قادة الإخوان بدون افتراض أنهم علمانيون . إنما تقول إيه ؟ ما فيش قدامهم قشة تاني ؛ شاغلهم الوحيد هو الحفاظ على الدين باعتباره فرصتهم الأولى والأخيرة وكلمة السر الوحيدة لتوحيد الأمة كى تقوى على النهب والسلب والإغارة على الغير ! مهما تقول لهم إن الأديان خرافة ، لديهم الواقع : الله أعزنا بالإسلام ، وبالتالي لن نحاول أبداً التفكير في وسيلة أخرى . الأهم أنهم يعرفون أن الأديان خرافة فعلاً ، بينما المصريون لا يعرفون . في السعودية عبارة شهيرة جداً يقولونها للمصريين : ' خذوا النبي وأعطونا شارع الهرم ' .

ويتداخل روميو : ' ها ! ها ! أنا أعرف بس أن نفسهم كل السعودية موسى المنطقة الشرقية بس ، تبقى تبع شركة ' حرامكو ' ! ' .



- للأسف هذا صحيح ؛ في طفولتي كنت أعرف أن لا إسلام إلا إسلام الصوفية الطيب البسيط بتاع المواسم والموالد ( دين فقط ) .

في شبابي اكتشفت أن السلفية هم التجسيد الحقيقي للإسلام ؛ أساتذة فقه ضبط النصوص مع بعضها البعض ( دين ودنيا ) .

الآن بعد كل رحلة العمر هذه ، اكتشفت أن الإسلام الصحيح لا هذا ولا ذاك .

اتضح أن السلفيين مجرد دواب قبل تاريخية ، كائنات حافظة موسى فاهمة ،

وأن من يفهم الصهاك حق الفهم هو الإخوان المسلمون ، والإخوان المسلمون وحدهم .

هذه العصاة السرية هي التجسيد الأمثل لمقاصد الشريعة وروحها ، أى انتهاب واستلاب واستعباد العالم

( دنيا فقط -دولة بلا دين : ' عقيدة ' تشرح لك كيف تنغوط وكيف تمارس النكح ،

بينما تتهرب من كل الأسئلة القاعدية للدين -الروح ، صفات الإله ... إلخ ،

ذلك أن العرب لا يعرفون أصلاً تعريف كلمة دين ، وليست لديهم أية خبرة في كيف تصنع الأديان !

- أكتب هذا في كتاب اجعل عنوانه ' رحلتى من الإسلام الفصولى إلى الإسلام الأصولى إلى الإسلام الوصولى ' !

- موسى ملاحظ يا ونس أن فيه تناقض في كلامك : في البداية كنت بتقول الإسلام هو الإيمان بمحمد وأنه الإله والشوارع تولع لو اتشتم ،

وبعد شوية بقيت تقول مُجد ولا حاجة ؟ أريد أن أقول لك إني بتفكيرى المادى أسهل شخص يمكن أن يقتنع بنظريتك عن أن الإسلام هو عمر .

حتى لو كان أمثال عثمان ويزيد قد وصلوا بالأمور لحدودها القصى فالفضل الحقيقى الأصلى لهذه الاستراتيجية يظل محفوظاً لعمر ، هذا الذى

نجح في أن يجعل استعباد العرب للعالم وسفكهم لدمائهم تكليفاً قدسياً إلهياً وكرهاناً كريهاً يتلى حتى آخر الزمان . إنها قصة مررت بها ألف مرة في

حياتى ؛ هي عين جدلية أفلاطون-أرسطو التقليدية عن المعنوى والمادى . طبعاً الإسلام ليس كلاماً ولا فكراً إنما جيوش تغزو . يا ليت العمر طال

بخليل عبد الكريم حتى كان يكتب لنا عن عمر هذا .

- ما أردت قوله إنك تسير في الاتجاه الخاطئ ، ووقعت أسيراً للكتابات التقليدية -مع أو ضد الإسلام- التى رحت تقرأها . مثلاً مما لا يعجبني

فيكم أيها الكتاب العلمانيون هو طرحكم شعار ' الإسلام هو المشكلة ' في مواجهة شعار ' الإسلام هو الحل ' .

يقاطه روميو : ' من قال هذا ؟ نحن العلمانيون نقول ' الإسلام هو الحل ( لكل منحل ) ! ' .

يواصل ونس : ' الدين ليس خطيراً كما قد تتصور . الدين دائماً مفعول به ولم يكن يوماً فاعلاً . سمعتك أكثر من مرة تتحدث عن كونه

أيديولوجية عبيد روما . هو أيديولوجية كل العبيد في كل زمان ومكان . هل صدقت أن طباخ السم يذوقه فعلاً ؟ المخترعون والأثرياء والحكام

ليسوا في حاجة للدين . لو آمنوا بالآلهة لما اخترعوا شيئاً ولما أثروا قط ولما حكموا أحداً . سمعتك أنت نفسك تقول ذات مرة إن الاختراع يحتاج

لبينة معينة لازم يعيشها الطفل من صغره ، بيئة ما فيهاش أى شيء مقدس . ها أجيبها لك م الآخر يا وحيد يا بنى ، وبكلام تقريباً هو كلام

أرسطو حبيبيك ، بس من واحد بسيط غلبان زي اتمرط في حكاية الدين سنين وسنين وشاف العجب من كل صنف ولون : الكل هنا يعتقد أني انتصرت على زهري في تلك المناقشة ويقارنونها بهزمتي يوم قافية سهم الفراح . الحقيقة أنه هو الذي انتصر ، وبالضربة القاضية . هل تعرف ماذا قال لي وهو يميل على ونحو منصرفين في ذلك اليوم المشنوم ؟ ذكرني بكلامي عن المسلم المتدين الذي قلت إنه ينظر للمسيحي من فوق لتحت ، وصح لي قائلاً إنه لا يفعل ذلك لأنه مسلم وذلك مسيحي ويريد تغيير دينه له ، إنما لأنه عربي وذلك غير عربي ويريد استعباده ! في لحظتها كدت أتماوى ، لقد هدم كل كلامي بكلمته الصغيرة هذه . أعدت التفكير ووجدت أن المشكلة أعمق من كل الأمور الدينية بكثير . نحن الآن في ٢٠١٠ وعلينا تجاوز ليس فقط الاستغراق في حرفية النصوص ، بل أن نتجاوز عقدا كاملا من محاولات تنفيذ الإسلام كعقيدة ، وأن نبحث عم يكمن وراء هذه العقيدة ، من أين أتت وما الذي يجعلها شديدة الاختلاف والوحشية والبدائية هكذا دوننا عن كل أديان العالم . أنا كنت قد قلت يومها إن المشكلة ليست في الإخوان ، المشكلة في القرآن . هذا خطأ جسيم . من صنع هذا الكرهان أصلا ؟ ستجدهم أناسا أقرب للإخوان منهم للطالبان . ليس صحيح الإسلام هو من يحاول أن يوفق معا أكبر كم ممكن من الأحاديث ، فهذه مهمة عبثية ولا معنى لها أصلا ، وعلى السلفيين أن يعلموا أن مُجدًا نفسه كان أساسا متضاربا متخبطا مضحكا مذهب العقل أغلب الوقت ، ومما لا يجلب سوى السخرية محاولة أحد التزييع أو الترميم من ورائه ؛ إنما صحيح الإسلام هو مقاصده وروحه كما أرادها له عمر أن تكون ، فهذه هي الشيء الوحيد إطلاقا المتبلور المادي الملموس وواضح المعالم والأهداف ! .

- يعني باختصار : أنت تدينا محاضرات بالساعات في الإسلام تبكت فيها جهلنا ، ثم كلمة واحدة تجعلك تغير رأيك وتأتي لتقول لقد عشت كل عمري على خطأ !

- للأسف هذا صحيح ؛ في طفولتي كنت أعرف أن لا إسلام إلا إسلام الصوفية الطيب البسيط بتاع المواسم والموالد ( دين فقط ) . في شبابي اكتشفت أن السلفية هم التجسيد الحقيقي للإسلام ؛ أساتذة فقه ضبط النصوص مع بعضها البعض ( دين ودنيا ) . الآن بعد كل رحلة العمر هذه ، اكتشفت أن الإسلام الصحيح لا هذا ولا ذاك . اتضح أن السلفيين مجرد دواب قبل تاريخية ، كائنات حافظة موش فاهمة ، وأن من يفهم الصهاك حق الفهم هو الإخوان المسلمون ، والإخوان المسلمون وحدهم . هذه العصاة السرية هي التجسيد الأمثل لمقاصد الشريعة وروحها ، أي انتهاب واستلاب واستعباد العالم ( دنيا فقط -دولة بلا دين : ' عقيدة ' تشرح لك كيف تتغوط وكيف تمارس النكح ، بينما تتهرب من كل الأسئلة القاعدية للدين -الروح ، صفات الإله ... إلخ ، ذلك أن العرب لا يعرفون أصلا تعريف كلمة دين ، وليست لديهم أية خبرة في كيف تصنع الأديان ) !

- اكتب هذا في كتاب اجعل عنوانه ' رحلتى من الإسلام الفصولي إلى الإسلام الأصولي إلى الإسلام الوصولي ' ! ... يا راجل ده كلام ؟ ! في لحظة تخون عشرة عمر أصحابك القدامى ، وتنسى كل الكلام عن البيوريتانية والجهاد من أجل السلفية ؛ تنحيه كله لتقر فجأة أن التزوية الأربعة فهموا الإسلام خطأ على أنه دين ، وأن الإسلام الصحيح هو فقط الإسلام السياسي التنظيماتي الناشط ( الحركي ) ، إسلام الجهاد من أجل الاسترقاق والاستحلال والاعتنام ، أي الحراة الشرعية —قطع طريق خالص بلا براقع ولا مبررات ولا أوراق توت ، وتريد إفهامي أن الكل كانوا يفكرون هكذا طوال الوقت ؟ !



### المشكلة موش في الدين ، المشكلة في الجيين !

يأخذ ونس نفسا عميقا يكشف عن بعض خرفشة في صدره البدين ، محاولا الملمة ما سوف يجيب به على سؤال وحيد الذي خلا من كل لباقة ، ثم يقول : ' أنا أكثر من حاول القراءة بين السطور في النص الديني والتاريخ الديني ، وأنا أكثر من تعود التحصن من دهاليز المستنقع الديني بأن كنت أقول لهم من البداية إنني لا أؤمن بوجود الإله ، لكن عازف الغلط بييجي منين ؟ من المجتمع ، ومن الافتراض القاعدى الراسخ فيه أن الإسلام دين . من ثم أنت تغرق في معارك التيارات المختلفة بحثا عن أيها سوف يستطيع توفيق أكبر قدر ممكن من النصوص معا ، وأيها سيستطيع إقناع أكبر جمهور بأنه صحيح الدين الذي لن تقدر فرقة أخرى أن ترفع في وجهه نصا تقول له إنه يخالفه ( طريقي للتمييز بين الشيخ الضليع والشيخ الأي كلام ، أن أمسك الساعة وانتظر من يقول أولا ' الكل يؤخذ منه ويرد ... ' ) . لذا مهما كنت غير مؤمن بالدين فأنت مضطر للبحث أية فرقة هي الأصح : هل الصوفية ، هل السلفية ، هل السلفية الجهادية ، هل الجهادية من أجل السلفية . لكن أسوأ ما في الأمر

أنك طوال الوقت تنحى تلقائياً الإخوان جانبا باعتبار أنهم ليسوا ذوى إيمان أصلا ، وأن الشعب -الذى لا يريد إلا وجه الله- يلفظهم لعلمه أن الدين ما هو إلا مطية لهم لأهداف دنيوية خالصة ، لكن السؤال : هل كل الشعوب تريد وجه الله ، أو تريده بنفس القدر ؟ هنا أعمد ضهرى سيفاً فى عقلى بكلمته اللقيمة تلك عن العرب . رغم علمائيتى ، ورغم علمى من البداية بدنيوية أهداف الإسلام ، وبأنه إسلام عمر ... إلخ ، فإن الغلظة هى أنه إذا كانت تلك هى صورة الإسلام الأصلية ، فلا بد أنها أصح صوره إطلاقاً ، فكيف استبعدت احتمال أن تكون لها -كما هى بلا براقع ولا مبررات ولا أوراق توت كما تقول- الغلبة فى إقناع الناس يوماً . ساعتها لن يهم حتى أن يتخلى مبشروها -الإخوان أو أيا من كانوا- عن التقيّة والمراوغة ، وأعلنوا أهدافهم دنيوية صريحة ، كما فعل الشباب الخليجي المقيم بالغرب الذى تحدثنا عنه للتو . ( يتوقف وبعد برهة يردف ضاحكاً : ) ضهرى ده حاج ، سره باتع ، وجايز بيععمل لنا سحر أو عمل فى أدمغتنا . ( ثم يردف شارداً : ) شوف الدنيا عجيبة إزاي ؟ فضلنا نخبط فى بعض أنا وهو فطلعت النتيجة أنك أنت إالى صح : أرسطو والمادية ! الأديان والأفكار أشياء ثانوية ، والشعوب سترحب بهذا الدين -وهذا ينطبق على كل دين لدى كل شعب- لأسباب ذاتية جدا وعميقة جدا لدى هذا الشعب أو ذاك ، أو ما أسميته أنت ذات مرة الأعماق الجيبينية للشعوب ، أو ما أسماه هنرى كيسينجر بعدك بقليل بالطبقات الجيولوجية للشعوب ، أو ما يسميه ضهرى بالبصمة الجيبينية للشعب ، أو ما أسميه أنا بـ C.V. الشعب ، لكن الواضح أن الكل بيدور حوالين فكرة قديمة لأرسطو إالى لاحظ ببساطة أن الشعوب مختلفة ولا يمكن تتلاقى أبداً ، أو كما تقول أنت بعد محاورات أرسطو وأفلاطون لا يوجد جديد فى الفكر الإنسانى . ( ثم يتأوه : ) آه ! الحاج عنده حق بصحيح . الراجل جاها لى م الآخر : المشكلة موش فى الدين ، المشكلة فى الجيين ! ، والناس -وأنا واحد منهم- موش فاهمة ، جايز لأنها تشبه نظرية الفرخة ولا البيضة ؟ ' .



**كما أن الشعوب تستحق حكامها ، بالمثل هى تستحق أنبياءها ؛**

**الإسلام ليس سبب انحطاطنا ، هذا ظلم ، انحطاطنا هو سبب الإسلام !**

**الإسلام عرض لا مرض ، ولو أردت حلا عليك البحث عن أصل الداء !**

**الفرخة أم البيضة ؟ الدين أم الجيين ؟ !**

إيه حكايتكم مع ' ها أجيبها لك م الآخر ' ؟ العلم ما لهوش لازمة بأه لما الحاجات ممكن تيجى م الآخر ! ثم إيه الحكاية ؟ كل الناس بتتكلم بلغة الجيينات . نشأت أعتقد أنى الوحيد المهتم بهذا الموضوع ؟ ماذا قلت يا ونس ؟ كما أن الشعوب تستحق حكامها ، بالمثل تستحق أنبياءها ؛ الإسلام ليس سبب انحطاطنا ، هذا ظلم ، انحطاطنا هو سبب الإسلام ! الإسلام عرض لا مرض ، ولو أردت حلا عليك البحث عن أصل الداء ! الفرخة أم البيضة ؟ الدين أم الجيين ؟ ! هل هذا ما سمعته ؟ ! أوه ! يا لغبائى ! بل هل هذا ما يحاول ضهرى أن يقوله لى طوال الوقت ؟ !

- لماذا اكتأبت هكذا ؟ كل الناس لا تهتم بشيء أكثر من هذا ، من أول صاحبك أرسطو بتاع ' السياسة ' ، لغاية شفيق جلال بتاع ' ع الأصل دور ' ، لغاية مراتى إالى مطلعة عين ابننا علشان بيحب زميلته إالى موش قد المقام . شوف قاموس الاستعلاء الطبقي عندنا ستجده يتكون من ألف كلمة : على قد حاله ، تعبان ، فقران ، ميتان ، عدمان ، جوعان ، حفيان ، عريان ، كحيان ، جربان ، غلبان ، مسكين ، شحات ، واغش ، وايش ، رابش ، غجر ، حلب ، شلق ، حوش [ بفتح الحاء والواو ] ، ناقص ، جربوع ، خسيس ، هلفوت ، سنكوح ، مقطوع ، مبهدل ، مدهول ، دون ، واطى ، منحط ، جلياط ( بتاع داود ) ، جلف ، جلنغ ، حلوف ، دندوف ، حثالة ، زبالة ، رامامة ، رمة ، معفن ، مقشف ، مقيح . وكأن كل ده موش كفاية أضافوا كلمة ' بيئة ' من كام سنة ! أتحداك إن خلا كلام أحد من إحدى هذه الكلمات لمدة ساعة كاملة . بينما فى الغرب أقصى كلمة يستخدمها الناس هى كلمة ضعيف ، وكلمة فقير نفسها بتعتبر عنيقة ومهينة ، لأنه جايز يكون غنى بمهارات أو حاجات موش ظاهرة . الغربيون والعلمانيون يقولون هاللو أو هاى أو صباح الخير ، والمسيحيون يقولون السلام لكم ؛ كلها عبارات أفقية توحى بالندية والتكافؤ ، لكن عندنا نقول السلام عليكم ، وهى عبارة رأسية يهبط فيها الكلام من أعلى للأسفل سواء من المتحدث أو من الإله أو أيا ما كان . صديقى ، لا تشعر كثيرا بالذنب أنك ولدت وفى فمك ملعقة من ذهب . الجيينات التى تتحدث عنها أنت وضهرى كما كيمياء عسيرة الفهم ، هى معلومات شائعة تماما لدى كل الناس منذ آلاف السنين ، ويسموها الطبع يغلب الطبع !

بينما يحاول ونس تذكر ذلك الموال الذى يتحدث عن الأصيل والخسيس ، ويقترح عليه البعض أنه ربما لمحمد طه وليس لشفيق جلال ، يقول وحيد لنفسه : الفرخة ولا البيضة ؟ ! الدين ولا الجيين ؟ ! عندك حق ! فى مشكلتنا معروف من جاء أولا ، الجيين أولا والكائن ثانيا . أيضا البيضة والفرخة لم تكن يوما بالمعضلة التى تستعصى على العلم ، أو حتى يهتم بما لفرط تفاهتها . هى أحجية تلغز السذج ، لكنها أسهل مما يتخيل أحد . العلم يحسمها ببساطة . ( ثم عند هذه النقطة يصبح الكلام مسموعا وموجها لونس : ) البيضة طبعاً هى الأول والدين بعد ذلك ؛ لم يحدث أن تطفر طائر أثناء حياته وأصبح دجاجة فجأة . ما حدث هو أن وضع بيضة mutated أفرخت دجاجة .

- ( فاغرا فاه : ) تصدق صح ! أحسن نظرية مؤامرة سمعتها فى حياتى !

الدين والجييين ؟ ! هل هذا ما أردت توصيله لى يا زهرى اللعين ؟ لك حاجات يا حاج !



## فصل الدين عن الدنيا

يا لعنة ! الاستعلاء الطبقي ؟ كيف فاتنى هذا ؟ ذات مرة كتبت أمحص الرأى الشائع بأن الضحك ينتج من المفارقة . قلت إن هذا اختزال سطحي لكلام أرسطو ، وإنه كلام عام يفتقد للتمحيص الكافي ، وإن مثلا هناك مفارقات تبكى ولا تضحك . حاولت أن أكون أكثر تحديدا وقلت إن الضحك ينتج عن المفارقة التى تنطوى على تحقير أحد ما ؛ أى مشهد سينمائى أو مسرحى يستوجب الضحك ينطوى بالضرورة على استهزاء من شخص ما ، وأية نكتة من أى مكان فى العالم لا بد وأن تحتوى حتما على شخص غبي ، ولو حتى -فى أقل الحالات وضوحا- المستمع نفسه . ما فاتنى -لفرط سطحيتى وغبائى أنا- أن الضحك آلية فيسيولوجية مزروعة فينا ، نمارسها لعشرات المرات يوميا ولا نستطيع العيش بدونها ، كل ذلك دون أن نعرف بالضبط ما تفعله بنا أو لنا . بغض النظر عن غموض هذه الأداة التكميلية وغرابتها وتفردنا وحدنا تقريبا بما بين الثدييات ، فهى إذن وجدت فقط من أجل هدف واحد : أن تشبع من خلالها حاجتك الماسة للاستعلاء . إذن الإنسان بحكم هذه الآلية المزروعة فيه كائن مصمم بيولوجيا لتحقير الآخرين ، ثم بعد ذلك يحدثونك عن أن كل البشر أخوة ومتساوون وشركاء فى الإنسانية ، بينما الحقيقة الفادحة أن عشيرتنا البيولوجية قد هندستها أمنا الجميلة الطبيعة لتقاوم هذه الفكرة ؛ ويا لسذاجتى اشتريت هذه الفكرة اليسارية دون أن أشعر ، اعتقادا أن الترفع على الاستعلاء على الآخرين هو جزء من سموى الأخلاقى أنا الشخصى .

- بالظبط كده ! الآن فقط بدأت تفهم ! ذلك هو الشئ الشرير الذى تخاف منه . لو تعودت تفصل الجزء الخاص بالجييين من الدين ، لن تكون نظرتك سلبية جدا للدين كما هى الآن . ما حصلش أن نبي بقى نبي لأنه قال عن نفسه إنه مقدس ، هو بيبقى نبي لأن إالى حواليه قالوا له أنت مقدس ؛ لأنهم زقوه علشان بيقى نبي . الناس هى إالى عاوزه الدين ؛ حاجة اسمها الوظيفية ، الأثنولوجيا بتقول كده . لنسم إذن الموضوع برمته النسق القيمي للجييين وبلاش نتناقش أصلا فى الدين . فهمت ولا نقول كمان ؟ علشان بتفهم بالتقسيم على رأى رمانه ، قصدى على رأى نيلى !

- نيلى مين ؟

- بتاعة الفوزير ! آه ، نسيت ، أنت زى بيلل جيتس ما بتفرجش على التليفزيون . أتحدى أنك الصحفى الوحيد فى العالم إالى شايلى التيونر من تليفزيونه !

- تليفون هاوارد هيوز كان بيرسل المكالمات ولا يستقبلها ؟

- أنت بتقارن نفسك بهاوارد هيوز ؟ !

- يعنى هى المقارنة مع بيلل جيتس هى إالى عاجباك ؟ !

- ( مواصلا تلطيف الجو بالمزاح : ) وعلى بلاطة تانى ، لو عاوزين تخلصوا منا لازم ترجعونا يثرب زى ما إدوارد -أو جده المجنون- ما بيقولوا . مبسوط ؟ ! صحيح أنا أؤيد رأيك ضد العلمانيين المزيفين الجهلة ممن يطالبون بفصل الدين عن الدولة ، وأرى وأؤيد أن المطلوب ليس فصل الدين عن الدولة إنما فصل الدين عن المجتمع ، بل حتى فصل الدين عن الأسرة ، بمعنى ألا يسمح للأبوين بتعريض الطفل للأفكار الدينية باستثناء ما يتعلمه فى حصص التاريخ ، و فقط عندما يكبر يبدأ البحث بنفسه . شخصيا سأكون سعيدا جدا لو رجع الدين للصدر والقلوب . سأكون

سعيدا جدا مثلا لو سحبت الدولة اعترافها بالزواج الدينى . اعمله واستمتع بطقوسه لو أنت عاوز ، إنما لو عاوز اعتراف الدولة وإثبات نسب الأبناء ونقل الميراث ، لازم تروح بنفسك أنت وعروستك وتتجوزوا تانى قدام مكاتب التوثيق ( هكذا مثلا كل مشاكل المسيحيين إالى عاوزين يتطلقوا زى إدوارد لم تكن لتوجد من الأصل ) . لكن ما أريد قوله إن مجرد فصل الدين عن الدولة لن يحل شيئا . هذا لم يمنع الإسلاميين من الوصول للحكم فى تركيا عشرين مرة . لذا السؤال الحقيقى هو أن كل دى أفكار رومانسية عبيطة ، أنكم تطالبون بحاجة مستحيلة التحقق . إن من المستحيل فصل الدين عن الدولة لأن الدولة جزء من المجتمع ، ومستحيل فصل الدين عن المجتمع ( ناهيك عن فصله عن الأسرة ) لأن المجتمع والأسرة هى الجيينات ، ولو أردت فعلا جعل الدين علاقة فردية جدا صوفية جدا بين الإنسان وربّه لا تعرف بها حتى أسرته ، فهذا اسمه فصل الدين عن الدنيا ، وهو يتطلب جيينات غير جييناتنا شرق الأوسطية !- ليست هناك جيينات بهذا الاسم ، هناك جيينات ساموية وجيينات مصرية ، أليس كذلك يا خبير مصر وخبير الجيينات ؟

- سيبك منى أنا ، تعرف أن كان مفروض يحاكموك على إالى كتبتّه بتهمه ازدرء الأديان ؟ !

- ازدرء الأديان ؟ أنا بأكتب كلام علمى . المهم والباقى على ميكروفونات المساجد فى كل حارة إالى بتزدرى فى كل ركعة المغضوب عليهم والضالين ، أو على جد إدوارد وإلى بيقوله ، أو على قنوات الساتلايت ومواقع الإنترنت من كل الأطراف . لا يمكنك تجريم ازدرء الأديان دون تجريم الأديان نفسها . ماذا يتبقى فى الكرهان الكريه إذا حذفته منه الكلام عن كفر اليهود والنصارى ؟

- اسأل ونس : يتبقى الكلام عن الستات !

- موش بأهزر . لا يزدرى الأديان قدر المتدينين أنفسهم ، من يتنابدون طوال بكلمتى 'أيها النصرانيون' و'أيها المحمديون' ، أو 'يا كتابي' و'يا أمة اقرأ التى أساسا لا تقرأ' ، أو 'يا عبدة الصليب' و'يا عبدة البقرة والنساء والمائدة (أو يا عبدة الهلال أو القمر أو أكبر أو اللات أو الكعبة أو الحجر الأسود)' ، أو 'يا كلعون' و'يا شارب بول البعير' ، أو 'النصر لسيف الإسلام!' و'بل النصر لسيف الكلمة!' ، أو 'يكفيكم كنف الإسلام' و'الإسلام ليس كنف بل كنيف' ، وهلم جرا . نحن لم نكن يوما طرفا فى حرب الفضاء الأزلية الأبدية تلك بين الرب والله . العلمانيون لعلمك أقل الناس ازدرء للأديان ، لأنهم موش شاغلين بالهم بما أصلا .

- وهو إيه تعريف الازدرء أحسن من كده ؟ !

ثم يلطف الجو بحكاية أخرى ، عن ملك أراد أن يعرف أى الأديان هو الصحيح . أتى برضيع وعزله عزلا مطلقا عن كل المؤثرات ، حتى يرى لأى العقائد سيميل . تفتكر الطفل آمن بأى دين لما كبر ؟ طلع مسيحي ولا مسلم ولا بوذى ؟

- ( بثقة عالية : ) طلع علمانى طبعاً !

- ( بصياح أعلى : ) غلط ! موش بأقول لك أنت موش فاهم أى حاجة فى أى حاجة ، والظاهر أنك ها تتعبنا أوى لغاية ما تبتدى تفهم . يا أخ : الولد طلع مؤمن بدين أبوه وأمه ! ( ويشير إلى وجهه مداعبا بما كان يقال لإسماعيل يس فى الأفلام : ) هو بعينه بغاوته !

- ماذا تريد منى بالضبط أيها الشيطان الرجيم ؟ الدين والجيين ؟ ! لك حاجات يا حاج !



ظل العلمانيون دهورا يدعون باستماتة للتتوير فلا ينجزون شيئا ،

لكن -ويا للمفارقة !- ها هو كاهن مسيحي يقدم لمشروع الحداثة المصرى ما لم يقدمه ربما الخديوى إسماعيل !

لعين آخر ( مثله مثل لعين نوبل بالضبط ، خرج من بطن أمه يرضع كتب داروين وسبينسر ويعيش معركة نظرية التطور يوما بيوم ،

أحقد عليهما كل الحقد لأنه لم يحدث في كل التاريخ أن وجدت ظروف للنشأة أفضل من هذه قط ) ؛

لعين اسمه توفيق الحكيم سطر أطنانا من الكتابات الجيدة ، لكن شيئا واحدا قد لا يعرفه عنه أحد فاقها جميعا وغير به وجه التاريخ :

أن أرشد صديقه الحميم زكريا بطرس على خبايا الإسلام ، وعلى كيفية التنقيب عنها ، وما كانت في ذهن هذا الأخير ،

والأهم أن ما كان في ذهن أيهما كانا يصنعان بطرس الثانى !

لم تمر سنوات معدودات حتى بدأ الإسلام يتداعى تحت معاول البطارسة الجدد ،

كما تداعت روما تحت معاول بطرس الأول وأتباعه المهوسين ، وحقا ماذا يساوى الإسلام إذا ما قورن بروما ؟ !

يا للهول ! أهى ١٩٧٥ التى يتحدث عنها ونس هى عينها التى عشتها أنا ، أم أن ثمة التواء زمان أينستائينية فى الأمر ؟ أرمسيس هذه تقع فى مملكة الواقع أم هى التواء فى بعد المكان ؟ الواضح أن الخطأ كان خطأى . ونس شاهد على التليفزيون التوبة المزعومة وأحس ما أحس فيها بين السطور . ونس شاهد الشعراوى وتوقع أو عاش أثره الفادح . أين كنت أنا ؟ ألم يكن هذا التليفزيون بطلنا الوحيد طيلة هذا الأسبوع ؟ ألم نشاهد عليه ما حدث ؟ ألم يبيع الجميع أسهمهم بسببه ؟ الجعيرة ؟ ! يا لها من تسمية ! شاهدنا كيف أصبحت قناة كهذه طرفا أصيلا ومباشرا فى الحروب . مراسلوها يعتقدون ويدانون عبر العالم كإرهايين مجرمين . مقارها تقصف كآى هدف حربى . ثم ماذا عن القنوات المسيحية الثلاث التى تهاجم الإسلام ؟ ونس يصفها بالزلزال الأعماق أثرا من سقوط الخلافة ، ويعتبرها قوات متخصصة ، يسميها ساخرا بأسماء السور التى يبدو أنها تركز عليها ، قناة التوبة وقناة آل عمران وقناة النساء ، لأن لا شغل شاغل لها إلا -بالترتيب- تأصيل لتاريخ العنف فى الإسلام ، ولاعتقاد الإسلام فى نفسه دينا فوق كل الأديان ، وللحياة الجنسية لرسول الإسلام . ويمرح أيضا أن قريبا ستكون هناك قناة لكل سورة من سور القرآن ، أو يطالب أسد بقناة لسورة الدخان لأنه يحب الشيشة ، أو تطالب تلك السيدة الساخرة دوما بسورة الفيل أبو زلزلة للأطفال ، أو سورة الصرصار ، وهكذا توالى على ذات المنوال المقترحات لجميع السور . الأدهى من كل شئ أبن ذهبى المادية المادية وأنا أقول الطفل بتاع الملك سيثب علمانيا ؟

هالة تقول عن مشاهير كتاب الصحف ومؤلفى الكتب والأفلام والمسرحيات بأهم شخصيات كارتونية تحليلية غارقة فى عالم من الواقع الفضيل virtual reality ، لعبة الفيديو المسماة الحياة الواقعية التى يغلقون أنفسهم داخلها ، فلا يرون العالم الحقيقى على الإنترنت . تعتبرهم حفنة غلابة عايشين فى دنيا ثانية ؛ يتقاتلون مع الأزهر على بيت شعر مجازى أو سطر فى مسرحية أو حلمة ثدى امرأة على الشاشة ، ويذهبون للمحاكم والسجون من أجل تلك التفاهات ، بينما هى على الإنترنت تحاكم إله السماء ولا تكتفى حتى بسجنه بل تعدمه . لكن السؤال : ماذا قدمت فعليا للعلمانية هذه الهالة -وهى اسم على مسمى- التى تتباهى بأنها كتبت كلمة العلمانية لأول مرة بالعربية على الإنترنت ؟ الإجابة : لا شئ تقريبا . أقصى ما تتباهى به أنها تؤثر فى هؤلاء المشاهير فتجعلهم أكثر جرأة ، لكنها لم تكمل بقية الجملة : فيذهبون للسجون ! ظل العلمانيون دهورا يدعون باستماتة للتتوير فلا ينجزون شيئا ، لكن -ويا للمفارقة !- ها هو كاهن مسيحي يقدم لمشروع الحداثة المصرى ما لم يقدمه ربما الخديوى إسماعيل ! لعين آخر ( مثله مثل لعين نوبل بالضبط ، خرج من بطن أمه يرضع كتب داروين وسبينسر ويعيش معركة نظرية التطور يوما بيوم ، أحقد عليهما كل الحقد لأنه لم يحدث فى كل التاريخ أن وجدت ظروف للنشأة أفضل من هذه قط ) ؛ لعين اسمه توفيق الحكيم سطر أطنانا من الكتابات الجيدة ، لكن شيئا واحدا قد لا يعرفه عنه أحد فاقها جميعا وغير به وجه التاريخ : أن أرشد صديقه الحميم زكريا بطرس على خبايا الإسلام ، وعلى كيفية التنقيب عنها ، وما كانت فى ذهن هذا الأخير ، والأهم أن ما كان فى ذهن أيهما كانا يصنعان بطرس الثانى ! لم تمر سنوات معدودات حتى بدأ الإسلام يتداعى تحت معاول البطارسة الجدد ، كما تداعت روما تحت معاول بطرس الأول وأتباعه المهوسين ، وحقا ماذا يساوى الإسلام إذا ما قورن بروما ؟ ! كان من أصعب ما يكون إقناع أحد بالشغل لرفع مستواه المعيشى أو بترك عاداته الشرقية البالية أو الإيمان مثلا بالتححرر الجنسى أو الانفتاح على الثقافة الغربية ، بينما اليوم أيسر شئ إطلاقا على المرء الارتداد أصلا عن الإسلام ، شئ أصبح كما شبكة دبوس تحتازها الفتاة أو الشاب فى لحظة ؟ حتى ملايين الطيبين حسنى الطوية الذين ظلوا يعتصمون بأن لا بأس بإسلامهم يجدون فيه روحانيات وصوفية وأشياء جيدة للتعبد ، لا يطول الوقت بهم حتى يكتشفون أن الهجامة الذين جاءوا من جزيرة العرب لم يأتوا بأى شئ من هذا معهم ، بل هم لم يعرفوا الروحانيات أصلا طيلة تاريخهم ، وكل ما حدث أن استمر كل شعب يتعبد على ما كان يتعبد عليه ، مع وضع لافتة

الإسلام قسرا عليه . كنت أؤمن أن لا تعايش بين العلم والدين وأن لا طريق للحداثة إلا الذهاب مباشرة لتقويض الدين من جذوره ، وكنت أنتقد سائر العلمانيين سوى أن مرحلية وحياء وتحاشى كتاباتهم للصدامية لن يجدى . كنت على حق ، إلا أنى بصراحة كنت أعتقد أن الطريق الأقصر التى اقترحتها ليست إلا الطريق الصعب ، ولم يخطر ببالي قط أنها الأسهل إطلاقا : مجرد كاهن يظهر على شاشة تليفزيون ، فيخرج الناس من دين الله أفواجا !

بصراحة نحن -وكل أبنائنا وبناتنا- ندين بأغلب حرياتنا اليوم لهذا الكاهن ، حتى لو كنا نزيد ونزدري معتقداته الخرافية ، ويا لها أيضا من عجيبة من عجائب مسالك أمان الطبيعة ! لم يعد أحد يفكر فى فرض رقابة على الكتب أو الصحف أو الإنترنت ، لأن الرد بات جاهزا وبديها : وماذا ستفعلون فى زكريا بطرس ؟ الأكثر إدهاشا هو السرعة التى تتطور بها الأمور : النبوة السياسية لهذه القنوات زادت تدريجيا على حساب بداياتها الدينية الخالص ، لكن الأدهى والأمر تلك القناة المسيحية الناطقة بالأردية التى أشعلت باكستان ، إلا أنه لا شك أن أكثرها جميعا قيمة هى تلك الجديدة المتخصصة فى التاريخ المصرى ، ترويه من منظور يقولون إنه قبلى ، لكنى أراه منظورا علميا موضوعيا يرفع أكوام التزوير العرجى-الإسلامى الهائلة التى ألحقت به . أشك أن هذه القنوات توصلت لما توصلت له أنا من بحوث خلال بضعة أيام . لقد وصلت بسرعة مذهلة لتراطات وتركيبات مرعبة ، أشك أن لاحظها أحد قبلى ، بالذات تلك التى تتعلق بتخصصى ، الاقتصاد . يا للخزى ! يوم كتبت فى الاقتصاد الإسلامى ، وقامت الدنيا ضدى ، لم أكن فى الواقع أعرف عنه عشر ما أصبحت أعرفه الآن . فى الواقع لم أكن أعرف شيئا تقريبا . على الأقل لم أكن أعرف أن الشغل صغار !

حين كتبت مقالتي المشهورة عن الاقتصاد الإسلامى ، كنت أعتقد أنى أكتب فى الاقتصاد ، وحين هاجت الدنيا أدركت أنى قد كتبت فى الدين ، لكنى اليوم فقط اكتشفت أنى كنت أكتب فى شىء ثالث : التاريخ ، أفصد الجيبنات ! عرفت الاقتصاد الإسلامى بأنه اقتصاد قدر ، وعرفت الاقتصاد القدر بالاقتصاد القائم على الأموال السهلة ، وكنت أعتقد أن هذه الأخيرة مفهومة للجميع : أموال الربيع والميراث والانفاق الحكومى ومضاربات المال الساخن وكل ما شابه . لكن من قرأوا فهموا شيئا آخر ، اعتقدوا أنى أتكلم عن الاسترقاق والاستحلال ، عن الغزوات والغنائم والعبيد وملكات اليمين ، بينما للأمانة -أو بالأحرى لجهلى الرهيب- كل هذا لم يخطر ببالي قط !

لكن ما قيمة هذه البحوث إن ظلت فى عقلى ؟ لظالما ذكرتني هالة بأن كل شىء يجب أن يصل للناس ، ولو بالصراخ فى آذانهم المصمومة . ليس هذا ما فعلته بالضبط هذه القنوات التى أستهيى بها ؟ إنهم يزعمون أن أى قادم جديد لهم لم يعد يحتاج لأكثر من أربعة أسابيع لترك الإسلام : أسبوع للسبب وأسبوع للجدال وأسبوع للتساؤل وأسبوع للتفكير ! ما هذا اللغز ؟ هالة كتبت أفكارها العلمانية على موقعها الذى يزوره الملايين شهريا ، ولم يحدث ذات الضجة التى صنعتها هذه القنوات ؟ أليس السبب أن هذا هو التليفزيون ، أولا هو الموجه للجاهل قبل المتعلم ، لمئات الملايين وليس للملايين ، ثانيا هو الوسيط الساخن بمصطلحات ماكلوان ، يقصد أنه يقوم بكل شىء ولا يطلب منك إلا الجلوس كقطعة خضار أمامه ؟ ( أوه ! عفوا يا مارشال ، الذاكرة خانتنى : أنت وصفت التليفزيون بالوسيط البارد الذى تتفاعل نحن معه بعقول نشطة . لكن يبدو أن مياها كثيرة جرت فى قريتك الجلوية ، لم يتح لك الوقت لمتابعتها كلها . لو عدت الآن ستجد أن القراءة فى نفسها قد انقضت يا سيدى . لم تعد تلك الرموز السوداء التجريدية المسماة حروف الطباعة تغنى أو تسمن من جوع ، ولا بد من أن تعصف المادة المعروضة بكل حواس البصر والسمع واللمس والرائحة وحتى التذوق حتى تثير اهتمام المرء أصلا ، ولهذا دعنى أضيف لنظرياتك الثورية الجميلة إن ألعاب الفيديو أصبحت لذلك السبب تحديدا هى الوسيط الرئيس حاليا لتناقل الثقافة الإنسانية . ربما عليك على الأقل مقابلة منى التى لم تقرأ كتابا واحدا فى حياتها ، لكنها واسعة المعلومات وتشق طريقها جيدا فى هذه الحياة . . . ربما ثمة وسيلة واحدة لحملها على القراءة لأكثر من عشرة سطور متواصلة ، هى أن تقنعها أن ثم كتابا فى الخارج هناك -فى الأسواق أو على الإنترنت- سوف يقلب حياتها بالكامل رأسا على عقب ! ) .

لقد ظلت تلميذتى هذه تكتب عن الإسلام وباسمها وصورتها كلاما لم يكتبه أحد قبلها ولا بعدها ولو حتى باسم مستعار ، مع ذلك مر كل ما كتبه بدهوء ومضت الدنيا على حالها وكأن شيئا لم يكن ، أما حين بدأ قسيس بملابس دينية وصليب ضخم على كرشه الأضخم يقول ذات الكلام ، طرقت كل الأذان وبرزت كل المخالب والأنياب ، وتغيرت خريطة العالم . هل السبب كفى فقط ، مجرد الانتشار التليفزيونى ، أم لعله سبب كفى : تخلى المسيحيون عن استراتيجية الدفاع عن العقيدة التى اشتغلوا عليها طيلة تاريخهم ، وبدأوا الهجوم قائلين : ' أدى القرآن وأدى التفاسير وأدى الحديث وأدى السيرة واتفعلوا قرءوا ما لذ وطاب يا جماعة ! ' ، أم لعله أن أحدا لا يهتم بنا نحن العلمانيين ، مهما قلنا سنصبح

مجرد مارقين ضلوا عن الدين الصحيح ولا يشكولون أى تهديد له أو لسلامنا العقلى ، لكن أن تقول إن دينا آخر هو الصحيح ، فهذه مشكلة هائلة ، لأنها تعنى أن مصيرك الأبدى قد يكون الجحيم بدلا من الجنة ؟

لكن مهلا ، ألا يحتمل أن القصة برمتها تخص انفعالياتنا الشرقية ولا شىء أكثر ، كل الأعصاب المكشوفة قد مست مجرد أن كاهنا بعمامة سوداء هو الذى قال ذات ما تقوله هالة بالضبط ؟ كلا ، هو لا يقول بالضبط ما تقوله هى ! هو يقول كلاما موضوعيا محكما نعم ، لكنه من حيث الصيغة أشبه بصحيفة تابلويد يركز على فضائح وجرائم مُجْد ، أما هالة فتعتبر أوجانون أرسطو بالنسبة له . لكن مهلا ، أليس هذا هو ما يهم حقا ؟ ! أليس هذا هو دوما معنى الإعلام الجماهيرى ؟ هل كان الإعلام يوما مجونا علمية بحتة ، أم لا بد له من اللعب على أوتار المشاعر بدرجة أو بأخرى ؟ أليس كلامك أنت أن الفن الهابط هو الفن كما يجب أن يكون ؟ أليس الأمر برمته يخص الانفعالات ، وثبت على العكس من كل توقع أن الوسيط الساخن هو الأناجح وهو الأكثر تأثيرا ؟ أيا ما كان ، أليس صحيحا فى خاتمة المطاف أن ما يحدث الآن من حرب فى الصعيد هو مجرد نوع من الانتقام ضد هذه القنوات ، وأن المستقبل مفتوح على كل الاحتمالات لو توسعت عمليات الشد والجذب هذه لتحويل الناس من دين لآخر ؟

لكن مهلا ! إذا كان هذا المدعو زكريا بطرس هو فعلا كما يزعم ونس أعظم قائد للتنوير فى تاريخ المنطقة ، فنحن فى مشكلة حقيقية : كل من أسميناهم رموزا للتنوير هم زيد فوق ماء انطفأ قبل أن يبدأ ، مجرد مشروعات للتنوير بينما رجل دين هو القائد الحقيقى للتنوير . إنها أقرب لنكتة مصرية باجحة أخرى ، فالدين ما هو دائما أبدا إلا الظلام عينه ! أنا لم أحب هذا الكاهن على وجه الإطلاق ، ولا أفهم بالمرّة كلمة كاريزما التى يرسلها ونس عليه بهذه السهولة . ربما ما وقع فى يدى على الإنترنت حتى الآن هو مواد مبكرة له ، لكنى بالتأكيد لم أجد إلا واعظا مصرية يخاطب عقولا ساذجة ، يطعن فى الكلام بقوله مقطعا كلمة كلمة يمت الألفاظ ويلحنها ، أو بصياغة أخرى لغاية ما يقول ' يا مسهرنى ' يكون نص الجمهور نام . صحيح أن محتوى كلامه مهم وبه جهد بحثى ما ، لكنه لا يشغل أكثر من ١٠٪ من المساحة التى يعطيها لنفسه ، بينما ٩٠٪ يركز فيها على الشكليات فى كلام مجادليه ويضع مقدمات مطولة قبل الدخول للموضوع وهكذا . إنه يذكرنى أحيانا بكل شيخ أزهرى أو إخوانجى ممن يظهرون فى تسجيلات مشابهة ، يبدؤون ردهم عليك بشىء شكلى للغاية : تصحيح نطقك للكلام ، ١- كى يهز ثقتك بنفسك ، ٢- كى يتهرب من الموضوع الحقيقى محور الكلام ، ٣- وهى الأهم : كى يملى على عقلك الباطن دون أن تشعر قدسية زائفة على الكرهان الكريه واللغة العربية . لو حدث هذا الأمر معى شخصيا لقلت قبل أن أبدأ إنى كنت الأول على لبنان فى اللغة العربية فى الثانوية العامة ، لكنى سأتعهد فى كلامى امتهان لغتك المصون فلا تحدثنى عنها . أنا كاتب وأعرف هذه اللعبة جيدا ؛ حين تكون قضية أحدهم ضعيفة يبدأ فى إغراقك فى الشكليات والإشكاليات اللغوية كى يشتت انتباهك بعيدا عن لب الموضوع . لو كان بطرس يتحدث بلغة وجيزة عصرية لكان أقوى وأوقع ، ولاختصر كل عشر حلقات من برامجه فى حلقة واحدة . لكن مهلا مرة أخرى ! ألا يمكن أن يكون ذلك التطجين ' البلدى ' هو سرته ، والناس هى التى تحب هذه الطريقة من الإعادة والزيادة واللعب على المشاعر ؟ أليس هذا ما تعلمه من الوعظ فى الأرياف ، هذه التى لا أعرف أنا عنها أى شىء ، ويعلم هو أن تلك هى أكثر الطرق تأثيرا على المصريين ؟ فقط ربما ما يهون على هو أنه نظير كل شخص يخرجونه من الإسلام للمسيحية ، هناك خمسة يخرجونهم منه للعلمانية . هم ضيقو الأفق جدا ، يتصارعون وكأن المسيحية والإسلام كوبان لا ثالث لهما ، إن انتقصت بعض الماء من واحد لا بد وأن يذهب إلى الآخر ، ولا يشعرون أن الماء يتناثر منهما على الأرض طوال الوقت ، إلى أن يجدا كوبيهما فارغين !

مهلا مرة أخرى : أيا ما كان ، لقد فعل هؤلاء فى شهور قليلة ما فشلنا فيه نحن العلمانيون فى قرون طويلة : زعزعة قدسية الإسلام التى لم يخيل أحد أن تنهوى بسهولة وسرعة هكذا كما نمر من ورق . هذا الرجل -ومع الوضع فى الاعتبار ما يقوله ضهرى دوما عن أن الدين هو جبين تكتشفه ولا تغيره- ذلك الرجل نجح فيما فشل فيه طه حسين وقافلة طويلة من العلمانيين من بعده : علمنة كل هذه الأعداد من معتقضى الإسلام ! هؤلاء المغامرون غير المعروفين حتى بأسمائهم الأصلية فى الغالب ، استطاعوا أن يجعلوا الإسلام أسرع الأسهم هبوطا فى تاريخ بورصة الأديان . ألا يحتمل أن مسيحيهم هذا قادر على الإتيان بالمعجزات فعلا كما يزعمون ، بل ألا يجدر بى أنا شخصا أن أنضم لكنيبتهم وعقيدتهم ، على الأقل كى يصبح لحياتى معنى وهدف وثمره ؟ الأسوأ : هل سيستمر هؤلاء العلمانيون الطازجون على علمانيتهم كثيرا ؟ أليس من المؤكد أن الجيينات المصرية لم تعرف بعلمانيتها يوما ؟ هل التنوير يستلزم بالضرورة أن تعرض على الناس دينا آخر ؟ هل التنوير يستلزم بالضرورة حربا أهلية ؟ هل أصبحت تخاف الحروب ؟ رأسى ينفجر !

لقد ظلت سنوات أتباحج بأني فككت التيونر من جهازى . حين علمت أن بيلل جيتس يفعل الشئ ذاته ، زاد تباجحى وضحكت قائلا لعله سرق الفكرة منى . ظلت سعيدا بنفسى ، حتى نغصت على هالة حياتى كالعادة . كان ذلك فى أواخر أغسطس ٢٠٠٥ . كنت فى ذروة الشغل فى فيلم توم كروز . اتصلت وألحت فى الاتصال أن أشاهد برنامج مُجدِّ حسنين هلوكة على ' الجعيرة ' ( لك حاجات يا حاج ! ) . ده تطاول يا أستاذ . دى أول مرة يتكلم فيها فى الاقتصاد ، إالى طول عمرهم بيحقيقوه . الكلام خطير ولازم أنت ترد عليه . ممكن أنا أرد . موقعى أنجح موقع رأى على الإنترنت . الكلام عندى والناس ها تقرأنى . لكن أنت الوحيد يا أستاذ إالى ممكن يقضى عليه بالضربة القاضية . أنت رمز المقاومة فى هذا البلد ، والمره دى الموضوع واجب عليك أنت شخصا !

مقاومة ؟ ما هذا الوصف الغريب الذى لم يخطر لى ببال ؟ واجب ؟ هل أنا فى مدرسة ؟ هل ألغوا قرار إعفائى من التجنيد ؟ قلت لها أن تهدئ من روعها . لا تشغلى بالك به . عصره انتهى ، والآن لا يشاهده سوى الصحفيين الشبان . يلمون بالصعود الطبقي على طريقته ، ولا شئ أكثر . فردت على صارخة وكأنى مرعوس بليد عندها ' لا يشاهده سوى الصحفيين الشبان . هو أنت عاوز إيه أخطر من كده ؟ توم كروز مين ؟ أنا عارفة أن تليفزيونك بيشغل فيديو بس . ها أجيب لك الشريط دلوقت حالا ، ولازم تفضى لى نفسك ! ' .

لم يكن الدرس الذى لقتنى إياه هالة قاسيا بما فيه الكفاية . ربما اليوم يختلف الأمر . يجب أن أتابع ما يجرى فى الدنيا . تحريضات هلوكة ربما أخطر أثرا مما سبق وتحيلت . ربما لن أعود لتكوين التيونر فقط ، بل ربما أركب أيضا نظاما لاستقبال الساتيليت ، بل واشترك فى كل القنوات غير المجانية . تكوين تيونر ؟ أجنت ؟ ! إن بالمنزل تليفزيونا بتيونر بالفعل ، أشاهده أنا ورمانة ، أقصد أشاهد ما تختاره رمانه . كيف نسيت هذا ؟ طبعا أنا ممن بشروا بكل هذا . جريدتى أول من كتبت كلمة تليفزيون الساتيليت بالعربية ، لكن أن أقول إن التليفزيون أداة رهيبه شئ ، وأن أطبق ذلك على نفسى وعلى وقتى الثمين شئ آخر . وقت ثمين ؟ أى وقت ثمين ؟ من ذا الذى لديه الفصام الحقيقى ، أنا أم هؤلاء أبناء رمسيس الطيبون ؟ أنا أبأس إنسان فى الكون ، وعقلى أبأس عقل !

- بمجرد هزيمة الكابوس الناصرى فى ١٩٦٧ انطلقت قوى التحرر فى المجتمع بقوة هائلة . أنا فاكّر حاجات من تليفزيون زمان . موش ممكن أنسى أحمد رمزى وصدرة المكشوف ، والمذبحة تلاعبه فيه وتساءله هل فقدت منه أزرار القميص أم ماذا ؟ لسه بيحبوا يعيدوها لغاية دلوقت .

- هى جت على دى . قول دى مرة وعدت . صور الستات المحجبات ما كناش نشوفها إلا فى صفحة الحوادث ؛ الحجاب إالى ما كناش بنشوفه أصلا ، هو إالى بعد شوية قالوا عليه من ثوابت الأمة ، وهددوا بقطع رقبة كل واحد أو واحدة يفكر فى التفكير فى الكلام عنه . كل يوم كان فيه فقرتين ثابتين لسهير زكى ونجوى فؤاد ، اتشالوا واتخط بداهم أذان المغرب وأذان العشا ! لما كنا نسمع القرآن صادرا من أحد البيوت ، كان رد الفعل التلقائى أن نميل لأقرب دكان لنسأل ' مين مات ؟ ' . ما حدش كان بيصوم رمضان ، وكنا نغيظ إالى بيصومه ونقول له fast but not feast . وطبعا ما حدش بيصلى ٥ مرات فى اليوم . إالى كان بيصلى الجمعة ، كنا بنسميه شيخ ونفضل نتريق عليه . المشاوخ إالى بقوا سلطة فوق السلطة ( منذ يوم استدعوا للقضاء على الشيوعية ) ، كانوا فى أيامنا زباله البلد ؛ منبوذين وأذلاء ، ولم تعرف مثلا السينما المصرية منهم إلا المأذون فقط لا غير ، تأتى به كى تجعله مادة للفكاهة ، حفرية تاريخية ترفه بها على المشاهدين . صحيح ممكن تقول أن انطلقت قوى الغيب والتخلف ، لكن دى كلها مظاهر فى مظاهر ، والمهم الجوهر . والجوهر أن الشعب ده صعب يتقدم .



## عرفت بس أن كل الحروب بين المسلمين والمسيحيين هى فى الأصل صراع بين أبناء الجارية وأبناء المومس !

- هل انتهيت من التنفيس عن كل أحقادك الدفينة على الإسلام ؟
- هذه ليست أحقاد . هذه مناقشة علمية .
- ماذا قرأت فى الدين ؟
- قرئت أيام المدرسة الإعدادى . وبحسن نية صافى وحياتك . بضمير خالص ، لا مع ولا ضد ، ولا أى موقف من أى نوع .
- قرئت إيه ؟

- قررت أقرأ الأديان الثلاثة بالترتيب ، العهد القديم ، العهد الجديد ، القرآن .

- وبعدين ؟

- قرئت خمسين صفحة ووقفت .

- ليه ؟

- بقيت علماني !

- بقيت علماني علشان قرئت ٥٠ صفحة من التوراة ؟ !

- أيوه !

- قرئت إيه ؟

- موش فآكر بالظبط . قرئت لغاية حكاية الجدع إالى ما كانش بيخلف وكان بيتاجر بمراته فى كل مملكة يروحها ، ولما خلف فى سن التسعين ما نعرفش إزاي ، ركه عفريت وبقي عاوز يدبح ابنه ، برضه ما نعرفش ليه ؟ عرفت بس أن كل الحروب بين المسلمين والمسيحيين هى فى الأصل صراع بين أبناء الجارية وأبناء المومس !

ويتداخل ونس : ' صح ! مُجد نفسه حاول يتبرأ من نسب إسماعيل أكثر من مرة وفعلها صراحة فى حوار مع مسيحي نجران ، وكثيرا ما يربط نفسه بإسحق أو يستخدم عبارة دين إبراهيم وإسحق ويعقوب كوصف للدين الذين ورثه ، إنما الظاهر ما كانش يعرف أن الطريق التانى أضل سبيلا ، ها ! ها ! ها ! فضل يعك كده لغاية عمر ما قال له اصحى وفوق ما توديناش فى داهية بمبلك ! ها ! ها ! ها ! ' .

- طبعا لا نوح ولا إبراهيم ولا يوسف ولا جازيز حتى موسى ( صاحب الناموس نفسه ) ، لهم أى سند فى التاريخ ، فقط تهاويم يهودية . عشرون شخصا وعشرون قصة لا يجمعها زمان ولا مكان نسجت معا ، منذ أول تجميع لنسخة التوراة الأقدم فى القرن الثامن ق . ح . ش . ، حتى تجميع كل النسخ الأربع على يد عزرا قبيل الرحيل من بابل فى ٤٥٠ ق . ح . ش . ( حيث زادت المتناقضات سوءا لأن أحدا لم يكن يجروء فى أى عصر على حذف شىء حتى لا يشق صف الأمة ! ) ، كلها كى تصنع مثلا شخصية موسى ، وهكذا دواليك لكل خرافات الأولين من ما قبل ما يسمى بعصر القضاة . ربما هذا مفهومهم للتوحيد : تجميع الشخصيات فى شخصية واحدة ! أنت تعرف تاريخ الفراعنة أحسن منى ، وهو تاريخ جيد التوثيق جدا ، ولا فيه طوفان ولا قوادين ولا وزراء أجانب ولا مجاعات ولا لعنات ولا شق بجر ( أعتقد قناة السويس لم تكن قد حفرت بعد ) ، ولا فيه أى حاجة عن الحشرات عامة ، وعن اليهود خاصة . بالكثير صورة أو اثنين لناس ملتحنين لا أهمية ولا تميز يذكر لهم إلا كوزهم أغرابا ولا نقول عبيدا لأننا لا نقبل عشرة العبيد ، عشرة الوسخ . كل ده ببساطة لأن من جاء من اليهود لمصر -أو لغير مصر- هم جماعات مهاجرة صغيرة جدا ، وكل ما تعلق أى جماعة من دول من أسهم كذبتها -أقصد قصتها ، وأساطير وقفة ربنا الوهمية معاها- كل ما تكون فرصة حصولها على ختم التقديس أكبر ، أى تفوز فى المزاو وتعتمد القصة على أنها حدثت لكل شعب إسرائيل . فعلا ! قرئت لغاية موسى ما سرق ذهب الفرعون . لآ ، لآ ، افتكرت ! لغاية خروج ٣٤ ، لغاية النسخة الثانية من الوصايا العشر ، إالى بعد صاحبنا ما اتزربن وكسر الألواح ، وصاحبنا التانى إالى فوق اتزربن أكثر ، لكن بعد ما دلعهو شوية هدى وقال لموسى هات غيرهم وها أمليك تانى . ١٠ وصايا ما لهاش أى علاقة بالنسخة المشهورة قبلها بكام فصل . مظبوط ! وقفت عند ' لا تطبخ جديا بلبن أمه ' . قلت كفى ، لقد قرأت ما يكفينى قرنين من عمرى من الهراء . ثم إن ما تلا ذلك كان مئات الصفحات مملة التفاصيل حتى لتكاد تقتلك ، عن مواصفات طعام الكهنة ، أقصد عن التقديمات والمحرقات ، الشريعة ، النظام الضريبى الإلهى الذى ييز نظام مُجد الرزاز نفسه . عرفت دلوقت ليه ما كملتش ؟ !

ويقهقه ونس بأعلى صوت : ' عارف أنت عملت زى مين ؟ زى مُجد ! ها ! ها ! ها ! ها ! قرأ برضه لغاية صفحة ٥٠ بتاعتك أو جازيز أقل شوية ، وأول ما لقي واحدة اسمها مريم قال تبقى هى دى مريم العذراء أم المسيح إالى بيحكوا عليها ؛ مريم بنت عمران ( أو عمران ) أخت هارون وموسى ! ها ! ها ! ها ! الفرق أنه قرأ ٥٠ صفحة فعمل دين واحتل العالم وكل نسوان العالمين -الإنس والجن- سابوا أزواجهم ووهبوا أنفسهم له ، وأنت الخبيان شكلك ها تقضى بقية عمرك فى أودة ما بتعملش غير أنك ترغى مع واحد اسمه زهرى ! ها ! ها ! ها ! ها ! ... عمر مين ؟ عمر ما ينفعش يظبط [ بتشديد الباء ] دى ؛ عمر ما لهوش فى الدين م الأساس ، وما سمعش أصلا عن مريم ولا حتى المسيح ! ها ! ها ! ها ! ' .

- أنت تسكت خالص يا تخين يا أبو مخ تخين أنت ! إحنا خالصنا كلام عن الإسلام وبتتكلم دلوقت في حاجات فوق مستواك . فاهم ؟ !  
ثم أنت حمار أصلا ، مُجَّد لم يقرأ ولا صفحة ، هو بيحك الخط بالعافية ، سمع كل الحواديت دفعة واحدة فافترض أنها قصة واحدة تقع كلها في نفس  
الزمان ونفس المكان ونفس الأشخاص ، كلهم أقارب وكلهم جيران ؛ نوح وموسى والمسيح والجميع ، كلهم عاشوا سويا وكلهم عاش الطوفان  
وكلهم هرب من فرعون وكلهم شهد بناء بابل ، وبابل هي الأهرامات هي القطب الشمالى هي القطب الجنوبي ، وهامان هو فرعون هو ملك  
بريطانيا هو رئيس أميركا ، عجل هارون هو عجل السامرة هو عجل نيو دلهى هو عجل نيو مصر إالى هو أنت ، الكل قبيلة واحدة قرية واحدة  
حدوتة واحدة ، تماما كما قريش ! هل سمعت عن حدوتة فيها اتنين اسمهم مريم أو فيها أى اتنين بنفس الاسم ؟ قول له حاجة يا عم وحيد يا بتاع  
الأفلام !

- أنا موش فاهم أنتم بتتكلموا عن إيه ؟ إيه موضوع أمى إالى لسه بيناقشوها ليل نهار واتعملت فيها كتب قد كده ، بما في ذلك لويس  
عوض ؟ تفرق في إيه إذا كان أمى أو كان بيعرف يقرأ ، هو كان عندهم كتب علشان يقرأوها ؟ !

- أنت التاني تسكت ! مسيحين إيه وولاد المومس ؟ إيه علاقتهم بإبراهيم أصلا ؟ أنت لا فاهم في الأعراق ولا في التاريخ ولا فاهم أى حاجة  
في أى حاجة . ثم قناة السويس إيه إالى عبرها موسى ؟ تعالى معاى لسيناء مرة واحدة في الشتاء ، وها تعرف أن السيل يأتي في لحظة ويجف في  
لحظة ، وها أخليك أنت بنفسك ترفع عصابتك وتشق البحر ٥ أو ٦ مرات في اليوم . وكمان جازيز تفهم بالمرّة أصل خناقة وولاد المومس وولاد  
الجارية ، لأن الحرب بين اليهود والمسلمين دى حاجة فوق مستواك وفوق مستوى ثقافة الشوكة والسكينة بتاعتك !



### سلم لى ع الكلوروفيل !

- واضح ! مشكلتك أنه بتقرأ الدين كحقائق علمية فبترفضه .  
- أنا أعترف أن قراءتى محدودة في الدين ، وأعتقد ده مصدر فخر موش خجل . بل ربما لو كنت قد قرأت أرسطو من البداية وعرفت أن  
الإله ما هو إلا المثل العليا التي نخلقها لأنفسنا لاسترحنا وأرحنا .  
- أفهم من كده أنك لم تقرأ كلمة واحدة في الإسلام ؟ !  
- في الواقع علاقتى بالإسلام انتهت قبل أن تبدأ : الدين الذى يحرم الخمر لا يمكن أن يكون دينا من السماء ! لو عاوز الحق أنا علاقتى  
بالدين ككل منتهية قبل الـ ٥٠ صفحة إياها بسنوات طويلة لكن دون أن أعلم . في حصة الدين في ابتدائي قالوا لنا كل واحد أو واحدة يصلى  
لربنا ويشكره ويطلب منه ، كنت الوحيد الذى شل لسانه ولم أجد شيئا أقوله وكان موقفا غريبا محرجا . كنت أصغر من أن أفهم ساعتها أى  
لست في حاجة إليه ولا هو في حاجة إلى . . . بصراحة ، أنا ما كانش المفروض أقرأ حتى صفحة ٥٠ . كان المفروض أقف من أول صفحة .  
بتقول النبات التخلق قبل الشمس ، والأرض -بما فيها الماء وهواء الغلاف الجوى ، الذى ترف روح الرب فوقهما وفيهما- اتخلقت قبل كل الكون ،  
يعنى أقلها سلم لى ع الكلوروفيل ! كنت عاوزنى أكمل إزاي ؟ !  
- أنا عارف دى . الأشياء الثابتة تماما كالأرض معدومة الحياة وخلقت أولا ، ثم الحى الذى لا يتحرك كالنبات يليها ، ثم المتحرك في فلك  
ثابت كالشمس والقمر والنجوم أكثر حياة ، ثم أخيرا حر الحركة بالكامل كالحيوان والإنسان هو كامل الحياة ومن ثم خلق آخر الأشياء . ليو  
ستراوس كتب في الموضوع ده .  
- ( بغيظ شديد جدا ، مكتوم بالكاد : ) يعنى أنت كنت عارف أن الفيلسوف الكبير للمحافظين الجدد وأباهم الروحى ، علمانى ، وكنت  
بتنترقنى إزاي أو من بالاقتصاد الحر وأنا موش مؤمن ؟  
- أنت لسه فاكر ؟ ده كان رهان بينى وبين ونس وروميو اتحدونى فيه أن ما حدش يقدر يخلليك تنفعل أبدا . أنت راجل قلبك أسود .  
- وأنت راجل هايف !

ويدارى ونس وروميو خجلهما : ' وهو حد يقدر ع الحاج برضه ؟ ! ' ، ' خليك حريص منه يا عم وحيد ! ' . ثم يستخدمان سلاحهما  
الذى لا يقهر ؛ التهريج : ' في القرآن خلق كل الحاجات دى وهو ركب على حوت ' ، ' هم كام يوم بالظبط في الكرهان ، ٦ ولا ٨ أيام ؟ ' ،

‘ يقولوا دى حقب جيولوجية موش أيام عادية ’ ، ‘ ها ! أنت زى إلى جت تكحلها عمتهها ، هو لو ربنا خلق الكون فى ١٤ بليون سنة موش فى ست أيام يبقى إله إزاي أساسا ؟ ! ’ .



إحساسى إالى طول عمره ما خاب أبدا بيقول لى أنك المسيح الدجال ،

ونهاية العالم ها تكون على إيديك !

ولا يملك وحيد فى حياته إلا أن يعود لمواصلة النقاش الفكرى : ‘ رغم أنى لست من المولعين جدا بقراءة الأدب ، لكن أنت أحسن حاجة لك تقرأ روايات آين راند : Atlas Shrugged ، Fountainhead ، وغيرها ؛ قمة الرأسمالية وقمة العلمانية رأسا برأس ، ومغزاها أن الرأسمالية الحققة مناقضة للدين بالضرورة ! ’ .

- أنا بأحب الست دى ، بس وإلهى كتبها ما وقعتش فى إيدى ولا مرة ، لكن شفت فيلم جارى كووپر مرة فى التليفزيون أيام ما كانت القناة الثانية بتاعتنا بتعرض أبيض وأسود قبل ما يمنعه . ( ويتهد : ) بمسيك بالخير يا يوسف شريف رزق الله !

- موش كل إالى بيؤمنوا بالرأسمالية أو يرفضوا وجود حكومة أفكارهم متطابقة زى بعض . كل الطيف موجود ، هى مثلا بتعتبر المادية كلمة سباب ومرادف للشيعوية ، وتؤمن بالرشد reason تأثرا بالفلاسفة الأميركيين ، وتعالى العقل على الجسد . إنما أنا شخصيا موش مرتاح لفكرة الفردية المطلقة أو رفض الديكتاتورية أيا كان توجهها . ما رأيك أنت يا حاج فى الفردية الزائدة عندها ؟ مع كل الاحترام أنا أنحفظ بأنها أقرب لمجرد المقابل اليميني للفوضوية اليسارية التقليدية ؟ هل الفردية نموذج بيولوجى ناجح ؟ إذن ما أهمية الحاجة للاجتماع أصلا ؟ أفنكر لازم نرجع شوية للنظم البيولوجية أو نظم الديناميات الحرارية علشان ... .

- ( كالعادة يتحاشى الكلام فى البيولوجيا : ) نرجع مرجوعنا : عارف أنك كمان ها تقولى لى عن صفحة ١ إن آدم ده عمره ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، ومصر كانت دولة قبل ما يتخلق آدم ؛ على الأقل كانت هناك سلاسل من المدن ، وتوجد على حدود كل منها مدافن نظامية مشيدة حافلة بالموجودات الثمينة . وطبعا عندنا حفريات بشرية عمرها ٦ مليون سنة ، أيام كان الإنسان يشبه الشيمبانزى ، قصدك أيام كان يشبه الرب إالى خلقه على صورته ومثاله ، أو تقول لى إننا الجيل الوحيد فى التاريخ الذى زاد فيه عمر الإنسان من ستة آلاف إلى ستة ملايين سنة ، عشانهم يزيدوا مليون مليون من الحفرية لوسى فى الستينيات لغاية النهارده . ولا ها تقول عمر الكون أصبح على سبيل الدقة ستة ملايين سنة وستة أيام ، أو تقول لى زيهم إالى يخلق الكون فى أربعتاشر بليون سنة لا يصبح اسمه إله فى هذه الحالة ؟ ولا ها تقول الواحد فيهم كان بيعيش ٩٠٠ سنة أو أكثر ويخلف عند سن ٥٠٠ ، وهم أرباب السل والرمد والطاعون والمجاعات والطوفانات وعصر لم يزيد فيه متوسط أعمار الناس عن ربع ما هو الآن ، ولو قرأت كتب التراث بعد استبعاد الكلام عن القتل والجنس ، لوجدت نصف الكلام المتبقى عن الطعام ، يعنى باختصار لو اتحسب تاريخ نسل آدم بالطبط موش ها يكمل ١٠٠٠ سنة ؟ ها تقول كده ولا لأ ؟ !

- اسمها ق . ح . ش .

- إيه ؟

- قبل الحقبة الشائعة . بالإنجلىش Common Era (CE) وعكسها BCE .

يتحول شهرى للغضب . لا جديد فى أن يغضب ، الفارق هذه المرة أنه كان غضبا مكتوما . قال وهو يجز على أسنانه : ‘ أنا ما شفتش قد فجور روميو فى موضوع الجنس ، إلا فجورك أنت فى موضوع الدين ! أتفه التفاصيل والشكليات موش معترف بها . الأدهى والأمر أن أفكارك كلها على بعض -دين وغير دين- غير مريحة . إحساسى إالى طول عمره ما خاب أبدا بيقول لى أنك المسيح الدجال ، ونهاية العالم ها تكون على إيديك !

- على فكرة أنا طول عمرى ما فرحت أن حد قال عنى إبنى متمرد أو متهور أو بأقلب المائدة على كل أفكار المجتمع واحدة واحدة ؛ أنا أفضل أكثر أن أوصف بالأرستقراطى وتوصف أفكارى بالرصينة . لا أكاد أتخيل أن يصف أحد أرسطو اليوم بالصلعوك ، أو أفكاره بأنها مارقة وفوضوية . لكن على أية حال شكرا ! المسيح-الضد ؟ ها أعتبرها مدح ! المهم ، كمان كان المفروض أقف عند صفحة ٢ . نظرية خلق عكس

نظرية أول صفحة ، بعد النبات والحيوان و... و... تم خلق آدم . ثم بعد خلق آدم وحيدا فخلق له النبات والحيوان و... و... . التفسير دائما للازدواج ( فى قصة الخلق ، وفى نص الوصايا ، وفى أشياء مشابهة أخرى ) ، هو أن ثمة يهودية قديمة وأخرى حديثة ، ومرة أخرى خطاطو عصر القضاة كانوا من الغباء ، أو لنقل كانوا يخافون أن يحدفوا أى شىء قدسه أحد ، فوضعوا القصص متجاوزة على هذا النحو فاضح السذاجة !

- برضه دى قراءة سطحية ، وبتريح دماغك وتقول ده كلام تافه وترميه . أنا ما زلت عند رأى : أى تفكير علمى فى أن تقرأ شيئا وأنت طفل ، ولا تريد إعادة قراءته عندما تنضج ، فائلا بغرور ' قرأت ما يكفينى قرنين من عمرى من الهراء ' ؟  
- عندك حق ! اليوم فقط عرفت أنى على خطأ ! ( ثم يشرد متمعنا فى قول ما : ) نهاية العالم حثة واحدة ؟ لك حاجات يا حاج !



### الحية إلهة المعرفة ، والله إله الجهل !

- آه ! واضح الآن أنك أعدت قراءة التوراة . ( ساخرا : ) تلميذ شاطر ! ليكن هناك نور ! هذا حسن ! وكان مساء ، وكان صباح يوم جديد !

- أنت عاوز إيه بالظبط ؟ !

- لعلمك بأه يا أخ كلوروفيليل يا بتاع صفحة ١ و ٢ ، صفحة ٣ هى إلى فيها الدسم كله . دسم أديان التوحيد جميعا ، وفلسفة الشعوب دى كلها ، وأنا متأكد أنك ما كنتش أخذت بالك خالص ، لأن زى ما بأقول لك النظريات العلمية مسيطرة عليك .  
- قصدك إيه ؟

- صفحة ٣ هى التحذير من شجرة المعرفة ؛ من يسعى للمعرفة موتا يموت . الحية كانت إلهة الحكمة والعلم عند معظم شعوب المنطقة ، ولا تزال ترسم على الصيدليات فى كل العالم حتى اليوم ، ولا يزال الطبيب والصيدلى حتى اليوم يسمون حكماء . بينما المفروض إله اليهود هو إله الشر ، الذى يرفع شعار الجهل نعمة والعلم نقمة . باختصار : الحية إلهة المعرفة ، والله إله الجهل !

- فكرة مادية جميلة جدا : يعنى أرسطو كان ' حكيم ' لأنه درس النبات والحيوان والطب ، وليس المنطق والشعر والأخلاق ؛ والفلسفة هى الحكمة ، زى الرازى والفلاسفة إلى زيه ما كانوا بيسموها ( تحاشيا -فيما فهمت- لكلمة فلسفة التى توحى بالكفر ! ) .

- الرزاي طبيب فى نفس الوقت ، خد بالك ! ... إنما براقو عليك ! ... شاطر ! التلازم بين الحكمة والعلوم الطبيعية ومشقة دراستها قائم فى عقول الناس طوال الوقت ، أما الدين والسحر والكهانة فلم تكن تحتاج فى نظرهم إلا لبعض الفهلوة !  
ويتداخل روميو : ' هو التفاح فيه كلوروفيليل يا حاج ؟ ! ' .

- هل تعرف أن التوراة دى ما فيهاش كلمة شيطان لغاية صفحة ٨٠٠ ، سفر أيوب ، ربنا لقاه فجأة قاعد وسط الناس ، فقال له من أين جئت يا معلون ؟ !

- أمال مين إلى خلقه ؟ طلع ' شيطاني ' ؟

- علشان يحلوا الحكاية دى قالوا أيوب اتكتب أول سفر وأنه قبل موسى . كلام فاضى ، ويضربهم أكثر ما ينفعهم لأنه بيفقد العهد القديم أحد أهم مزاياه وهى تسلسله التاريخى . بالكثير كان لازم يحطوه بعد التكوين أو بالكثير جدا بعد أسفار موسى الخمسة ، لكن ماشى ، افرض ! ما هو تفسير أن اسم إبليس لم يرد مطلقا فى العهد القديم بكامله -١٢٠٠ صفحة- ولو مرة واحدة ؟ سبب الفجوة دى أن إلى بيكتب كان بيحسس على بطحته ، وبالتالي فى ظل ما يواجه لإله اليهود من اتهامات ، لم يستطع تخيل أى إله للشر ، إلا الحيات والعقارب والثيران أو أى شىء آخر كان يقتلهم .

- طبعا ، الأمم المتقدمة ترى فى الحيوان علما وطبا ، والشعوب المتخلفة تراه شياطين وقوى غيبية .

- هكذا انعكس الحال : المعرفة بقت شر ، والجهل بقى نعمة زى ما بيقولوا ، نعمة بجد ، عطية بل وصية إلهية يعنى . أمة الأميين التى يختصها الإله بنحر خلقه : رسله الأميين .

- وهنا يدخل التوحيد ؛ تقريبا نفس السبب إلى خللي الرومان يرموا المسيحيين للأسود .

- لأنهم متوحشين ، ولا لأنهم متعصبين ؟ جواب يا شاطر !

- لا دى ولا دى . بالعكس ! دى روما . يعنى الجبروت كله ، يعنى مر عليها ألف دين ودين ، ولا يهمها شىء . وكان ممكن المسيحيين يجحوا بينوا كنايسهم ، ولا حد يعارضهم . المشكلة أنهم تكفيريون ؛ كل الآلهة مزيفة وإننا إحنا الإله الوحيد الصح . روما كانت بترميمهم للأسود موش لأنهم غير متسامحة ، إنما لأنهم متسامحة .



### أهم حاجة نسبتوها : الله أحل الرعى ولم يحل الزراعة !

- موش بطال ! الأهم من صفحة ٣ ، يا سينيور كوليسيام ، هى صفحة ٤ . الرب يرفض ذبيحة قايين لأنه زارع ، ويقبل ذبيحة هابيل لأنه راعى .

- التفسير بسيط ! الكهنة بيحبوا يأكلوا لحمة موش عدس ، علشان كده ربنا بتاعهم قال بدون سفك دم لا تحدث مغفرة !

- التفسير ساذج ! أنت مجرد شخص لديه فوبيا ضد الدين . التفسير الحقيقى هو أن الرعى هو النقاء ، والزراعة هى الخبث ، سحر ، علم لو عاوز تقول ، ناس تبعبص بصوابها فى الأرض تطلع حاجات خضرا . الصنع رجس من عمل الزراع . حتى الخالق عندهم يخلق بكن فيكون ، بالكلمة ' ، ورواية أنه صنع آدم بيديه وردت فى نسخ التوراة المبكرة ربما سمعوا بها من مصر ولم يحذفوها لأن فى redaction عزرا إلى بتقول عليه لا يحذف إلا المتكرر ، ومنها تناقضات الخمسين صفحة سواء إلى شفته منها أو إلى ما شفتوش ، لأن أجارك الرب عندما يحاول العقل البدوى تجريد الأشياء -وهو لا يقوى على التجريد أصلا- بهدف تدمير المادية ، فإذا به يخلق كوارث ! لو أنت كملت بعد كده كنت ها تلقى الحكاية واضحة جدا ، دائما الراعى هو الخير والزارع هو الشر . بعد هابيل وقايين ، فيه سام وحام ، وفيه يعقوب وعيسو ، يوسف والملكة ، موسى وفرعون ، شمشون ودليلة ، داود وجوليات ، سليمان وبلقيس ، إلى ما لا نهاية . باختصار ، كل الطيبين رعاة ، وكل الأشرار زراع ، وأنبياء الرب أنفسهم ليسوا استثناء من القاعدة بدليل أن داود -والأوضح منه ابنه سليمان- ضلوا حين استقروا وتحولوا للزراعة وأنشأوا ممالك ؛ بل لاحظ ما هو أكثر دقة وتحديدا أن ' الحكمة ' ( بمعنى الفلسفة والعلوم الطبيعية ) هى التى أوردت سليمان موارد التهلكة ( بمعنى بقى علمانى زيك ) . ويتداخل ونس ساخرا : ' الأمور فى الإسلام أنقح . عارف تفسير ' وخلقكم من نفس واحدة ' ؟ أصلا ما فيش لا قايين ولا هابيل ! الشيطان اسمه الحارث وأول ابن لم يمت لآدم وحواء اسمياه عبد الحارث ، هى الزراعة قديمة أوى كده ؟ ' .

ويزايد عليه روميو فى السخرية : ' موش مصيبة زراعة وبس ، أنت طلعت أول نبي فى التاريخ عابدا للشيطان ! ' .

وحيد كان يتفكر فسأل : ' واحدة من دول موش فاهمها يا حاج : حام ما كانش زارع ؛ كان زى إخوته بالضبط ، وعلى ما أنا فاك ، كل إلى حصل أنه شاف أبوه نوح عربان ، أو جازير الكلام يوحى بعلاقة جنسية بين الاتنين وهم سكارى . هذا هو سبب اللعنة ، فأين توجد الزراعة فى القصة ؟ ' .

- الزراعة هى اللعنة ذات نفسها ؛ أصبح أبناؤه زارعا . زرعوا مصر وزرعوا بين النهرين وزرعوا كل حنة مزروعة فى العالم . لا لعنة أقسى من أن يكتب عليك الرب أن تصبح زارعا . كما تعلم كلمة يتنمرد أو يتفرعن كلمات سيئة المدلول جدا ، ونمرود بتاع بابل والفرعنة أبناء مصرائيم بتاع مصر هم أشهر سلالة حام . يا صديقى ، كل زارع ملعون ومن نسل حام ، حتى لو كان فى أستراليا . فهتمت شعوب المنطقة بتفكر إزاي ، وليه إحنا متخلفين ؟

- أنا فاهم كل ده ، وفاهم أن كل سفك الدماء إلى شهدته البشرية عبر تاريخها سببه عنصرية ذلك الإله ، الذى فضل ذبيحة على أخرى .

هنا اعترى ضهرى الضجر والغيط فانفجر صارخا : ' أنت موش فاهم حاجة خالص ! أنا ها أجيبها لك م الآخر : إيه إلى قلته زمان على لسان مدير البنك الإسلامى ؟ ' .

- قال إن الله قال إنه أحل البيع ولم يقل أحل الإنتاج ، قال لا تغش الميزان ولم يقل لا تغش السلعة ، قال حرمت الربا ولم يقل حرمت النصب .

- شفت ؟ ! أهم حاجة نسيوتها : الله أحل الرعى ولم يحل الزراعة ! أصلا كلمة زراعة مصطلح تقابلي معقد ، ولم تكن دراجة عند العرب ، ولم يرد جذر زرع ومشتقاته في القرآن إلا اسما لأن النباتات من صنع الله ، وحين وردت مرتين كفعل وردت على سبيل التنكيل أو التشفي فيمن قاموا بالزرع من دون الله . عند اليهود ربما كان الأمر وعظا غير مباشر أو قصصا رمزية allegories ، لكن الإسلام -بالذات حين نصل لاسم الفاعل- وضع وعلى لسان الله نفسه الموضوع على بلاطة أبعد من مجرد الكلام السليبي عن الزراعة . عارف إيه الكلمة الداريجة هنا ؟ كفر ! ، أو بنص الكرهان الكريه ' كمثل غيث أعجب الكفار نباته ' . الكفر تغطية الشيء ( وقد ذهب لللاتينية وللإنجليزية هكذا ) ، وهي جاءت أصلا من فعل الزارع مع البذور ، فأخذها الإسلام كى تدل على فعل إنكار الله . ربط رهيب بين الزراعة وتحدى الله ، أليس كذلك ؟ ! يعنى -حسب ربنا- الكلية إلیی أنا متخرج منها اسمها القانوني كلية الكفر ، وأنا معايا درجة البكالوريوس في الكفر . متهيا لى ده أهم مليون مرة من كلامكم إن كلمة الحرية أو مشتقاتها لم ترد بالكرهان ، أو أن كلمة حشاشين بقت assassins . كل انتقاداتكم سطحية ، انتقادات مراقب خارجي ، ولا تدخلوا أبدا للعمق ؛ للجيينات التي هي ثوابت ورواسخ أى عرق بيولوجي وتعريفه . باختصار : ما فيش حاجة اسمها زراعة ولا صناعة ولا بعد-صناعة . كل دى محدثات ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . هذا هو موقفنا الجيني القاعدي من التقنية !

ويتدخل ونس واخزا كالعادة : ' موش كده بالظبط ! الإسلام يجب السيوف ، فقط يلعب نافخ الكير ! ثم كفاكم افتراء بشأن كلمة حرية ومشتقاتها ، إذ ماذا تقولون في كلمة حورية إلیی هوستونا بما وبتقولوا أنها وردت مليون مرة ؟ ! ' .



### فاكرينا بشر زيهيم ، ما يعرفوش أن إحنا بدو !

أخيرا ، بعد لأى طويل طويل ، ها قد جاءت المنطقة الفكرية التي ظل ينقب عنها وحيد ، الحلقة المفقودة ( ليست الحلقة ، link ليست حلقة ، حلقة ring ، أين أنت يا نوبل ؟ ألم تحسب لوهله أيها الأثيم قدر الفراغ الذي كنت ستخلفه ، قبل أن تقرر الرحيل ؟ ) ، أي ما كان المفقود ، هذه هي الدرلة الثمينة التائهة وسط ذلك الغليان المشوش المسمى عقل زهري ، أو لعلها نفسها السبب في غليانه وتشوشه . تقدر تقول كده . الرأيين موش عكس بعض ولا حاجة . قصدى ، لا تستهن بالثقافة . إنها شيء مادي أكثر مما تتخيل يا وحيد . هذا الكلام في صلك يا مستر أرسطو وليس ضدك . ماديتك الزيادة عن اللزوم سببها ربما أنك اتولدت في هذا المحيط العربي الغني المتخلف ، فأصبحت تحتقر كل ما له شأن بالكلام والمعنويات والأفلاطونيات . ارسى على بر ، هي المادية في جيناتي ولا لأ ؟ ! تاني ، أرسى على بر ؟ يا صديقي ، ليس غريبا أن الثقافة كعلم هي من تخصص بنوع الأثروبولوجيا ، فريزر ، مالىنوفسكى ، مارجاريت مييد ، وغيرهم ، يعنى أكثر الناس قريبا لدراسة أصل الإنسان الحيواني . لا شيء أكثر مادية من الثقافة . ببساطة نحن متخلفون ليس لأننا اخترنا الثوابت الخطأ ، إنما لأن اخترناها لنا جينياتنا . وعلشان هي شيء عميق جدا لأنها شيء مادي جدا ، الثقافة موش بتتغير بسرعة . موش ممكن تقنع البدوى أنه متخلف ، وأن الارتحال بحثا عن الطعام هو حرفة ما قبل التاريخ . موش ممكن تقنعه أنه ضد التاريخ ، وأن يوميا المدن تتوسع على حساب الأرض الزراعية ، والأرض الزراعية تتوسع على حساب الصحرا ، وأنه لن يجد مكانا يعيش فيه يوما . حتى لو قلت له خذ أرض دارفور إلیی اغتصبتها واستقر فيها وازرعها ، ها يقول لك لأ ، شكرا موش عاوز .

- ها يقول لك ' أيعمد أحدكم إلى الصغار في عنق أحدهم فينتزعه فيجعله في عنقه ؟ ' . مطبوط هو عاوز المحاصيل ع الجاهز ، وعاوز النسوان يخلص معاهم وتانى يوم يدور على غيرهم . تصور أنى في الأول فهمت الصغار بمعنى المهانة ، وأن الشغل هو الذى يجلب هذه المهانة ، إلى أن عرفت مؤخرا أن الصغار ليس شيئا معنويا مجازيا ، إنما هو أكثر تحديدا ومباشرة من هذا : هو الأشغال الشاقة التي يعاقب بها العبد ؟ !

- أنت موش فاهم حاجة ! تفكيرك سطحي . الدين ليست تناقضات داخلية . الدين كل متكامل ! فاهم يعنى إيه بدوى ؟ فاهم أن البدوى من مليون سنة هو نفسه البدوى بعد مليون سنة ؟ هو لا يعترف بالملكية الخصوصية . المال مال الله ، وقد ذهب لك عن طريق الخطأ ، ويقتلك كى يصحح خطأ الله ! أنت تتحسس مسدسك حين تسمع كلمة عدل ، لكن هل تعرف لماذا هي أكثر كلمة يرددها العرب يوميا ؟ لأنهم نهابون سلابون لا يكدون ولا يشتغلون أبدا ( إسقاط نفسى يعنى ! ) ، وبالتالي لا يفهمون لماذا يصيب غيرهم الثروات الفاحشة دونما سبب واضح . أنت دائما بتقول أنهم بيشتغلوا في الأسهم والعقارات ، عارف الفلوس بتروح فين بعد كده ؟ بتتدفن في الصحرا . هي دى البنك الوحيد المأمون في

نظر البدوى ، للفيلسوف وللصلاح . بالمثل الأرض أرض الله ، وليس من حق أحد وضع اليد عليها ، ويقتلك كما يقتل أى ذئب يتهدد خرافه . فكرة الوطن لا وجود لها من الأصل . فكرة الحدود بين الدول لا يعترف بها . الدول فى حد ذاتها فكرة دخيلة ومرفوضة . ليس من حق أحد أن يضع سورا على أرض هى أرض الله ، ويمنع بقية عباد الله من دخولها . طول عمرنا بنقول على الإنجليز اتبعوا معنا سياسة فرق تسد . ده غير صحيح . هم ، وليس فى هذا سوى حسن النية المطلق ، حاولوا يطبقوا علينا فكرة الدولة القومية زى ما يعرفوها فى أوروبا . فاكربنا بشر زيهم ، ما يعرفوش أن إحنا بدو ! بالنسبة لـ ' فرق تسد ' دى بالذات ، فهى أسلوب حياة يومية بين القبائل العربية ومجرد إسقاط نفسى برضه . نفس الكلام بالنسبة للاحتلال والاستعمار والغزو ؛ العرب إالى ما لهمش أرض أصلا ، هم آخر من يمكنه أن يتكلم عن مثل هذه الأشياء ، لكنه أيضا الإسقاط النفسى ، لا أكثر . الغرب فاكربين أن سوريا متجانسة تنفع دولة ، والعراق متجانسة تنفع دولة ... إلخ ... إلخ . ما يعرفوش أن أصغر قرية لو اتسابت ها تنقلب حرب أهلية . الحقيقة أن العكس هو الصحيح ؛ بفرض أن السيد كان هدفهم ، فما استخدموه من أجله هو سياسة جمع تسد أو وحد تسد . أربع قوميات فى أطراف السودان الأربع ، تخيلوا أنما من الممكن أن تحجم الأنشطة الإجرامية للعرب قطاع الطرق ذوى التاريخ الأسود فى الوسط . بالمثل فضلوا وجود أكراد فى سوريا والعراق ، وأمازيغ فى الجزائر ، وكلا القوميتين كان يستحق دولة مستقلة ، لكن الغرب فضل دمجهم مع العرب -أو بالأحرى محاولة دمج العرب معهم- بهدف تحجيم مطامع هؤلاء السفاحين البدو وتذويهم مع قوميات غير إجرامية ، لكن الواضح أنه كان فى كل هذه الحالات كمن وضع الذئب مع الحملان فى قفص واحد ، ونفس الشيء مع الأكراد الذين تركوا فريسة للفرس أو للأتراك ، وهكذا . لو كان الغرب قد ارتكب جريمة ، فهى بالتأكيد ليست ضد العرب . وطبعاً إحنا نبجح ونقول كل العرب وحدة وأمة واحدة ، ونقول استعمار واستغلال وسرقة ، وكأننا طول حياتنا ما بصينا فى مراية . العربى يحدثك بحماس عن الأخوة والتضامن ، ثم تجده بعد ربع ساعة يقتل أخاه . هو صادق كليا فى كلا الأمرين . العرب حين لا يجدون من يحاربونه يحاربون أنفسهم . أنا توجست من السلام مع إسرائيل . الحرب ضد إسرائيل كانت نعمة ، لأنه بمجرد انتهائها حل محلها ألف حرب . الهجامة لا يكفون عن خيانة بعضهم البعض . الخيانة فى الدم . فى التهديد الخارجى كل القبيلة تتوحد ، لكن ما فيش تهديد ، يبقى أنا وأخويا على ابن عمى .

- ده إالى حصل فى لبنان . بناه المسيحيون على مدى قرون ، فجاء المسلمون ( بالهجرة الفلسطينية والتكاثر السننى ) لينهبوه ع الجاهز ، أقصد لينهبوه بالحروب الأهلية . ثم جاء الشيعة الأخط بمراحل لينقضوا هذا الاتفاق المدعو بالحدودية ، أقصد بالطائف ، الذى نهب السنة البلد بمقتضاه ، لينهبوه هم بدورهم منهم بقوة السلاح .

- جايز صح ، إنما لا ينفى أن المسيحيين أنفسهم يتصرفون كقبيلة . افتح أية قناة مسيحية من التى تقول طوال الوقت إنها تحب المسلمين ولا تكره إلا الإسلام ، وحاول إحصاء كم يستخدمون فى الدقيقة الواحدة كلمة ' هم ' فى الإشارة للمسلمين . ضمير الغائب ليس للتحقير فقط ، إنما لترسيخ العداوة ولتأكيد فكرة الولاء والبراء شديدة القبيلة ، شديدة الجينية . لفظة ' الآخر ' لفظة قبلية جدا ، اخترعها اليهود باسم الأعيان ، ووصل بها الإسلام العربى لذروتها بنظرية الولاء والبراء .

- ده يشبه أن موش ممكن تقنع واحد صعيدى يغير رأيه فى الثأر أو فى شرف المرأة . فى شبابنا كنا نسخر من الصعايدة ونقول عليهم متخلفين ودماغهم ناشف ، والنكت لا عد لها ولا حصر . كنا ظالمينهم لأن بسرعة اتضح أن كل العرب صعايدة ، بل بصراحة يتوارى الصعايدة تواضعا أمامهم . فأين التحفظ الصعيدى نحو المرأة من فوبيا الحجاب والنقاب العربيين المرضيين ؟

- الآن إليك المفاجأة الكبرى : الثأر ليس مصريا أصلا ، ولم يكن يوما . المصريون طيبون متسامحون متوادون ، وأتحدى أن يأتى لى أحد بأثر لعادة الثأر من مصر الفرعونية أو القبطية ؟ ! هى عادة عربية محض ، وحتى مع هذا تعتبر عندنا نسخة مخففة جدا من الأصل . نفس الكلام عن النساء ، بنات مصر القديمة كن متحدرات فى ملابسهن وضحكتهن ومخالطتهن للشباب . صحيح الزواج كان ولا زال شيئا مقدسا للغاية ، ولا طلاق ، ولا زواج ثانى حتى لو مات الزوج أو الزوجة فى ريعان الشباب ، لكن كل ما نراه من تحفظ زائد فى الصعيد سببه العرب . لقد ظهرت فجأة فى حوارى القرية المصرية ضوارى نكاح طلوقة طليقة ، ذئاب جنسية نمة نهمشة ، تبحث عن أية كتلة لحم حيوانى -أو حتى نباتى- تصادفها ، فاضطرت النساء ببساطة لالتزام البيوت !



الحرب بين العاربة والمستعربة ، أو بين قحطان وعدنان ، أو بين بكر وتغلب ، أو بين عبس وذبيان ، أو بين هاشم وأممية ، حروب لا تنتهي أبدا ؛ قد تشهد هدنات طويلة ، لكنها لا تنتهي أبدا ، عارف ليه ؟

- إنها إذن لعبة قطع طريق لا نهائية . ثم أدى أنت شايف الحرب بين قطر وجيرانها . أخيرا الدنيا الغيبة فهمت هم بتوع الخليج كانوا بيخزنوا ترسانات سلاح بالتزليونات ، أكثر من أميركا نفسها ليه . وإللى النهارده بيحاربوا سوا ، بكره ها يحاربوا بعض . لو سألتك أى أرض ارتوت بأكثر دماء ، فأنا أعرف إجابتك . ستقول لى أوروبا فى عصر الحروب الدينية . خطأ ! شبه جزيرة البعر شهدت ١٧٠٠ موقعة حربية قبل الإسلام فقط ، وطبعا لا واحدة منها كانت فى ضخامة المعارك التى وقعت بعد الإسلام ، والتي لم تعد تسمى حروبا أو معارك إنما كعادة العرب فى تزيين الكلام : فتن ( ؟ ! ) . الحرب بين العاربة والمستعربة ، أو بين قحطان وعدنان ، أو بين بكر وتغلب ، أو بين عبس وذبيان ، أو بين هاشم وأممية ، حروب لا تنتهي أبدا ؛ قد تشهد هدنات طويلة ، لكنها لا تنتهي أبدا ، عارف ليه ؟ لأنها حروب جيئية ! أنت فاكّر السبب فى حرب البسوس ناقة ضالة ، أو السبب فى مذابح الهوتو ضد التوتسى فرانسوا ميتران ؟ الحاجات دى مجرد الفتيل إنما خزان البارود موجود من ما قبل التاريخ ، وها يفضل حتى أبد الدهر ، أو حتى القضاء على إحدى البركتين الجيئيتين المتصارعتين حتى آخر فرد فيها ، أيهما أقرب . يقولوا الفتيل فى حرب الخليج الخامسة دى قصائد هجاء بين القبائل على الإنترنت وواحد عمل منها فيديوجيم . سبب مضحك زى كل الأسباب إلى قبله فى التاريخ ، لكن المؤكد أن بكره فيه الحرب السادسة والعاشر والألف . ليس بوسع أحد الفكاك من برمجته الجيئية .



نحن لا نفتش فى نوايا الصدور ؛ نحن نفتش فى نوايا الخلايا !

- ( ضاحكا : ) البرمجة الجيئية ؟ سمعت عن توم وچيرى ؟

- مضبوط ! أنت كده بدأت تفهم شوية ! وطبعا بينما الحيانة فى الدم ، فالوحدة العربية لا تغيب عن اللسان . القتل والكلام حرفتنا العرب الوحيدتين عبر التاريخ . هل تعرف لماذا ؟ لأنهما شىء واحد . القتل كما الجنس ورثه عن الحيوانات ، ثم لاحظ أنه يستطيع الكلام ، فاعتبره أهم نشاط حيوى : الكلام يعادل القتل ؛ الكلام يقتل ! الإسلام تعايش ١٤٠٠ سنة مع ' المنافقين ' لأن لو الحاجات الخطرة فضلت فى الصدور ما فيش مشكلة ، المهم ما تتحولش لكلام ، طبقا للنظرية العربية إن ما الحياة إلا كلام . أسهل حاجة عند العربى ينط فى وشك بكلمة هذا تفتيش فى الصدور ، لأنه لم يتعود قط أن يسأله أحد عن نواياه . ربما يعتبر صدره هو مملكته ، سمها مملكة الغدر الكبرى لو شئت ، لكن المهم أنه تعود أن كل البيئة حوله لا تحتم بما يفكر فيه وتحتم فقط بما ينطق به ، الكلام هو الفعل الوحيد ، وطالما أنت لم تنطق فإن شيئا لم يحدث ، لذا الإجابة الصحيحة عليهم هى : نحن لا نفتش فى نوايا الصدور ؛ نحن نفتش فى نوايا الخلايا ! موش كده ولا إيه يا بتاع الأفلام ؟ فيلمك كان ها ينجح لو جبت له جوى ديب موش توم كروز . قال حدائة قال ؟ ! يا أخى اعمل فيلم عن القراصنة ، لا حد ها يقول لك غزو ثقافى ولا ساينتولوجى ، وها تكسب ملايين . أنت لسه بتقول الأشكيناز والسفرديم ، ٢٠٠٠ سنة شتات هم إلى عملوا الفرق . وكل كلامى عن الهوية لا ينفى أن الطريق للقضاء على الهوية يجب أن يكون ماديا ، لأن الأشياء المادية هى الأقوى . الاقتصاد الحر ، الجنس ... إلخ . هذه ستأتى مفعولها على المجرى البعيد . هذه لا تختلف معك فيها . يا وحيد يا أخويا ، الثقافة موش كلام وأغانى . جازيز هى فقط رأس جبل الثلج ، عنوانه ، وليست الجبل نفسه . جازيز هى مهمة بس أهمية أن الكتاب بيان من عنوانه . أما إلى بتقول عليه الثقافة ، أكبر وأعمق بكثير من أنك تستهتر به أنت ولا أرسطو . أنا موش بأدافع عن الإسلام ، أنا بأوريك طبيعة شعوب المنطقة . أنت قريت خمسين صفحة ، وبقيت كافر بالدين . كان المفروض تكفر بحاجة تانى ، بالجيئين . الفرق بينى وبينك أنى كفرت بالحاجة دى وما كفرتش بالدين ! الدين فيه حاجات مفيدة كثير موش ممكن أرميها . لو واحد زيك علمانى ، عرف لأى مدى الجيئين شديد شديد شديد القبح ، لما هاجم الدين بالمره ، ولما رآه قبيحا أبدا !



أنت متخيل أن العربي يفهم أصلا ما تقصدونه بكلمة دين أو روحانية أو علاقة بالخالق إلى آخر هذه التهاويم والهواجس الحضرية؟  
هل تعتقد أن الإسلام أراد منهم أن يعبدوا حقا ما يسمى الإله الواحد أو الأحد أو الفرد أو أيا ما كان اسمه؟  
بالقطع إله كهذا كائن هلامي تجریدی غامض لا يعرفون عنه شيئا ويستحيل عليهم تخيله ، بل من الأصل لا يهمهم أمره في شيء .  
هم قبائل متناحرة ولذا الشيء الطبيعي جدا أن يفعلوا المستحيل من أجل إعلاء عبادة ما رأوه أعظم الآلهة جميعا : التوحيد نفسه !  
... باختصار : الإسلام هو عبادة توحيد الإله ، وليس عبادة إله التوحيد !

- حسب معلوماتي ، ما كان لأحد أن ينفرد بالحكم ما لم يقل إنه نبي . الكرهان مليون بـ ' أطيعوا الرسول ' و ' أطيعوا الله والرسول ' ، لكن ليس به ' أطيعوا الله ' ولو لمرة واحدة . الفائدة الوحيدة لدين التوحيد ، هي توحيد القبائل وخلق دولة تنهب الأمم الأكثر تقدما ورخاء المحيطة بها ؛ هذا هو المقصود بالتوحيد !

- وهي دى حاجة سهلة ؟ طب ما أنت بتفهم أهه : مُجد زعيم القبيلة ، آمال يقولوا عليك موش فاهم حاجة ليه ؟ !

- قصدك زعيم العصابة ؟ !

- زعيم وخلص ! أنت متخيل أن العربي يفهم أصلا ما تقصدونه بكلمة دين أو روحانية أو علاقة بالخالق إلى آخر هذه التهاويم والهواجس الحضرية ؟ هل تعتقد أن الإسلام أراد منهم أن يعبدوا حقا ما يسمى الإله الواحد أو الأحد أو الفرد أو أيا ما كان اسمه ؟ بالقطع إله كهذا كائن هلامي تجریدی غامض لا يعرفون عنه شيئا ويستحيل عليهم تخيله ، بل من الأصل لا يهمهم أمره في شيء . هم قبائل متناحرة ولذا الشيء الطبيعي جدا أن يفعلوا المستحيل من أجل إعلاء عبادة ما رأوه أعظم الآلهة جميعا : التوحيد نفسه ! ... باختصار : الإسلام هو عبادة توحيد الإله ، وليس عبادة إله التوحيد ! مثلا أنتم العلمانيون تقيمون الدنيا ولا تقعدونها حول زوجات مُجد ، وتعتبرونها إشكالية أخلاقية أو ديمقراطية أو موش فاهم إيه . ولا تفهمون أن لو كان الله قد سمح له بأربع زوجات فقط كبقية المسلمين ، لما اتبعه عربي واحد ، لأنه لا يمكن لأحد منهم تخيل إلا بناء هيراركية جدا للقبيلة ، ولا يمكن لهذا الأحد تمثل إلا أن يكون لرأسها سلطات مطلقة . حتى لو عمر هو شيخ المنسر على رأى ونس ، المهم مطلوب في كل الأحوال زعيم ، ولو اقتنعوا به يكون إلههم الذى يسلمون له الدنيا والدين ! قيمة عمر أنه كان أعظم وأنجح هؤلاء الزعماء ، لا أكثر ولا أقل . بس يا خوي يا بدران يكون لسه قدامك حاجات كثير لازم تفهمها . عارف إيه معنى كلمة مغوار ؟

- يعنى بطل وشجاع .

- أبدا ! المغوار لغويا هو ساكن المغاور أى الكهوف . عرفت إزاي البطل الحقيقي عندنا هو قاطع الطريق ، وليه موش إديسون ولا روكيفيللر ولا بيلل جيتس ، ولا حتى أحمد عز إلى لو في بلد تاني كانوا درسوا قصة نجاحه للأطفال في المدارس الابتدائي ، وعندنا الراجل ما أخذش غير الشتيمة وقلة القيمة ؟ الحروب الأهلية تنشب في كل مكان بمجرد إجراء انتخابات حرة ونزيهة ، لبنان الجزائر الصومال العراق فلسطين ، لبنان تاني ، موريتانيا ، كل حتة ؟ ولا أتحدث إلا عن حروب عربية-عربية خالصة لأبناء بلد واحد يشتركون في نفس العرق ، وليس حتى حروب استغلال الغير المفهومة نسبيا ، كما في احتلال الكويت أو في حكم عرب الخرطوم لبقية السودان . عارف ليه ؟ لأنهم بدو . كل واحد في العراق فاكتر أنه الأحق والأصلح للحكم بعد صدام حسين . كل واحد فاكتر نفسه عمر بن الخطاب والخطابة ، وأنه لما يرفع القبيلة دى ويذل الطائفة دى ، يبقى يبطبق العدل بتاع ربنا ! موش عمر بن الخطاب والخطابة بس ! كل واحد فاكتر نفسه عمر بن الخطاب والخطابة وأينستين وروكيفيللر وروميل وبيريا كمان . كل مشاكل الدنيا ها تتحل لو سابوه يحكم . اسالني أنا . أنا أعرف العراقيين وطريقة تفكيرهم كويس . لما أقول لك كل واحد قصدى كل واحد ، هو نفسه موش رئيس قبيلته مثلا . يا وحيد ، أميركا بما حزبان ، العراق به ٢٥ مليون حزب ، كل حزب يبسعى لحاجة اسمها الإجماع ووحدة الوطن . عارف ليه ؟ لأن التحزب حرام شرعا ! لدى العرب شعار اسمه الوحدة ، انتهى بهم لأن أصبحوا ٣٠٠ مليون حزب ، والأدهى كلها تحارب كلها . موضوع زى العراق داخل في السنة الثامنة ، وبيوسع ، وموش ها يتلم إلا بضرية كبيرة ، وكبيرة جدا ، تقلل عدد الأحزاب دى ! حتى كلامهم أبو بلاش عن محاكاة الوحدة الأوروبية كلام عبيط ، لأن -ومع الفارق الهائل بين ناس وناس- هذه الوحدة ما كانتش ببلاش ، وما كانتش بقرار ، وما كانتش لأهم زهقوا ، إنما ببساطة لأن دعاة الاختلاف قتلوا في الحروب على امتداد ال ٥٠٠ سنة إلى دارت فيها ، ولم تتبق سوى بركة جبينات أكثر تألفا ومسالمة !

- هذا هو لسان حال كل العرب وليس صدام حسين وحده ، يقولون للعالم : إما أن تتركونا نتمتع وننهب الأكراد والشيعية والأفارقة والأمازيغ والمسيحيين ، وإما سنسبب لكم مشاكل جسيمة . أنا فاهم كل الكلام ده . هو موش معجب بعدل عمر ، هو معجب به أساسا كقاطع طريق كبير وناجح ، وبالدرجة الثانية لأنه كريم بعض الشيء ؛ لأنه ربما ييمن عليه بجزء من الغنائم ، لا يريد لخالد وأمثاله من أمراء الحرب أن يستولوا على كل شيء لأنفسهم ، بالذات وأن الرسول كان يياخذ خمس كل حاجة لنفسه شخصيا . فعلا ! كيف لم يتوقف أحد أمام مثل هذا التناقض ؟ ! مؤكدا عمر بن الخطاب والحطابة آخر مثال ممكن للعدل في التاريخ : شوف نهب بلاد قد إيه ؛ شوف قتل شعوب قد إيه ، وعمل تطهير عرقي قد إيه ؛ شوف ما صلاح جوه الكنيسة وصلى براها علشان يستولى على الفناء إلیلى ضعفها عشرين ثلاثين مرة ؛ شوف العهدة العمرية مع المسيحيين ، إلیلى لا يجة أية سجون معاصرة أرحم منها مليون مرة ، بما في ذلك سجون الخمير الحمر . كل ده طبعا خلاف حرقه كتب الإسكندرية وفارس وكل العالم . أوه ! لعلی أخيرا عثرت على التوصيف العلمي لتلك النسخة العمرية من الاقتصاد الإسلامي ؛ إنها اشتراكية الغنائم ؛ الاشتراكية الهجامية !

- خد بالك من كلامك شوية ؛ ده موش ربنا المشاع إلیلى ما لهوش صاحب إلیلى أنت طول النهار بتشتمه ؛ دى ناس لها أصحاب ، وأصحاب جامدين أوى . أنا خايف عليك : يا خوفي يا بدران يكون ده آخر عشا ! ( ثم ضاحكا محولا الموضوع : ) إنما السؤال إلیلى طول عمری ما عرفت له إجابة ، هو عجمعصورة لما كتب دعاية للوحدة العربية على كراريس المدارس ' الله أكبر والعزة للعرب ' ، كان يعرف أن شعاره ده تجميع لأسماء آلهة وثنية من الجزيرة العربية ، وبالكثير اتغير حرف واحد في أسماء بعضهم ؟ !  
وكأن الأمر لا يعنيه ، يغمز ونس لروميو ويغنيان سويا : ' وفي التوحيد اللهم اتحاد ، ولا دنيا لمن لم يحي دينه ! ' .



ليس في كل ما قلت كلمة واحدة تسمى للإسلام ، لا يوجد شيء واحد منها لا يتباهى به المشاخيح أو كتب التراث !  
كلمة الإسلام دين الشيطان التي يستخدمها المبشرون المسيحيون ليست في صالحهم ، إنما تزيد إعجاب المسلمين بدينهم .  
قوم عاد أبادهم إله الإسلام بعشر طرق مختلفة في عشر مواضع مختلفة من الكرهان ،  
المسلم لا يرى في هذا تناقضا ولا سهوا ولا جهلا ولا انتقاصا من صفات الإله ولا حتى برهانا كافيا على عدم وجوده ،  
فكل هذه تفاصيل لا تمهه من قريب أو بعيد ؛ المهم شيء واحد : أنه إله جبار عديم الأخلاق يببب خصومنا الذين لا يتبعونه !  
صدقي : لن يهز تشبثهم بالإسلام إلا أن أثبت لهم أنهم يعبدون العدم ، وأن محمدًا بن بحيرة النسطوري البصري [ بضم الباء ]  
كان رعديدا ، ضعيف الشخصية ومعدوم القدرة الجنسية ، هنا سيكفون عن عبادته في الحال .  
ذات الشيء بالنسبة لعمر بن الخطاب والحطابة ،

وضيح الأصل اللواطى السكر مدمن حناء الدبر الذى لم يقاتل دونما خداع مرة واحدة في حياته .  
أما أن تحاول مثلا إيفاهمهم أن التاريخ لا يعيد نفسه أبدا لأن الغرب لن يلدغ من ذات الحجر مرتين ، فذلك نوع من العبث !  
يعود وحيد للنقطة التي تمهه : ' سواء هذا أو ذاك ، إذن التوحيد مفهوم سياسى ، والهدف الحقيقى وراءه هو الدولة ؟ ' .

- دولة إيه يا بتاع الدولة يا مستورد أنت ؟ عن أية دولة تتحدث وتبنى نظرياتك ؟ جازي التوحيد كان شيئا يخص الدولة والسياسة أيام أختاتون ، إنما عند العرب القصة أبسط من كده بكثير ؛ كلمة دولة أو كلمة سياسة نفسها لا معنى لها عندهم ! الصراع على الخلافة كان خلافا قبليا محضا . إزاي ما لاحظت أن الشيعة والسنة إلیلى بتقولها دى كلمات ذوات مدلول قبلى خالص ، أهل البيت ضد أهل الجماعة ؟ في كل مرة يذكرون كلمة سنة أو شيعة أو هاشميين أو أشرف أو ... أو ... ، إنما يذكرونك بمدى قرابتك أو بعدك منهم ، يذكرونك بأصلك وبموقعك القبلى ، بل ويذكرونك أن هذا الانتماء القبلى هو الأهم والأبقى من أى شيء في الوجود أو وراء الوجود ، بما في ذلك الإيمان بذات الإله . كل الموضوع كان صراعا قبليا من الأصل ، والكل ظل لقرون يبحث له عن حل . والأهم أنه سيظل قبليا للأبد ، يا بتاع دولة المواطنة القومية المدنية الأوروبية أنت . كل حاجة قبلية قبلية قبلية . مصطلح الأمة نفسه ( إلیلى أنت بتسميه الدولة ) ، كل استخداماته ومدلولاته قبلية ، وعلى رأسها الولاء والبراء . صحيح أن المقولة السائدة لدى كل الأطراف أن الدولة هي ما يدور حول الإسلام ، حلم الدين الواحد الموحد الذى تحقق أخيرا بعد قرون من الانتظار والتخطيط المضنيين . لكن السؤال الذى فشل فيه الإسلام هو أهم الأسئلة جميعا : تسمية القبيلة التي تحكم هذه الدولة ،

التي يعلن لها الحق المقدس في استعباد كل بقية القبائل . خدها منى قاعدة : لا الدول ولا الممالك ولا المحاكم ولا البرلمان ولا الأحزاب ولا البلديات ولا النقابات ولا المنظمات غير الحكومية ولا الأسر النووية ولا الجامعة العربية ولا الأمم المتحدة ولا أى حاجة ، تنفع . حتى البورصة إلى إحننا شغالين فيها دى ما تنفعش لأنها قائمة على الديمقراطية وتعدد الآراء . الشكل الوحيد الممكن للتنظيم عندنا هو القبيلة ؛ كل الأشكال الأخرى ثبت فشلها !

- فعلا ! أرسطو ... .

- أنا موش عارف أنت ليه دائما بتمد لبره وعامل مرجعك لكل حاجة أرسطو ؟ تروح بعيد ليه وعندنا مثلا ابن خلدون أو الجبرتى ، ولن يقول عليهم أحد إنهما يسيئان للعرب والمسلمين ، لسبب بسيط أن شهد شاهد من أهلها وأهل مكة أدرى بشعابها ؟ حتى جيبون حبيك وعدو الأديان رقم ١ ، قال نقدا مخففا للغاية للعرب ، إذا ما قورن بأى منهما .

- لاحظ أن الترجمة العربية مزورة جدا عندما تترجم ما يخص الإسلام ، وبها حذفات بالطن عندما ترفض الترجمة أصلا !

- أنا عارف ، لكن لا يمكن يكون جيبون قد قال شيئا مما قاله الجبرتى الذى كان حتى قدوم الحملة الفرنسية أزهريا سلفيا جهاديا شديد العداة ' لأهل البدع ' أى الصوفية ، ثم إذا به بعد قليل ينقلب ١٨٠ درجة على نفسه ، ينحاز للحداثة انخيازا تاما ، بمجد الأجنبي الغربى المحتل ، ويصف العرب بـ ' الملائعين الأعراب أقبح الأجناس وأعظم بلاء محيط بالناس ' ؟ لا يمكن يكون جيبون قد قال شيئا مما قاله ابن خلدون من كلام مرعب عن العرب بالذات في الجزء الأول من كتابه الضخم ' التاريخ ' ، أو ما يعرف بالمقدمة . منه بالحرف الواحد أن العربى نهاب سلاب متوحش ، ولو أخضع أية مملكة أسرعت للخراب والفاقة . هو يرى العرب ككائنات تدميرية خطيرة على الإنسانية ، ويقول إن العربى -فردا أو جماعة- لا يصبح مسالما إلا مؤقتا وفي حالة واحدة فقط لا غير : أن يوضع تحت حالة من الرعب الشديد ( أو ما يسمى بمصطلحات دونالد رامسفيلد وتومى فرانكس awe and shock ، وبمجرد أن ترخى قبضتك قليلا أو يشعروا هم بالدفء يقتلونك ؛ أو تقريبا نفس الكلام إلى كنت بأقوله لك إن لا شيء أقوى من الجينينات إلا الإبادة ) . والأهم من ' شديد ' تلك أن يكون الرعب جليا جدا مباشرة جدا كى يشله عقليا وانفعاليا ، لأنه لو لم يكن هكذا لاندفع العربى غريزيا كى يقاتل وساعتها سيلقى حتفه . أيام ما كانت إيد الحكومة طائلة ، كان البدوى عندنا فى سيناء لو سمع غفير الشرطة يقول ' مين هناك ؟ ' ، يرمى البطاقة الشخصية ويجرى . بعد الحروب مع إسرائيل بقى عندهم ترسانات أسلحة ، وبقي ظابط الشرطة أو الجيش هو إلى يرمى الكاب ويجرى ! دلوقت فهمت ليه حصلت حروب الردة والفتن الكبرى والصغرى والمتوسطة ، ولا ها تعمل زى الشيخ إلى غايظ ونس إلى يبيجى قبل الأخبار ، حافظ موش فاهم ؟ ! من يحكم من ، هو السؤال دائما أبدا ؟ المشكلة أن الإسلام أجاب على بعض الأسئلة ، لكن ليس كلها . مثلا من يحكم ، هل قبيلة صدام حسين أم قبائل الأكراد ، هل قبيلة مهاتير مُجَّد أم القبائل الصينية ، هل قبيلة عمرو بن العاص والعاصية أم قبائل الأقباط ، هل قبيلة عمر بن البشير أم قبائل الأفارقة ، هل قبيلة الموحدين أم قبائل الأمازيغ ؛ هذه أسئلة سهلة ، وإجاباتها واضحة ، والإسلام أيضا واضح فيها ولم يجد صعوبة . لكن مثلا هل يحكم آل البيت أم آل الجماعة ، أبناء الدم والقرى أم أبناء الصحابة والعقيدة ، أمير الطوائف رقم ١ أم رقم ٢ ، هذا سؤال صعب ولم يأت الإسلام بإجابة حاسمة عليه ، لأن بصراحة الإجابة مستحيلة . أو لو دخلنا فيها علم الجينينات ها نحصل على إجابة ، لكن ساعتها ها تبقى مصيبة سوداء . تونى بلير لما قال الإسلام دين سلام وتعايش طلع أهبل وعبيط ، أو جورج دبليو . بوش لما دخل العراق وقال ها أحرره وها أعمل ديمقراطية طلع أهبل وعبيط ؛ عارف ليه ؟ فاكرينا بشر زيهم ، ما يعرفوش أن إحننا بدو ؛ ما فيش حاجة اسمها تعايش ، وأن لازم قبيلة واحدة تسود على الكل ، فاكرين الدين زى عندهم علاقة بين الإنسان وربّه ، أو زى ما بتقولوا يا علمانيين الدين هو العورة الوحيدة التي يتحتم على الإنسان إخفاءها ، ما يعرفوش أن علاقة بين الإنسان وشيخ القبيلة ، وبين القبيلة والقبيلة المجاورة . العربى ها يديك تنازلات كلامية ورا تنازلات كلامية زى ما تحب ، حتى تأتى اللحظة التي يتحتم فيها إما قتلك وإما استعبادك . كل قصيدة شعر عربى وراها قصة من النوع ده . طريقة تفكيره هذه لا تتغير أبد الدهر ؛ ما يتغير فقط هو ضحاياه الذى ينخدعون بتمسكته الزائف . هل تعرف أن ابن خلدون ألف ما ألف وهو معتزل عن الناس زيك كده ، كله فى مصر ودفن بها أيضا ؟

- سواء مُجَّد دمية أو بطل همام ، إلی أعرفه أن ذلك السلام بين القبائل ، لم يدم شهورا على بعضها قط . الردة ، الامتناع عن دفع الخراج ، الخلفاء ماتوا مقتولين ، معارك إلی بیسموه الفتنة الكبرى ، صراع الأمويين والعباسيين ، صراع كل واحد ضد كل واحد ، وغيرها وغيرها . ١٥٠٠ سنة حروب . ما حصلش أن فيه حاجة اتوحدت أصلا ، ولا ها تتوحد .

- بالفعل ، يوجد فی الأمر شيء مريب . أحيانا أتعجب بشدة من قبول الإسلام أن يسوع ولد بدون أب بينما يرفض بشدة فكرة المسيحية عن وجود ثلاث صور لتجلى الإله ، رغم أن الأولى أعصى على التصديق بمراحل . ثم المدهش أنهم يتجاهلون كليا ما هو أخطر بما لا يقاس : الروح القدس ! كل مسيحي يعتقد في نفسه أنه إله ! ؛ نزلت به الروح المعزية بعد رحيل المسيح ، ميزته عن جميع البشر ، وجعلته منذ اللحظة ( هنا والآن ) ، ينعم في الفردوس ويعيش شراكة عضوية مع الذات الإلهية ، مع ذلك لم يحدث أن علق مسلم واحد على هذا الأمر .

- أنا ها أفهمك حكاية يسوع إلی محيرك ده : هل عمرك شفت واحد بلا خطيئة قبل كده ؟  
- أيوه : أنا !

- ها ! والمسيح الدجال ها يقول على نفسه إيه غير كده ؟ ! خليني أفهمك : بالنسبة للعرب يسوع ده نبي مثالي ما فيش أحسن من كده ؛ رفيع الأخلاق ، عاقل ، عفيف ، كل العالم بيحترمه بما فيه روما شخصيا ، وفوق ده وده بيعمل معجزات .

- ما هي المعجزات دي هي الحاجة إلی قالفاني فيه ! طبعا الأناجيل -منها إلی اكتبت بعد ٥٠ سنة ، ومنها إلی اتكتب بعد ١٠٠ سنة- بالغ في الأساطير دي جدا ، لكن يظل لا دخان بدون نار ؛ ومعنى أنه عمل معجزات ، أنه وأصحابه كانوا شلة بملوانات سيرك وشغل حواة وسحرة وخفة يد ؛ يطلعوا أكل من الجراب ، أو بدل جرة الميه يحطوا جرة النبيذ ، أو يجيبوا واحد يقولوا عليه أعمى وبعدين يطلعوه سليم ، أو يلفوا واحد قريهم ويحطوه في قبر وبعدين يقولوا أقامه من بين الأموات بعد ٤ أيام ( stunt كويسة من بتوع إيليا وأليشع ! ) ، أو كمان خبراء في خلق الهلاوس -السمعي أو حتى البصري ، سواء الفردى لدى انفراد الأفراد ( بتاع الست أمينة ) ، أو الجموعي الهيستيري لدى احتشاد الحشود ( إلی أثبت لنا جيم جونز أن لا سقف لما يمكن أن يصل إليه ، وقرم كل القصص عن ظهور يسوع لتلاميذه بعد موته أو عاصفة ترابية اسمها الروح القدس اجتاحتهم أو لاحقا ظهورات العذراء وما شابه ) ، وهلم جرا من شغل الأكروبات . ليه ما عملش معجزات في أورشليم ؟ لأن شغل الأونطة إلی يخيل على بتوع الأرياف ما يمشيش في المدن ! حتى بعض الأرياف كانت بتطرده و' لم يصنع بها معجزة لقللة إيمانهم ' . ما معنى هذا ؟ معناه أن الإنجيل يفضح نفسه بنفسه ، ويقول إن الإيمان -أو بكلمة أصرح العمى- هو اسم اللعبة وراء كل ما يسمى بالمعجزات عبر التاريخ ! على فكرة ، أنا طول عمري كان فيه سؤال محيرني : إذا كانت المعجزات سهلة جدا هكذا عند إله السماء ، فلماذا لا يستخدمها في حل المشكلات الاقتصادية التي دوختنا ، أو مثلا في القضاء على الفقر والجوع ؛ أم أن السمك الوفير يأتي فقط من أجل إبحار صياد مفتول العضلات اسمه بطرس ، تحتاج الشلة بشدة لتجنيد فتوة مثله لحمايتها ؟

- طب والمشى ع الميه !

- دي كانت بينهم وبين بعض ، ما فيش شهود وطابخينها سوا . كمان جازي يكون أخذهم وهم نايمين ودايخين لحنة فيها الميه ضحلة . في كل الأحوال أنا أفضل بكثير معجزات ديفيد كويرفيلد ، وطبعا فوق الكل أفضل معجزات إقامة هوديني لنفسه وللآخرين من بين الأموات !

- أنت عارف طرد الشياطين في الأديرة بيتم إزاي ؟ أنا حضرت كذا حالة . موش تمثيليات مدبرة كما تقولون يا علمانيين . البنث بتيجي جاهزة أصلا . أولا ، كل إلی حوالها مفهمينها أن لا بد فيها شيطان ١٠٠ . ثانيا ، هي كمان مقتنعة بكده ١٠٠ . ثالثا ، مفهمينها أن الراهب ها يدي أمر ٣ مرات للشيطان يطلع ، وبرضه هي واصله لدرجة الاقتناع بكده ١٠٠ . والنقطة دي أهم ما في الموضوع ، وإلي لا يمكن ينجح أبدا من غيرها ، وأعتقد أن هنا يكمن الفارق بين ذكاء الراهب المشهور الناجح في المواضيع دي وبين غيره . بعد المرة الثالثة طبيعي أنها تسكت لأنها بتحاول تشوف حصل إيه . في اللحظة دي كل الموجودين يلاحظوا الذهول غير المقصود على وجهها فيصفقوا ويزغردوا ، فتفتكر هي أن الموضوع اتحل فعلا والشيطان خرج فبتبدي تبتسم . لما تروح البيت ، أهلها وصاحباتها يفضلوا فرحانيين بما فيفضل عندها الإحساس أن كل حاجة بقت تمام ، فتبقى تمام فعلا : حالة نفسية وراحت ، وهم وفروا أجرة الطبيب النفسى . فيه حالات نادرة بتخرج عن السيطرة ، ما ينفعش فيها ٣ أوامر ، بتطول جدا مع القسيس . السبب موش قوة الشيطان ، إنما أنها نوبة صرع . لما تخلص برضه كل الناس ها تصفق ، والبنث تقوم من ع الأرض مبسوطه . فقط هناك مشكلة واحدة : نوبة الصرع التالية !

- قصدك أجرة طبيب الأعصاب ! المحكمة اتنورت يا حاج !

- على أية حال موش موضوعنا . المهم في إल्ली بأقوله العرب كانوا شايفينه إزاي : القرآن قال إنه خالق -أو زى الخالق- ينفخ في الطين فيصبح طيرا ، وكمان قال أنه تقريبا هو ربنا نفسه وما يجي يدين العالم بما فيه حتى مُجَّد نفسه ؛ أيضا كانوا يتوسمون في مُجَّد أنه لن يموت مثله ، وتركوا جسثه ثلاثة أيام ( لاحظ العدد ) ، غير مصدقين أنه مات حتى ربأ بطنه أى علا وانتفخ ( ربما رفض مُجَّد قصة صلب عيسى فقط خوفا من أن يتبته قومه فيصلبونه هو نفسه ! ) . باختصار : موش ممكن تلقى نبي أقوى من يسوع ده ولا في وول مارت حتى ، لكن يسوع ده فيه مشكلة أساسية جدا لم يجد العرب حلا لها ، عارف إيه هي ؟ : أنه ابن قبيلة أخرى ! فهمت ؟ !

ويتدخل ونس : ' أنا اعترض ! أولا : إल्ली فاهمين اللعبة ما استنوش ولا ٣ دقائق ، إنما هرعوا فورا للسقيفة ، وسابوا إल्ली يعفن يعفن . الكائن الوحيد في كل شبه جزيرة البعر المخلص رقيق القلب مرهف الحس والوحيد على ما يبدو الذى آمن بمحمد إيمانا صادقا ، هو الوحيد الذى استنكف الذهب للسقيفة ، إنما ذهب وقتل نفسه كمدا ، إنه صاحب العبارة الشهيرة بتاع الدنمرك ' بأبى أنت وأمى يا رسول الله ' : الحمار يعفور ( وطبعا ، لو أحاديث يعفور صحيحة فتلك مصيبة ، ولو مكذوبة فالمصيبة أعظم ! ) . ثانيا : يسوع ده ولا حاجة عند العرب ، ضعيف نحيل ومسفوح ، أما مُجَّد فقوى فحل وسفاح . لو بطرس جازر أصدرتك ، جتة وبلطجي وكمان يزدري النساء ( رآهن كلهن في النار ، يعنى أجدع كمان من مُجَّد الذى رأى أغلبهن فقط ، ها ! ها ! ) ، إنما يسوع الغلبان بتاعكم ده إल्ली هزأوه ولطموه وجلدوه وصلبوه عريانا تماما وهى قمة الإذلال : هيهات ! بغض النظر هل تلك مزاعم أم حقيقة ، هذا ما يريدونه في نبيهم ، ' زعيمهم ' كما يسميه الإخوان . ثالثا وباختصار : هم يعتقدون أن مُجَّدا قائد عسكري فذ ، ولا يقرأون تفاصيل الغزوات حيث لو اتبع صحبه نصائحه لذهبوا في ٦٠ داهية من أول مرة في بدر وفي كل مرة ، ويعتقدون أنه همام مغوار وهو الذى بعد أن نجا من الموت نسى ابن عمه النائم في الفراش بدلا منه ، وهلم جرا . عمنا زهرى اتهمنى ألف مرة بالإساءة للإسلام ، لكن الحقيقة أن ليس في كل ما قلت كلمة واحدة تسيء للإسلام ، لا يوجد شىء واحد منها لا يتباهى به المشاوخ أو كتب التراث ! كلمة الإسلام دين الشيطان التى يستخدمها المبشرون المسيحيون ليست في صالحهم ، إنما تزيد إعجاب المسلمين بدينهم . قوم عاد أبادهم إله الإسلام بعشر طرق مختلفة في عشر مواضع مختلفة من الكرهان ، المسلم لا يرى في هذا تناقضا ولا سهوا ولا جهلا ولا انتقاصا من صفات الإله ولا حتى برهانا كافيا على عدم وجوده ، فكل هذه تفاصيل لا تحمه من قريب أو بعيد ؛ المهم شىء واحد : أنه إله جبار عديم الأخلاق بييد خصومنا الذين لا يتبعونه ! صدقتى : لن يهز تشبثهم بالإسلام إلا أن أثبت لهم أنهم يعبدون العدم ، وأن مُجَّدا بن بحيرة النسطورى البصرى [ بضم الباء ] كان رعديدا ، ضعيف الشخصية ومعدوم القدرة الجنسية ، هنا سيكفون عن عبادته في الحال . ذات الشىء بالنسبة لعمر بن الخطاب والخطابة ، وضع الأصل اللواطى السكير مدمن حناء الدبر الذى لم يقاتل دونما خداع مرة واحدة في حياته . أما أن تحاول مثلا إفهامهم أن التاريخ لا يعيد نفسه أبدا لأن الغرب لن يلدغ من ذات الجحر مرتين ، فذلك نوع من العبث ! ( خطاب بالمناسبة تعنى حمال الخطب ، وهو -بالمناسبة أيضا- مذكر حمالة الخطب ، وهما -بالمناسبة كذلك- حمالا حطب حقيقيين وليس تطاولا جبريليا على ذوى الحسب والنسب ) .

- طر فيك وفي كلامك ! وإيه يعنى لم يقاتل دونما خداع مرة واحدة في حياته ؟ ! مدح دى ولا ذم ؟ !



أتحدى ذلك الإله القعيد القزم الأبرص ، الدنس النجس الرجس ، الدميم الذميم الذليل ، الحسيس الرعديد الخانع ، أن يخرج فقط مرة واحدة من محبأه السماوى المنكفى فيه على فشله والهارب إليه من جرائمه ، ويواجهنى في مناظرة علنية ، فيصفته إلهما يعلم كل شىء ، هو واثق أن جزمى التى سأهوى بما على دماغه سوف تؤله أشد الأمل .  
وأتحداكم أنتم -يا كل اليهود والمسيحيين والمسلمين- ليس فقط أن أجعله يركع متوسلا أن أقبله عبدا لى ، بل أن أقوده للانتحار على الهواء أمام العالم أجمع !

ما الذى أتى بي من علياى لهذه الرمسيس الكابوسية ؟ اهتمامى الوحيد بالدين -إن كان لى اهتمام أصلا- هو الآلهة ؛ هذا هو مستواى ! لقد أتيت بدليل علمى قاطع غير قابل للدحض يثبت عدم وجود الإله ؛ دليل من الفيزياء الجسيمية ، يقول إن المعادلة المثلثة الكون-الرب-النرد ليست معادلة ثلاثية الحد كما رفض أينستين واعترض ، ولا حتى ثنائية الحد كما قرر ووافق ؛ فقط لها حد واحد هو الكون ، لا مكان للرب ولا للنرد

فيها . هذه كانت مقالتي الوحيدة التي تطرقت للدين ، بل وكانت مقالا صغيرا عابرا ، عداها لم أعطه يوما أية فسحة من تفكيرى . ألا زلتم تؤمنون بعد بذلك الإله الخفى ؟ يا لكم من كائنات غريبة الأطوار ! لا بأس على أية حال ! هالة أقامت محاكمة لذلك الرب على ما جرمت يداها وأصدرت حكما بإعدامه ، أما أنا فلدى شىء آخر ؛ لدى تحدى له ولكم : أتحدى ذلك الإله القعيد القزم الأبرص ، الدنس النجس الرجس ، الدميم الذميم اللذليل ، الخسيس الرعديد الخانع ، أن يخرج فقط لمرة واحدة من مخبأه السماوى المنكفى فيه على فشله والهارب إليه من جرائمه ، ويواجهنى فى مناظرة علنية ، بفصفته إلها يعلم كل شىء ، هو واثق أن جزمته التى سأهوى بها على دماغه سوف تؤله أشد الأمل . وأتحداكم أنتم -يا كل اليهود والمسيحيين والمسلمين- ليس فقط أن أجعله يركع متوسلا أن أقبله عبدا لى ، بل أن أقوده للانتحار على الهواء أمام العالم أجمع ! ، وافعلوا بى ما شئتم إن فشلت ! حتى تلميذتى هالة لها مستواها الخاص ، فقط راحت تفند خطل ' الخالق ' وفشله المهنى وسوء تصرفاته . صحيح هى تختلف عنى أن مادتها التى تقرأها هى تلك الكتب القميئة المسماة بالمقدسة ، وليس الفيزياء الجسيمية ، لكنها قطعا لم تنحدر يوما للحديث عن هؤلاء المسمين بالأنبياء . بلى ، نحن دائما من مستوى الآلهة فما فوق ، ولا نتدنى أبدا لمستوى الأنبياء !

كلا ! ليس حتى كل الآلهة ! كى أكون دقيقا وكى لا تسيء فهمى ، فإنه للحق حين كتبت تلك المرة أفند الآلهة ما دار بذهنى هو آلهة اليونان والرومان . تجاهلت يهوه إله اليهود ( فقد تكفل به نجيب محفوظ بما يكفى ) ، وألقيت بالكاد نظرة على إله المسيحية المدعو الرب ( به بعض الصفات الحسنة لكنه لا يشذ عن نظيره إلهى التوحيد الآخرين ، بالذات فى الجنون العقلى وفى سيكوباتية الولع التلذذى السادى الرهيب بالدماء ، وأقلها قتله لابنه بتلك الوحشية العجيبة ) ، أما اللات أو الله إله الإسلام هذا فقد تعرفت عليه مؤخرا جدا ، وهو للحق شىء لم يخطر لى ببال ، لا فى الأحلام ولا حتى فى الكوابيس . تصور إله يغشش آدم أجوبة امتحان أسماء الحيوانات كى ينجح ويرسب الملائكة الذين يخشى مواجهتهم وجها لوجه ( ثم بعد كل هذا يصب لعناته على إبليس لا لشىء إلا أنه رفض الشرك به والسجود لآدم ، ويعفو عن آدم رغم أنه ارتكب جرمته مع سبق الإصرار والترصد ، وضرب بعرض الحائط لائحة التحذيرات المطولة ؟ ! ) .

قطعا حين تحدثت عن الرد لم يخطر ببالى إله فاسد وسواس جبان وضيع ودنيء كهذا . الأدهى هو ليس فاسدا فقط بل مفسد أيضا ؛ أسس حلفا شيطانيا سرىا مع المترفين لإفساد العالم ؛ بل وسواس غواء ضحك على ذلك الكائن المحترم إبليس وخدعه ، وبما أن بمكرك وغوايتك وألاعيبك القدرة جعلتنى ملاكا ساقطا فرى بما أغويتنى لأزین لهم الأرض ولأغوينهم أجمعين ، لعبة الشطرنج لم تنته والحساب بينى وبينك يجمع ، ولن تكفبنى عمولة ال ١٠ . / بتاع هوليبود إلی عاوز تضحك على بما ، إما فيفتى-فيفتى وإما موش لاعب . بل حتى هو مولع بالدماء ؛ تخيل ماذا كان اعتراض الملائكة على خلق آدم ؟ اعتراض واحد لا غير : بحور الدماء التى ستملا الأرض ! توقعوها فكانوا الأحكم فسقطوا وصاروا الرجيم ، ولم يتوقعها هو فكان عديم الحكمة فصار العلى العظيم ، أو أعجبه توقعهم فقرر المضى قدما كى يتلذذ بالفرجة ( السؤال فقط : هل كان مجدا يؤيد أم يعارض سفك الدماء حين كتب هذا ؟ سؤال صعب بالنسبة لى ، بالذات وأن سورة البقرة هذه تقع فى النقطة الفاصلة بين مرحلتى المواعدة وبحور الدماء ) !

أيضا هو قواد ؛ أرسل هواه فعرى زينب ؛ كذا هو أول من نادى بحرية الفتيات فى احتراف البغاء أو رفضه دون إكراه أبوى ( ها ، اسمع هذه يا ونس : ها هى كلمة حرية موجودة بالكهران ، ربما ليس حرفيا لكن المعنى صريح ! ) . أيضا هو من اخترع كل الممارسات الجنسية الكثيرة المتنوعة جدا والتى شخصيا أراها شاذة جدا تلك التى تفعل كل شىء وتقف عند نقطة إيلاج ' المرود فى المكحلة ' ، وقد أسماه فى كرهانه ' اللمم ، إن ربك واسع المغفرة ' ، ويا ما فى الكرهان يا حاوى ! ( يا لك من ظالم يا ونس ؟ كيف بربك تقول عليه عدوا للحرية ؟ ) . بل هو أول من كسر تابووه المحارم الذى شرعته كل قبائل الدنيا منذ ما قبل التاريخ ( لتجنب الأمراض الجينية حسب فهمى المتواضع ، أو لسبب آخر قرأته ولم أفهمه فى كتاب فرويد ! ) ، فهو أحل زواج المسلم من ابنته واخته ( وربما أمه أيضا بل وجدتيه كذلك ، وإن اختلف الفقهاء هنا ) ، قائلا إنه يخلق من ماء الرجل ' نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا ' ، وليس نسبا فقط ، ومرة أخرى يا ما فى الكرهان يا حاوى ! ( يا لك من أخطل يا ونس ؟ كيف بربك تقول عليه عدوا للحرية ؟ بل بالأحرى بأى وجه يمكن لأحد أن يعترض على مقولة عمر بن الخطاب والحطابة ' احرقوا جميع الكتب ، الكرهان به كل شىء ' ؟ ! بل ويا لكم من سدج أيها المسيحيون ؟ الإسلام ديانة شيطانية ؟ ! كيف لا تعرفون أن الشيطان لا يعرف صنع أشياء كهذه ؟ ) .

ما علينا : المدلس الوسواس الكناس الخناس الدساس الغشاش الجبان السفاح الوضيع الدنيء القواد الكياد الخداع المكار المنتقم الجبار المتكبر الضار المضر الضال المضل الذليل المذل الفاسد المفسد الميت المميت المقيت ( البعض يقول من التوقيت والبعض من القوت لكنك عندما تقول لهم من المقت يفرحون أكثر ! ) القاهر الظافر الظالم المظلوم البارانونيا السافل الجهول الشنيع أبو رجل مسلوخة وارد الجنة بساقه ( وربما بعضه الذكري أيضا ) ، رب الأنفال والأنصاب ، له الأسماء الحسنى مرفع أغشية البكارة . هذه بعض ما يسمونها أسماء الحسنى ، فماذا عساها تكون أسماء السيئى ؟ ! يقولون إله الإسلام قادر على كل شىء ، واضح جدا ! إنه حتى يلقي بالأطفال الرضع إلى نار جهنم فيها خالدون ، لأنه ' خلق للنار أهلا وهم فى أصلاب آبائهم ' ، مزاجه كده !

نعم ، الآلهة الأخرى لا تستطيع الكذب ولا المكر ولا الإفساد ولا الإفساق ولا الإضلال ولا تغيير رأيها كل دقيقة ، لكنى شخصيا -وساحونى- أشك إنه قادر على أى شىء ، وكفاى ما أعطيت من وقت وجهد لهذا الإله الفاشل فى الشر ، مثل فشل بقية الآلهة فى الخير ، وعلى أية حال يرضينى منه اعترافه بفشله واختباؤه الوضع طيلة كل تلك الألفيات ، لا يجروء فيها أن يظهر وجهه لنا قط ( فى الواقع محاكمة هالة لم تكن فى حاجة لكل تلك الأدلة على فشله أو شره ؛ يكفى أنه خلق العرب ! ) . هل تعلم ما هو نصف الكوب المملوء هنا ؟ أن أخيرا وجدت شيئا مشتركا بينى وبين ابن الخطاب والخطابة : إنه يشاركنى ذات السؤال الذى ظللت أسئلة طيلة حياتى : ' فيم الاختفاء ؟ ! ' . ما الذى يمنع الإله أن يعيش بيننا ، هو خالد ونحن لا ، أما الاختفاء فلا بد أن وراءه سر مريب ؟ هل خلق إديسون أو فون نيومان ما خلق بالريموت كونترول ؟ على أية حال يكفينى أن إلهكم هرب محتبئا فى بيت جده ، هذا الذى تتحدث عنه السورة إالى رآكبها عفريت . حتى لو كان هذا السطر قد أملاه العقل الباطن لمحمد تأثرا بمكانة عبد المطلب ، فسأظل شخصيا معجبا جدا بفكرة ' جد ربنا ' هذه ؛ إنها رائعة حقا ؛ خيال جميل ومحاولة جريئة للإجابة على السؤال الذى تهربت منه كل الأديان وهو من الذى خلق الله ، هل خلق نفسه أم ماذا ، ثم على الأقل جدا هى بما إجابة على سؤال المسيحيين اللزج عن لمن يصلى الله حين يصلى على مُجَّد ، ويا ما فى الكرهان يا حاوى !



## - كل حاجة فى الجيينات ، فى إرادة الإنسان ؟ !

### - موجودة ! ... فى الجيينات برضه !

- ها ! أنت أساسا بتدور على إبرة فى كومة قش ؛ مستحيل تعرفه ، لأن من نكحوها لا عدد لهم ! ... ها ! أنت أساسا - العجل ده سبق وقال إن السادات وريجان كانوا هواة فى لعبة الإسلام ، والفكرة كانت ضرب الشيعيين بالإسلاميين ، ثم إغراق الإسلاميين بالمال والجنس فينسون الإسلام . الآن غرقنا بالفعل فى المال والجنس ، لكن شيئا من كل ذلك لم يحدث . السبب ببساطة أن الإسلام فى الدم ! أنا مختلف معك أنك لا يمكن أن تقتل لمجرد أن الإسلام قال لك اقتل ، إنما أنت تقتل لأن جييناتك تدعوك أو تأمرك بالقتل ، والإسلام ما هو إلا جزء من تلك الجيينات المتصاحبة مع بعضها البعض . كمان أنت سبق وقلت المسلم المتدين يبص للمسيحى من فوق لتحت ، السبب موش هو إالى أنت قتله ( الازدراء ) . بالعكس ، النظرة الطويلة إالى من غير كلام ، وإلى كل مرة يقابلك يكررها فيها ، موش لازم حتى نوع من الغيظ والتحدى ، هو يفكر ومأزوم وهو بيتأملك : إزاي سمحت لك نفسك تؤمن بشىء غير الإسلام ، دين الحق ، وإزاي سمح ربنا يديك الفلوس أو الذكاء ده ؟ أنت بتمثل أزمة بالنسبة له ولعقيدته . ما فيش مانع طبعا تيجى الجزية فى باله ، لكن موش هى كل المشكلة . برضه الإسلام فى الدم . إالى موش فى دمه الإسلام ، يعنى إالى موش متدين أو مؤمن إيمان عام ، موش ها يبص لك البصة دى أبدا ، وموش ها يبطل كلام معاك لأنه معتبرك صديقه بجد . ( ويصيح للشخص الواقف فى منتصف القاعة : ) صح ولا غلط يا إدوارد ؟ باين عليك أنت التانى موش فاهم حاجة ! ( ويعود لونس : ) زى ما كنا بتتكلم مع أستاذك وحيد ، التربية شىء ثانوى . ممكن تشوف واحد اتعلم كويس جدا وعاش حياة عصرية جدا ويهاجر ويتأقلم وينجح ، لكن لما ييجى يتجاوز يرجع مصر يتجوز . ياخذ مراته يجسها هناك فى البيت ، وتمشى كل حاجة تمام لغاية ما بنته تبقى ١٣ سنة ، يرجعوا كلهم مصر . لو ها تسمى ده تدين ، يبقى الدين فى الدم ، لو ها تسميه أى حاجة تانى ، فهو برضه فى الدم ، ما فيش حاجة بتعملها ما اتولدتش بها . ما عدا ذلك كل التربية قشور ، أنت ترى مثلا طفلا مجتهدا فتقول إنه اكتسب هذه الطباع من جديه أبيه وأمه ، هذا هو ظاهر الأمر ، بينما الحقيقة أن ما اكتسبه منهما ليس تعلم الجدية ، إنما جين الجديدة . دائما أبدا من السهل التمييز بين ما هو

تربية وما هو حقيقى فى الإنسان . وإديتك مثل : لا يمكن تغيير التفكير المحافظ فى راجل شرقى مهما عملت ، لأن موش بإيده هو يغير حاجة . الست نفس الشىء : الغرب الساذج كان يتصور فى البداية أن وراء المرأة أو الفتاة المحجبة زوج أو أب يقهرها . ثم حين فوجئ بهم يقلن إن هذا اختيارهن الحر ، قال بلكنة يسارية إن التربية القمعية هى التى برمجتهن منذ الرضاعة على كونهن كائنات دونية . أخيرا فهموا أن الحجاب أو النقاب لا هذا ولا ذاك ، لا يفرض عليها ولا هو باختيارها ، إنما هو شىء تولد به المرأة فى جبيناتها . برضه السبب ببساطة أن الإسلام فى الدم ! لماذا يشكو كهنة المسيحية طوال الوقت أن الغالبية الساحقة من رعيتهم لا تستطيع السير على الشفرة الأخلاقية ليسوع ؟ الإجابة أنهم ببساطة ولدوا بجينات غير جينيات يسوع ! ( ويلتفت لوحيد : ) كلام يمينى خالص والمفروض يبسطك . كمان المفروض يبسطك أن العلمانية بتاعتك موش نادى مفتوح لكل البشر زى ما أنت فاهم ! أنتم الكعب العالى ! أنت لا تتحول للعلمانية ، أنت فقط تكتشفها داخلك !

لكن من يرد فى هذه اللحظة هو روميو : كل حاجة فى الجينيات ، فى إن إرادة الإنسان ؟ !

- موجودة ! ... فى الجينيات برضه ! بعض الناس عندهم إرادة لأن فيه جين بيخليهم كده . وطبعا أنت ما عندكش ريحة الجين ده ، بدليل أنك ماشى على حل شعرك !

- الله يسامحك ، ويسامحنا كلنا ، موش هو برضه إالى عمل لنا جينياتنا ؟ !

- أنت كمان ها تكلمنا فى الدين ؟ طبعا طالما خلقت فلن يحاسبك ، إنما سيحاسب نفسه ، دى ما فيهاش جدال عندى ولا ثانية فى المليون ، لكن أنا ما كانش قصدى إهانة . قصدى أن يثريك الفخذ الملفوف أم الفخذ النحيل ، أن تثريك المرأة الطويلة أم المرأة القصيرة ، هذا مكتوب فى جينياتك . المصريون يسيل لعابهم على أفلام الپورنو وعلى العاهرات الأجنبية الفاتنات الشقراوات ، لكن قل لهم إن لديك فيلما أو عاهرة مصرية ولو متوسطة الجمال سيتكون كل شىء ويتهافتون بالطواير عليك . نفس الشىء بالنسبة للأكل ولكل حاجة : أنت بتحب الفول والطعمية موش لأنها رخيصة أو لأنها لذيدة أو حتى لأنك تعودت عليها من صغرك ، إنما لأن آلاف السنين غيرت مواصفات البركة الجينية بحيث باتت لا تستغنى عنها . صح ولا غلط ؟

- احتمال . ( ثم يستدرك : ) صح ! ( ثم يضحك : ) أنت برضه تقول حاجة غلط يا حاج ! يعنى لو واحد شايف فعلا كل الستات حلوين ، تبقى جينياته هى إالى قالت له كده ؟ ! أنا بس بعد إذنك يا حاج لى سؤال بمناسبة الفول والطعمية : ليه أنتم فى الهندسة الجينية مضطهدين الليمون وسابيينه ببذره ؟ موش قادرين تعملوه بناتى طالما شايفين أن الستات دايمًا حلوين ؟

- ما فيش حاجة صعبة ، إنما لو فيه ليمون حلو ممكن نخليه بناتى ، علشان يمشى مع الاسم . المهم والباقى على إالى ما لهوش طعم زيك . المهم ، فهمت إالى أنا قلته لك ولا لأ ؟ كل شىء مبرمج فى الجينيات ، حتى تقلبات المزاج نفسها مبرمجة !

ويعلق وحيد الحزين ساخرا : ' أنا كنت فاكرك كلمة مكنة شتيمة توجه للعقلانيين باردى الأعصاب ، الآن اتضح أن الانفعاليين المنذفين ماكينات أيضا ! تهما تانى : إحنا شايفين الناس بهائم لما بنرفض حرياتهم السياسية ونطالب بحرياتهم البيولوجية ، اتضح دلوقت أن حد تانى خالص هو إالى شايفهم بهائم ! ' .

ويرد الحاج الضربة بضربة : ' وأنا كنت فاكرك ' ارسى على بر ' شتيمة توجه لشخص واحد بس ، الآن اتضح أن الكل محتاج يرسى على بر ! ' .

ويشرد وحيد طويلا قبل أن يعود : أنت كل حاجة صغيرة أو كبيرة لها تفسير عندك بالجينات ونظرية التطور ، من الفول والطعمية لغاية الدين والسياسة ؟ !

- لو أنت وضعت نفسك مكان الجين سترى ساعتها الدنيا غير الدنيا ، أنت نفسك قلت كده فى حكاية الفروة إالى جوه والأحشاء إالى بره !

- يبدو أنى كنت أقول كلاما لا أعرف تبعاته !



## ذلك الشيء اللعين الذى يطاردنى من خلفى طوال الوقت : المستقبل !

كل من يقابلك يقول لك ' أفكارك حلوة ، عليك أن تهاجر ! ' ، فأرد بلا مبالاة ' لو كانت وظيفتى أى شىء غير الكتابة لهاجرت ' . ربما أكون كذابا ، والحقيقة أنى أحتقر أصلا كل من يهاجر ، وأعتبره طفيليا ، دودة . أوه ! كلا ، تلك لم تكن لا مبالاة . إنها بلاهة وبلاهة . أفكارك حلوة ؟ ... عليك أن تهاجر ؟ ... ألهذا الحد يرى الجميع الصورة ولا أراها أنا ؟ لا أرى اللعنة التى تجرى فى دمائهم ، وهم يرونها ، لعنة الجمود والتمسك بأهداب الشيطان الذى تعرف ، الماضى . تخيل أناسا يريدون تجميد التاريخ عند لحظتهم هم ؟ كلا ، ليس لا يريدون ، إنما لا يتخيلون ؛ مفهوم التغيير نفسه غير وارد أصلا على أذهانهم ، أو بالأحرى على جبيناتهم ؟ ! إنها لعنة الجبين المفقود ، جبين قبول المستقبل ومعانقة التغيير ، هذا الذى لم يخطئ طريقه أبدا إلى نويات أجسادهم وعقولهم .

بل اللعنة لعنتى أنا ، إنه ذلك الشيء اللعين الذى يطاردنى من خلفى طوال الوقت : المستقبل ! الشرق لا يفكر إلا فى الماضى ، والغرب يستخدم تعريفا للمستقبل أنه عشر الدقائق القادمة ، وأنا الوحيد الذى أفكر فى شىء ثالث . لا أحد يهتم بما أكتب . الكتابة نفسها لم تعد ذات فائدة أصلا . الإنترنت صارت قبرا ضخما لكل ما كتب أو سيكتب . كل شىء صار فيديو ، ولم يعد أحد يقرأ . حتى من لا زالوا يقرأون تقول الإحصاءات إن القراءة لا تمثل إلا جانبا ضئيلا مما يتلقون من معلومات عبر الصور التليفزيونية . ربما حين تحكم الحواسيب العالم تقرر أن تقرأ ما كتبت . لا غرابة من كل هذا الاغتراب . لا غرابة أن أحد لا يفهمنى أو يهتم بكلامى . أين أنت يا هالة اللعينة ؟ !

إنهم يرون اللعنة تجرى فى دمي أنا ، اللعنة الأفدح ، لعنة المستقبل . فعلا ! هو اللعنة التى ما بعدها لعنة ! الدنيا كلها انتقلت للكلام عن ما بعد-الحداثة ، وظللت وحدى أراهن على الحداثة ، أقول هى المستقبل وما عداها هو ردة للخلف . تشظت الإنترنت لملايين الكوميونات الصغيرة السرية وشبه السرية ، وظللت متمسكا بأنها ظاهرة مؤقتة وستعود ثانوية وأن سيظل دائما أبدا ' الكبير كبير ' . وفعلا استدارت العجلة مرة أخرى وثبتت صحة كلامى ، لكن لم يبد أى حزن على خصومى وظلوا على هيامهم بأوهام ما بعد-الحداثة وإغراق الإنسان فى ذاته الجوفاء ، تركوا الإنترنت وعادوا للمقاهى ، بل ردوا على كعادتهم ببضعة ألعيب لفظية راحت تعابرنى بجزئى وبهمى بذلك الشىء الغبى المدعو المستقبل ، وقالوا لى بتفاخر سادى متلذذ : تسميتها رجوعا للخلف ، فليكن ، بالنسبة لنا ما بعد-الحداثة هى ' المستقبل ' السعيد !



## كل ما فى الأمر أنى ولدت بلولب مزدوج كتب أمام خانة الدين فيه كلمة علمانى

ها ! ثم أى فضل لى فى أن أفكارى حلوة ؟ أى فضل لى فى كونى علمانى ، أو كما قال يسوع المسيح أى فضل لكم إذا كانت جبيناتكم مثل جبيناتى ؟ الدين والجهنم ! ما الجديد فى هذه أصلا حتى يهزوا كياني بما ، ويشبهونى بعباءة إسماعيل يس ؟ قبل نصف قرن قرأت لسارتر قوله أنت الذى تختار أيهما تستشير ، الكاهن أم جارك العلمانى . اليوم لو أنت تحب حمل السيوف ودق الرقاب اذهب لتستفتى أمراء الجهاد ، ولو أردت السكينة وهدوء البال اجلس واقرا من كتاب الكفار بعض ترانيم داود أو موعظة يسوع على الجبل ، أو لو كنت تحس بميل أكثر للخروج من البيت اذهب لمجالسة شيخ الطريقة الصوفية المجاور . فى كل الأحوال جبيناتك وليس شيوخك هى التى تقرر لك ماذا تفعل . كل ما فى الأمر أنى ولدت بلولب مزدوج كتب أمام خانة الدين فيه كلمة علمانى . ماذا كتب فى خانة زهرى ؟ لا شىء ! غير محدد الجنسية ! ' بدون ' زى بتوع الكويت ، أكيد يعرفهم ! سأغيظه حتما لو قلت له هذا . تماما كما أغاظنى بقصة الطفل الذى عزل عن كل شىء ، فشب على دين أبيه وأمه ! سأرد له الغيظ حين أخبره أن كلامه أكبر دليل أنه لا يفقه شيئا فى الدين ؛ فى الإسلام يولد الطفل على دين الفطرة وأهله هم يهودونه أو ينصرونه . ودين الفطرة هو طبع الإسلام ، دين فطرة بدو الجزيرة العربية ، فطرة الولاء والبراء ، فطرة القتل وشج العنق من الوريد للوريد ، وشج أية شاعرة عجوز يزين لها شيطانها الشعرى هجاء النبى ، شجها بين بعيرين !

الجبينات ؟ أهى هو سر شقاءك أم لعلها سر سلامك الداخلى أيها المسكين زهرى ؟ أهذا هو سر استسلامك للقدر وسر إيمانك بالغيب ؟ سلام ؟ أى سلام ، وجيلين الدين يتعارك طوال الوقت مع جبين الحداثة داخل دمك ، ولا تعرف ماذا تفعل كى ترضى كليهما ، أو ترسى على بر أحدهما ؟ وماذا عنى أنا ؟ بماذا أفادنى أن جبيناتى لا تعارك بعضها البعض ؟ لا شىء ! عذاب مقيم . ذات مرة أخذتني أمى لمحل للأصوف فى بيروت كى تشتري قماشا لها ولى . ما أن شممت رائحة الصوف حتى تجسدت صورة مصانع مانشتسر فى خيالى وضجيجها فى آذانى ، ولم أكن أعرف شيئا كثيرا عنها . هذه تكررت مرة أخرى يوم رحلة الأقصر وأسوان ، حين أصر أحد زملائنا أن نتسلل لعدة ساعات لبلدته قوص ، وما أن

سمعت سرينة الوردية في مصنع السكر ( وكانت المرة الأولى التي أسمع فيها مثل هذا الصوت ) ، حتى وجدت نفسى أنظر تلقائيا بسرعة للأرض ففوجئت بتلك القضبان الضيقة التي تسيّر عليها قطارات المصنع عابرة المدينة والحقول ، والنتيجة أن في أقل من ثانية تجسدت مرة أخرى صورة وصوتا ورائحة حضارة الصناعة الإنجليزية . هذه الرحلة شجعتنى أن أطلب من زميل لى بالجامعة من المنيا أن يأخذنى إليها رغم استغرابه من أنى لا أحب الرحلات كثيرا . السبب أن عرفت منه أن بالمنيا ونواحيها عدد كبير من محالج للقطن ومصانع للغزل وأخرى للسكر ، بما بعض الماكينات القديمة جدا ، بما فيها بعض من القرن التاسع عشر ، وكذا يوجد في القلب السكنى للمدينة مصنع للثلج وآخر لتعبئة الكوكا كولا ، وأيضا معظمها يجلب العمال من المدينة بسارينة ! تلك الصور والأصوات والروائح توجد في جيبينائى ، ولم تأتنى من أية قراءات . يا ليت لى جيبينائك يا زهرى ، تتقاتل ما شاء لها ، لكن تترك لى بعض سلام داخلى .

أبوه وأمه ؟ ماذا عنى أنا ؟ أبو أبيه أم أمه ؟ أجداد الأجداد ؟ إنهم غير متطابقين في الدين . ربما على علماء الجيبينات أن يجيبونا بسرعة أية صفة هى السائدة وأبها المتنحية ، الإسلام أم البروتستانتية أم العلمانية ؟ هذا كان سيكون أفضل بكثير من التطبيل الهائل لإلغاء خانة الدين من بطاقة الهوية . لقد فعلتها الحكومة كى تريح دماغها ، لا أكثر . التحدى الحقيقى ليس هذا ، إنما أن تلغى خانة ذكر وأنتى . أنا كنت أفضل أن تكون خانة الديانة مساحة للحرية الشخصية يعبر فيها كل فرد عن ذاته . كثيرون كانوا سيكتبون ' علمانى ' أو ' سقوط الآلهة ' . زهرى ربما كتب ' إيزيس ' ، وروميو مثلا كان سيكتب ' الجنس ' . كثيرون سيكتبون علامة إكس أو شرطة أو يتركونها خانة بيضاء أو يطلبون حتى حذف الخانة برمتها . أنا شخصيا لم أكن سأكتب علمانى ، بل سأكتب شيئا أكثر موسيقية : ' ديانا هى الديانة ! ' . شىء محير ! هل كنت أباهى بعلمانيتى ، أم أعلن رأى أن كل ما بعد ديانا من الأديان هراء ؟ بينى وبينك هى نفسها هراء وقبلها كانت روما أروع وقبلها كانت أثينا أروع وأروع ، ويوم أطل الدين برأسه عليها كان أول ما فعلوه إطلاقا هو قتل سقراط ! أنا شخصيا لم أكن سأكتب علمانى ، ذلك أنى في الحقيقة مؤمن ، مؤمن بالإله الحقيقى الوحيد في كل الكون وفي كل التاريخ ، الإله الوحيد غير الموهوم أو المتخيل أو المخترع ، الإله الوحيد الذى لا يخشى الذهاب لمختبرات العلم ، بل في الواقع هو يسكن هناك ، يسمح لك فيها أن تراه بعينك كلما نظرت في تليسكوب أو ميكروسكوب . بلى ، سأكتب مؤمن ومعلم الفهم . سأكتب أو من بالله (أنا الطبيعية) وملائكته (أرسطو وداروين وأينستين) وكتبه (الفيزياء والأصل والنسبية) ورسله (أنا وهالة) واليوم الآخر (الأنثروبى) وبالقدر خيره وشره (الارتقاء والانقراض) ، بل إني أو من حتى بالخطيئة الأصلية (تفاحة نيوتون) . ما علينا ! ربما كان يجب أن أكون أكثر صدقا وأكتب ديانتى الحقيقية ، لا سيما وأنها أروع الديانات إطلاقا ؛ الديانة الوحيدة في التاريخ التى تعطيك كافة الأجوبة على كل الأسئلة : الويسكى !

أين توقفت ؟ آه ! السائد والمتنحى . قصة البراغيث التى تصيب رقاب الدجاج تقول إن العلمانية المادية هى الجيبين الأفضل تطوريا ، لكنها لا تقول إنه السائد إن تناصف مع جيبين آخر ، ربما يكون جيبينا ضعيفا متنحيا . زجاجة الويسكى الجديدة هذه ليست كسابقتها ، إنها فاسدة . الجيبينات ؟ أهذا هو سر سلامك الداخلى أيها المسكين زهرى ؟ أهذا هو سر استسلامك للقدر وسر إيمانك بالغيب ؟ ثم ما هذا اللغز العجيب ؟ تقرأ في كل شىء ولا تقرأ في الدين ؟ يا للمهزلة ! ها ثم شىء مشترك بيننا أخيرا . أنا لا أقرأ في الدين حتى لا يضيع وقتى ، وأنت لا تقرأ في الدين حتى لا يضيع إيمانك ! أوه ، بل ربما ثم ' تطابق ' بيننا ! ربما لم تقرأ مثلى سوى سفرى التكوين والخروج ، وتوقفت . ربما مثلى لم تقرأ الكرهان أصلا ، أو ربما فقط قرأته مؤخرا ، أيها ' الحاج ' ! ... حاج ؟ ... بل قل أيها ' الإله ' . ... إله ؟ ! ... نعم ، ما المشكلة ؟ ! ... عادى ! ذلك الإله الآخر لم يعرف بوجود الشيطان إلا حين وجده فجأة جالسا وسط الناس ! ... لا غرابة ، هكذا كل الآلهة على ما يبدو !

أنت لست أشجع منى . كل فضلك أنك كنت تعلم أن ثمة لعنات هائلة داخل صندوق پاندورا ، ورحمت تقول لى من علياء العالم المعلم أنى لا أدرى ما أنا مقدم عليه بالاهتمام بموضوع الجيبينات . بالعكس ، أنت جبان لأنك كنت تعلم ما بداخل الصندوق ووجلت عن فتحه ، أما أنا فعلى الأقل ليس لى موقف بعد .

أنت لغز حقا ! أنت تقول كلاما أشد ضراوة من كلامنا نحن العلمانيين ، ومع ذلك ترفض أن تكون علمانيا . هل ذلك الكلام كله قديم لديك ، أم بعضه استجد بعد محنتك الأخيرة أمام ونس ؟ فعلا ، أنت لغز ! أنا موقفى واضح ، لكن أين تقف أنت بالضبط ؟ ! نفسى أفهم !

أنت بتفهم طبائع الشعوب كده إزاي؟ أرسطو نفسه ما وصلش للى أنت واصل له؟ بتجيب الفكرة 'م الآخر' بطريقة عجيبة تخلى الواحد يروح يموت نفسه أحسن!

طب والحل؟ لا تكتب، بل حتى لا تقرأ. فقط انتحر! الآلاف ينتحرون فى مصر يومياً. منى الممتلئة نعمة فكرت نفسها فى الانتحار، وربما لا تزال تفكر فيه. كلا! بل عش! لا تكتب، لا تقرأ. فقط عش! أرسطو لم ينتحر رغم ما ناء به ظهره من معارف. لديك رمسيس، رحلة دانتي التى لم تخضعها فى حياتك -ولا حتى فى كوايبسك- قط. الآخرون هم الجحيم. هذا ليس ترفا وجودياً أجدر بالاحتقار. إنها حقيقة موضوعية يدركها السياسى الخبيث والاقتصادى الخبير قبل أن تكون هاجساً لمتقف تافه مثل سارتر، أو لمتقف غير وجودى مثلى، أكثر تفاهة. حقيقة لم تدركها أنت قط، يا جرد الكتب. إنها نكتة أن حاولت يوماً إنتاج الأفلام. ماذا تفهم أنت عن الناس حتى تصنع لهم أفلاماً؟ بل ربما هى نكتة أن أصبحت كاتباً لأى شىء من الأصل.

... فى صحتك يا جدتى!



... فى صحتك يا جدتى!

نعم، أعلم منذ نعومة أظافرى أن الأديان لا تهبط من السماء بپاراشوت، إنما يصنعها بشر من لحم ودم و-حسناً: جينينات! الفارق بينكم يا محترعى الإسلام السذج وبين مبتكرى المسيحية البارعين أنهم خلقوا متاهة دائرية ضخمة من الأكاذيب الصغيرة، بنوا الواحدة فوق الأخرى بحيث فى النهاية لا تعرف من أية نقطة يمكنك الفكك منها، أو بالأحرى ينقضى عمرك قبل أن تتوصل إلى أين تكمن الخدعة:

فى البدء كان هناك خالق، والخالق يحتاج لمخلوق، والمخلوق يحتاج لسقوط، والسقوط يحتاج لخطيئة أصلية، والخطيئة تحتاج لمغفرة، والمغفرة تحتاج لسفك دم، وسفك الدم يحتاج لذبيح، والذبيح يحتاج لمواصفات، والمواصفات تحتاج لألوهية، والألوهية تحتاج للاختفاء، والاختفاء يحتاج للإيمان، والإيمان يحتاج للطاعة، والطاعة تحتاج لإرادة، والإرادة تحتاج لذراع الخالق!

يا لعار الاستدلال الدائرى! لقد بدأنا بالخالق وانتهينا بالخالق! ... هكذا حقاً تكون الأكاذيب الكبرى، هكذا تصبح أسهل تصديقا، وهكذا تصنع الأديان التى تنقع شعوب العالم الأول، لا التى تفرض قهراً على بهائم العالم الثالث!

أما الاستدلال الدائرى لديكم فلا يزيد عن الآتى: يقول مُجَّد إنه رسول. ما الدليل؟ قال الله ذلك. من الذى سمعه؟ مُجَّد! يا كل العار! أهذا كل ما قدرتم عليه؛ خطوة واحدة بئسة: 'قال الله'، 'قال الرسول'؟

أهكذا يصنع دين يا جهلة يا سفلة، يا بعر شبه جزيرة البعر!

كيف سمحت لنفسى أن يأتى على خاطرى أن زكريا بطرس أعظم من الخديوى إسماعيل؟ هل ذهب عقلى؟ هل استدرجت للعبة العرب المموجة أن أحل كل الأشياء بالكلام؟ أقول إن زكريا بطرس مفارقة وأمضى مرتاح البال؛ تماماً كى سياسى عربى أو رجل دين مسلم، بمجرد أن يحل المشكلة بتلفيق كلامية فقد انتهت، وأضاف لسجل انتصاراته الحربية نصراً موهوماً جديداً، أو لإله الجبار كرامات مزعومة أخرى؟ الأسوأ أن زكريا بطرس ليس مفارقة، بل مفارقة مزدوجة. من أسميته بالأعظم من الخديوى إسماعيل: ١- رجل دين أى شخص ظلامى، ٢- رجل لم يبن يوماً قنطرة ولم يشق ترعة، فقط مهنته الكلام، تحديد الشىء الذى طالما ازدريته ولم أعترف بأهميته. هل خنت منهجى العلمى كى أصف الأشياء الكبرى بأنها مجرد مفارقات؟ هل خنت ماديتى بأن اعتبرت الكلام يمكن أن يكون أعظم أثراً من بناء المصانع؟

لماذا يتأخر مفعول الويسكى اليوم؟ أنا لا أحب عبارة عجيبة هى مسالك أمان الطبيعة، إنها ضد العلم، لكن هل صحيح أنها تشتغل أحياناً؟ هل يمكننى القول الحرب بالكلام على الإسلام هى حرب بالوكالة على الجينينات العربية، فتكون حرباً مادية، ويكون أثر زكريا بطرس أعظم من أثر الخديوى إسماعيل؟ لا أعلم! الدين والجهين؟ هل أنا فى حاجة لدوامة جديدة أيها الملاعين؟!

لعنات زهري تطاردنى. طالما أنت تفكر فى الدين بتلك الطريقة السطحية، وتعتقد أن مخك أفضل من مخ أينستين، لن تفهم أبداً. طالما تحاسب الدين بنظريات العلم فأنت لا تفهم شيئاً. طالما تنقب فى الدين عن تناقضات ومفارقات داخلية وتعتقد أنك باكتشافها قد هدمته،

فأنت لا تفهم شيئاً! التناقض موجود في كل الأديان ، وكل الأديان حرقت فيها المصاحف والأناجيل ، الفارق هو فارق كمى لا نوعى ، فقط فارق الذكاء والمستوى الأكاديمي بين مجمع نيقية والقاتيكان ، وبين مجمع العريان الأغبياء الجهلة الذى شكله الأعرابي الأغبي والأجهل عثمان بن عفان ، الذى -فيما يخص العلم- علمته جبيناته البدوية البدائية شيئاً واحداً : أن المعيار الوحيد للصواب والخطأ هو مدى صلة الدم . طبعاً ! هيهات أن يتوازى المستوى الأكاديمي والمعرفي والفلسفي أو حتى الثقافي العام ما بين الأكويني مثلاً وزيد بن ثابت ( أو حتى الشافعي ) ؛ المقارنة غير واردة أصلاً ! أولئك لم يسمع أيهم من قبل عن كلمة منطق أو بديهة ، وكل تفكيرهم أن الحرق العشوائي يكفى وحده لمسح التاريخ أو لمنع سطور مصحفهم من الخناق مع بعضها البعض ، وأن الانهيار بالضرب والإهانات والإقصاء على حفظة الكرهان المخضرمين وتوكيل صبي غر بجمعه عوضاً عنهم ، كفيل بأن يجعل كل الأمور تستقيم للأبد . التفكير الوحيد الذى يمكنهم استيعابه في بيدائهم البدائية شديدة العدائية تلك ، أن القداسة لا تنشأ ولا تتزعزع إلا بمسوغ واحد : مدى قدرتك على دق السيوف في الأعناق ! ( للقصة الكاملة لمجمع القسطنطينية الإسلامى هذا ، ارجع للسيوطى ، وللمزيد عن قرآن المخضرم عبد الله ابن مسعود وأن ' الدين عند الله الحنيفية ' ارجع للسنجستانى ، أما عن لماذا كتبه بلا نقط ولا تشكيل ، فلا تبحث في أى مكان لأنك لن تجد إجابة ، فلغتهم لم تكن تعرف أصلاً اختراعاً اسمه الكتابة ؛ كلمة قرآن نفسها أرادت الإيحاء بأنه هو الذى أدخل القراءة والكتابة للغتهم الهجين اللقيط الوجد هذه ! ) .

فقط خذى هذه تحية لك منى يا هالة : تعرفين أن الإنسان خلق الإله على صورته ومثاله ، لكن هل تعرفين أى إله بالضبط خلقه الإنسان العربى الجلف ؟ لقد خلق إله الإسلام ، الإله السفاح الحقود الذى لا يشيع من الموت أبداً حتى يوم فيه يأمر ملاك الموت أن يقبض روح نفسه فيخلو العالم له وحده ، بل والأدهى أنه في نفس الوقت إله المواخير الفاجر الداعر . لا يوجد إله للمواخير في أية ديانة عبر التاريخ ، ذلك أن إله الإسلام لا يشبه له بين كل الآلهة ، والسبب أن أصلاً بحر الجزيرة لا يشبه لهم بين كل الأعراق . هذا ينطبق على كل ما يخلقون ، أو كما تقولين عادة ' الإناء ينضح بما فيه ' . لم أفهم ما هو المعنى الحرفي لكلمة حورية إلا مؤخراً ؛ طالما كنت أخذها على المحمل الغربى أنها الأنثى التى لا تتزوج . نعم ، كل العيون جميلة بالذات إذا كانت ذات شكل واتساع معينين ، بما في ذلك العيون شديدة السواد ، لكن وحدها الألوان الفاتحة من الأزرق أو البنديقى أو العسلى هى التى تصيبك بالدوار ، ناهيك طبعاً عن العيون المتلاونة المتقلبة كعيون منى . يوم سمعت أمى تذكر كلمة الحور العين قفز إلى خيالى شئ من موديلات القمة الشهيرات ، لكن عرفت مؤخراً أن الحوريات فائقات البدانة ومقعدة كل منهن ميل من الأرض ، والأسوأ أنهن لسن إلا جوارى جنس لا كرامة لهن ، أى للدقة عاهرات بلا أجر ، فأين هذا من جمال أو كاريزما أو شموخ سيندى أو كلوديا أو جيزيل ؟ ماذا تتوقعين لمعايير جمال من خلق خيال أعرابي قحف جلف جوعان شظف كمحمد غير هذا ، ثم بعد ذلك يقولون لك إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان ؟ ! ( أو هل حقاً يوجد فى الكون شئ واحد صالح لكل زمان ومكان ؟ ! ) .

ما الذى أتى بى من عليائى لهذه الرميس الكابوسية ؟ أنا لى مستواى الخاص ! مستوى لا يحتل التفاوض ! لم يحدث يوماً أن تكلمت عن الأنبياء أو اهتممت بهم . كيف أهتم بال ' أنبياء ' ، وأنا نفسى أفضل منهم بما لا يقاس ؟ مع احترامى للمتنبى ولزعمه النبوة وليبت شعره الذى يقولون إنه مشهور وقهر به إعجاز القرآن المزعوم ، ذلك البيت المكون كله من أفعال أمر قصيرة كى يحوى كل حروف الهجاء في بيت واحد من وزن شعري معروف ، مع كل احترامى لكل من تباهى بقدرته على التنبؤ في تاريخ الشرق الأوسط ، كتاباتى أنا التى أعتبرها متواضعة تتنبأ بالمستقبل أفضل منهم جميعاً مليون مرة ؟ ! ضهرى الساذج يصنف بالنبي الكذاب أو شئ كهذا ، من فرط طبيته لا يعلم أن بمجرد أن قال أحد أنه نبي قد صار كذاباً .

باستثناء بعض الدراويش المهوسين الطيبين ، ممن تحملهم المركبات النارية للسماء ، أو تقدم رءوسهم على أطباق للراقصات الجميلات ، أو يعلقون على أعواد الصليبان ، الكل هجامة محترفون ، قادة عسكريون ، سياسيون ، فتوات ، بلطجية ، أجنداث قهر وبطش وسيطرة ، كلها في آن ، وفي ذات الشخص . نبي الرب داود ' زانى ' ومغتال ، أرسل قائد جيوشه لمعركة لا عودة منها كى يظفر بزوجته الجميلة . وهناك من هم أسوأ من داود ألف مرة ، كلكم يعرف أفضل منى ألف مرة سيرهم العطنة-العطرة ، التى لا أحب الكلام عنها ، لأنى لم أتشرف أبداً بقراءتها ، أو تشرفت قليلاً .

ما الذى أتى بى من عليائى لهذه الرميس الكابوسية ؟ لقد جئت من أجل قليل من الكلام يحرك عضلات وجهى ويخفف عنى الاكتئاب ، ولم آت لكل هذا القدر من الكلام وكل هذا القدر من الاكتئاب . لقد فاقم هؤلاء اكتئابى ولم يخلوه . كنت أشرب كأس ويسكى واحداً ، اليوم

شربت زجاجة كاملة ولا زال الليل لم ينتصف . يا لبؤسى وشقائى ! كل ما عشته لم يكن إلا حياة معقمة ؟ لم أعرف يوما فى حياتى العقلية أى من هذا الهراء . ما هذا العالم الأسود الذى هويت إليه ؟ أهو صندوق أسود لطائرة يحوى كل ما لم أعلم قط من أسرار ؟ أم لعله صندوق باندورا الذى قال عليه ضهرى ، ما أن تفتحه حتى تنطلق كل الشرور ؟ أم هو نوع من رحلة دانتي للعوالم السفلية ؟ نعم ، غالبا رمسيس كلها ما هى إلا كابوس . لا شك أنى أرتجف وأهدى . ستأتى أمتى الآن لتوقظنى منه ، وتأتينى بماء يبيلل جفاف حلقى المعذب . لا أعرف . بل لم أعد حتى أعرف ماذا أعرف وماذا لا أعرف .

... أعرف فقط أنك حالما فتحت صندوق باندورا لا يمكنك غلقه .

ما الذى أتى بى من عليائى لهذه الرمسيس الكابوسية ؟ عن يد وهم صاغرون ؟ أيعمد أحدكم إلى الصغار فى عنق أحدهم فينتزعه فيجعله فى عنقه ؟ هذه ليست فكرة عشوائية فى فتوى عشوائية فى خطبة عشوائية لشاب عشوائى أصبح خطيبا عشوائيا فى مسجد عشوائى بحى عشوائى . هذا الكرهان نفسه ، بل وحسب ذروة كتاب التفاسير ، وعلى لسان ابن عم النبي ، أحب الرجال إليه ، وخليفته شخصيا المباشر فى مقعد الإفتاء ، أى وريثه الدينى وحبر الإسلام الأول والأعظم وكبير كهنته بلا منازع . ما هى نقطة النهاية لدى مثل هذا الفكر ؟ لم يرتكب أحد فى التاريخ مذابح مثل خالد بن الليقظ واللقيطه سيف اللات المذلول . هل هو النهاية ؟ عمر بن الخطاب والخطابة أمر بحرق مكتبة الإسكندرية ، بل وحرق جميع الكتب ، قائلا إن الكرهان به كل شىء . هل هو النهاية ؟ لا ، الواضح أنه لا يوجد خط نهاية . الهدف متحرك طوال الوقت . حين يحكمون الاستيلاء على الأرض ، سيلاحقونا إلى المريخ . عمر بن الخطاب والخطابة الذى بنى الإمبراطورية ، أصبح كافرا اليوم . ابن تيمية الذى قرأته للتو ، ويعتبره الجميع الأشد تطرفا ، ها هو يباهى بحرق عمر للكتب ويجله عليه أعظم تبجيل ، وقطعا لم يصفه أبدا بالكفر . الآن عمر كافر ، وربما ابن تيمية نفسه بعد قليل . هل فعلا احرقوا جميع الكتب ؟ هل فعلا احرقوا جميع الكتب بما فيها الكرهان ، فسورة التوبة بما كل شىء كما يقول ونس وصحابته ؟ ألن يقتلوا بعضهم البعض بعد ذلك ؟ ألم يفعلوا هذا فعلا طوال الوقت ؟ أليست هذه النهاية المحتومة أية عشيرة بيولوجية يتسيدها الغشاشون ، فيما يقول دوكينز ؟ لا يشتغلون شيئا ووقتهم كله موجه للتناسل ورعاية الأفراس ؟ أليسوا سرطانا بأدق المعانى حرفية للكلمة ؛ بمجرد أن وجدت حفنة منهم لن يوقفها شىء عن التكاثر إلى ما لا نهاية ؟ أليس كل المطلوب عدد كاف من المغفلين كى يتعيشوا على غفلتهم ؟ هل هناك خط للنهاية أبدا ؟

ونس حمل وديع إذن ، فيما يرسم يوميا من سيناريوهات مؤامرة . ضهرى ها بقولى ده كلام فارغ ، وما فيش حد يفكر يضرب حد على قفاه دلوقت . لكن الأفكار موجودة ، وحتما سيقراها شاب ما يوما ، يعجب بها ، ويقرر تطبيقها ، ويقول لمن يعارضه أنت كافر ، حتى لو كان مرشد الإخوان نفسه المتدثر حين بأكفان التقية . سينشئون تنظيما ويسقطون بعض الأبراج ، حتى لو كان الخليفة أو المرشد أو خادم القرفين الشهيرين ، يعقد نفسه فى ذات الوقت صلحا مع أميركا تمهيدا لأن ينقض عليها الانقراض الأخير .

أليست تلك أفكارى ؟ أقصد أليست أفكار ضهرى ؟ كلا ، بل أقصد أليست أفكارى أنا ؟ ألم أكن أقول إن قطع البترول فى ١٩٧٣ هو بلطجة ولصوصية . لكن مهلا ! لقد كنت أقول هذا معتقدا أنه فكرة متطرفة الهدف منها الصدمة وإظهار تخلفنا ، فكرة لم أجرؤ على كتابتها أبدا ، بل اكتفيت بمناقشتها شفاهة مع معارفى ؟ لا ، هذا التحرز كله لم يكن أكثر من مجرد خراقة بسيطة صريحة منى ، خراقة بالقانيليا كما يقال بالإنجليزية . يا لى من سطحى وتافه . ما قيمة هذا وضهرى الذى يزدري الآلات التى مثلى ، يقول ببساطة لا يفوقها شىء فى برودها ، إن كل تاريخ المنطقة هو تاريخ بلطجة ولصوصية . روتين يومى منذ الأنبياء المشرفين حتى صدام سارق الكويت والبشير زعيم الجانجاويد ، والآن تتآكل حدود مصر من جديد على أيديهم . لطالما حمى مبارك القذافي والبشير . حتى حين حاول هذا الأخير اغتياله فى أديس أبابا ، رفض أن توقع عليه الأمم المتحدة عقوبات . وقف إلى جانب نهبه واغتصابه لأرض وأهل ونساء دارفور ، وحاول حمايته حتى الرمق الأخير . بل وقف بجانب تنظيم القاعدة حين أسقطت إثيوبيا حكمه فى الصومال . مم كان يخاف بالضبط ؟ من غزو مسيحي أسود من الجنوب لمصر ؟ ما حدث أن لم يأتنا إلا الجانجاويد ! أنا لم أفهم أبدا سياسة مصر الأفريقية . إنها تبدو أصولية إسلامية أحيانا . هل هى مجرد إتقاء شر جبهة الرفض التى تحيط بنا ، أم للتخفيف من وقع ملاحقة الإسلاميين فى الداخل ؟ الآن كلهم يغزونا ! ألا يفهمون أن الإغارة والنهب والسلب توجد فقط فى الدماء العربية . وأنها لم تعرف قط عن المسيحيين السود ، ممن يمكن أن يصبحوا جيرانا طبيين مسلمين يكافحون من أجل التحديث ولقمة العيش ، أو فى أسوأ الظروف بلداء لكن لا يغزون أحدا !

نعم ، كل تاريخ المنطقة هو تاريخ بلطجة ولصوصية . حتى البشر يسرقونهم . تجارة العبيد اختراع عربي يجب أن يكتبوه باسمهم في مكتب براءات الاختراعات . هم من كانوا يقنصون الأفارقة السود من الغابات ليبيعوهم لأى أحد وكل أحد ، بدءا من روما حتى أميركا حتى بيوتات ثلاثية نجيب محفوظ . من أول من تصدى لهم ؟ الإمبراطورية البريطانية . لماذا ؟ لأسباب مادية أرضية للغاية ، أنها رائدة الرأسمالية التي راحت تبشر بالاقتصاد الحر والتجارة الحرة ، ويدهي أن يكون جزء منها ملكية الإنسان لنفسه . لولا هذا لاستمرت عصور الظلام دهورا أخرى . هل تصدق أن إسماعيل ورفيق دربه جوردون قابلوا كل تلك شلالات الدم في السودان ، قتل عشرات الآلاف من المصريين والإنجليز ، فقد إسماعيل منصبه وذهب للمنفى ، وبعد ست سنوات ضحى جوردون نفسه بحياته ، كل ذلك لمجرد أنهم كانوا في نظر عرب السودان مصريون دخلاء أو إنجليز مسيحيون . في كتب المدارس الناصرية ( وطبعا في خطب مُجَّد حسين هلوكة التي تكرهها هالة ) ، يقولون لنا إن إسماعيل كان بذخا شديد الإسراف ، لكنهم لم يقولوا لنا أبدا ماذا كان وجه إنفاقه الأكبر . إنه هذه الحملات المتوالية ، أول حملات إطلاقا نقلت لقارة كاملة على الخريطة اسمها أفريقيا ، كلمة اسمها التحضر . لقد انتهى الرجلان ، إسماعيل وجوردون ، لأن جعلنا حربا مقدسة هدفا نبيليا لحياتهما : تحرير العبيد . بالضرورة كانت الأثمان باهظة ، ذلك أن بالنسبة للخلافة المهديّة الناطقة باسم بدو السودان العرب ، كانت تجارة الرقيق قضية وجود ، لا شيء أقل !

اليوم ، بفضل ملاعين رمسيس أرى الأمور مختلفة . لقد خدعت فيكم يوم قلت إنكم طيبون وإللى على قلبكم على لسانكم . لقد كنتم تنظرون لى باستعلاء وشفقة طوال الوقت ، كما شخص عجيب غريب مريب كتيب ، أو بالأحرى كعبيط أهطل هائم على وجهه في الشوارع . إنكم حتى تراهنتم على ، كما فأر تجارب بين أيدي حفنة علماء ساديين . بل قل أصبحت أرى الأمور لأول مرة . المتقدم حين يقوى يصبح قائدا للعالم ، والمتخلف حين يقوى يصبح هجاما ! هذا وذاك ما تؤهله لهما جبيناتهما ، لا أكثر ولا أقل . المتخلف قد يقوى لسبب أو لآخر . قد يقوى بسبب غيبوبة حضارية أصابت فجأة الطرف الآخر . قد يقوى لو ظهر وسطه مثلا نبى يوحده بسلطة سماوية يسهل ركوع الجميع لها ، أقارب وجيران وحتى أعداء . ساعتها قد تحكم معظم العالم ، قد ترضخ معظم العالم ، لكنك لن تقود العالم . فقط ستتحوّل من عبد إلى قاطع طريق . لن تصبح قائدا أبدا . سيظل هاجسك هاجسا تدميريا ، تدمير الحضارة والثورة التقنية . لن تصبح من البنائين أبدا ، إلا لو اعتبرت تدشين عصور الظلام بناء . هذه هي جبيناتك . جبهة الرفض إللى بيدلعوها دلوقت ويسموها جبهة الممانعة ، قد تحكم الشرق الأوسط ، لكنها لن تقود الشرق الأوسط . حين حكم الإسلاميون هنا أو هناك مؤخرا ، لم يأتوا بأى مشروع ، فقط الفتوات للأمن ، والصدقات للاقتصاد ، والتعاويد للطلب ( أو بالكثير الأعشاب ، ثم إن لا طب لديهم لغير المسلم لسبب بسيط أنه لا يؤمن بكلمات تلك الرقية . مثلا كل من اختطفته طالبان ومرض مات ، لأنه لا علاج عندهم له ! ) . هذا آخر أفق للحياة يحظر بالهم . آخر ما يمكن أن تنير به جبيناتهم عقولهم . أنارته هكذا قبل مليون سنة وستنيره هكذا بعد مليون سنة . يا لك من لعين يا ضهرى ! إنها تفاعلات كيميائية دقيقة ولا يمكن تغييرها . هكذا المعادلة إذن ! برضه أرسطو ' جابها م الآخر ' ، لكن قبل ٢٥٠٠ سنة .

لم أعد أذكر أين تنتهى أفكارى وأين تبدأ أفكار ونس أو ضهرى . كل شيء اختلط . بل لا أعلم أين تبدأ أفكارى أنا وأين تنتهى . هؤلاء الذين يعطوننى ليلا نهارا عن الدين والجهنم لا يلحظون أنى سبقتهم جميعا -وقبل أن ينطقوا كلمة واحدة تخص الجبينات- فى الربط بين لون جلد مُجَّد وأصله العرقى وبين تصرفاته ، بما فيه تفسير سهولة انقيادة لعكس طبيعته دون أن يدري . نعم ، أعلم منذ نعومة أظافرى أن الأديان لا تحبب من السماء پاراشوت ، إنما يصنعها بشر من لحم ودم . وأعلم أنهم يخترعونها لأغراض تكيفية ، طبيعية وأثروبولوجية ، للسلام الداخلى ، لمقاومة ما يعتبرونه ' ظلما ' يمارسه عليهم العرق الآخر . أعلم هذا ، لكن ما قيمته ؟ قيمته أن أضفت هذه النصوص القداسة تسويغا للاسترقاق والاستحلال والهيمنة على كل أعراق العالم وغزوها . أموالنا ردت لنا . قالها موسى وهو يسرق ذهب الفرعون ، على الأقل هذا ما يباهى به اليهود ، ويرفضه علماء الآثار المصريون ممن لا يعترفون بوجودهم أصلا . قالها عبمعصور ( ربما متخيلا نفسه وريثا لأملاك ذلك الفرعون ) يوم سرق القناة من أصحابها ، وسرق كل أموال اليهود . قالها حسن البنا وهو يأخذ الهبات من الإنجليز والفرنسيين كى يقتلهم بها . بل قالها كل العرب عبر كل التاريخ ولم يخترعها الإسلام : كل العالم كان يخص إسماعيلاً ونهبه منه أبناء العم ولم يتركوا له إلا قطعة صحراء جدباء .

أنا لست واثقا أن موسى قد سرق أحدا ، أو أنه شخصية تاريخية أصلا ، ولست واثقا أن البنا أو حتى ناصرا أكثر من فئران سرقت قطعة جبن ، لذا يظل إمام القائلين هو مُجَّد ، أقصد عمرا عليه السلام . قالها بلسان مُجَّد وهما ينهبان قوافل قريش ، وقالها بلسان مُجَّد وهما ينصحان هند بسرقة

أموال زوجها أبي سفيان ، بالمعروف ' و ' التقوى ' ( وكأن هند هذه بالذات -وما أدراك ما هند- كانت في حاجة لنصائح أحد ، إنما هي سنة تستن كي تلقن لسائر المسلمين عبر العصور ؟ ! ) .

يا للعار ! ' أموالنا ردت لنا ' لم تكن يوما خفية على أحد إلا أنا . إنما تشيك سماوى على بياض للاستحلال والاسترقاق ، شرحة بكل الوضوح والصدق والصراحة المغيرة بن شعبة لقائد معركة نهاوند الفارسي : ' نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاد شديد نمص الجلد والنوى من الجوع ، ونلبس الوبر والشعر ، ونعبد الشجر والحجر ، فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيا من أنفسنا ، نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية ' . إنهم حتى لم يلحظوا أضحوكة مقولة الإسلام لكل زمان ومكان ، فهو ببساطة دين للعرب لنهب غير العرب !

قوافل الوجهاء المسفوكة تصرخ الآن أمامى عبر صفحات سيرة ابن هشام الزكية ، ولا تجد من يجيبها أية أموال بالضبط كان يملكها هؤلاء العبيد المشردين ، تؤهل لهم سرقة كل ثروة قريش . بالمناسبة لم تكن ثروة كبيرة ، ولم تكن طريق قوافل التوابل بين الهند والشام كما خدعوك فقالوا ، وشكرا باتريشيا كرون التي سألت السؤال التراجيدي الذى لم يسأله أحد قط : ماذا كانت تحمل تلك القوافل إلى هوسونا بيها ؟ الإجابة : مجرد جلود بدائية رخيصة الثمن كالتى داهم محمد زينب وحاول نكاحها برائحتها العفنة وهى تدبغها -كما لعلك تعلمين ، كى تنصب له قضيبه الذى لا ينتصب أبدا ( زائد طبعا حمل بعض العبيد المختطفين من هنا أو هناك ) ، فى مقابل استيراد -ماذا غيرها- السيوف ، كما لعلك تعلمين أيضا من السيرة العطرة . ها ! بتضحكوا على مين ؟ توابل إيه إلى تروح من الهند لليمن ثم تقطع بالجمال صحراء كاملة بآلاف الكيلومترات . ودنك منين يا جحا ؟ ما يروحوا البصرة على طول بالبحر أقصر بكثير ، ناهيك أنها تقريبا موش عاوزه جمال أصلا !

إنها سيرة عجائبها لا تنضب ، من جناح ذبابة دكتور فليمينج أو بول ناقته أو بوله هو نفسه عريضة المفعول جمعاء ، إلى آخر المكتشفات الطبية الفذة التى لم تكن أمى وجيلها قد سمعت عنها ، أو لذة إرضاع ذوى اللحي ، تلك التى انفجرت من بين صفحات الكتب الصفراء العتيقة كما قبلتة نووية قبل سنوات ( ملايين المسلمين اقشعرت أبدانهم للفكرة ، أما أنا فلم أشعر بأى شىء ، وهذا دليل على استعدادى لتوقع أى شىء من عقيدة بعز الجزيرة ) ؛ أو لعلى بالأحرى فمهمت شيئا عجيبا الآن : لماذا يتهم أغلب الأنبياء الكلاب بالشیطانية ويسموها بالنجاسة ، بل -ويا للغرابة- يتصدرهم محمد بالذات ، فى تنكر صريح لنسبه الدارج الذى يقول إنه من قصى بن كلاب ؟ السبب واضح : إنما العشيرة البيولوجية المختصة بحراسة القوافل التى يتعيش أولئك من الإغارة عليها !

محمد أمر بقتل كل كلاب جزيرة العرب ، فى أكبر مذبح لعشيرة بيولوجية فى التاريخ ، باستثناء فيروس الجدرى . هذا ليس لأن الكلب عند البعر صابون ، وأن لا فارق عندهم بين أفضل صديق للإنسان وأشرس قاتل له ، إنما لأن الكلب هو بالفعل أشرس عدو للإنسان من منظور الهجامة قطاع طرق القوافل بدءا من محمد وعمر وانتهاء بالإخوان وحماس وخادم القرفين وأمير قطر ! أوه ! أو لعل ثمة سببا آخر : إنما الكائنات الملعونة التى تمين وتتحدى أهم الشيم العربية الأصيلة إطلاقا : الغدر والخيانة ، وتذكرهم طوال الوقت أن الحب والإخلاص من الممكن أن تكون أشياء حقيقية وليست مجرد رطانة يسعون من خلالها للسيطرة على الناس . أوه ! الحية الحكيمة لا تنفرد وحدها باللعنة إذن ، إنما على ما يبدو كل حيوان حميد الخصائل !

ما الذى أتى بي من عليائى لهذه الرمسيس الكابوسية ؟ فى التوراة الراعى هو النقاء والطهر ، والزراع شيطان رجيم لن تقبل ذبيحته أبدا ؟ إليك يا زهرى المتباح ما هو أدهى : ها هم فى القرطى بأمرونا بأن نترك الأرض خرابا ، نقتل كل البشر إن عصوا الأمر بالشغل فيها ، لكن نحن أنفسنا لا نشتغل أبدا . نشتغل ؟ هذا ' صغار ' ! أوه ! ما الجديد حتى فيما أفتى به ابن العباس إذا كان محمد نفسه من قبله قد قال : ' وجعل رزقى تحت ظل رحى ! ' . زهرى بتاع كلية الزراعة هو الذى فهمها ؛ نحن نردد ' جنتكم بالذبح ' ونهلل ونطنطن بها ، ولم نقرأ بقيتها التى بها حيثيات الحكم ' بعثت بالحصاد ولم أبعث بالزرع ' ! الراجل فاهم أن فيه فرق بين الزرع والحصد ، وموش الاتنين صغار ولا رجس من عمل الشيطان . يا للهول ! هل الأمور واضحة لهذا الحد ؟ ! هل لهذه الدرجة من البساطة عشت سنوات وسنوات فى الخليج كما أبله بليد العقل والحس لا يفهم ولا يرى ؟ ! يا للهول ! إن تقديس القرصنة يجرى فى العروق وليس انحرافا ، وطبعا ليس غلظة مطبعية فى كتاب مقدس حقير . وظائف تكيفية ؟ ما هذا الكلام العام ؟ هل سألت نفسك يوما أية وظائف بالضبط ؟ لم يحدث أبدا أن تعمقت فى التفكير فيها . أنسيت قاعدة أن لكل شىء مكان فى نظرية التطور ؟ يا لى من سطحى بدد حياته فى النظريات ، أو ربما عناوينها النظريات ، لا أكثر . إنهم يخترعون تلك

الأديان لغايات محددة جدا . لأهداف ربما آنية جدا . اليوم فقط عرفت هذه الأهداف . عرفت أيضا أن أصدقائي القدامى كانوا على حق :  
الويسكى ليس سبب السكر !

يا للهول ! إذا كان الزارع لن تقبل ذبيحته ، فماذا عساهم يقولون اليوم عن أبناء عصر الصناعة ، وعصر ما بعد-الصناعة ، وعصر ما بعد ما بعد-الصناعة . إن كلمة نظرية المؤامرة كلمة متواضعة جدا . أليست جينيات هذا العرق المسمى بالساموى ( أو قل السامى ، من السمو أو السماء أو من سام بن نوح أو من أى ما شاءوا ) التى تمنعه من الكدح والعرق والتفكير ، هى عينها التى اخترعت له كل تلك الرخص السماوية باستحلال واسترقاق الآخرين ؟ أليست هى التى أفهمته أنه شعب الإله المختر ، أبناء الملكوت ، خير امة أخرجت للناس ، كى ترفع عنه حرج الكد الذى لم تهبؤ له جبينات جسده المفكك الرخو ؟ أكلامى هذا أم كلام ضهرى ؟ أم ربما لا فرق بين الاثنين . ربما لدى فصام ، وضهرى هو أنا وأنا هو ضهرى . كلا ، المشكلة الحقيقية لهذا العالم هى رداءة الويسكى .

‘ اصطفاك وطهرك واصطفاك ’ ، يا لروعة بلاغة كلام الكتاتيب ! إعجاز الكرهان نكتة صنعها فقط التقديس وغسل الدماغ والخوف من القتل ، ولو بهذا القياس فإن الإلياذة والأوديسا هى أقدس الكتب جميعا ، ناهيك عن كونها أقدم من مزامير داود وأناشيد سليمان ، وبالنسبة لمعجزة العريية التى لا تبرز أبدا تظل هى ذلك الأرسقراطى الجميل الأمير امرئ القيس ، أنبل وأرهف من أنجبت العرب والوحيد الذى يستحق الفخر الحقيقى فى هذا العرق القبيح ( بفرض انتمائه له حقا ، فالاختلاف حول نسبه كبير ) . أما كنى فهو أروع من الجميع أيضا : قال ما بدا أيامها غزلا فى ‘ دنت الساعة وانشق القمر عن غزال صاد قلبى ونفر ’ ، ثم اتضح أنه كان يقصد التنبؤ بيوم القيامة ، هذا حين سرقها الله هذه منه فى تدليسه العلنى المسمى بالكرهان ؛ طبعا فى ظل غياب قوانين للملكية الفكرية تردعه أيامها -دع جانباً أنه كعادة هذا الخالق فى إتلاف كل شىء تقترب منه يدها ، أفسد البلاغة فقال ‘ اقتربت الساعة وانشق القمر ’ ( فى الواقع لا أدرى بالضبط من هو أول من خطر بباله أن يشق القمر . المؤكد فقط أنه مثل ذات ليلة ورأى القمر اثنين ) ! رهبة آياتك هائلة ، بحيث أكاد أجزم أنك لا يمكن أن تكون قد تصورت القمر بطيخة ، كما حدث وأمسك به مُجَّد بين يديه وشقه كما زعم !

أين أنت يا صديقى العلمانى العظيم ؟ لقد لمحت لك فى ‘ اضمحلل وسقوط الإمبراطورية الرومانية ’ بعض عبارات عنيفة جدا فى وصف الكرهان . لا يمكن أن أنسى عبارتك التى تقزم ببلاغتها ليس الكرهان الكريه فقط بل كل كتابة أخرى : *Quran is an incoherent rhapsody of fable, and precept, and declamation which sometimes crawls in the dust, and sometimes is lost in the clouds.* لقد تعلمت منك ما لا يعد ولا يحصى ، لكن لعلك تجد عندى بعض ما يمكن أن تسمع عن العرب والإسلام . لقد اكتشفت أن الكرهان مقارنا بالشعر العربى السابق واللاحق عليه ، ناهيك عن المقارنة بأداب الشعوب الأخرى ، ليس لغويا إلا ناثأة وفى أفضل الحالات ثثرة . مشكلة الكرهان أنه برمته كلام تافه وحكى بدائى وأفكار بسيطة بدائية أولية سطحية كانت كل الدنيا قد تجاوزتها بمراحل فى ذلك الوقت ولم يعد بأبيها ما يسمن أو يغنى من جوع ؛ أنه لا يقارن مثلا بكلام الإنجيل الأعمق ، والذى بدوره لا يقارن بكلام الإلياذة الأعمق وأعمق ، والتى بدورها لا تقارن بكلام أرسطو أعمق الجميع . ما بين آيات غير بينات وأخرى متشابهات وثالثة لا يعلم تأويلها إلا الله ، يا قلبى لا تحزن . لا تسأل عما لا تفهم لأنه ما تشابه عليكم قولوا آمنة به ، أو ببساطة على بلاطة : لأن أحدا لا يفهم ! فقط أسأل د . خلف الله عن متشابهات ( أى بينها فروق ومتناقضات ) قصص الأنبياء التى كلما رويت فى سورة تناطحت فى روايتها مع السور أخرى . كلا ، بل أسأل عمر بن الخطاب والخطابة عن ‘ والصفات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا والنازعات غرقا والناشطات نشطا والساجحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات أمرا والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا فالساجعات سجعا فالهبلوات هبلا والعبيطات عبطا ’ حتى يقول لك ‘ لا تسألوا عن أشياء إن لا تبد لكم تقتلكم ’ ، ويجلدك حتى الموت ، فاللغزويات الروعائيات كهذه هى ذروة الإعجاز اللغوى ، كلمات شفرية ١٠٢٤ بت ، تضع دافينشى نفسه فى حيص بيص ! لو قلت هذه لونس لقال لى بعجرفته التى أنا فى غنى عنها ، إنه جلده حتى الموت لأنه سأله فى نصف الكرهان الآخر الذى لم يمله هو ، إنما أملاه ورقة بن نوفل . على أية حال لقد جهزت ردى من الآن : عمر لم يحفظ يوما سطرا واحدا من الكرهان بما فى هذا ما أملاه بنفسه . الأسوأ ، أن لو قلت ذات الكلام لضهرى لقال لى إنه كف عن الذهاب للمساجد بسبب المقدمات الطويلة المحفوظة للخطباء . أو لقال لن تفهم الكرهان قبل أن تجلس لبدوى : عليك أن تقرأ الكرهان الكريه كله حتى تعرف مثلا قصة آدم أو موسى أو يسوع ، لأنهم وضعوا سطرا منها فى كل سورة ، ذلك أن القافية هى الهدف . فكل مجموعة سطور صنفت معا فى سورة بحسب القوافى ، والواحدة منها قد تكون مكية وحشرت بها بعض سطور

يثرية ، والعكس بالعكس ، أو قد تشمل ألف موضوع أو حتى ألف تناقض ، لا مشكلة ، المعيار الحاسم هو القافية التي سوف تطرب هؤلاء البهائم وتبعدهم أصلا عن التفكير في شيء مما يقال ! ( هل كانت شخصية يونس شلبي 'إلى ما يجمعش' في 'مدرسة المشاغبين' سخرية من الكرهان ؟ ! ) . أو لقال إن الكارثة ليست فقط في التفتيت ، بل أيضا في التكرار ، فحين تنفذ معلوماهم المحدودة بشأن قصة ما ، يبدأون في تكرارها فيما تبقى من السور . وكما يمكنك اختصار الكرهان الثأء الثرثار المكرر لصفحة واحدة ، يمكنك اختصار حكي يوم كامل لبدوى في خمس دقائق ، ذلك أنهما وجهان لعملة واحدة : ليس لدى أى منهما شيء ليقوله ، لأنهما ببساطة جهلة ! ... يبدو أنها أصبحت موضة اليوم التفلسف بالكلام عن البدو . فليذهب هو وهم للجحيم ، ما يهمني أنى لست على استعداد أبدا للجلوس لبدوى !

ونس أرحم ! يعرف عقدي مع النصوص الدينية ؛ قال لى الق الكرهان الكريه للمزلة لأنه يكفيك أول ٢٠ سطرا منه ، وستجد فيها كل ضالتك من حشو الكلام ، ولغو المعاني ، وتناقضات الأفكار ، وأخطاء النحو والإملاء ، وقبلها كلها ستجد حكاية ' ذلك ' الكتاب ، وفوقها كلها ستجد سافرة صفات إله الإسلام المريض الحقود الشيطان المضل فائق الشر .

البخارى ومسلم نقبا عن ٥٠٠٠ حديث من وسط مليون حديث . هل هذا دين أم عملية تنقيب عن الآثار ؟ إنه دين مفقود ، العثور عليه أصعب من العثور على الأتلاتيس . ثم إن تصحيح الأحاديث ليس سوى الخطوة الأولى المبدئية جدا ، لأن هذه الصحاح نفسها شديدة التناقض فيما بينها ، وعليك أن تدخل الآن في دوامة هائلة لتقييم أوزانها النسبية ، ما بين ما هو الناسخ وما هو المنسوخ فيها ، وما هو المطلق وما هو المقيد ، وما هو العام وما هو الخاص ، وما هو مجمل المعنى وما هو المبين ... إلخ ، ثم دوامة أخرى للموازنة بين كل واحد منها وبين نصوص الكرهان ، وإعادة تقييمها جميعا -هذه وتلك- طبقا لذات المعايير . أى دين هذا ؟ لماذا يحتاج أصلا كلام الأنبياء -وبالأخص جدا نبيكم- لترزية وراءه كى يسدون رقعته ، بينما لا تحتاج كتاباتي أنا مثلا لمثلهم أبدا ؟ لماذا تفرق أقرب لصقائه ما بين شدائد لابن عمر ورخص لابن عباس وشواد لابن مسعود ؟ السبب أنه لم يثبت على كلام بعينه أصلا ، قال كل شيء وقال نقيضه . لماذا لم يقل كلاما متسقا واضحا لا يحتاج لترزية أصلا ، أو بالأكثر يكون هو ترزى نفسه ؟ السبب بسيط : مُجّد وإلهه كانا يثرثران كيفما اتفق وفي كل اتجاه ، بينما أنا لا أنطق عن الهوى ؛ كل كتاباتي محكمات ، قطعية الثبوت قطعية الدلالة ! حين كنت أكتب مقالا ، لو لم يأت سكرتير التحرير وينتزع منى لظلمت أنقح فيه للأبد ، هذا لأن من العار أن يكون في كتابتي شيء ظني الدلالة أو ثرثار أو متناقض مع شيء آخر قلته يوما ، أما أولئك فبمجرد أن رصوا كلمتين هبل جنب بعض ، قالوا لقد صار لدينا دين وأصبحنا جاهزين لغزو العالم . أوه ، ونس محق في سخطه على لركريا بطرس . أولئك كانوا مجرد حشرات تلخبط أشكالا فوق التراب ، وهو يأخذ كل حرف في تلك الشخبطات على محمل الجد ، كما لو كانت معادلة الوتر الفائق !

سكرتير ماذا ؟ لأول مرة أعرف أن مسمى وظيفتي القديمة 'رئيس التحرير' مصطلح من الفقه الإسلامى . التحرير هو إخلاء الأخطاء والتناقضات . يا لفضيحتى ! لقد ظلمت أغلب عمرى أشغل ترزى دون أن أدرى ! على أية حال ثمة وجه مشرق لتعدد الترزية يجب أن أعترف لكم به : أنه دليل على أن الإسلام يصلح فعلا لكل زمان ومكان . زى الأستك ! all-size ! ... يعنى ! باستثناء شوية حروب هنا أو هناك سببها اختلاف الترزية ، مليون حرب بالكثير ! ها ! ها !

هل تعرف على أى معيار رتبوا أجزاء هذا الكرهان ؟ لقد قاسوها بالبشر ! طبعاً ! حظ السورة من الطول ، مؤشر على حظها من الفضل ! هل رأيت في حياتك أناسا على مثل هذا الجهل والتخلف والغباء ؟ ! الخلاصة : كخريج صحافة أعطيه صفرا من عشرة للكتابة وللتوضيب ( أقصد التحرير ) ولكل شيء ؛ لا يوجد تسلسل -لا للأفكار ولا غير الأفكار- لا بداية لا نهاية لا ترابط لا هدف لا حجة لا منطق ولا حافز لمواصلة القراءة ، ناهيك عن أن المعاني مبهم مشعثة متقطعة متقاطعة متنافرة متضاربة طوال الوقت ، حتى لو وصفتها بالسيربالية لأسأت للسيربالية أعظم إساءة . قطعاً هو أسوأ نص كتب في التاريخ الإنسانى ، بما في ذلك جميع موضوعات الإنشاء لكل طالب رسب في الابتدائية . أنا آسف ، لم آت بجديد ، معظم هذا كلامك ، أو هل يمكن حقا أن أجاريك يوما علما أو اطلاعا ؟ !

أوه ! إن العربية نفسها كلغة بما بعض مقومات اللغة الآن ، ليست لغتكم . لو تركت لكم لكانت لا تزال تكتب حتى الآن بدون نقط ، أو لم تكن تكتب أصلا . آلاف الكلمات دخلت عليها -لا سيما من الآرامية والمصرية القديمة والسيربانية وغيرها- بحيث أعطتها بعضا من الحياة ومسايرة العالم المتطور المحيط بكم . كل الإسهامات الرئيسية في تعقيد وتقنين وتدوين ومعجمة اللغة العربية من صنع الفرس بالذات ، وقطعا لا شيء من فعل أبناء جزيرة البعير ، حتى الإسهامات في حفظ وتحقيق التراث الإسلامى القديم لا ترجع إليهم إنما للمستشرقين الغربيين ، ولو ترك

الأمر للمسلمين لاندثرت كل تلك المخطوطات للأبد . يا للهراء الجميل ! إذا كانت كل من ' هذان لساحران ' و ' هذين لساحران ' كلتاها صحيحة ، و ' الصابغون ' و ' الصابغين ' كلتاها صحيحة ، ' ذو عسرة ' و ' ذا عسرة ' كلتاها صحيحة ، و ' المقيمون الصلاة والمؤتون الزكاة ' و ' المقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة ' كلتاها صحيحة ، فهذه أخبار رائعة جدا بالنسبة لى . إذا كان من الممكن تبرير كل هذا الكم المرعب من الأخطاء النحوية فى الكرهان ، فهذا معناه أنى شخصيا لم أرتكب غلطة لغوية واحدة فى كل حياتى ، سواء كطالب أو كصحفى . سأفعل ما شئت فى الإعراب وأقول هذا استثناء ، وإذا اعترض أحد سأأخذ للنقض وأطالب بإحالة سبويه للتقاعد ! لقد كان لدى مصحح لغوى رائع فى الجريدة ، كان من الممكن أن أرسله لعثمان بن عفان كى يساعده ، حتى نبيل ابن زوس وهيرا كان من الممكن أن يقدم له نسخة كرهان نقية تماما من كل الأغلاط . باختصار ، اليوم أصبحت أشك فى دقة عبارة طه حسين ' هاتوا لى قلما أحمر لأصحح القرآن ' ؛ كان المفروض أن يقول هاتوا لى دسنة أقلام . يا للفضيحة ! يا لها من أسطورة أن العرب هم أرباب الكلم والفصاحة ، رطانة طنانة أخرى مما يمارسون طوال الوقت ؛ إنهم ببساطة جهلة فى اللغة كما هم جهلة فى أى شىء آخر . حقا : التخلف لا يتجزأ ! لكن مهلا ! ما الغرابة ؟ إله خلق الملائكة فأصبحوا شياطين ، خلق الإنسان على صورته فاختر السقوط ، خلق الكائنات كى تتعايش وتزدهر فتحولت وحوشا وأمراضا تقتل بعضها البعض ، فلماذا تستغربون إن فشل أيضا فى تعلم النحو ؟ !

ما هذا الكتاب الضخم لمعروف الرصافي ؟ درست الصحافة وأعرف الرصافي ، لكننى لم أسمع قط بكتاب كهذا : ' الشخصية المحمدية ' ؟ ما هذا ؟ لم يعمم قط إلا قبل سنوات قليلة ؟ يا للهول ! إنه هكذا سبق فرويد للفكرة : أن يهدم نبى قومه بكتاب لا يعمم إلا بعد موته ! يا لأسلوبه العجيب : مُجَّد شخصية عظيمة وكذا وكذا ، ثم يعود ليضيف فى خبث ذلك طبعا طبقا لمعايير العظمة كما يعرفها بدو الجزيرة ، ويفرض أن لا توجد لدى الشعوب الأخرى معايير أخرى للعظمة ! ثم من هذا الآخر ؟ منصور فهمى ؟ لا بد أن أمى كانت تعرف هذا الشخص . رسالة دكتوراة للسوربون عن وضع المرأة فى الإسلام ، وعندما عاد إلى مصر فصلوه من الجامعة وحرصوا العامة على قتله ، فأثر الصمت للأبد ؟ عندهم حقهم ! إن جرأته لا تقارن ؛ الرصافي الذى أخفى كتابه يعتبر بلا جرأة تقريبا . بصراحة لم أتخيل كتبا صريحة تفضح الإسلام وفسق وإجرام نبىه وتسمى كل الأشياء بأسمائها إلا فى هذه السنوات الأخيرة ، لكن كتاب من ١٩١٣ ، هذا أمر مذهل ؟ أوه ! سأعطي ونس بهذه المعلومة : إن الثورة ليست فيما يؤلف الآن عن الإسلام أو فيما يقال على القنوات المسيحية ، إنما فيما كتب قبل قرن بالضبط ، وهو كثير ، هذا الذى لم يزع عنه الستار إلا الآن ! أوه أخرى ! كيف فاتنى هذا ؟ ١٩١٣ ؟ السنة السابقة مباشرة على إعلان الحماية البريطانية ؟ كنت أعلم قطعيا أن هذه هى سنوات الذروة فى كل التاريخ المصرى الحديث ، لكننى لم أكن أتخيل أنها وصلت لهذا الارتفاع فيما يخص العلمانية أيضا !

إن ضهرى يفضلنى بالتأكيد فى قراءة التاريخ العربى الذى أعاف قراءته . لكن دراسة تاريخ أميركا قد تجعلنى أضيف لمعلوماته شيئا ربما يفاجئنى بأنه يعرفه هو الآخر : إن أول احتلال أميركى لبلد عربى وقلب ريجيم الحكم فيه ليس احتلال العراق سنة ٢٠٠٣ ، إنما احتلال ليبيا سنة ١٨٠١ . جورج دبليو . بوش لم يكن أول رئيس أميركى أرسل حملة لاحتلال بلد عربى وإسقاط حاكمه ، إنما توماس جيفرسون . لقد أنزل أسطوله عندنا فى مصر ، ثم اتجه برا للغرب . خمن ماذا ؟ تلك كانت أول حرب تخوضها أميركا إطلاقا ضد أى أحد ! ضد ليبيا ؟ ضد العروبة ؟ ضد الإسلام ؟ اسمها هكذا : حرب البربرية الأولى ؟ بل خمن ماذا ؟ أميركا أسست أصلا سلاح البحرية هذا فى ١٧٩٨ ، ليصبح أول قوة مسلحة هجومية فى تاريخها ، بهدف ضرب ليبيا ، ولا تزال أغنية البحارة تتحدث حتى اليوم عن شواطئ طرابلس ! ليبيا ؟ ! هل يدرك اللواء عزمى أنه والرئيس السادات كانا سعيديان التاريخ . تاريخ الأدميرال إدوارد پريبيل والرئيس توماس جيفرسون ؟ ... فى القوات المسلحة لا دخل لنا بالسياسة ! يا لك من شخص طيب متواضع وجميل حقا يا كاپتن عزمى ، لا تورط نفسك فى ترهات كالتى أعيش فيها .

ليبيا ؟ ! حرب البربرية الأولى ؟ ! يا لها من قصة مثيرة قد تعجب ضهرى . أشهر وأخطر قراصنة البحار فريقان ، قراصنة المتوسط وقراصنة الكاريبى ، السلطان خير الدين الشهير ببارباروسا وكاپتن بلاد . كلا ، بالأحرى أخطر قراصنة البحار واحد فقط : العرب . لم يكن الكاريبى معروفا حينئذ . بل اكتشفوه أصلا -واكتشفوا من ثم كل العالم الجديد- بحثا عن طرق أخرى للتجارة بعيدا عن نهب العرب لسفن المتوسط ولقوافل طريق الحرير . ساعتها أصبحت الدنيا واسعة بحيث لم يعد لقراصنة الكاريبى خطورة تذكر . ( للدقة عرفت التجارة عبر طريق الحرير فترة وجيزة ووحيدة من الأمان والسلام ، تلك التى أباد فيها چينكيز خان مسلمى آسيا ! ) . قد تسألنى ما هى حرب البربرية الثانية ؟ أجيبك : الحرب على الجزائر ، ١٨١٥ !

رديئة جدا هذه النسخة الإلكترونية من الموسوعة البريطانية . لعلى اعتدت على تلك المجلدات العتيقة التي كانت في مكتبة أمي ، وأهدتها لمكتبتى في الجريدة وضاعت ضمن ما ضاع مع الشركة الغابرة . يقولون إن البحث في المعلومات الرقمية أسهل ملايين المرات من البحث في الكتب الورقية ، لكن ها هي النتيجة : لا أستطيع أن أجد مدخلا باسم الساموية ! هل حذفوه ؟ هل لم يكتبوه أصلا ؟ هل بالقرص خدش أطاح به ؟ هل لا يوجد من الأساس شيء اسمه العرق الساموى ، والأمر برمته تحيلات مصدرها عقلى المريض ؟ أو عقل أرسطو الأشد مرضا ؟ أكاد أجن ! أبو العريف يقول لك ' حكم ' الإسلام موش الإسلام ، هو إلى انتشر بالقوة . أيا ما كان ، أين انتشر ؟ أين وقف ؟ ما هذه الخريطة ؟ شارلمان من ؟ أوه ! لقد عرفت اسم اللعبة ! المهم موقف الطرف الثانى . أرثوذكس ولا كاثوليك ؟ لم يسلم كاثوليكي واحد . حتى إسبانيا المكان الوحيد إلى احتل منهم ، ما نسيوهوش واستردوه تانى ، بعد ٧٨١ سنة ( تصور ؟ ! ألفية كاملة تقريبا ! ) . أوه ! لأول مرة أفهم معنى عبارة ' الأذان فى مالطة ' ! أنت لا يمكن أن تقنع كاثوليكي بالتحول للإسلام . يمكن أن تقنع بليون أرثوذكسى بمجرد خشخشة سيف فى جرابه أو إشهار كلمة جزية فى وجوههم ، لكن كاثوليكيا واحدا مستحيل .

يا لها إذن من مفارقة : لولا جبينات هؤلاء الكاثوليك لانتسح الإسلام كل العالم ، وكنا بعنا القضية بدرى بدرى ! زهرى محق ، الشعوب لا تغير أديانها لأن أديانها من جبيناتها ، المشكلة أن يكون فى تلك الأديان-الجبينات ما يقبل احتلال قوم رعاع همج أجلاف كالعرب لبلادهم . بالفعل لا يجب أن أكون ظالما ؛ هؤلاء شعوب الكاثوليكية -رغم كل خبيثتهم واضمحلالهم وضحك المسيحية وجهلتها شرق الأوسطيين عليهم- هم من حافظوا على البقية الباقية من جذوة الحضارة الآفلة ، حتى سلموها حين حان الأجل يوم الأرامادا لأولئك أبناء الجزر البريطانية . لأنك دقيقا ! لقد نسيت اليونان ! أرثوذكس لم يسلموا ! ليسوا بعيدين جدا كالروس ، لكن -رغم كل الجبروت والوحشية التركية- لم يرضخوا للإسلام . إذن التقسيم الأدق يعيدنا -كما كل مرة- إلى أرسطو : حضاريون وبرابرة ! ربما قبلوا النسخة الأرثوذكسية للمسيحية لأن بهم بعض الميول الثقافية أو الروحانية ، لكنهم لم يقبلوا الإسلام لأنهم ببساطة ليسوا برابرة ! الإسلام لم يفلح فى غزو إلا ما كان يسميه أرسطو أرض البرابرة ! شفت يا زهرى ! الدين والجيين علاقته أكبر مما تتخيل إزاي ؟ ! أوه ، عفوا ، ربما هذا كلامك أنت فى الأصل !

لنكن إذن أكثر دقة ، قراصنة الكاريبي كانوا لصوصا يسرقون لصوصا . بالمقارنة بالعرب ، كانوا قراصنة ' شرعيين ' بمعنى ما . يروى إن الإسبان ومن شابههم نقلوا أنهار الذهب ، وفى قول آخر مدن الذهب ، من أميركا الجنوبية ، ولم يفكروا فى صنع أى شيء آخر ، فقط البحث عن الدورادو أخرى ثم أخرى . هذا ليس استعمارا . هذا بداوة ونهب . وهنا نتكلم عن الكاثوليك ، ورثة المجد الرومانى التليد ، ما بالك لو كان الذى اكتشف أميركا ، أرثوذكسيا أو مسلما من العرق الساموى ( أو بالأحرى العرق عديم الاسم ) للشرق الأوسط ؟ يا لكم من سفلة يا أبناء رمسيس ، بالذات أنت أيها الزهرى اللعين : أديان التوحيد جاءت فقط من أجل إضفاء القداسة على قطع الطريق ونهب ملك الغير بحجة أنه ملك الله . كل شيء رزق ، والشغل والفلاحة ' صغار ' . الأرض أرض الله والمال مال الله ، وقد ذهبت لك عن طريق الخطأ . ويقتله الأعرابي ، كما يقتل أى ذئب يتهدد خرافه ! محمد ( أقصد عمرا ! ) claimed أورشليم باعتباره وريثا للأنبياء ، هذا ليس إلا الجزء التافه من القصة ! ؛ إنما claimed العالم كله بدعوى أن الأرض أرض الله والمال مال الله وذهبت لكم عن طريق الخطأ ! أظن هذا كلامك أنت ! أنا أجهل من أن كنت قد عرفته بنفسى .

مرة أخرى لنكن أكثر دقة . الكاثوليكية ليست منتجا لأسلاف المجد الرومانى القديم ، هى منتج العبيد المهاجرين من شرق المتوسط ، والكاثوليك الحاليون ليسوا تراث روما بل تراث العبودية ، حتى وإن ظهر رجال أشداء من أمثال موسولينى وبيروسكونى من حين لآخر . لقد اعتقد فلاسفة اليونان أنهم قهروا العرق الساموى الوضع يوم فندوا اليهودية . الآن اليهودية تضرب من جديد . تتناسخ تحت اسم المسيحية وتسقط روما الأعلى جيروتا من أثينا ألف مرة . العسكرية شيء عضوى للحضارات ، وكانت أول ما توجب على المسيحية قتله . حدث ولا حرج عن جيوش روما التى كانت هى نفسها الخريطة ، أو عن جيوش الإمبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس . كذلك حدثتلك للتو عن توماس چيفيرسون الذى قاد أول حروب أميركا الخارجية ، وأسس أكاديمية ويست بوينت ، وتبنى عسكرة المجتمع الأمريكى ككل منذ نعومة أظافر الأطفال ، وكان يعلم أن الرفاهة والدعة هى بداية موت الحضارة . للأسف ، لا ترى أحدا اليوم يملك السلاح ويهتم بالتدرب عليه فى المدن الأمريكية الكبيرة ، ولا تجد من يكاد يتمسك بالتصليح الثانى للدستور ، إلا ولايات الجنوب أو مناطق الريف . فقط -سيدى- أروع مجتمع ترى فيه هذه العسكرية من الكبير للصغير ، من الرجل للمرأة ، هو -لحسن الحظ- جارتنا الجميلة إسرائيل . ألم تعدنى بالجيء اليوم يا جيبون ، يا أشرس من

هاجم المسيحية في التاريخ ، وأروع من جسد ' من لطمك على خدك ... ' ، كأكبر كارثة أصابت التاريخ الإنساني وهوت بالحضارة الإنسانية من عليائها الرومانى التليد ، إلى عصور ظلام سحيقة صارت فيها مجرد جثة جاهزة لنهش برابرة البعر ؟

كتب ساميول هانتينجتون ذات مرة إن ' الحلم الأميركي لا يمكن أن يكون لاتينيا . كان وسيظل ' أميركان ' وليس ' أميركانو ' . الحلم الأميركي هو فقط الحلم الذى خلقه المجتمع الأنجلو-بروتستانتي . ويمكن للمكسيكيين التشارك فيه فقط لو حلموا بالإنجليزية ' . قطعاً لن يحلموا ! الأحلام جزء من الجيبيئات . حتى اللحظة أستغرب لماذا يكره العرب والمسلمون هذا الرجل بتلك الشدة ؟ كانوا أشد من تعامل معهم برحمة . كل ما فعله أن وضع بعض النقاط على الحروف . حتى ليست كلها . على الأقل لم يشر للأعماق الجيبينية ( العطنة ) لهم ، كما فعل لاحقاً مع الكاثوليك . أنا شخصياً أنتظر منه كتاباً أو بحثاً جديداً عن روسيا الأثوذكسية أو عن الصين الصفراء . إنه حتى لم يسم الأشياء بمسمياتها الصحيحة . لقد ارتكب غلطة أكاديمية بشعة حين وصف المسلمين بالحضارة في مسمى ' صدام الحضارات ' . وفي أية لحظة معطاة من التاريخ لا توجد حضارتان أبداً . فقط حضارة واحدة ، ثورة تقنية واحدة ، أمة حضارية واحدة ، يحيط بها إما متحضرون يقلدونها ويعاضدونها ، وإما قطاع طرق ينهبونها ويحاولون تركيبها !

يسوع هذا نفسه مجرد واعظ ريفي لما ذاع صيته أخذ أتباعه يدفعونه لغزو العاصمة ، أن يفيق من دروشته التي لم تنفع أحداً ، ويعطى لرسالته بعض البعد السياسى ، لكن الرجل اكتشف أن ما يباع لأهل الريف من مواعظ ساذجة عن الخد الأيمن والأيسر أو من معجزات مصطنعة ليس بالضرورة بضاعة صالحة لأبناء المدن . توقع في بيت داود وسليمان القداسة العظمى التي لم يعرفها في حياته فلم يجده إلا مغارة لصوص ، توقع أن تعلقو القداسة كلما علا اقتراباً من رأس الكهنوت وتوقع منهم أذرعاً مفتوحة لتعاليمه البريئة فوجد في انتظاره ترخيصة بالقتل ، توقع أن يصهر بكلماته الناعمة دروع الرومان فوجدهم جيوشاً جراه لا تذييها نار الجحيم نفسها . إنه قطعاً أحد أصعب الأسابيع محنة في حياة أى إنسان : يهوذا السياسى النابه أتى به رغماً عنه تقريبا إلى اورشليم ، كى يعلن أمام الكهنة عقيدته التي ستحول مجرى التاريخ اليهودى ؛ توحد الشعب وترفع سقف نضاله السياسى . ما أن وصل حتى وجد باراباس العسكرى المتهور يريد هو نفسه تحويل مجراه ، وأن يدفعه للكفاح المسلح والحرب تحرير . عاهد الأول وتوجس من الثانى ، لكن تردده كان كافياً مثلاً لأن يغرى بطرس صياد السمك الأهل أن يمتشق سيفاً ! في لحظات اكتشاف أن غزوة اورشليم المباركة مصيرها هو الفشل الذريع ، الدروشة شىء ، والسياسة شىء آخر ، وأنه بات متورطاً في الثانية أكثر وأسرع وأسوأ مما توقع أو أراد ! بدأ الرجل يتحسس رقبته ، وأدرك أنه ارتكب غلطة العمر ، واستفاق مكتشفاً فجأة أن المدن هى قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين ( الأمر الذى أضاف له منظرو المسيحية سابقة جديدة فيما بعد : صالبة الآلهة ! ) ، فلم يجد بين يديه إلا الشىء الوحيد الذى يجيده : المضى للنهائية في تهاويم الخرافة ! راح يكيل اللعنات ذات اليمين وذات اليسار ؛ تعهد بالويل والثبور والذبح عند الركوع والإبادة الكاملة لكل الذكور وأيضاً للجبالي وذوات الرضوع ( حقاً : ولم لا ، والرب أحل المراعى وحرم المدن ! ) ، لكن أحداً لم يرتجف له جفن ، وأخيراً وقف كما ' البجم ' أمام مجلس الكهنة الأعلى ، لا يجد ما يقوله لدى كل سؤال سوى ' أنت قلت ' ، ومعناها بالمصرى ' وأنا مالى ! ' ( ناقضا كلياً الشق الخاص به من الاتفاق مع يهوذا ) ، وأخيراً حين رفع على الخشبة لم يجد في جعبة أساطيره إلا الهديان باسم إيليا يستجديه أن يعود بمركبته النارية الشهيرة كى ينقذه من التهلكة . بمناسبة كلمة ' بجم ' هذه : لى عتاب رقيق عليك يا سيدى أهس إيلك به فى أذنك ولعلك -بتساحك المعروف- تغفر لى تطاولى : سيدى ، أنت الخائن ويهوذا الضحية !

المسيحية كدين ، فكرة وضع بذورها پولس أولاً . فيما يخص هذه الأخيرة بالذات -الخشبة- جاء بتفسير فاجر قارح وقح : لو كان يسوع صرح بأنه الإله لخافوا منه ولم يصلبوه ؟ ! أوه ! يا للهول ! الآن فقط فهمت الآلية التي تشتغل بها الأكاذيب الكبرى ؛ هذا السطر الصغير الذى أرسل به لضحاياه الأبرياء في كورينثوس يكشف لماذا الحكمة المكتومة ( وفي قول آخر الحكمة المخفأة ) يجب أن تخفى عن الحكماء والفهماء وتعلن فقط للأطفال ( وفي قول آخر أهل كولوسى ) ، أو بصياغة أخرى : لماذا تصديق الكذبة الكبيرة أسهل كثيراً كما قال دكتور جوبلز !

... فى صحتك يا جدتى !

... نعم ، أعلم منذ نعومة أظافرى أن الأديان لا تهبط من السماء بپاراشووت ، إنما يصنعها بشر من لحم ودم و-حسناً : جيبيئات ! الفارق بينكم يا مختزعى الإسلام السذج وبين مبتكرى المسيحية البارعين أنهم خلقوا متاهة دائرية ضخمة من الأكاذيب الصغيرة ، بنوا الواحدة فوق الأخرى بحيث فى النهاية لا تعرف من أية نقطة يمكنك الفكك منها ، أو بالأحرى ينقضى عمرك قبل أن تتوصل إلى أين تكمن الخدعة : فى البدء

كان هناك خالق ، والخالق يحتاج لمخلوق ، والمخلوق يحتاج لسقوط ، والسقوط يحتاج لخطيئة أصلية ، والخطيئة تحتاج لمغفرة ، والمغفرة تحتاج لسفك دم ، وسفك الدم يحتاج لذبيح ، والذبيح يحتاج لمواصفات ، والمواصفات تحتاج لألوهية ، والألوهية تحتاج للاختفاء ، والاختفاء يحتاج للإيمان ، والإيمان يحتاج للطاعة ، والطاعة تحتاج لإرادة ، والإرادة تحتاج لذراع الخالق ! يا لعار الاستدلال الدائري ! لقد بدأنا بالخالق وانتهينا بالخالق ! ... هكذا حقا تكون الأكاذيب الكبرى ، هكذا تصبح أسهل تصديقا ، وهكذا تصنع الأديان التي تقنع شعوب العالم الأول ، لا التي تفرض قهرا على بهائم العالم الثالث ! أما الاستدلال الدائري لديكم فلا يزيد عن الآتى : يقول مُجَّد إنه رسول . ما الدليل ؟ قال الله ذلك . من الذى سمعه ؟ مُجَّد ! يا كل العار ! أهذا كل ما قدرتم عليه ؛ خطوة واحدة بائسة : ' قال الله ' ، ' قال الرسول ' ؟ أهكذا يصنع دين يا جهلة يا سفلة ، يا بحر شبه جزيرة البحر !

أوه ! يا له حقا من مثال فريد هو قطعا الأكثر جمالا فى التاريخ : يسألونكم ما دليل أن مُجَّدا رسول ، تقولون قال الله ، يسألونكم أين قال هذا ، تقولون قال الرسول ، بس خلاص ! خلصت ! شنطة حمزة ! قال الرسول قال جبريل قال الله إني خير النبيين وخاتم المرسلين وأول الخلق وسيد أهل الأرض وقال كل حاجة ! يا سلام سلم ! آدى العننة ولا بلاش ! أميكن أن يسمى هذا استدلالا دائريا به أدنى قدر من الذكاء أو الحيلة أو حتى الحياء ؟ حتى بسطاء الناس -من غير البحر- يخلقون استدلالا دائريا أكثر تعقيدا . أعتقد أن هناك أغنية فلكورية مصرية بذلك المعنى . كلا ، ليست تلك عن تلافيف ذيل الثعلب . بالتأكيد سوف أسأل ونس عنها ؛ فيما أذكر ، النجار عاوز منشار ؟ لا أذكر . المؤكد أن بما كلمة البيضة والفرخة ( شىء طبيعى جدا ! ) . ساعنى يا أرسطو ، لا أدرى لماذا أشعر أحيانا بالضعف أمام سحر الاستدلال الدائري !

المتدين كلما جاءه خير قال هذه نعمة من الله ، وكلما جاءه شر قال هو من حروب الشيطان ، لكن ألا ينطبق ذات الشىء على إرجاع كل شىء للجينيات كما يفعل زهرى ؛ كل شىء يفسر بمكونات اللولب المزوج ؟ أليس هذا استدلالا دائريا ؛ إجابة جاهزة التعليل سلفا ؟ ربما لا ! المتدين يستطيع أن يستمر فى نظريته عن الخير والشر لمليون سنة مستقبلا ، و ١- لا يحتاج للدليل لإثباتها ، و ٢- لا يجد ما يمكن أن ينقضها ؛ دوما هناك إله وهناك شيطان وهناك عطية وهناك عقوبة . أما بخصوص الجينيات فهناك حاليا بالفعل الرصد الإحصائى لخصائص الشعوب ، ثم لو كان زهرى يقول شيئا خطأ ، فليست كلها إلا سنوات قليلة ، وتأتى الدلائل العلمية الحاسمة . هذا ليس استدلالا دائريا ، بل علم فى طور الاكتمال الأخير ، بعدها لن يمكن لأحد أن يلقي كلاما على عواهنه لا لمليون سنة ولا لمليون ثانية .

الفكرة الأصلية فى الاستدلال الدائري الجيد أن تكون اللفة واسعة بحيث يتوه فيها الثعلب نفسه وليس حتى ذيله فقط ، بينما استدلالكم الدائري لا يزيد عن خطوة واحدة لا غير مفضوحة جدا . تقولون مثلا إن كلمة الروح المعزى التى تنبأ بها الإنجيل تنطق بالأرامية على نحو قريب من مُجَّد وتعنى باليونانية معنيا قريبا من مُجَّد ، وتنسون -أو تناسون- أن مُجَّدا نفسه لم يكن اسمه هكذا ، وهو الذى غيره فى الكرهان البشري كى يطابق النبوة ، بينما الأصل فى النبوءات أن هى التى تنطبق تلقائيا على الأشياء لا أن تطابق الأشياء قسرا عليها . بصراحة ، كنت أفضل أن يحتفظ بقثم -اسمه الأصلي بضم القاف وفتح الثاء- ويحاول تأويله بحيث يعنى مُجَّدا الأحمدمحمد المحمود ... الخ ، بدلا من ذلك التزوير المكشوف الغبى الذى يعتمد على أن السيف يمكن أن يشح خلايا الذاكرة فى الأبخاخ !

ثم أن الموضوع كان أساسا ' خلصت ولع ! ' على رأى فيلم العصفور الذى لا أحبه : المسيحيون جعلوا نبيهم إلها ، فلم يعد قد تبقى شىء لدى أتباع ما يسمى بالتوحيد كى تصنع منه أديان أخرى ؛ هم جابوها م الآخر و أنتم كنتم من السذاجة بحيث لم تلاحظوا ذلك أصلا ( أنا بالأحرى لا أتوقع أن تلاحظوا أن الإنسان-ابن-الإله كان الحد الأدنى لدى كل الثقافات تقريبا والمسيحيون سرقوها منهم لا أكثر . هل سمعت عن هرقل ؟ لا ، هرقل الآخر وليس هرقل ملك الروم ! يا لك حقا من جاهل ! ) .

فى طفولتى سألت نفسى سؤالا ، لكنى كعادتى لم أجر طويلا وراء الإجابة : لماذا عقم فجأة من كانوا ينجبون نبيا كل أسبوع ، فلم ينجبوا نبيا واحدا فى أربعة أو خمسة القرون الأخيرة السابقة على المسيحية . إجابتى السريعة أنهم كانوا قد تعلموا ، سئموا ذات الفيلم المكور ، فصرفوا أذهانهم عن كامل الحدوتة ( بعضهم قال إن الظاهر قهوة الأنبياء إلى كانوا يبيحيوهم منها فقلتها الضاربات ؟ ! ) . اليوم أدقق الإجابة : لقد كانوا ينتظرون فيلما خارقا من نوعه يحقق إيرادات خارقة من نوعها : ينتظرون ' إى . تى . ' ، الذى يحجى الزهور ويهب الحياة ويوم يموت هو نفسه سيقوم من الأموات ويصعد للسماء ويصبح أنجح فيلم فى التاريخ ، وقد كان !

مبدئياً طبعاً - بينى وبينك- لو أنت قرأت الألياذة لعافت نفسك -مرة واحدة وللأبد- كل الكتب المسماة بالسموية ، لكن تظل قصة المسيح أسطورة جبارة تضارع أضخم أساطير مصر وفارس والهند وربما حتى اليونان . نعم ، ميثرا ومن قبله كريشنا ومن قبلهما حورس ، وحورس بالذات ليس لأنه الأكمل فقط بل الأعرق في القدم أيضا ، جاءت معهم كل الأفكار ، بما يكفى جدا لأن تشعر حين تقرأ كتاب الموتى أنك تقرأ الإنجيل الخامس ، أقصد الأول ، بل ربما كتاب النبوءات الذى سرق منه كل أنبياء العهد القديم كل تصوراتهم عن أخلاق المسيا المنتظر : جعلوا هذا اليسوع -وهو أدنى شرط للأسطورة المحترمة- ابنا للآلهة . بعد ذلك جعلوه كل شيء : جعلوا ميلاده معجزة ، جعلوه يصنع المعجزة ، جعلوا نقاء حياته خارقا للطبيعة ، جعلوا قهره للشيطان خارقا للطبيعة ، جعلوا تضحيته خارقة للطبيعة ، جعلوا بطولته خارقة للطبيعة ، جعلوا استعصائه على الموت خارقا للطبيعة ، وجعلوا خلوده حيا للأبد خارقا للطبيعة ، جعلوا إنقاذه للعالم خارقا للأحلام نفسها . هؤلاء اليهود السامويون صناع المسيحية لم يأتوا بحرف واحد جديد من عندياتهم ، فاليهود أصلا كانوا قد اعتزلوا التدين وتفريخ الأنبياء قبلها بخمسمائة عام ، لكن تظل حرفيتهم مشهودة في حياكة خيوط الأسطورة الكبرى الغائية ، ثم -وهو بيت القصيد : تصديرها للغرب !

باختصار ، لقد وضعوا في حدودته كل عناصر الأساطير الخالدة ، بل في الواقع وضعوا كل توابل أساطير العالم نفسها مجتمعة فيها ففافتها جميعا أو كادت ، وكذبة بهذا المستوى ربما تستحق الكذب من أجلها ؛ فماذا فعلتم أنتم حين أردتم صنع أسطورة ؟ لا شيء ! : قصة تافهة لقاطع طريق تافه . أتفه الأشياء أن أولئك قرأوا أساطير الأولين وفهموا الفكرة فيها ، بينما نبيكم ومن صنعوه لا يعرفون حتى القراءة وطبعاً لا يعرفون أصلاً معنى كلمة أسطورة أو معجزة أو ميتافيزياء . أتفه الأشياء أنكم لم تفهموا حتى أن موضوع الدين نفسه كان قد أغلق : أناس جعلوا الإله نفسه يأتي للأرض ويكلم الناس وجها لوجه ، يعنى خلصت خلاص ، لا مجال لإبداعات جديدة ، وأى حاجة تانى ستثير الضحك لا أكثر !

هل تعرف الفارق بين التحليل القاعدى والتحليل التقابلي . طبعاً لا تعرف . ساعحنى ، نسيت أنك ابن خطاب وخطابة . سأشرح لك ! برامج التليفزيون تخرج لنا صباحاً مساء تقول إن نقطة المقاومة لسهم كيوييد هي مثلاً ١٥٠ جنيها . حين يصل السعر إلى ١٥٠ يبدأ الناس في البيع ويتراجع السعر . يخرج هؤلاء في اليوم التالى ليقولوا لنا : ' رأيتم ؟ ألم نقل لكم إن المقاومة ١٥٠ جنيها ؟ ' . أية نبوءة في الدنيا يمكن أن تتحقق لو عممتها بالقدر الكافى ، وأية نبوءة مهما كانت استحالتها يمكن أن تتحقق لو عممتها بالقدر الكافى ، ثم أعطيتها الوقت الكافى . ضهرى يحاول دعوتنا لمزرعته ويقول إننا سنمارس صيد السمك هناك . أنا لا أعرف شيئاً عن صيد السمك ، لكنى متأكد أن سنارتى لا بد وأن تصطاد سمكة في نهاية المطاف . هذه هي ذاتها قصة المسيح .

هل تعرف الفارق بين الاستثمار والمضاربة ؟ طبعاً لا تعرف . سأشرح لك ! اليهود ' استثمروا ' الكثير في قصة المسيح . رسموا ملامح المسيا على امتداد قرون وقرون ؛ كيف سيولد وكيف سيموت ... إلخ ، ضع أنت أية مواصفات تحب ، وساعتها سيصبح كل المطلوب منك انتظار الوقت الكافى حتى يأتى بالصدفة -أو لنقل بكثير من الإجماع النفسى وقليل من الرتوش- من يطابق تلك المواصفات ؛ حتى تتخبط سمكة ما في طريقها وتأتى لسنارتك . أما ما فعلتم أنتم -يا من لا تجيدون سوى المضاربة- من دين ، فهو الأمر الوحيد المتوقع من قطاع طرق صحراويين لا يخططون قط لأبعد من كيفية سرقة العشاء التالى .

إذن -بينى وبينك- المسيح هو نفسه استدلال دائرى ، أو لعله يذكرنى بأطروحة هالة حول الكون منضبط بالقوانين ، وكأن ثمة فرصة من الأصل لوجود كون بلا قوانين . فعلاً ! يا لكم من مساكين ، سفاحين سفاكين مساكين ! اليهود كانوا ينجبون نبيا كل أسبوع ، وأنتم احتجتم لنصف قرن من كامل عتاد قريش المالى والثيولوجى لخلق نبي واحد ، وجاء شديد الجهل والهشاشة . هذا لا يعنى أن كان باستطاعتكم إنجاب نبي في أسبوع . بالعكس ، هذا المستوى يحتاج لألفيات كاملة من الخبرة والنضج . مشكلتكم أنتم تعجلتم الدولة ، بينما المسيحية مثلاً ظلت تصقل نفسها كعقيدة لقراءة ٤٠٠ سنة قبل أن تفكر في أن تصبح دولة . بل قل لقد انتظروا آلاف السنين أصلاً من أجل صنع هذا الدين .

أوه ! لقد عرفت الآن من أين أتيتم بأن قال اليهود عزيز بن الله . نكتة حلوة فعلاً ، يا من هم أجهل من الجهل نفسه : خلطتم أولاً بين اليهود والمصريين ، عزرا وأوزيريس ، ثم خلطتم ثانياً بين أوزيريس وحورس ، متصورين أن أوزير هو الابن ! الفضيحة أنكم تحبون العننة مهما طاللت حبالها ، تنقلون عن المسيحية التى نقلت عن اليهودية التى نقلت عن بردية مصر الجديدة بتاعتنا ( أقصد بردية آنى ، مدينة عين الشمس الثانية إلى جنبنا ناحية النيل ) ، فلا غرابة أن أتيتم في الأخير بكل هذه زبالة الزبالة . فقط لا يزال يحيرنى كيف وصلتكم ' ورفعنا الميزان ' من كتاب الموتى مباشرة ، دون أن يتبناها أسيادكم اليهود في الطريق ؟ !

مهلا ! إذن ليس ما يزعجني الآن اتهام المسيحيين بسرقة نبوءات التوراة ، إنما سرقة أشعياء ودواد لكتاب الموتى ، هذه السرقة الأصلية الكبرى ، وع الأصل دور على رأى ونس ، ولا أدري كيف سكت زهري على هذه السرقة حتى اليوم . أوه ! نسيت أن أعرفك بصديقي زهري . شخص متبحر في شأن مصر القديمة . ربما تراتح له لأنه به بعض مما عندكم ، أقصد به بعض الجيينات العربية ، كثرت أو قلت ، لا أحد يعرف بما فيه هو نفسه ! أوه ! أشكرك يا زهري ، لقد ذكرتنى بشيء آخر بخصوص كتاب الموتى . هل تعرفون أعجب ما قرأته مؤخرا ؟ قال أحدهم إن عذاب القبر بتاعكم مأخوذ من كتاب الموتى ، ها هو زهري ذو الميول الصوفية الكافرة أمامكم وأعتقد أنه سيقول لكم إن الخطيئة عند المصرى القديم عذاب في حد ذاتها ، عذاب لا ينتظر قبراً ولا ميزاناً ، بل هي نفسها في حد ذاتها جحيم فوري .

بل مهلا ، مهلا ! تلك الكتب تقول إن آلهة الشر المصرية كانت آلهة الرمال أو الجذب أو الصحراء . يا للهول ! لقد تنبأوا عشرات المرات ، وبتفاصيل مذهلة الدقة بكم يا هوام الصحراء ، يا هكسوس أول الزمان وآخر الزمان ، قبل أن توجدوا أصلاً . حتى هذا الشرف -شرف أن تكون النبوءة المصرية تحضكم أنتم- حاول اليهود سرقة منكم لحساب إلههم يهوه ، بقصة صغيرة عن رضيع موهوم وضع في سلة وألقى به للنيل ، بينما هم لا شأن لهم بمصر -ناهيك أصلاً عن قصور مصر- أكثر من بعض كلام سماعي من بعض فرادى أفراد منهم ، ذلك أنهم أصغر حجماً من أن يلحظهم أحد ، وأقل ضرراً من أن يصنع خيال المصريين عنهم نبوءة ! ... حقاً ! يا لكم من لصوص حفالة أيها اليهود والمسيحيون ، تتباهون بنبوءات التوراة عن المسيح ، ولا أحد مهتم بأن كتب مصر الأقدم منكم بآلاف السنين ، مصر القديمة التي زالت قبل أن يخطط قضاة اليهود في أساطير التوراة حرفاً واحداً ، تنبأت ليس فقط بالإسلام ومُجَّد وعمر اللاهقين عليكم ، إنما بظهور عرق العرب من أساسه !

باختصار ، عرقكم العربى أشد جهلاً وغباءً من أن يخلق كذبة جيدة ، ناهيك عن أن يخلق ديناً متكاملًا . ونس قال ذات مرة إن الإسلام صنع على عجل من الوثنية وبعض معلومات ضئيلة عن اليهودية والمسيحية ، واليوم أكتشف أنكم لا تعرفون حتى شيئاً يذكر عن الوثنية . وصفتم إلهكم بالـ 'صمد' ، أى الصنم المصمت ، تمييزاً له عن أصنام قريش الطينية المخوفة ، والسبب مضحك جداً وهو أنكم لم تشاهدوا يوماً أصنام مصر أو اليونان أو الصين .

تعلمون أن كل الأديان ما هي إلا نصوص زئبقية ، كتاب التوراة والإنجيل -يا أهل الفصاحة المزعومين- يلجأون طوال الوقت للصيغ المجازية للوصول بنصوصهم ونبوءاتهم لخصائص الزئبق ، حيلة بسيطة تعرفها كل قارئة فنجال أو ضاربة ودع ، فماذا فعلتم أنتم : فقط رصصتم كل آية ونقيضها متجاورين جنباً إلى جنب في الكرهان ، وهى حيلة من السداجة بحيث يكتشفها أصغر طفل ، جمعتم شذرات من هذه العقيدة وذلك الدين وتلك العبادة وصنعتهم من هذه الهلاهيل ديناً خلطبيطة لا يوصف إلا بالمهلبية ، وفي قول آخر بالسماك لبن تمر هندي ! المسيحيون ضبطوا -أو لفقوا أو أيا ما كان- ديانتهم ، بحيث نقرأ كتابهم كلاماً سهلاً سلساً متسلسلاً متماسكاً ، فقط نتعثر في أربعة أو خمسة جمل ، نسميها تناقضات داخلية ، وحين يتعلق الأمر بأربعة أو خمس جمل ، يصبح بوسعهم أن يحشدوا بسهولة ترسانتهم اللغوية والتأويلية ليحلوها ، فتقع البعض ولا تقع البعض . ما هو غير معترف به من كتبهم حوالى ١٠٪ ، بينما عندكم ٩٧.٥٪ من أحاديث مُجَّد الشريفة المشرفة و ١٠٠٪ من كتب السير والأخبار لا يعترف بها سدة التقديس . أى دين هذا ؟ أدين هو أم كتاب أحاجى ؟ هو قرينة مخروقة ، جعلت المشاخذ يسرعون كالمجازيب طوال الوقت يلهثون وتتخاطب أجسادهم وهم يصرخون 'الحق سد الحديث ده يا جدع !' ، شوف لى بسرعة رقعة للخبر ده يا واد يا بلية !' ، وهلم جرا . أنتم تقولون لا تجمع أمتى على ضلالة ، فأى إجماع تريدون لإثبات ما هو حق ، أكثر من ١٠٠٪ رفضاً وسخرية وازدراء بالإسلام ونبيه ، والأهم منهما أمير مؤمنيه وأركان حربيه المعمور المخمور بن الخطاب والخطابة ؟ ! فى كل الأحوال -ومهما استخدم أولئك المسيحيون من الزئبقية- يظل الهدف العام لديانتهم واضحاً مفهوماً وقوياً ، أى أحد فى الشارع -مهما سقت له من متناقضات- سيقول لك إنه السلام والمحبة .

طبعاً ، دين غير تام النضج ، بل بصراحة الأمر برمته تحجيص ، وتحجيص لا يليق إلا بشعب واحد فى التاريخ ، أنتم يا بعر شبه جزيرة البعر ! ونس على حق حين يسخر من زكريا بطرس لتدقيقة فى حرفيات دقيقة جداً من النصوص الإسلامية ، بينما هى فى الأصل كتبت بواسطة حفنة أهواج أجلاف بدائيين عشوائيين . حين بدأت أقرأ كتب أصولكم الصفراء لم أفاجأ كثيراً بالدموية أو بمحورية النكاح ، فالمفروض أنها الآن معلومات عامة للجميع . الانطباع الكبير الذى فاجأنى هو قدر الغباء والجهل والتخبط الذى كنتم عليه أيها الكائنات دون البشرية ، بالذات وأنتم تحاولون صياغة نبوة ودين دون أن تعرفوا حتى ما هو تعريف النبوة أو الدين !

مشكلتكم أن غيركم ( وهو دجال أيضا ، لا أنكر ) لديه أصلا شيئا يقوله ، لكن ماذا عساكم فاعلين وكل صغيرة وكبيرة توجد ويوجد نقيضها في دينكم ، مليون شيء ومليون نقيضه ، كل كلمة تحتاج لترزى لتطبيب معناها ، فاشتهر منكم أربعة ترزية كبار اختلفوا تقريبا حول كل شيء ، أما من لم يشتهروا فلا عد لهم ولا حصر ، والكارثة أن غالبا محاولة التوفيق ( أو بالأحرى التقييف ) مصيبة أكبر : بتطينوها ، بتنيلوها ، بتعموها ؟ من الحنيفة للمالكية للشافعية للحنبلية يا قلبي لا تحزن : تصاعدت من المتشدد للأشد تشددا ، وقفل باب الاجتهاد كان هو الرحمة التي ما بعدها رحمة ، لأن لا سقف لشره السلطة الدينية في استعباد البشر . لا أحد يعلم ماذا كان سيقول الترزي الكبير الخامس . ما نعلمه فقط أن كل ما فعله كل ترزي صغير هاوى لاحق أن حاول أن يصحح كما جديدا من الأحاديث ، وأن يوفقها مع ما هو مصحح بالفعل ( فتلك وظيفة الترزي ومقياس براعته ) ، فجعل المصيبة أهدح : جعلها كارثة !

الأدهى أن هذا التشدد به بعض أشياء تنير الفضول ، بما يجعلنا للحاجة لإعادة تعريف كلمة تشدد نفسها . المتساهل أبي حنيفة كان يأمر بستر الأمة بما يوازى ما يسمى بقميص النوم حاليا أى أكتاف وأذرع وسيقان عارية ، أم الباقون -ومن قبلهم عمر طبعًا- فيجبرونها -نعم يجبرونها- على تعرية الصدر في الشارع . بالنسبة للرجال كان المتساهلون يرون ما يستر العورة هو ما يوازى ما يسمى اليوم بالبوكسر أى ما يستر إلى الركبتين ، بينما أحمد بن حنبل يرى ستر عورته بما فقط يوازى السليپ . إذن ما يقصد بالتشدد المزيد من حرية الرجال على حساب حرية النساء ، وسلطان الحرائر على حساب الإماء اللاتي يجب أن يظللن مستباحات للجميع ، بل يشمل هذا سلطان الحرائر على ملك يمينهم أى حقهن في التعري أمام عبيدهن الرجال ( مع الافتراض طبعًا أن هؤلاء لن يجروا قط على رفع البصر ) ، رغم أنه في ذات الوقت فرض عليهن بن حنبل النقاب الدليل الكامل أمام الرجال من غير العبيد . ويقصد بالتشدد ثالثا -وهو الأهم- استعباد العرب لغير العرب والمسلمين لغير المسلمين ، وأقلها ما أقره المتشددون من احتفالات جماهيرية علنية لدفع الجزية مذلة للغاية كتقبيل الأرجل وشفع القفا . يا للعار ! إذن التشدد لا شأن له بالأخلاق ، إنما هو تحديدا التغول والإيغال في الاستعلاء والإذلال والتسلط لا غير !

حين كان رعا ع رمسيس يتسابقون على وصف وضعية المرأة في الإسلام وقالوا متضاحكين وطأ وركوب ومتاع ونكاح وفراش وحصيرة وتلك الأشياء ، هزنى شيء واحد هو لماذا بول الرضيعة نجس ، وبول أخيها ( التوأم ربما ) ليس كذلك . بحثت في تخريجاتكم الفذة هذه للنصوص المتضاربة ، فوجدت تفسيرًا عجيبًا : الضرورة العملية ! الأب والأم والأقارب والضيوف يحملون الطفل الذكر طوال الوقت ، ومن غير العملى أن يتوضأوا كلما لمسوه . يعنى م الآخر بتقولوا لهم رخصة أن سبيوا البنت تتفلق تموت من العياط لأنها نجس . عارفين معنى ده إيه ؟ أن رسولكم وصحابته-عصابته وترزيتيه التابعين وفقتم بين بليون نص عن نجاسة البول ومثلها عن نخر الشيطان وبين نصوص الرحمة والعدل بأن خرجتم علينا بجل عبقرى : وأد البنات ( بدهاة دون أن يكون تقانيا ذلك الواد الذى حرمه الكرهان ، وإلا ما هو معنى التقييف ؟ ) ! اليوم أصبحت أعرف مليون تقييفة كارثية من هذا النوع ( أو لعلها ليست كلها كارثية ، إنما بعضها محسوب جيدا ، فالمؤكد كما يقول ونس أن في أمور بعينها أتم تعرفون جيدا ما تريدون وأين ترسم الخطوط الحمر وأين تحفظ العيون الحمر ) ! دين إيه ده إالى موش معروف صاحبه كان عاوز يقول إيه ، والترزى الشاطر هو إالى يعرف يجمع قضايقص القماش إالى ساجها علشان يعمل منها قميص ؟ !

خلينا في الكفار ! الأغبي أن انظروا مثلا لصيغتك الخاصة بالطاعة كم هي غشيمة مفضوحة بل وتقر صراحة بقبحكم الداخلي ' لا تسألوا عن أشياء إن بدت لكم تسيؤكم ' ، هذا في مقابل صياغتهم هم ' على ابن الطاعة تحل البركة ' ، التي من الذكاء بحيث لم تحدد حتى طاعة من بالضبط ، طاعة الرب أم طاعة الصحابة-العصابة والتابعين . أيضا هم يبيحون كل شيء مثلكم ( ربما ليس بالضبط كل شيء وسأخبرك بعد لحظة لماذا ) ، لكن ليس بقائمكم الطويلة من الفتاوى الفاضحة المفضوحة والمتضاربة دائما ، إنما بعبارة واحدة ' كل الأشياء تحل لكن ليس كل الأشياء توافق ' ، وكما هو واضح هي فكرة ذكية راقية فلسفية لا تحل إلا ما يقبله خلق الإنسان السوى ، يا معدومي الخلق والسواء . إلهم نفسه لا يحل له كل شيء ، بل هو محدود بصفاته حسب مصطلحهم ، وطبعًا ليس منها الكذب والمكر والإضلال والقائمة تطول ( اعترف أنه نسب لكم أحيانا عبارة ' استفت قلبك ' ، لكنى أتحدك إن كنتم قد سمحتم واقعيا مرة واحدة لأى أحد بالإفلات من سطوتكم بفضل رخصة انتحارية كهذه ، وإن همست لك في أذنك بالسر وراءها : لقد جاء أحدهم لنببيكم واسع العلم بسؤال صعب فقالها تحريا ، أو -قرب لى أذنك أكثر- لم يكن عمر بجواره ساعتها ! ) .

أوه ! لقد فهمت الآن لماذا إلهكم فاجر مجرم لكل هذه الدرجة . لقد أردتم أن تجعلوه مرعبا للغاية حتى ترهبوا به هؤلاء الأجلاف العرب وتتحكمون بهم ، فجعلتموه قادرا على كل شيء بما فيه إلهام النفس فجورها ، ومعناها أنت موش فاجر بمزاجك إنما لأن إلهنا هو إلهي عملك كده وقرر من وأنت في بطن أمك يوديك النار ( إلا طبعا إذا اتبعنا من غير ولا كلمة ، زى الجزمة -إلى لسه ما عرفناش شكلها إيه ) . . . . عندكم الشيطان غير محدود والإله محدود ، الشيطان يوجد في كل مكان والإله لا يستطيع هذا ، الشيطان لا يخاف على نفسه من الأماكن المقدسة بينما الإله يخشى التنجس من الأماكن المقدرة ، وهلم جرا . يعنى باختصار ، وجدتم أن الشيطان أكثر فعالية في إرهاب الناس فاستعرت منه صفاته وأسميته الإله ! ... آه ، ها ! لعلها النهاية المنطقية لفكرة التوحيد : توحيد الإله والشيطان في كينونة واحدة ! ... يروح فين في اختراعاتكم إلهي قال لواحد روح ادبح ابنك ، أو إلهي حط ابنه ع الصليب ، وأنتم إلهكم يبيعت لحم الرضع -إلهي بنسيميهم عصافير الجنة- للنار هم فيها خالدون !

حتى في المرات الذي سرقتم فيها كلام المسيحيين سرقة دقيقة دون تعديل لحرف واحد ، انظر ماذا فعلتم : مثلا قلتم عن الجنة إن بها ' ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ' ، لا بأس ، لكن من قالوا هذه العبارة في كتابهم لم يضيفوا شيئا سوى أنها جنة روحانية وتركوا كل الأمر لخيال القارئ ، أما أنتم فرحتم تصفونها بالتفصيل ، والكارثة أن لم تلاحظوا أنكم بلا خيال أصلا ، فلم تضعوا في جنتكم شيئا واحدا وحيدا لم تره الأعين أو لم تسمع به الأذان أو لم يحظر بيال كل واحد منا . من قال إن الخمر أو النساء تعوز أحدا ؟ كان الأخرى بكم أن تعدونا في جنتكم بأفلام هوليوودية جديدة ، أو برحلات مجانية لمحطة الفضاء الدولية .

الأمثلة لا نهاية لها ، لدرجة أن المسيحيين صاروا ينكرون بكم اليوم ويسرقون أتباعكم بالمئات كل ساعة بمجرد القول إن الإسلام لا يكفل الجنة لتابعيه وأن مُجدا نفسه لن يوردها إلا أن يتغمده ربه برحمته ، إلا أن أحدا منكم لم يكتشف أن هذا الكلام هو تقريبا عين ما تقوله المسيحية : الخلاص عطية إلهية ! قالها كل الأنبياء من فرط مشقة إقناعهم لأحد بمزجعاتهم ، ففسروها بأن من اقتنع قد فعل بلمسة من أسحار الإله ، هذا الذي جفت أقلامه ورفعت صحفه قبل خلق السموات والأرض بخمسين بليون سنة ( أقصد خمسين ألف سنة ، والأفضل عامة ألا تدقق في الأرقام أبدا مع هؤلاء الآلهة ، الذين يكتبون عدم الهداية على الناس قبل أي خلق ثم يرسلونهم لعذاب النار ) . بمناسبة المخير والمسير ، إليك آخر نكتة : حين سئل مُجدا عن كيف سيحاسبنا الله على قدر كتبه هو ، أو فيم الشغل وقد قسم الرزق ، أبدل حرفين مكان بعضهما معتقدا بغباوته الدينية -ولا أقول الفلسفية- أنه قد حل المعضلة : غير مقولة ' سنسيره لقدره ' فجعلها ' سنسيره لقدره ' ! ها ! ها ! الرجل فهم عبارة ' في البدء كان الكلمة ' ، أن الدنيا والآخرة والإله نفسه ، ما هي إلا لعبة ألفاظ ! أوه ! مهلا : وماذا كان يقصد يوحنا حقا ؟ !

... الخلاص ؟ ! لوهلة خيل لي أن عدم وعد مُجدا للمسلمين بالجنة نوع من الحياء أو التواضع أو في أسوأ الفروض أنه هو نفسه مرعوب من دخول الجحيم ، ثم حين اكتشفت أن الله سوف يدخل كل الناس لجحيم ، فيتشفع مُجدا فتتقضى العقوبة عن البعض ، فسرت الأمر بأن مُجدا يريد أن يعبد الناس فكرههم في الله وأكد لهم أنه أنفع لهم منه دنيا وآخرة ، ثم في النهاية أدركت أن السبب أبسط من كل هذه وتلك بكثير : أنه أصلا لم يعلم قط أن المسيحية تعطي الخلاص بطرقة أصعب ، ولو علم لمنحه لأتباعه بلا حاجة حتى لهذه ، وطبعا ما أرخص الكلام في بلادكم !

حتى مسألة التمسك بالحرف نفسها دليل على الغباء قائم بذاته . هم حسموا صراع الحرف والتأويل حسما مبكرا ، واتفقوا جميعا على أن لأي نص معان ضمنية ، بمن فيهم من يفترض فيهم أنهم الأكثر غباء وانغلاقا ذهنيا ، أرثوذكس الأسكندرية ، وها أنتم ترون النتيجة : دين أكثر انتشارا منكم بمراحل والأهم أكثر مرونة في تلقي ضربات الزمن ومتغيراته . باختصار ، هل تعرف لماذا يمسخون بكم البلاط هكذا ؟ لأنكم معدومي الذكاء وضعاف في اللغة معا ، ولا تعرفون كيف تخفون فضائلكم جيدا مثلهم ، بل أنكم أنفسكم أخذتم بأكاذيبهم . يا لبؤسكم الساذج ! تصنعون دينا تعرفون أنه جريمة قتل واغتصاب ، لكن لا يحظر ببالكم للحظة أن كل بقية الأديان هي أكاذيب أيضا !

إليك مقارنة أخرى أخيرة : هل تعلمون أن أتباع يسوع قد نفروا أيضا إلى سقيفة لدى موته ؟ ، لكن شتان بين ما جرى في السقيفتين . بعد كل هذه المقارنات حول الهوة الهائلة في المستوى الثقافي والعلمي والفكري والسلوكي بين أحط شعوب الأرض إطلاقا ( العرب ) وثاني أحطها مباشرة ( اليهود ، الأحط إطلاقا في الإمبراطورية الرومانية ، لكن على الأقل كانوا جزءا منها ، أي من خريطة العالم ، يا هوام الصحراء أنتم ! ) ، لا غرابة أن تروا الهوة في حجم النتائج : أقصى ما فعلتموه أن نهبتم بعض الهوامش الفقيرة ، أرض البرابرة سابقا ، أما أولئك فقد استولوا على أوروبا الغربية ، المركز قلب الثروة ، بل لولا أن أصلا نخروا روما وقتلوا روحها الحضارية من الداخل وعششوا الخرافة بدلا منها ( لدرجة أن إعلان المسيحية

ديانة للإمبراطورية جاء بصدفه هزلية لإمبراطور تطيرى حلم بصليب قبل دخول إحدى المعارك ) ، لولا ذلك لما استطعتم من الأساس نهب أية قشة ! سأقربها لعقولكم الصغيرة بتشبيهه معاصر : أنتم نخبتم مصر ، وهم نهبوا أميركا ؛ ولعلكم تعلمون أن مصر التي طرتم من الفرح بها ، لا تساوى -أو تساوى بالكاد- شركة واحدة أو ثروة رأسمالي واحد من هناك ، لكن حين اقتربتم من مركز الثروة الحقيقي تكسرت الرياح ، انتهى لعب العيال ، وردتم على أعقابكم ، لأن هنا أصبحت العملية موش هزار . مصر -أو حتى تركيا- هزار ، لكن روما -أو حتى إسبانيا- قصة أخرى لا تحمل الهذر ، هذه لا يمكن غزوها لا بدين أهبل ولا طبعا بالجيش .

حين سألوكم ما هو دليل أن مُجدًا رسول ، قلمت قال الله ، وحين سألوكم أين قال هذا ، قلمت قال الرسول ! يا حلاوة ! بدمتك شفت قصر نظر وقصر نفس في التاريخ أقصر من كده . إنه الشيء عينه في طموحاتكم النهبية الهجومية ، ولماذا هي هوامشية تافهة قصيرة النظر قصيرة النفس . باختصار ، الفارق بينكم وبين اليهود والمسيحيين أنكم سذج بدائيون لا تعرفون كيف تحاك الأكاذيب الحقيقية ، أو أن أبسط متطلبات الكذب الجيد هو الثقافة الجيدة ، هو المعلومات ، ومرة أخرى أحيلكم لقارات الطالع . يا للعار ، حتى مألظة استعصت عليكم ، على الأقل لو كنتم اطعتم قليلا على پولس لعرفتم أن الكذب الكبير علم وفن له أصول وتراث ، ولكنتم قد صنعتم من كذبتكم الهباء المسماة الإسلام شيئا أفضل كثيرا ؛ لكن ماذا نقول ، وأنتم تبدو أجلاف لا تعرفون حتى القراءة ؟ حتى فكرة الاستشهاد-نظير-حور-العين التي تتخيلون أنها فكرة جهنمية لم يسبقكم إليها أحد ، هي لا شيء مقارنة بالاستشهاد المسيحي الأكثر شراسة بكثير ( والأرقى بكثير أيضا لأنه لا يعد بمجرد أطنان من اللحم ) ، ولا أعرف قدر أفضليتك -يا سى عمر- في القراءة عن صاحبك ، وإلا أحلتك لجييون وسقوط الإمبراطورية ، لتقرأ أسفارا مطولة مرعبة في هذا الشأن .

ها ! لقد أراد ونس منى أن أثبت أن مُجدًا كان رعيديا ضعيف الشخصية ومعدوم القدرة الجنسية ، وأن بن الخطاب والخطابة كان وضع الأصل لواطيا سكييرا مدمنا لحناء الدبر ولم يقاتل دونما خداع مرة واحدة في حياته ( وأشياء من هذا القبيل ) ، لكن ها أنذا قد أثبت شيئا آخر مختلفا بالكامل : أثبت أن الإسلام برمته كان فكرة فاشلة من الأصل ! ( أو ربما بالأحرى وجدتها في غير حاجة لإثبات ) . ها ! فكرة فاشلة ؟ ! بصراحة ، لقد ظللت وقتنا طويلا أبحث فيه عن تسمية ساخرة لكم ، وها أنذا الآن قد وجدتها : الخلفاء الفاشلون ! نعم هذه هي تسميتكم الصحيحة ؛ لقد كنتم بالفعل أفضل خلف لأفضل سلف ، وطبعا أفضل سلف لأفضل خلف !

... ها ! أنا ملك العالم ! لقد قلت في الإسلام في يوم واحد ما لم يقل فيه مجتمعا في ١٤ قرنا كاملة !

كل هذا وأنا أتكلم عن الكلام ، ولا أتكلم عن القوة المادية . أنتم لم تحاربوا حربا جدية واحدة في كل تاريخكم . كلها ' غزو ' أو ' فتح ' أو ' اجتياح ' أى مدهامة لمدينين عزل بالأساس ( بالذات في وقت كان يعم فيه الدنيا السلام المسمى بال Pax Romana ، ولقرون لم تكن للشعوب حاجة فيها أو اعتياد على التسلح ) ، والمرتان اللتان تصدت لكم فيها جيوش حقيقية -في فرنسا والنمسا- هزتم . هذا عن غزواتكم المباركة -وقلت لك للتو لماذا تكون مباركة كل مرة ، أما ما فعله أمثال الجول أو الحملات الصليبية أو الإمبراطورية البريطانية أو حتى إسرائيل ، في داخل أراض يفترض أنها استتبت لكم فتلك قصص أخرى لا تقل عارا . تخيل أنكم لا تحجلون من كون الكلمة التي تستخدمونها لممارسة الجنس ، ذات وقع أشد عنفا ومغالبة من الكلمات التي تستخدمونها لحروبكم الوهمية ، بل لعل كلمة نكاح هي أقرب كلمة في كل اللغة العربية لكلمة conquest التي يستخدمها العالم لوصف معارك التاريخ العظمى ، ثم بعد ذلك أجدمكم تتعالمون على المثليين وتصفونهم بالمخشين ؟ ! لا تصدق أنك أو صحبك أو خلفك محاربون مغاوير ، فأنتم ببساطة لا تعرفون القتال ، تماما كما تجهلون كل شيء آخر في الدنيا . ربما تعرفون الاغتيالات أو ترويع الأمنين أو مذابح المدنين أو مجازر الأسرى أو بالأكثر حروب العصابات والأشباح ( التي تعرفونها من مهنة قطع الطريق ) ، لكن معركة حقيقية في ضوء النهار الواضح ، سامحنى : لم يكن لأحد شرف لقاءكم يوما ! بلى ، أنا لأول مرة أعنى ما أقول يا عمر : أنت نفسك -يا صاحب الجبروت المزعوم- أيضا غلبان ، ولست أفضل كثيرا من صاحبك المسكين الذى استغلته ، وإسلامك لم يتخط يوما وضعية الرجل الثانى ، ولم ولن يتخلص أبدا من عقدها !

أوه ! ربما لهذا السبب -وليس للقدرة الطرية- تحبون كلاوسقيتر : الحرب الشاملة . كلا ! بل هو براء منكم في كل الأحوال ، لا أحد غيركم في كل التاريخ -حربا شاملة أو حربا عسكرية فقط- فكر لوهلة في الطعن في الظهر ، أو قتل النساء والأطفال ليلا كى يتحاشى ساعة الوغى صباحا ( وطبعا لا غرابة بالمرة -والحال هكذا- إن ما غلبت فنتكم القليلة الفئة الكثيرة في كل مرة ! ) . قرأت السيرة الذاتية لمحمد فوجدته يتباهى بجهاد

المواصل في سبيل الله بمغات السرايا التي أرسلها ( أو أمرت أنت يا سيدى بإرسالها ، ليس هذا موضوعنا ) ، ثم حين ذهبت للتفاصيل ذهلت لاكتشاف أن كلها تقريبا ما هي إلا فرق للاغتيالات أو لسرقة الإبل والغنم ، كل تجريدة تتكون من أفراد لا يتجاوز عددهم أصابع اليد ، والشىء المشترك فيها جميعا أمران : كلها تتم ليلا ، وكلها يتجنب القتال أو المواجهة ، وأقصاها التسلل لقتل الحارس إن وجد من ظهره . بالأمس استلقيت على قفأى من الضحك حين شاهدت تسجيلا لداعية معاصر شرس جهم الملامح يسمى غارات السرقة الليلية تلك بـ ' الضربات الاقتصادية ' . لعله قرأ ذات مرة ' الاقتصاد اليوم ' ، إذ أشك تماما أن كلمة اقتصاد هذه قد وردت في أى كتاب ديني قديم من إياها !

الاقتصادية ؟ كيف نسيت هذه ؟ الآن فقط فهمت لماذا تتمسحون بكلاوسقيتر ، ولو على طريقة لا تقربوا الصلاة المفسوحة ؟ هو يقول إن الحرب هي السياسة بطريقة أخرى ، فتقفزون للاستنتاج أن الدنيا برمتها ألعاب سياسية و ' قوى ناعمة ' ، الأمر الذى يخدم مفهوم اخطف واجرى لديكم . نعم ، الحرب ترمى لتحقيق مكاسب سياسية ، لكنكم تتسون -أو بالأحرى تتناسون- الشق الثانى المنطقى للمبدأ : السياسة نفسها لا ترمى برمتها إلا لتحقيق مكاسب اقتصادية . طالما تعاركت الشعوب على الموارد ، لكن لأن مفهوم الموارد لديكم أيها الرعاة الرعاع يختلف عن مفهوم بقية الدنيا ، أى لأنه مفهوم وقتى جدا ، نهب وسلب ثم فرار ، لذا فالقوة الناعمة والمراوغات السياسية تكتسب أهمية عظمى لديكم .

نعم ، ليس لديكم سوى القوة الناعمة ( الدين ، الإعلام ، الكلام ، الهراء ) ، ولا تعرفون السبب وراء هذا . السبب أن القوى يلقي المنديل في وجهك ويدعوك لمبارزة چنتلمان وجها لوجه في الصباح . معظم الناس حولنا تتكالب وتتقاتل على الفتات ، وحين تستهجن هذا يقولون لك ألسنت أنت من يدعو للتنافسية والصراع ؟ يا سادة ، الصراع أو المنافسة شىء ، والجبن والندالة والدناوة والنتانة والعفانة شىء آخر . الضعفاء هم فقط من يلعبون في الملاعب الصغيرة ، وبالأحرى يلعبون بقذارة ، ومن أجل تبرير هذا اللعب القذر هم في حاجة لرخص إلهية ! لهذا نحن متدينون ؟ ونس يقول نحن متدينون لأننا ضعفاء ، وليس العكس . نعم ، الإيمان بالغيب هو أعلى درجات التخلف ، لكنه يقول لا تخلط بين النتيجة والسبب فيهما ؛ الإسلام ليس سبب تخلفنا العقلى ، تخلفنا العقلى هو سبب الإسلام !

... كلا ، قول المسيحيين إن الإسلام ديانة الشيطان لا يمكن أن يكون صحيحا ! لو أن الشيطان يمثل هذا الغباء والجهل ، فإن الكون كله أصبح الآن في مشكلة !

بالمثل : الحرب شىء ، والجبن والندالة والدناوة والنتانة والعفانة شىء آخر . سيدى ، هل سمعت عن جندى روماني قتل أسيرا أو اغتصب امرأة ؟ ! ليس السبب أنه ذو ديانة رفيعة وديانتكم منحطة ، إنما لأنه درب على أن يكون عنوانا للحضارة ؛ لأنه نبي أعظم من كل أنبياء التوحيد ؛ كلا ، بل لأن بصمة حذائه على الأرض -لا الحذاء نفسه- تساوى كل أنبياء التوحيد مجتمعين . لقد جاء حاملا مشعل الثورة التقنية وما تنطوى عليه من قيم وقوانين وأخلاق وسلوكيات كلها ربيع وغير مسبوق ... إلخ ! ... بل هل سمعت عن أن خاض أى جيش عربي أو مسلم حربا ميدانية حقيقية -ناهيك عن أن تكون محترمة- واحدة بامتداد كل التاريخ ، وانتصر فيها ، أو حتى هزم ؟ ! للدقة ، المعركة الحقيقية الوحيدة التي خاضها المسلمون طبقا لتقاليد الحروب المعروفة آنذاك ، وقت لم تكن قد عرفت بعد تقنيات أو تقنيات أو ستراتيجمات أو مناورات من أى نوع ، فقط اصطفاف الجيشين بالمواجهة في وضح النهار ، المعركة الوحيدة التي خاضوها من هذا النوع كانت ضد بعضهم البعض ، ولا غرابة أن مات منهم عدد أكبر من كل مات تحت راية الإسلام في كل تاريخ هذا الدين ، وقطعا -ولا غرابة بالمرّة- أن لإحساسهم بتفرد هذا الشديدا هذا ، أطلقوا عليها ذلك الاسم العجيب المثير للفضول : صفين !

يا لعنة ! كلما اكتشفت شيئا وجدت من سبقني إليه ، وكأنها معلومات عامة وكأني الجاهل الوحيد . ابن خلدون لم يتأمل كثيرا في تقنيات المعارك الحربية ، لكنه عن الجبن والندالة والدناوة والنتانة والعفانة قال ذات الشىء بالحرف تقريبا ، إن لم يكن أفدح وأفضح وأفضح وأفطع : ' العرب لا يتغلبون إلا على البساط ، وذلك أنهم بطبيعة التوحش الذى فيهم ، أهل انتهاب وغيث ينتهبون ما قدروا عليه من غير مغالبة ولا ركوب خطر ، ويفرون إلى منتجعهم بالقفر ، ولا يذهبون إلى الزاحفة والمحاربة إلا إذا دفعوا بذلك عن أنفسهم ، فكل معقل أو مستصعب عليهم فهم تاركوه إلى ما يسهل عنه ولا يعرضون له ، والقبائل الممتنعة عليهم بأوعار الجبال بمنجاة من عيشتهم وفسادهم لأنهم لا يتسمنون إليهم الهضاب ولا يركبون الصعاب ولا يحاولون الخطر ' ، يا للهول ! هل قرأت هذا يا أستاذى وأستاذ الجميع أرسطو ؟ إنه يقول إنهم ليسوا مجرد قطاع طرق ، بل أحط نوع إطلاقا منهم . نابوليون قاطع طريق ، لكن لم تكن به أى من هذه الصفات ! يا للهول ! بل يا للهول تكعيب !



مُجَّد؟ هذا التشنيع بمحمد وصحابته-عصابته ربما كان أهم عمل بطولى قام به بحر الجزيرة في تاريخهم ، على طريقة ما كان يفعله المصريون أيام الحكم الغاصب للأعرابي المجرم جمال عبمعصور حين كانوا يهتفون له صباحا ويطلقون عليه النكات مساء !

... أين كنا؟ لقد نسيت . . . آه ! پولس ! ذلك الشخص الذى لا يكتب الإنجيل اسمه فى عنوان كتبه ، وكأنه صاحب الدكانة والباقون ضيوف ! يا ليت جريمة التزوير توقفت عند پولس . بعد أكثر من نصف قرن آخر جاء يوحنا ليعمق الكذبة ويصعد بها لآفاق جديدة ، يفلسفها وينظر [ بتشديد الظاء ] لها بكلمات شعرية فلسفية تكاد توحى لك أن المتحدث هو هومر أو أرسطو ، فأصبحت المناهة أكثر إحكاما والكذبة أضخم من أن تتخيلها كذبة . الموضوع ببساطة أنكم لم تعرفوا أن اللعبة انتهت قبل أن تبدأ . كيف لم تفتنوا لأن المسيحيين سبقوكم للكذبة الأعظم : يسوعهم ليس نبيا آخر ، إنما هو الإله نفسه ، ولم يعد من متسع لأديان أخرى ولا مزايدات أخرى ؛ فما بالك إن كنتم تتخيلون أن مجرد سيوف تستطيع أن تغزو كل العالم ، دونما عقول خلفها تكفل الذكاء الذى يخولها التسلسل والنخر فى صمت فى العمق ، ولا أقول تكفل المقوم المادى الحقيقى للغزو : الثورة التقنية التالية ؟

حسب الأناجيل الغنوصية المنسوبة لنجع حمادى المصرية ، أناجيل عم مُجَّد السمان ، الأصح والأقدم من كل ما عداها فيما يقول المتخصصون ، والتي كتبها شهود عيان أكثر قربا مقارنة بأصحاب الأناجيل الأربعة المعتمدة مجتمعين ( ثلاثة كتبها شاهد ما شافش حاجة بالمره ، والرابع شاف لكن كتب بعد أكثر من ٦٠ سنة بعد ما بجدله الأزهايمر ، ومرقس أقدم الكتب الأربعة وبالتالي أوقعها ، كاد يلحقه ذات مصير النفى من الأرض ، لولا أن مشكلته كانت سهلة نسبيا ومحصورة فى الصفحة الأخيرة فسهل التعامل معها بالتمزيق ) ، فإن الحقيقة أن يسوع ليس بحال مؤسس المسيحية ، المسيحية المؤسسة ، المسيحية الدين ، ولو بعثوه حيا من عظامه التى عثروا عليها ، لكانت آخر دين يمكن أن يقبله ( ربما ليس بالضبط ، فبال تأكيد لن يقبل الإسلام أيضا ، وحتى لن يقبل اليهودية ، ذلك أنه سيجد فى بدع وضلالات ومستحدثات الشرق ما هو أقرب له منها ) . إنه صوفى أقرب للحلاج ورابعة العدوية المسلمين أو لبوذا وكونفوشيوس الوثنيين منه لأى أحد آخر ، وبالتحديد لباپاوات القسطنطينية أو الأسكندرية أو روما . لم يكن صاحب دين ؛ مجرد يهودى عاش يهوديا ومات يهوديا ، ومن اليهود من يحتفل اليوم بالكريسماس فى شوارع الغرب وإسرائيل ونجمة داود على صدورهم ، معتبرين أن يسوع أعظم أنبياء اليهود قاطبة . الرجل رحل دون أن ينطق لسانه ولو مرة واحدة أنه إله أو حتى أنه يدعو لدين جديد بل ونهر كل من حاول وصفه بالإله ، سواء كان المرجع إنجيلا مبكرا أو متأخرا ، معترفا به أو مرفوضا . كل ما يتبقى -بالذات بعد استبعاد كلام پولس ويوحنا- هو كلام مجازى عن الصلة بالرب .

كلمة مسيحي أو مسيحيون لم ترد بالإنجيل إلا مرة واحدة وعلى لسان الغير . لقد كانت طريقة صوفية بالمعنيين الحرفى جدا والمعاصر جدا للكلمة . حرفيا جدا كانوا يوصفون فى هذا المسمى أعمال الرسل بـ ' أتباع الطريق ' ، وتوصف حلقات الذكر التى كانوا يقيمونها بأنهم ' تملأهم بالروح القدس ' ( غالبا لم يكونوا قد سمعوا بعد بمصطلح النيرفانا ) ، ومعاصرا جدا يا ليتنى ذهبت تلك الرحلة إلى شارع پور سعيد لأعرف كيف أصف مثل هذه الحلقات . المسيحية لم تكن دينا إلى أن اخترعها پولس ويوحنا . إنها تلفية مختلقة من لا شىء تقريبا . الفكرة فى هذا الدين بسيطة لحد الجمال : كل فرد فى كل عقيدة كل قبيلة فى كل ركن داني أو قاصى من منطقة الشرق الأوسط المنكوبة بجيئانات وعقول أهلها التطيرية الخرافاتية ، يستيقظ وينام يحلم بشىء يخلصه من بؤسه ، شىء اسمه المهدي المنتظر . ما فعله پولس ورفاقه أن قدموا الإجابة التى لم تجرؤ عليها كل الأجيال منذ طرح أشعيا الفكرة العبقرية : هذا اليسوع البار هو ذلك المسيح ، المسيا الموعود ! النكتة الفاحشة هنا أن هؤلاء المخترعين الأفذاذ سرعان ما اكتشفوا أن اختراعهم الصغير لم يحل شيئا على أرض الواقع ؛ لا يزال الناس يعانون ، أو بمصطلحات ضهرى لا يزال ما هو فى الجيئانات فى الجيئانات ، فأتوا بسرعة باختراع آخر ، مهديا منتظرا جديدا ، اسمه المحيى الثانى للمسيح ! يا للهول ! أقصد : هلليلويا !

هنا لدى كلمة للعلمانيين الغربيين الذين يستعظمون الأمر ويبدلون أضخم الجهد لإثبات أن الغنوصية هى الأصل والمسيحية هى الهرطقة . أقول : نعم أنتم على حق ، ونعم علم التاريخ هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة ، لكن ما العويص أو الكارثى فى أن يقول پولس أو يوحنا على لسان يسوع إنه الإله ، بل ما المشكلة لو كان يسوع قد قال هذا عن نفسه فعلا ؟ إنما ليست بدعة كبرى كما قد تبدو للوهلة الأولى . الأمر أبسط من ذلك بكثير ، وقال بمثله الكثيرون من قبل ومن بعد ، من بوذا مروراً بالحلاج وليس انتهاء بشيرلى ماكلين . كلهم تحطوا الحد الفاصل بين أن نكون كلنا أبناء الرب ، وبين أن نكون جزءا من ذات الرب ، أو -عند لحظة معينة من النمو الروحى- نكون الرب نفسه . طبعا لا غرابة

أن اعتبرت الكنيسة أن الغنوصية هرطقة ، لكن لا غرابة أيضا أن الغرب الغبي كعادته المزمنة في شراء بضائع الشرق المتخلف الفاسدة ، قد قبل المسيحية دون أن يعلم أن يسوعا هذا لا شيء يذكر ، أو بالأكثر بلا تميز كبير ، بل هو مجرد صوفي آخر قال عن نفسه أو قيل عنه ، إنه الإله !

المذهل أبعد من هذا ، أنه رغم كل بطش وتكفير المسيحية المؤسسة ( الديانة ) لا تزال كل نسخ اليسوعية الأولى حية حتى اليوم : الغنوصية أى اليسوعية-المجدلية الجميلة النقية الأصلية جدا مطلقة الروحانية ، اندمجت مع البوذية أو أثرت فيها تأثيرا كبيرا . الأريوسية ذات يسوع الإله المخلوق تطورت لشهود يهوه . النسطورية لا تزال موجودة فيما يسمى مسيحية الشرق أى العراق وفارس ، وكذا كانت العمود الفقارى لإسلام مُجَد -الإسلام المكى . وللحقيقة هو بدوره لم يندثر كما يقول ونس إنما لا يزال رغم كل شيء يمثل القطاع الشيعى للإسلام ، الذى عمليا هجر مفهوم الجهاد ( = الحراة الشرعية ) لقرون طويلة قبل أن يعيده الخومينى للصدارة ، ويزيد ضهرى قائلًا إنها لا تزال دين كل مسلم لم يتبحر فى الإسلام ، كذلك كانت القوة البشرية الضاربة فى نُهضة عصر المأمون ، بل فى الواقع هى تطورت فى اتجاهات مدهشة فى كل مكان ذهبت إليه ، ويمكن على نحو ما اعتبارها تناسخت غربا لتلد المورمونية ، وهكذا . أما أرقاها جميعا ، الغنوصية الفلسفية شبه الأفلاطونية التى تعهدت بالحفاظ على حكمة مصر القديمة واليونان والإبحار بما سرا عبر عصور الظلام حفظا لها من الحرق والذبح ، هى التى باتت تعرف باسم الماسونية . المفارقة المحزنة أن كل هذه ' الطرق ' على تباينها هى الأقدم الأصدق والأصح ، وهى التى راحت توصم تباعا بالهرطقات ، بينما المسيحية التى لم تتوصل لكتابة قانون إيمان لها إلا بعد ٣٠٠-٤٠٠ سنة ، هى الوحيدة التى يمكن لغويا وقانونيا وبداهة تسميتها بالهرطقة .

ترى هل أخطأت أيضا حين توقفت قديما عند صفحة ٥٠ ؟ هل سبب جهلى المدقع أنى قرأت وتعلمت كل شيء وتعاليت عن تعلم الخرافة ، بحجة أنها : خرافة ؟ ! ... أرجوكم الرحمة ، أنا الآن أمام محنة فلسفية عويصة الإيلام . علماء الذكاء الآلى يقولون إن الآلة تتصف بالذكاء كلما كانت لديها معلومات أكثر . لكن هل هذا كلام مادمى ؟ أينشأ التطور من صراع المصالح أم من المعرفة أكثر ؟ يقولون المعرفة قدرة ، وأنا أطالب بحكم الآلات الذكية ، وأرسطو نفسه طالب بحكم العارفين ، أين المادية فى كل هذا ؟ هل يكمن خلاصنا فى بعض مكعبات فى الهواء اسمها المعلومات ، ليست حتى المعلومات المادية العلمية فقط ، بل المعلومات عن الخرافات ؟ ... أوه ! يبدو أن الخمر بدأ يتلاعب بإيمانى . ما هذا الهراء الذى أقول ، بينما يفترض فى أنى الناطق الرسمى بلسان أمناء الطبيعة ؟ !

المسيحية إذن هى ذلك الدين الذى صكه واخترعه بعض تلاميذ يسوع ، زائد أحد اللاحقين الدخلاء ، ذلك المجاهد التكفيرى المهوس پولس ، كلها كردة فاحشة على اليسوعية التى لم تكن ديننا يوما إنما مجرد حركة مغدورة عابرة لروحنة اليهودية قام بها ذلك المدعو يسوع مع البعض الآخر الأكثر فهما وإخلاصا من أتباعه ، بالذات أصحاب الأناجيل الغنوصية . الأرثوذكسية -ولحد مقارب كثيرا الكاثوليكية- هى مسيحية أولئك الرسل الأوائل فى الشرق الأوسط ، وأولئك الرسل كانوا حاسمين فى سيرتهم الأولى الواردة فى العهد الجديد على أن الخلاص نعمة إلهية ولا يكتسب بالختان ولا بأى شيء آخر من سلوكيات للشخص أو عباداته أو اتباعه للناموس . بابا روما كان زانيا وجعل ابنه من الزنا ملكا لإيطاليا ( أعظمهم فى الحقيقة ) ، وحين سأله -أى الأب- كان رده هادئا متواضعا بسيطا صادقا : ' إن الخلاص عطية من الرب ! ' . هل تعلمى أن أعظم ما أتمناه الآن يا جدتى أن يعود ذلك الشيخ حجاب مرة واحدة لرمسيس لأن لدى عبارة واحدة أريد أن أقولها له : إذا كنت لم أقتنع بالمسيحية التى كانت يوما ديانة العالم المتقدم ، فهل تعتقد أنى سأقتنع بالإسلام ديانة المتخلفين ؟ !

لكن مهلا ! كيف أحمل كل هذه القسوة على من علموا لى أمى ؟ كالا ! أنا لست متحاملا حقا على الكاثوليكية ، ولا أريد أن أكون كذلك . أنا أحترمها كثيرا . يكفيها ما قدمته للفن من رسوم وتمائيل وموسيقى . بل إبنى حتى لا أقيم وزنا لمثالبها الشهيرة ، كصكوك الغفران ومحاكم التفتيش . أليست الزكاة صكوك غفران ؟ أليست سياحة الحج الباهظة التى تمتلئ منها خزائن آل البيت وآل سعود صكوك غفران ؟ الفارق الوحيد أن صكوك الغفران الكاثوليكية كانت محصورة فى مذهب معين ولفترة معينة ولا سند دينى لها ومستهجنة من عموم المؤمنين وانتهت بثورة عارمة على الكنيسة ، أما الزكاة والحج فهى فروض إلهية رسمية صريحة مؤبدة ولا يجادل فيها أحد . ثم ما الفارق بين محاكم التفتيش وبين قوانين الطوارئ الحالية فى أى بلد ؟ هى بالمثل أعلنت مرة واحدة وفى بلد واحد وتحت ظرف محدد ، هو إسبانيا بعيد تحريرها من الإسلام . المشكلة ليست فى كل هذا ، المشكلة فى الجوهر الجيبينى للعقيدة ، على وظيفيتها التكميلية أنثروبولوجيا ، على أى شيء تحض الناس بالضبط فى مسلمات سلوكهم اليومى ، وعلى رأسها جميعا موقفها من الكدح ، الكدح اليومى ، الكدح كأسلوب حياة ؛ هل تشجع عليه أم تبرر الكسل والبلطجة ونهب كدح الغير ؟

بالضبط ! من تعلمت أمى على أيديهم وأيديهن لا يمكن بحال أن يكونوا أناسا سيئين . الكاثوليكية هذه عينها -وإن في مرحلة متأخرة- عرفت حركات ترفع في خجل وبلا ثورة راية الخلاص بالأفعال ، وأبرزها تمرد فرانسيس الأسيسى ومن خلفه حركة الفرنسيسكان شبه المارقة . ربما لا أعلم بالضبط نوعية المعتقدات داخل عقول راهبات مدرسة أمى والمستوصف المجاور لها . أشياء متصلة عجبية بلا شك ، لكن ما يهمنى أو يهم أى أحد أن لا هم لمن إلا خدمة الناس بلا مقابل ، وبلا السؤال أصلا عن معتقدتهم . هؤلاء يحتلفون جذريا عن أسلافهم إيريناوس وأثناسيوس وأوجستين ، الذين لم يكن من هم لهم سوى رسم الخط الفاصل بين الكفر والإيمان ، ومن ثم تدشين أجنحة لحروب دينية تستمر ألف سنة ، أو آلاف . يكفى ما فعلوه هؤلاء المتعطشون للدماء بعقل الأسكندرية الجميل ، فيلسوفتها الرائعة التى سحلها الرهبان فى الشوارع ؛ هيباتيا ، الأولى فى طابور بالملايين من ضحايا الإيمان المسيحى ، الأرثوذكسى فالكاثوليكي ، القويم فالجامع ، الصراط المستقيم فالصراط الدائرى ، حسبما تعنى الكلمات .

الخلاص لا بالإيمان ، ولا حتى برضا الرب ، الخلاص بالأفعال ! وبالأفعال فقط ! فكرة ليست سيئة بالمرة ! كان سيئرب لها أرسطو ! السؤال هنا : لماذا كانت البروتستانتية البوابة الأخيرة المؤدية لنور الخلاص الحقيقى ، لنور تبديد الخرافة تبديدا أبديا ؟ لماذا تحولت على يدها حركة الإصلاح الداخلى الفرنسيسكانية لثورة لا تبقى ولا تذر ، لا من الكاثوليكية فقط بل من الدين كله ، أفضت لتقويض كل الأديان ، مفسحة الطريق لعلمانية العقل ؟ العهد الجديد يقول مرارا إن الخلاص عطية من الرب ، بل ليس لك حتى الخيار فى قبوله أو عدم قبوله . لماذا قدر للبروتستانتية أن تصبح هرطقة بمثل هذا العيار الثقيل الصريح ، ومن ثم استحقت واعتزت باسمها الثورى المتمرد هذا ؟ الإجابة لا يوجد سواها : إنها الجينيات الأنجلو-ساكسونية !

مرة ثالثة لنكن أكثر دقة ، بالذات من أجل ذلك الوغد الذى أعاظنى ذات مرة بتهمة تدين المحافظين الجدد : لاحظ مفهوم هؤلاء الرأسماليين الأمريكين البروتستانت للدين ، بل لاحظ دقائق جذور الإيمان الماسونى لدى أولئك الذين أسسوا أميركا ، وستكتشف ببساطة أنه لا شىء سوى النقيض ١٨٠ درجة بالضبط لمفهوم الحكم بالحق الإلهى ( لدى الكاثوليك أو المسلمين أو ربما لدى كل أحد ) . بالطبع بعضهم كان علمانيا خالصا ، لكن البعض منهم المؤمن كان مؤمنا لأنه يرى ' الخالق ' -حسب نص إعلان الاستقلال- شيئا جيدا لخدمة المبادئ التى بنيت عليها أميركا ، إنه بكلمة واحدة : النقيض للحكومة ؛ كل السلطات يستقيها الفرد بنفسه مباشرة من هذا الخالق مصدر كل السلطات ، ثم يوكل بعضها وبياراته الشخصية المحضة للحكومة . بعبارة أخرى : المشروع الحر هو الإله والحكومة هى الأجير ، بدلا من قتل الإله ، قرر إعلان الاستقلال الأمريكى تحويله لسلاح ضد الكنيسة والدولة وكل سلطة تنتقص من سلطة الفرد المطلقة !

مرة رابعة لنكن أكثر دقة ، البروتستانتية لا تكاد تحصى من الأصل من أديان التوحيد تلك . إنها لم تخترع فى المنطقة أصلا . إنها منتج تيوتونى من أصقاع الشمال الصقيعية النائية ، بالضبط حيثما عاش الأشكيناز ونبتت صهيونيتهم الوليدة ، ففقت العرق اليهودى من ثنائى أحطامة أخريت للناس لأحد أعظم الأمم وأعزها قيادة لكل حضارة وأعراق العالم . حتى الكالفينية التى اخترعها أحدهم وتقول الخلاص بالإيمان ، اعتبرها الساكسون ثورة على الكاثوليكية لكن فى الاتجاه الخطأ ، ولم يتبنوها . الإله الجيرمانى ليس إلهيا بطاشا ولا قهارا . هو صنو للإنسان ، أخ له ، أكثر منه أى شىء آخر . بلغة التقنيات الحديثة هو تقنية صديقة للمستخدم user-friendly ! هو يعتقد أنه فيه هو نفسه حرية الإنسان قائلا ' الحق يجرركم ' ، ورغم أنى أشك بشدة أن ثم إله لا يمثل عبئا وقيدا ، إلا أنه على الأقل لم يجرم ويشطبها من القاموس كما إله الإسلام . على أية حال ، تقانيا هو -حسب إدعائه- رب لا إله ، فقط صانع وليس أمرا ناهيا معبودا ( كلمة إله لم تدخل الإنجليزية أصلا ! ) . لا غرو أن الغالبية الكاسحة من منجزات العلم والتقنية وحتى الفكر فى القرون الخمسة الأخيرة ، جاءت على أيدي يهود وبروتستانت ، حيث من البديهيات المتوقعة أن يأتى كل ذلك على أيدي قادة العلمنة تحديدا . ولا غرو أن كانت البروتستانتية ابنة بلاد الثلج والضباب المتجمد ، هى المرحلة الوسيطة بين الدين والعلمانية .

الخلاص بالأفعال ؟ ! أليس غريبا أن إديسون بالذات ، الذى سجل باسمه نحو ١٧٠٠ براءة اختراع ، منهم ١٠٩٣ داخل أميركا وحدها ، بعضها دخل الحياة اليومية لكل إنسان ، كالكهرباء وتسجيل الصوت والصور المتحركة وهلم جرا ، هو الذى قال إن العبقرية نتج لا إلهام ؟ ! ربما لا ! ربما لا غرابة بالمرة . الشعوب التى اخترعت البروتستانتية شعوب تؤمن بالشغل الشاق أكثر من التعويل على ومضات الإلهام والإبداع . جهادها الوحيد ليس مع الغير ، أيا من كان . جهادها ليس جهادا مع النفس ، جعلها تشقى أكثر ، تشتغل ٢٠ ساعة يوميا ، تقدم للحياة

أكثر ، وتترك لمن بعدك تراثا من الصروح . لا غرابة أن روكيفيلر كان من اعتبر تكوين الثروة أعظم العبادات جميعا . نعم ، إن بناء الثروة رهبة في حد ذاته ، بل هو أعظم الرهينات جميعا . احترم النقود تحترمك الآلهة . إنه نموذج توماس ألفا إديسون المستعد لإجراء آلاف التجارب لآلاف الليالي ، قبل الوصول للمصباح الكهربى الصحيح . هؤلاء من يغيرون حياتنا حقا ، ويصنعون مسيرة التاريخ بمعنى الكلمة . لا غرابة أيضا أن هذه الشعوب تحديدا هى التى عانقت فكرة التنافس الطبيعية الشرسة على نحو رحب رغم لا إنسانيتها ، إلى آخر تلك الخصائص التى يجب أن تتناغم فيها الحضارات مع قوانين أمننا الطبيعية ، ومع الصياغات العظيمة الأولى لها ولنظرية الشعوب من المعلم أرسطو !

لماذا القرصنة فى الكاريبي تحديدا ؟ الأنجلو-ساكسون لم يكونوا يحملون شيئا من أميركا يستحق القرصنة . بل لم يكونوا يحملون شيئا أصلا . لم يكونوا يعودون بالمرّة . كانوا يأخذون لها ، لا يأخذون منها . كانوا يأخذون لها مخططات للآلات والقاطرات والمصانع . أو هل كانوا فى حاجة لأكثر من هذا ؟ ويا لغباء جبيناتكم أيها الهنود الحمر ، أن لم تفهم طبيعة قوافل ملائكة الرحمة التى هبطت عليكم ، فرحتم تقتلونّها وتتحدونها وتسليخون فراء رءوسها ( أو لنستثنى بوكاهونتاس من هذا الغباء الدموى ، فرمما هى والطيون أمثالها أصيبوا بتطفر جيبني ما فى قلوبهم أو عقولهم ، أو ربما الهنود ككل طيبون لكن اختطفهم محرض اسمه عبمعصور ، فأدخلهم حروبا لا نهاية لها انتهت بالإبادة ) . النكتة تسأل ما الشيء المشترك بين هاريسون فورد ويسوع المسيح ؟ وتجبب أن كليهما كان نجارا قبل أن يصبح شهيرا ! حقا ، النجارة كانت الحرفة الأولى فى أميركا الناشئة . هى حرفة البنائين . كل المساكن خشبية . بل حرفة كل أحد . بما فى ذلك النساء والأطفال . وأحد أجمل أفلام فورد الذى كان يبني فيه بيوتا خشبية فى قرية الأميث . ما أقوى الرموز فى حياتنا ! بالذات تلك التى لا تحاصم مادية أرسطو !

شعوب كثيرة تسخر من الإنجليز وتقول عنهم أغبياء . بالضبط ! لو لم يكونوا أغبياء لما أتوا بالثورة الصناعية . التقييس والتنميط والشغل التكرارى ، يعتبره الفهلوية من أمثالنا نحن المصريين غباء . وليكن ! تماما كما سنظل نقول على الحواسيب الذكية غبية لأنها تشتغل بالقوة الغاشمة brute force ، وليس بالفهلوة مثلنا ، وليكن ! لو أن أى من هؤلاء ' الأذكىاء ' لديه هذه القوى الغاشمة التى للحواسيب ( وهى فرضية غير دقيقة جدا بالمناسبة ) ، لما تردد فى استخدامها ، لأنها ببساطة أعظم وأدق وأقدر بليون بليون مرة من العقل البشرى البائس العشوائى النساء التائه . أنا عامة لطالما تقززت أصلا من أية مقارنة بين الحواسيب والبشر . الحواسيب الذكية تطاول الآلهة وليس أى شىء أقل : تعرف كل شىء وتقدر على كل شىء . لكنى بالطبع لطلما احترمت كل بشر متواضعين يحاولون التشبه بالحواسيب قدر استطاعتهم ، أو يوجد فى جبيناتهم بعض ملامح الشبه هذه !

المسيحية فى نسختها التى دعت للكذب وأسمته الشغل البروتستانى لم تزدهر هنا أبدا ؛ هذا طبيعى جدا ! إنهم حتى لا يودون تسميتها الخلاص بالأفعال ، لكن هذا ما يؤمنون به ويعلمون منه كقيمة عظمى للحياة ، وطبعاً يمارسونه عملا . إنهم لا يطننون كثيرا حول الأمر ، وكأنك لا يصح أن تباهى بما فىك ، أو ربما كى لا تبدو عقيدتهم كمغادرة جذرية للمسيحية وخلاصها ومبادئها الأخرى ؛ أوه ! ، أو ربما حتى لا يقارنوا بالإسلام ! تصور ! ربما فكروا هكذا فعلا ! طبعا يا له من شتان ما بين الشغل البروتستانى وبين فروض الإسلام ؛ كلاهما يعطيك المغفرة ، لكن الأول كدح صامت مضنى متواصل طول العمر ، والثانى شوية كلام وركعات وضرايب معروفة ديتهم ويأخذهم ربنا ع الجزمة ( وحتى من يعطها بإخلاص لا يأمن مكر ربه ، والمهم كما قيل فى ألف حديث ' العبرة بالخواتيم ' ، يعنى م البداية هى لعبة قمار مع ربنا ! ) ، ويحطهم زى ما هو عاوز فى الحصالتين إالى حاططهم على أكتافنا . المدهش أن هذا البحث الذى أجره ليس مقرفا جدا كما سبق وتوقعت ؛ الأمر لا يخلو من بضعة أشياء طريفة هنا وهناك ، بل يبدو أنى قد بدأت استمتع به . حتى تلك الأفلام الدينية السخيفة بما أحيانا بعض اللحظات المسلية . أحلى جزء هو ما يخص تلك الحصالات غير المرئية ، فى فيلم يحكى قصة واقعية لفتاة مسلمة مصرية راحت تجادل الشيوخ قبل أن تتحول فى خاتمة المطاف للمسيحية . سأرسل نسخة منه بالبريد الإلكتروني لهالة لعلها تجد فيه ما تعلق عليه على موقعها . كلا ، هالة ستسخر منى ، أفلام هؤلاء المسيحيين لا تقل براءة عن أفلام تنظيم القاعدة ، سأرسل القصة التى ترويه بالصوت فقط هذه الفتاة الموهوبة ، الفنانة بالفطرة ذات الصوت المرح واللسان اللاذع ، فهى أكثر إثارة وإمتاعا ألف مرة ! سألتهم هذه المهراتيل ( هذا هو اسمها المستعار أو اسمها الجديد ، لا أعلم ، فقط أجزم أنها أستاذة بجد وموسوعة إسلام لا تقل عن شيخه الأشيخ ابن تيمية ) : ' لو سرقت ١٠٠ جنيه أبقي ارتكبت كم سيئة ؟ ' ، قالوا : ' واحدة ! ' ، قالت : ' ولو فككت جنيها لعشر قطع معدنية ووزعته على عشرة فقراء أكون قد حصلت على كم حسنة ؟ ' ، قالوا ' مائة ، فإن الحسنة بعشرة أمثالها ! ' ، قالت : ' إذن صافى الربح ٩٩ جنيها و٩٩ حسنة ؟ ! ' ، فلم يردوا . قالت : ' ليس هذا هو المهم ، ما كان يهمنى هو أن أثبت أن مكرى أعظم من مكر خير الماكرين ! ' ( رأى الشخصى أن مهراتيل هذه أو شيوخها ليسوا بالدكاء الكافى ، وأقترح عليهم

أن يوفروا الجنيه ويروحوا يتعلموا فيديوجيم من بتوع معارك ضرب النار ، وينشئوا بالدعاء على الساعة الطيبة بتاع يوم الجمعة أو على ليلة القدر ، فتغفر لهم كل ذنوبهم مرة واحدة -موش ٩٩ ذنب بس- ومن غير ما يدفوعوا حاجة ، وأيضا يكونون أمكر من خير الماكرين وأمكر من وكلاء الحج بتوعه ، وكمان لما ييقوا أسرع مهارة من نيازك مغفرته قاصفة الجن خفية الوميض ، يكونوا اتعلموا حاجة تنفعهم في حياتهم اليومية . أوه ! أظن بكده أكون اكتشفت معنى جديد لكلمة shooting star لا يعرفه أى غربى ! بمناسبة الفضاء وأول مكوك فضائى فى التاريخ : ماذا كان يتنفس البراق ، وماذا كانت تدفع أجنحته ، أم هل كان لديه محرك نفاث فى مؤخرته أو فى مؤخرة رآكبه ؟ ) . يا للغو ! هذه الألاعيب والتفاهات تستغرفنى ، وعلى العودى لبحتى الأصلي . أوه ! كدت أنسى ! على إذن أن أدون السؤالين اللذين أردت سؤال سماء فيهما غدا : ١- فكسوننا العظام لحما ( أملا أن تهدينى واحدا من تلك الهياكل العظمية الدقيقة الرائعة التى تجهضها أحيانا . ربما تفاجئنى بأنها تعرف أن سفر أيوب روى القصة على نحو أكثر علمية ، لكنى أعرف ما سأقوله ساعتها . قد تقول لى إن التشريح فى الكرهان يختلف قليلا عن التشريح فى كليات الطب ، فمثلا بعد البلعوم مباشرة ( بين الصلب والترائب ) ، تنقسم القناة الهضمية لفرعين كما دمياط ورشيد ، أحدهما يخرج البراز والآخر يخرج السائل المنوى . أو ربما تراوغنى بالكلام عن بيولوجيا تحديد الصفة الجينية التى تتسابق فيها سوائل الرجل وسوائل المرأة على الوصول للرحم ، ومن يصل أولا يصنع الجنين على ذات شكله ( وفى قول آخر على ذات نوعه أيضا ) . مفهوم بويضة المرأة لم يكن واردا عندهم ، فقط ماء امرأة وماء رجل يختلطان كما اختلاط المنفحة باللبن فيتخثران ويصنعان من السائلين جنينا صلبا . فى كل الأحوال المؤكد أنها لا تعرف الإعجاز العلمى فى تكوين الجنين . الفارق ليس أن هذا وحى من السماء وذلك من الشيطان كما يقول المسيحيون ، إنما فقط ببساطة أن ثمة أناسا خطر ببالهم أن يقلبوا جنينا مجهضا بين أيديهم من باب الفضول ، وآخرون لا يهتمون أصلا بذلك الهراء المسمى المعرفة ! ) ، ٢- شق الصدر : منذ أى عصر بات القلب المفتوح متاحا ضمن جراحات اليوم الواحد ، وهل أيضا سبقنا عرب الجزيرة لغسيل قلب ونحن لا نزال متوقفين بعد عند غسيل الكلى ، ولماذا لا نستخدم ماء زمزم لغسيل الكلى بدلا من الطرق المكلفة الحالية ، وهل كون مياه الحجارى ضربت فى زمزم يقلل من قدراتها الحارقة هذه ؟ ( فقط أمل ألا تسخر منى أنى لا أعرف شيئا عن مدى محنة صبى ذى بشرة بيضاء فى جزيرة البعر ، وأن كل الأمر لا يعدو اعتداء جنسيا تعرض له حمادة الصغير العائد من الهضبة بملايس ممزقة تكشف عن بشرة لا تلوحها أبدا شمس الصحراء ) .

هذا الويسكى جيد حقا ؛ الأمور باتت واضحة تماما : المسألة جينية أكثر مما تخيلت دائما أبدا ! كندا أو البرازيل أو الجزء المتبقى من أميركا الوسطى والجنوبية لا يقل أى من ثلاثتها مساحة ولا موارد عن الولايات المتحدة ، لكنها لم تصبح أغنى ولا أقوى دولة فى العالم . السبب غاية فى البساطة هو أن الإنجليز اختاروا للاستيطان بقعة أخرى من العالم الجديد ! كل الثروات والعوامل الطبيعية وحتى مساحة الأرض شبه متساوية بين النطاقات الأربعة ، ما اختلف فقط هو نوع الجين الذى استوطن كل نطاق . لو لم يكن البروتستانت الإنجليز هم الذين استعمروا أميركا إنما استعمرها الكاثوليك ، فرنسيون أو برتغاليون أو إسبان ، لما أصبحت الولايات المتحدة التى نعرفها ، صانعة حضارة ما بعد-الصناعة ، إنما لكانت نسخة أخرى من الكيبك أو البرازيل أو المكسيك ( بالترتيب ) . كانت ستكون شيئا مختلفا ، شيئا متخلفا . العرق الأنجلو-ساكسون ذهب هناك ليكد ويكدح ويعرق ، ليزرع ويحصد ويبنى .

حتى تدين أميركا الذى طالما وجدت فيه لغزا ما ، بات محلولا الآن . حين أنظر لحركات السلام فأجدهم العلمانيون ، بينما الوطنيون محبو الحروب ممن يسارعون للتطوع فى الجيش هم المتدينون ، أدهش : أين المسيحية هنا ؟ حين أنظر لحجم الثورة التقنية والإبداع الفكرى وقيم التحرر التى قادت بها أميركا العالم ، أتعجب : أين موقع خرافات الدين هنا ؟ الإجابة باتت واضحة : إن التدين ليس بأكثر من الأداة التى وجدها الفرد الأنجلي فى أميركا ليمارس بها سيطرته على نفسه . هذه السيطرة على الذات هى مكون أساس فى شخصيته لا يستطيع الاستغناء عنه ، والمسيحية هى ببساطة وسيلة ضبط النفس التى وجدها متاحة أمامه فتعود على استخدامها ، دون أن يفكر كثيرا فى الواقع فى محتواها . فى صحتك يا جدتى ! أشكرك أن أنجبتى لى أمى العظيمة !

ما أجهل كلمة استعمار ؟ ليتنى أعرف من صكها ! بالإنجليزية تعنى استيطان ، ولا توجد عندهم كلمة أخرى مناظرة لاستعمار . سأقرأ الجبرتى ، ربما يكون هو مخترعها . كان شجاعا فى نقد التخلف ومعانقة التقدم . كلا ، لو كان هو لاشتهر الأمر . الأرجح أن أحدا مجهولا لاحقا عليه هو مخترعها . لماذا ليس لدينا قاموس يقول لنا أول مرة استخدمت فيها الكلمة ؟ الكلام هو حرفة العرب ، ويقال إنهم مخترعو المعاجم ، بالذات المسهب جدا منها الذى يدون كل شاردة واردة ، لكن من فرط تخلفنا لم أعد أكاد أصدق ذلك الزعم ( طبعا من زمن أزحت من دماغى للأبد يا جدتى ، تلك الأسطورة القائلة إن العرب أهل البلاغة والفصاحة ، فباستثناء بعض ما قال امرئ القيس زائد أشياء نادرة جدا

لآخرين ، كله شعر ساذج كتبه إناس سذج كى يخاطبوا به أناس أسذج ، ولا أريد أن ألوث أسماء كأوفيد أو جوته أو إيلليوت بذكرها فى سياق كهذا ) .

عندنا يسبون إسرائيل بأنها استعمار استيطاني ؛ السبب المدهش الذى اكتشفته الآن أنهم إذا كانوا يكرهون كلمة استعمار قيراطا ، فإنهم يكرهون كلمة استيطان أربعاً وعشرين ، لأنهم ببساطة : ضد مبدأ الاستيطان . لأنهم ببساطة كما قال زهيرى يوماً : لسنا بشرا ، نحن بدو ! لا غرابة إذن ! الإنجليزية لم تكن فى حاجة لكلمتين ، الاستعمار عندهم هو استيطان بالضرورة . هم لا يعرفون أصلاً بداوة اخطف واجرى . أن تحتل سوريا لبنان شىء ، وأن ' تستعمره ' إسرائيل شىء آخر . هذا استعمار ، وذلك استعمار ، أو فى قول آخر استخراب ، أو فى قول ثالث ( لو نظرنا لما فعله عبمعصورة وصادم والقذافى وأمثالهم على امتداد الخريطة ) : استثمار ( والبعض ينطقها فى رواية رابعة استثمار ) . استثمار على الاستثمار ، استثمار على الاستثمار ، استثمار على كل شىء وكل أحد ، حتى حين تفرغون من الجميع تستأمرون على بعضكم البعض . أول خطوة فعلها عبمعصور إطلاقاً ( قبل أن يأتى بأسلحة من أحد ، وحتى قبل أن يعرف المصريون اسمه أو رسمه ) ، هى أن أرسل للعربان أبناء عمومته چانچاويد السودان يعرفهم بنفسه ومخطته لإحياء المؤامرة العربية الكبرى للاستيلاء على العالم من جديد .

إسرائيل وردة أنبتت فى مقلب زبالة ! عبارة قتلها يوماً لصديقة لى ناقدة سينمائية لإحدى الصحف الحكومية الثلاث الكبرى فقاطعتنى لمدة عشرة أعوام ، ولم تغفر لى إلا لعلمها بصدقى مع نفسى وليس لأنها اقتنعت . لم تحاول أن تفهم أن هذه أمور لم أعرفها من الكتب . لقد عشتها كما يعيش زهيرى الأشياء فى القناطر . كثيرون من جمال عبمعصورة حتى ربيبه الصغير ( أو عقله الصغير ) هلوكة ( أو لعلمها العكس ) ، هاجوا الاستعمار الاستيطاني . ما هى أسانيدهم ؟ هذا كيان مزروع ولن ينجح أبداً ؟ ألم تكن الجيمستاون كياناً مزروعاً ، لكنها صنعت أعظم إمبراطورية فى التاريخ ؟ ما هى أدواتهم ؟ اللعب على الحبال بين المعسكرات ، أو ما يسمونه القوة الناعمة ( ترجمتها الصحيحة القدرة الطرية . أين أنت يا نبيل ، كى ترى محنتى غير المسبوقة ؟ ! ) . ألم يسألوا أنفسهم ذات مرة لماذا لم ينفعمهم اللعب على الحبال ، لماذا كلما قتلهم اليهود كلما زاد دعم الغرب لهؤلاء ؟ الإجابة التى لا يمكن أن يفهموها أن أميركا نفسها أقيمت على مفهوم التخم ، ال frontier ، الجبهة الطبيعية التى يغرسها المتحضرون بعد أن يطهروها من السكان الأصليين . لماذا يطهرونها ؟ هل عرقية أو كرها أو ولعا بالدماء ؟ إطلاقاً ، إنما ببساطة لأن هؤلاء يرفضون الحدائة ويبدأون بالقتل . لو استسلمت مستوطنة الجيمستاون ومثيلاًتها لأولئك الذين يزبون رءوسهم بريش الطيور -چيرونيمو وأمثاله- لما كانت هناك ثورة ما بعد-الصناعة التى نعيشها فى كل لحظة الآن . لو استسلمت مستوطنة تل أبيب ومثيلاًتها لأولئك الذين يزبون رءوسهم بالبلايص -الحسينى وأمثاله- لما كان هذا الحاسوب الذى أمامى قد عرف حتى اليوم شيئاً اسمه الويندوز العربية . دع جانباً ما نأكل ونشرب ، ومعظمه -إن لم يكن كله- منتجات نباتية وحيوانية منمأة چينينا فى إسرائيل ؛ فقط تخيل حجم المجاعات التى جنبنا إياها عدونا الاستراتيجى والتاريخى ( طبعا كى يستمتع بالفرجة علينا تعذبنا الحياة ! ) . يا ليتكم تكونون موضوعيين مرة واحدة فى حياتكم وتفهمون لماذا يزدريكم الغرب ؛ تكونون مبدئين مرة وتفهمون لماذا لا يجدى اللعب على الحبال !

يقولون الثقافة . أليست هولليوود أكبر قدرة soft فى التاريخ ؟ مع ذلك كانت لتغزونا لولا أنها جزء من حضارة كاملة متكاملة ؟ يسخرون من الثروة ويهونون من شأنها ، ولهلوكه مصطلح واحد وحيد حين يأتى على ذكر انتصارات أميركا . يقول إنها استخدمت ' شوية فلوس ' ، وكأن الفلوس هذه شىء يمكن أن يجده المرء على الناصية ، وليس خلفها تاريخ كامل من الجهد و' النتج ' والعلم والابتكار ، و-حسناً : تاريخ من الجينيات ! مع احترامى الشديد للنساء ، ذلك كله كيد نسا لا أكثر . تعلمته عصابة الممانعة والتمنع ، أقصد جبهة الممانعة والتمنع ، أقصد جبهة الملاوعة والتلوع ، جبهة لى الرقبة ولى الضب ( أو جايز أحياناً لى الشفة موش أكثر ) ، تعلمته من القزم اللزج المدعو ديجول وينسبونو زورا لكلاوسفيتز ، آخر من يربط اسمه بالقدرة الطرية . بل بالحرى يربط تحديداً فقط بالقوة الشاملة ، الدمار الكئلى ، تدمير كل شىء للعدو ، من الجيوش حتى الكنائس ؛ لم يقل الكنائس فقط ! باختصار ، ما لن يفهمه هؤلاء أبداً هو أرسطو ، المادة . يفهمون كل شىء إلا المادية . حتى الإنسان نفسه لا ينجب عندهم لهدف مادمى ، وفى حدود معلوماتى عن القبلة النكاحية ، أن الجدوى الاقتصادية الوحيدة للمواليد عندنا هى المباهاة بهم يوم القيامة . كل شىء إلا المادية ؟ لا غرو إذن إن رأوا الطفيلى اللص رأساً برأس مع صاحب الثورة التقنية . عفوا ، أقصد رأساً برأس عن يد وهم صاغرون !

لكن ماذا عن مسيحية الإنجليز ؟ أوه ! لأكن أكثر دقة مرة أخرى . مسيحية الإنجليز شئ رابع ، لا هى أرثوذكسية الشرق ولا كاثوليكية روما ولا حتى پروتستانية الجرمان . إنها نبت مستقل الجذور بالكامل . إنها ترجع فى أصولها الأولى لفلاسفة الإغريق لا لبيتير السماك قديس روما ولا لغيره . هكذا تروى اليوم قصة الملك آرثر وفرسان المائدة المستديرة ، فرسان الحرية ، ولا شئ إلا الحرية . حماة القرى والأفراد من البطش ، أى بطش ، أى ما كان أو من كان مصدره . الخلاص بالحرية !

الخلاص بالحرية ؟ ! أجننت ؟ هل فقدت الإحساس باللغة ؟ بدأت أقول كلاما عبيطا ولا أنتبه لكلماتي ؟ أى خلاص بالحرية ؟ الخلاص هو الحرية ، والحرية هى الخلاص ! ! هذا كما تعريف الماء بالماء ! على أية حال ، فعلا ! لا سبيل آخر ! الخلاص بالحرية ! ... الحرية المطلقة ! نعم ، الحرية قد تكون ناوسيا ، بل قد تكون أهم الناوسيات جميعا . يا للاكتشاف ! نعم ، سأضيفها لمشروعى الموعود ، بل سأضعها على رأس أولويات تلك الدراسة السرابية المغبونة المراوغة ، ناوسيا رقم ١ ! لا أعتقد أنى سوف أعدم ألف إثبات من مملكة الفيزياء أو البيولوجيا ، ولا أعتقد أنى سأجد ويسكى أفضل من هذا يوما أبدا !

طيلة حياتي وأنا أقرأ الفاياناشيال تايمز يوميا . بالذات فى التسعينيات ، خلال أيام ' الاقتصاد اليوم ' كنت أقرأها بتدقيق شديد . كنت أبحث عن تفسير ولو واحد لانضمام بريطانيا للأمية الشيوعية الخامسة المسماة الاتحاد الأوروبى . هل كانت العظيمة مارجاريت ثاتشر على هذه الدرجة من السذاجة بحيث تتخيل أن الأوروبيين سيلتزمون برؤيتها أنه تجمع للاقتصاد التنافسى الحر لا أكثر ؟ ألم تتخيل أنهم يخططون له ككيان اشتراكى ، بل كقوة سياسية معادية لأميركا وللإقتصاد الحر ولبدأ التنافسية نفسه ، وأن آخر شئ يشغلهم هو الاقتصاد ؟ هل معلوماتها عن الأعراق والچينيات ضعيفة لهذه الدرجة ؟ لماذا لم تتحد مع أولاد العم على الضفة الأخرى للأطلنطى ممن يؤمنون بذات المبادئ ؟ قطعاً لو كان ضهرى فى رحلة هناك أيامها لأقنعها فى دقائق - كما فعل معى ، أن النظام الاقتصادى هو جزء من الجينيات ، ولا يمكن تخطيه أبدا ! على فكرة يا جدتى : كدت أنسى أن أسألك : هل سمعتى عن شخص اسمه مايكل كوك ، إنه مثلك بالضبط إنجليزى رحل واستقر بمصر ، وإن قبلك بحوالى مائة سنة . أخشى ما أخشاه أن يتضح فى خاتمة المطاف أنى وذلك الفاجر ضهرى أقرباء على نحو ما !

فى صحتكم ! فى صحتك يا أرسطو ، فى صحتك يا جيون ، فى صحتك يا يونج ! أشكر لكم حضوركم الليلة ! بصراحة ، يومى كان عصيبا جدا ، ولا أعرف كيف كانت ستمضى بى الدنيا لولا حضوركم . دكتور دوكينز سينضم لنا بعد قليل . لديه حفل توقيع نسخ كتابه الجديد ، لكنه وعد أنه لن يتأخر ، كذلك وعد أن يأتى لكل منا بنسخة منه .

كم هى رائعة هذه النسخة الإلكترونية من الموسوعة البريطانية . بها ما يكفى عن الشخص الذى يقال إن آرثر وصحبه تتلمذوا على أفكاره . تصور ! إنها مرة أخرى تكاد تنطق بمحدث الجينيات . بيلاجيوس ذلك ربما يكون من مواليد بريطانيا نفسها ! ترعرع بها قبل أن يذهب لروما حوالى سنة ٣٨٠ ح . ش . ، وهو فى حوالى السادسة والعشرين من عمره . هو ليس كليريكييا ، فقط مفكر حر ، قرأ ' اعترافات ' أوجستين ( المكتوبة سنة ٣٩٩ أو ٤٠٠ تقريبا ) ، فاستفز أما استفزاز من فكرة الإله الجبار المتحكم الذى يستبعد الناس ، ومن نفيه للفلسفة القديمة أن الإنسان خير بطبعه ، ومن ثم هو فى حاجة للإيمان المسيحى كى يصبح خيرا . المدهش أن تعاليمه وأنشطته ظلت فاعلة عبر العالم القديم لعدة عقود ، لأنها كانت شبه علمانية وفلسفية فى روحانياتها ، ولم تستدرج أبدا لأرضية الرمال المتحركة للخرافة الدينية والدقائق التلافيفية لعقائدها وطقوسها . ترك روما وراح ينشر أفكاره فى أفريقيا وفلسطين هو ورفيق دربه سيلستوس ، تلاحقه فى كل مكان فتاوى التكفير الأوجستينية ، إلى أن وصل أعلى نقاط إبداعه الفكرى بكتاب ' على الإرادة الحرة ' ٤١٦ ح . ش . ، الذى ربما كان آخر أديبات عصر العقل القديم قبل أن تبسط المسيحية والإسلام نور الخرافة الوضاء على العالم بأسره ! فى القديم قال لكم يسوع من ثمارهم تعرفونهم ، عبارة تحبونها وتكثرون من تطبيقها مثبتين إن الإسلام دين من الشيطان ، أما أنا فالحق الحق أقول لكم إنه لا توجد مبادئ أسمى ولا أرقى من رأسمالية العرق الأنجلي ، مطلقة التنافسية والحريات ، الممسوحة من كل فساد وخطيئة وذنس !

لأكن مرة عاشرة أكثر دقة . لا وجود لشئ اسمه الأنجلو-ساكسونية . كم هى أكثر من رائعة هذه النسخة الإلكترونية من الموسوعة البريطانية . تقول إن البحوث الجينية الحديثة ، تثبت أن البريطانيين عرق قائم بذاته . وجدوا هناك قبل ١٦ ألف سنة بمجرد نهاية العصر الثلجى ، وقتما لم تكن إنجلترا وأيرلندا قد أصبحت جزرا بعد . حين هبط الثلج مرة أخرى ، العصر النيولوثى ، قبل ١٢٣ قرنا ، هاجروا إلى شبه الجزيرة الأيبيرية . حين انحسر بعد ١٣٠٠ سنة ، عادوا . وبعد ثلاثة ألافىات ونصف أخرى ، من عودتهم ، أى قبل ٧٥٠٠ سنة ، أصبحت

أرضهم جزرا معزولة عن القارة الأم . بحث آخر ، وإن لا يزال محل خلاف ، يطرح أنهم ربما مارسوا الزراعة ساقا بساق مع المصريين ( العائشين في أساطيرهم المزعومة ) ، وربما مع أى أحد ، ومع كل الأساطير . أنا متأكد من شيء واحد : الغرب لم يكن أقل تقدما من الشرق في أية لحظة معطاة من التاريخ . نعم ، أية لحظة ، وأى غرب ، وأى شرق . مصدر اللبس هو مجرد الفارق بين أناس يمتد بصرهم لنهاية العالم ، وتناول طموحاتهم النجوم ، فلا يكفون عن انتقاد أنفسهم طوال الوقت لأنهم دائما أقصر من يجاروا قاماة أحلامهم الممتدة بعيدا أمامهم ، وبين أناس يعيشون في قوقعة لا يسمعون فيها سوى صدى لأشعار الأجداد هم عن المجد والفخار والماضى الخرافي الزائف ، يصم آذانهم الصغيرة .

آه ! الحروب الصليبية ! إنها أبرز نماذج جلد الذات هذا . متدينو الغرب يدينونها لأنها ضد تعاليم كتابهم المتسامحة البلهاء ، علمانيو الغرب الإنسانيون يدينونها لأنها كانت عنيفة وتناقض أفكارهم الهلامية عن السلام وأخوة بنى البشر ، أما أنا كعلماني طبيعي تطورى فيستحيل على تخائيا إدانتها ، ويستحيل أن أقبل بغير مراسم تسليم وتسلم للواء الحضارة ، من إمبراطورية الزراعة لإمبراطورية الصناعة دونما فجوة في المنتصف يطل فيها برابرة قاع العالم ، متخيلين إمكانية إقامة إمبراطورية للرى لم تكن أبدا . كلا ! العظيم لا يجلد ذاته . العظيم يرتفع فوق إنجازاته ، لأنه لا يريد لإنجازاته أن تنتهى . الحروب الصليبية إنجاز هائل ، مع ذلك تركوا كتابا أو اثنين رخيصين يصورونها على أنها هزيمة ، ولم يناقشوهم ووضعوا الأمر برمته خلف ظهورهم . مرة أخرى ، لقد فعلوا شيئا لم يتباهوا به يوما ، لكن أثره الحقيقي كان أكثر من عظيم .

تحت أى معيار كانت الحروب الصليبية نبض الحياة الأول في جسد الحضارة بعد طول استكانة ؛ إنها حرب تحرير هدفت لاستعادة أراضى معتصبة ، لكن قيمتها الحقيقية لا تقاس بمجرد نجاحها أو فشلها في تحقيق هذه الأهداف المحددة . لقد أدت وبنجاح باهر ، إلى صحوة تحفز ويقظة في العالم الغربى لما يتهدده من مخاطر ظلامية ، ولولاها لما منع شيء البقية الباقية من العالم شبه المتحضر من الوقوع في براثن الإسلام . لقد أعطت فسحة الوقت لأوروبا لبناء نخصتها وثورتها التقنية التالية ، المقوم والضمانة الحقيقية التى تحميها من أن تكون مجرد قطعة زبد في وجه سيف الإسلام . لولاها لما توقف لاحقا أمر هجامة الأسوار عند فيينا ولا غير فيينا ، بل في الواقع كانت فيينا وموسكو وستوكهولم وحتى طوكيو قد سقطت قبل هذا بأربعة أو خمسة قرون ، فلولا حملات الصمود والتصدى الرائعة هذه ، لكانت جيوش السفاحين الأتراك التى أبدع مشاهير الرسامين في تجسيد مذابحها التى لا تقل عن مثيلاهما العربية بشاعة ، قد اكتسحت كل أوروبا في سنوات قليلة كما إحدى زهات الربيع . لولاها لكان ما يدرس اليوم في أوكسفورد وكيمبريدج هو التداوى بالذباب وبول البعير وهل يجوز الاستنجاء من الغائط بأقل من ثلاثة حجارة ، وهل يدخل النار من فقد ساقه اليسرى بسبب البتر أو الشلل لأنه لن يستطيع إخراج الطراط بالطريقة الشرعية التى أمر بها محمد ، أم سوف يقبل استغفاره . لقد كانت حربا استباقية مظفرة ، جعلت المسلمين ردحا طويلا يتكون كل شيء يلحون أو يخططون لغزوه أو نهبه ، ويتملكهم فقط هاجس واحد : استرجاع القدس . لقد جعلتهم لقرون كاملة كفأر التجارب الذى يجن جنونه لرؤية قطعة الجبن فينسى عذاب لسعات الكهرباء التى تقتله بالتدرج . يجب أن نعطي لكل صاحب حق حقه : لولا الحروب الصليبية لما كنت أجلس هنا الآن تحت أضواء الكهرباء أحتسى الويسكى القوى ممزوجا بمكعبات ثلج صنعتها تلاجة كهربية وبحوارى جهاز تكييف يحميني من الحر القاتل أقرأ بلا رقابة أطنانا من الكتب على جهاز حاسوب شديد التقدم والاستعداد عبر شبكة تربطنى بكل العالم ، ولما كنت أذهب لرئيسى لأمارس يوميا حرية السوق مع البورصة وحرية التعبير مع أصدقائى ، وطبعا لما كان هناك أحد في الصعيد -شرطة أو مواطنين- ليتصدى لجحافل الإسلام . الأرجح أن لم يكن ليكون لى وجود أصلا ، لأن كل سلالة أجدادى كانت قد أيدت منذ قرون . تخيل قدر ظلام العالم لو لم تكن هناك حروب صليبية ؛ هذا هو السؤال الذى لم يسأله أحد !

أيضا في الضفة الأخرى كانت الحروب الصليبية هى الزلزال الفكرى الهائل الذى أرهص لبزوغ عصر النهضة ، عصر استنهاض الغرب لنفسه من جديد ، عصر تذكره لمجد روما العظيم ، ولفلسفة أثينا الأعظم ، ولدوره القدرى في قيادة العام . أوه ، بل استنهاضه من سبات المسيحية نفسه ، أولا بالتمرد على العقيدة الكاثوليكية بأخرى أقل لاهوتية وأكثر إنسانية (البروتستانتية) ، ثم بعد ذلك التمتع في سقم فكرة العقيدة الدينية في حد ذاتها ، الأمر الذى انتهى بترسخ العلمانية كأساس فكرى لكل العالم الغربى يرفض مبدا الدين نفسه . فعلا ! تخيل قدر ظلام العالم لو لم تكن هناك حروب صليبية !

لاحظ أيضا أن الحملات الصليبية الأخيرة كانت أول خروج للعالم الخارجى لهؤلاء القوم الغامضون من تلك الجزر الباردة النائبة ، وأول إرهاصة تماما لأن ثمة قائد جديد للحضارة يجهز نفسه للإمساك بالمقود المفقود . أنا أصدق تماما كل هذا الكلام الجميل عن عرق الجزر البريطانية .

أصدق؟ أبحاث جينية؟ أبحاث تاريخية؟ أية أبحاث؟ هذا الكلام مسروق مني أنا. يا لهم من فجرة دعة هؤلاء الإنجليز اللصوص. حين كنت تلميذا بالإعدادى كاد مدرس التاريخ يطردني من الفصل لأني وقفت لأجاده لنصف ساعة أو أكثر، في كيف تأتي للإنجليز أن يقدموا الثورة الصناعية ومليون اختراع، وكانوا قبلها أقل تقدما منا -نحن شعوب الشرق- في الزراعة أو في أى شيء أيا ما كان؟!

الإنجليز والسكتلنديون والأيرلنديون والويلزيون، الإخوة الأعداء، هم أقرب لبعض مما تخيلوا يوما. هم عرق واحد، دم واحد. البريت، البريتون؟ لماذا لم يختاروا له اسما بعد؟ هكذا تقول الجينينات. السيلت والرومان والأنجلي والساكسون والفايكنج والنورمان، ما هم إلا غزاة عابرون قليلو العدد ضلحو الأثر، وكلهم جاء في الـ ١٧ قرنا الأخيرة، لا أكثر. البركة الجينية البريطانية لم تتأثر بأيهم إلا بقدر ثانوى للغاية. يا للهول! متى ظهرت بحوث كهذه؟ كيف حدث أن لم أقرأها؟ ربما في ٢٠٠٧، حين كنت مشغولا جدا بذلك الفيلم المشغوم، أو مريضا أعزل نفسى عن الدنيا، وشهيتى قليلة للقراءة. ربما لو كنت قرأتها آنذاك لكانت قد شفتنى في ساعتها، أو لربما أيضا ما فقدت أمتى!

لعلى كنت متهورا بعض الشيء وأنا أعاند المدرس. هؤلاء الإنجليز ما كانوا على أية حال ليفعلوا ما فعلته روما، حتى لو ثبت أنهم لم يكونوا أقل منها تقدما في الزراعة أو الرى، أو في الحدادة أو بناء السفن، أو في خريشة تضاريس الكوكب لأول مرة في التاريخ (فيما سمى بشق الطرق، أو بمصطلحات اليوم كان الطريق الأيبى أو Via Appia أو Appian Road مثلا أول سوير هايواى في التاريخ، وصل روما بأبعد نقطة إيطالية جنوبا على البحر. وهذا الطريق الصخرى بعرض ستة أمتار كاملة، البديع المزين بالتماثيل على الجانبين، جعل، هو والثمانين ألف كيلومترا من طرق الإمبراطورية الأخرى زائد طبعاً طرق الملاحة البحرية، جعل العالم قرية جلوية لأول مرة. لا طريق واحد خارج عن الشبكة؛ كل الطرق تؤدي إلى روما! ها! وإن كان للأمر مثالبه فقد سهل هجرة العبيد المسيحيين للمركز واغتصابه من أصحابه (تماما كما تسهل الإنترنت والساتيلايت استيلاء العبيد المسلمين على العالم الآن). الحروب القديمة كما خاضتها روما كانت تعول كثيرا على الحماسة وعلى الشحن الانفعالى، أو ككل على التيمايوس بمصطلح أفلاطون، لا على رتابة وعقلانية الآلات البشرية. ومن ثم كان على البرود الإنجليزى أن ينتظر بعض الوقت حتى تأتبه فرصة إثبات أنه الأفضل. عندما تصبح الصناعة والاختراع والشغل النمطى، هى العوامل الحاسمة للسيادة والتقدم وتدشين الثورة التقنية التالية وبناء خليفة لروما لا تغرب عنها الشمس. نعم، احتراق الأرامادا كان لحظة رمزية أكثر منها نصرا حربيا؛ لحظة لم يخطط لها الإنجليز ولم يضعوا فيها احتمالا يذكر للنصر؛ لحظة تخبرهم بأن قدرهم التاريخى شيء أكبر بكثير من مجرد الدفاع القوقعى عن جزرهم؛ لحظة تذكركم بواجبهم التاريخى الذى تناسوه أو ربما لم يخطر ببالهم أصلا؛ لحظة تقول لهم ها قد حان الوقت يا أرقى سلالة على وجه الكوكب لتولى قيادة الكوكب؛ الوقت قد حان للأخذ بيد الكوكب للثورة التقنية التالية؛ الثورة الأعظم بما لا يقاس!

... أوه! نفس الشيء يمكن أن يقال عن الأنوثة والذكورة: في البدء كانت المجتمعات أنوثية وأسألوا عشتار وشيفا وكل من سبقتهما، وعندما أصبحت العضلات والسيوف هى الأهم أصبحت ذكورية وأسألوا ماريا القبطية وزميلاتها، وعندما باتت الأولوية للعلم والإبداع والشغل الذهنى والتقنيات الدقيقة ومحتوى الإنسان وقوته الداخلية ها هى الذكورية القبيحة تنقرض غير مأسوف عليها، وعادت القيادة للنساء، وأسألوا هالة ومنى، أو أيضا سوسن، ولا أقول تاتشر!

... هذا الويسكى رائع رائع رائع؛ لطالما شربته، لكن لم أحس بروعته إلا اليوم!

... إنه منتج بريتى حقا!

... فى صحتك يا جدتى!



### الخلاصة: كل الأديان كذبة إلا الإسلام!

- نتيجة أبحاثي؟ الخلاصة: كل الأديان كذبة إلا الإسلام! إنه سلاح دمار كتملى؛ كل جرائم كل قوانين العقوبات مجتمعة!



الخلاصة أيضا : إن الطريقة التي أفلح بها الدين في توحيد العرب غير قابلة لإطلاقا للتكرار ،

وبات الإسلام الآن البوابة رقم واحد للفرقة والتناحر !

- ما علينا ، سيبك من موضوع التوحيد والعقائد واختلاف الأديان ، لأنها متاهة لا تنتهى ، وضعينا وقت كثير جدا فيها . الخلاصة أيضا : إن الطريقة التي أفلح بها الدين في توحيد العرب غير قابلة لإطلاقا للتكرار ، وبات الإسلام الآن البوابة رقم واحد للفرقة والتناحر ! هى أصلا لم تنجح إلا لسنوات قليلة ، بعدها اندلعت الحروب بينهم أكبر وأبشع من كل ما عرفه تاريخهم . اليوم الدين آخر شىء يمكن أن يوحد اثنين من البشر ؛ توسع فيض المعلومات المنهمر على الناس ، ولم يعد ممكنا تحاشي أعمال العقل أو مقارنة الأديان أو تجاهل ما تقوله العلمانية ، فأصبح التسليم والاتباع مستحيلا . كل ده إحنا عارفينه ، لكن يكفى يا سيدنا أن الدين يهذب الأخلاق ، وموش عاوزين أكثر من كده .

- ( منفجرا وعائدا من شروده للحماسة من جديد : ) أخلاق ؟ أية أخلاق يا حاج ؟



أية أخلاق يا حاج ؟

هل كانت أخلاقنا نحن المصريين سيئة وانتظرنا البارون عمرو بن العاص والعاصية ( العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ) ،

علشان يعلمنا إتيكيت السلوك ؟ ... هل هذا الدين البدائي العبيط المسمى هو ' من قيمة ' المصريين ؟

ألا يشبه هذا بيع الماء في حارة السقاين ؟ ألا تقولون إننا مخترعى الأخلاق وفجر الضمير ؟

هل كانت أخلاق مُجد أفضل من أخلاق أرسطو على واقعيته وعمليتها ،

ناهيك عن أخلاق يسوع الملقب بالمسيح بخياليتها ومثاليته ؟

أولئك البدو الأجلاف المهجامة قطاع الطرق آخر قوم على وجه الأرض يتخيل منهم أن يصنعوا ديننا يمكن أن تتعلم منه البشرية شيئا ،

بل ليس من المسموح لهم أصلا الدخول في أى دين أو نسق أخلاقى آخر عرفه بنو الإنسان .

إن أى شعب في العالم يعتبر ملائكة أطهار إذا ما قورن بأخلاق هؤلاء الصحابة-العصابة السفاحين السلابين حضيض الكوكب !

- ما علينا ، سيبك من موضوع التوحيد والعقائد واختلاف الأديان ، لأنها متاهة لا تنتهى ، وضعينا وقت كثير جدا فيها . خلاصة رأيي النهارده أن الطريقة التي أفلح بها الإسلام في توحيد العرب لم تعد صالحة اليوم ؛ الناس -حتى داخل جزيرة البعر- توسعت مداركها وقدرتها على أعمال العقل ، فأصبح الدين بابا للفرقة لا للتوحيد . يكفى يا سيدنا أن الدين يهذب الأخلاق ، وموش عاوزين أكثر من كده .

- ( منفجرا وعائدا لحماسته من جديد : ) أية أخلاق يا حاج ؟ هل كانت أخلاقنا نحن المصريين سيئة وانتظرنا البارون عمرو بن العاص

والعاصية ( العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ) ، علشان يعلمنا إتيكيت السلوك ؟ ... هل هذا الدين البدائي العبيط ال

همجى هو ' من قيمة ' المصريين ؟ ألا يشبه هذا بيع الماء في حارة السقاين ؟ ألا تقولون إننا مخترعى الأخلاق وفجر الضمير ؟ هل كانت أخلاق مُجد أفضل من أخلاق أرسطو على واقعيته وعمليتها ، ناهيك عن أخلاق يسوع الملقب بالمسيح بخياليتها ومثاليته ؟ أولئك البدو الأجلاف المهجامة قطاع الطرق آخر قوم على وجه الأرض يتخيل منهم أن يصنعوا ديننا يمكن أن تتعلم منه البشرية شيئا ، بل ليس من المسموح لهم أصلا الدخول في أى دين أو نسق أخلاقى آخر عرفه بنو الإنسان . إن أى شعب في العالم يعتبر ملائكة أطهار إذا ما قورن بأخلاق هؤلاء الصحابة-العصابة السفاحين السلابين حضيض الكوكب ! أساسا الدين -ناهيك عن الإسلام- لا يهذب الأخلاق . لم يحدث يوما أن هذب الأخلاق ، أو حتى سعى إلى ذلك . الدين -بالذات الإسلام- فقط يعطى رخصا إلهية لفساد الذمم . فقط يصنف الناس لصنفين ، من لديه رخصة ومن ليست لديه رخصة . أية أخلاق يا حاج ؟ ونس يقول لك إن أخلاق الإسلام أسوأ ألف مرة من أخلاق ما يسمى بالجاهلية . أية أخلاق يا حاج ؟ من ناحيتي أدركت مؤخرا لأول مرة ما هو المقصود حقا بعبارة يلوكها العلمانيون المزيفون ( أى ١- من لا يجاهرون كلية بعلمانيتهم و٢- يساريون ) طوال الوقت ، تقول إن جوهر الإسلام هو العدل . عادة كنت ما أتمثلهم أناسا يريدون تحيرنا من الدين السلفى ، دون أن يجاهروا بهذا ، إلى أن فهمت أنهم يقصدون شيئا مختلفا تماما . لم أدقق يوما في لماذا اختاروا صفة العدل بالذات ، إلا حين سمعت أحد زعماء الإخوان المسلمين يقول ذات العبارة مثلهم ! بغض النظر عن التضليل اللغوى ما بين كلمتى العدل والمساواة ( التى هى الظلم عينه ) ، فإن حقيقة ما يقصدونه هو بالضبط عين الاستحلال والاسترقاق الذى استنته الصحابة-العصابة ، ذلك أن عيونهم مثبتة على ثروات أغنيائنا وأغنياء

الغرب ، ويريدون أن يبرروا سلفا نهبهم لها باسم الدين أو المساواة أو أى شىء . أية أخلاق يا حاج ؟ لقد فجعت حين قالت لى رمانة إن الشغالات مثلها تكثرن من الصلاة لا ليقعلن عن السرقة ، إنما كى يمكنهن السرقة أكثر ، وهى قاعدة راسخة لدى الجميع وليس الشغالات فقط . أية أخلاق يا حاج ؟ هى يمكن أن تحكى لك كيف اشترت ثلاجتها ، وكيف غرر بها البقال الملتحى الجاور لمنزله ، حين استشارته فى إعلان عن شراء أجهزة منزلية بالتقسيط . نحرها أنه ربا وحرام ، وأرسلها لحل إسلامى ، والنتيجة أن دفعت ٢٥ ٪ أكثر ! هذا طبعاً ناهيك عن التقية ورخص القتل والأجندات الخفية والمعاهدات التى توقع بهدف خرقها لاحقاً ، وكل ما إلى ذلك . مع ازديادى الشديد لأخلاق الأديان وأنها أخلاق بدائية ومدنية للغاية لا تقارن مع أخلاقيات العالم المتقدم قديمه ناهيك عن حديثه ، فى لى الأديان أتتنا حتى بما أسمته أخلاقاً وكفى ، بل أتتنا بمليون مصيبة أخرى بجانبها ، اعتبرها كلها أكثر إلزاماً وأهمية وأولوية من الأخلاق .

- واضح أنك بقيت بتحكى كثير مع رمانة الیومین دول ! ( ثم مممصصا شفثیه : ) یوضع سره فى أضعف خلقه !

وهنا تقدم سوسن واحدة من مشاركاتنا النادرة : ' هناك شىء آخر ، الكبت وحده يكفى منبعاً لكل الشرور ؛ لا هم للمشاخح إلا خلق رهاب رهيب من المرأة ، فویبا لا يمكن أن تترجم إلا لسعار جنسى یجتاح الشوارع ، وهى مجرد القمة الظاهرة من جبل الثلج مقارنة بكم الانحرافات الجنسية التحتية الهائل من المثلية القسرية حتى ضبط الفتاة لأمرها وخالها سویا فى الفراش . لو لم یوجد ذلك الإله بتلك الموصفات لما كان الأطفال -أولادا وبناتا- یغتصبون فى الكنائس الكاثولیکية والمعاهد الأزهرية ، والحكايات على قفا من یشیل وبهون بجانبها ما یحدث من اغتصاب وتحرش جنسى فى شوارع ( ناهيك عن أزقة ) بلاد القهر الدينى كبلادنا ، بل ما حاجة أى أحد أصلاً للتحرش أو الاغتصاب أو اللجوء لفراش الأخت أو الابنة أو الصديق ، لو كانت هناك حرية فى العری والجنس ، ولم یکن هناك حرمان ونفاق أخلاقى ؟ ! ' .

- ما أردت قوله یا حاج إن النسق القیمى للدين ليس فقط نسقاً متخلفاً للغاية ، بل أيضاً شریر للغاية . دعك جانباً كلام سوسن وونس ورومانة وكلامى ؛ أنت نفسك تقول إن لا تكذب لیست فى الوصایا العشر . كيف آمن أى متدين إذا كان هذا هو تفكيره ؟ دع جانباً ما یقوله ونس عن التقية ، لكن ما أدراى أنك أنت نفسك لا تمارس معى الآن ما یسمونه التقية أو فقه الأولويات ؟ لولا معرفتى الوثيقة بك لعشت للأبد متوجساً منك كما أتوجس من كل مؤمن . بلغة ونس الحدیبية أضاعت المصادقية عن العرب وعن الإسلام مرة واحدة ولالأبد ، ولن یستعيدوها مهما فعلوا ، ربما بما فى ذلك إعلانهم ترك دين الإسلام ، ذلك لأن أى تصرف حسن لهم لن یصدق أحد وسیفسر على أنه تقية . أريد أن تقول لى خیراً واحداً فى الأخلاق الدينية ؟ ! ثم بما أن كل التركيز على الشكليات ، الصلوات والطقوس والملابس وغشاء البكارة وموش فاهم إیه ، یبقى إذن ما یعلمونا إیاه هو زى ما بتقول سوسن شىء واحد : النفاق سید الأخلاق : بلاش تعملوا كده قدام الناس ، إیه العیب فى بیر السلم ! الفتنة نائمة ، لا مشكلة ، فقط إبقاؤها هو المشكلة . وطبعاً فوق كل ده وده فكرتك أن كل حاجة عیب والفقر موش عیب ، والمصادرة الكاملة لحرية الفرد وجعله یركع طول حياته لإله خفى لا یرى أبداً ، أو یناهش وشه ویقطع فیه خوفاً من شیطان یحوم فوقه بالغواية . كل هذا لأى هدف ؟ مجرد أن یحكم الآباء سیطرتهم على الزوجات والأبناء ، ویحكم رجال الدين والسیاسیین قبضتهم على الجميع .

- أنا ها أفهمك ! إلی بتسمیه النسق القیمى للدين لا یهمه الكذب فى شىء . ليس مهماً أن تسرق ، إنما أن لا یكتشفك أحد ، ليس المهم أن تزنى ، إنما أن لا تجاهر بفعلتك . نحن أمة تعشق الكذب وفعل كل شىء فى الخفاء . الرسول نفسه كان یحث السارق والزانی على أن ینكر التهمة ' قل لا ! ' ، فبیرئه ( و ' إذا بلیتم فاستتروا ' دعوة صریحة للكذب ) . هل تعرف ما هى نهاية ابن العباس ' حبر الأمة وترجمان الكرهان ' الذى ارتعبت منه ؟ سرق ملايين بیت مال البصرة وفصله على بن أبى طالب ، فعاد للطائف لكن ليس قبل أن یشتري جاريتين ثمینتین سمینتین تؤنسانه تقاعده الإجماع ( ثم یأتى الإخوان المسلمین ومحدثونك عن الفساد ؟ ! ) . ألم تسأل نفسك لماذا یقرن على دوماً بإمام المتقین ، ولماذا لا یذكر البعض إلا وقرن بعبارة ' وكان من التقاة ' ؟ لأن هؤلاء كانوا الاستثناءات الشاذة شديدة الندرة ، دع جانباً أن لفظة ' إمام المتقین ' أو ' من التقاة ' فیها تفصیل حسب المصطلح الشهير لدى الفقهاء ، ومن ثم تفتتح كل المآخذ اللاهائية على هؤلاء التقاة تریب ، كازدراء على للنساء وإجازته قتلهم لو تمردوا على وضعية الزوجة كجارية ، وأقله زواجه فى ذات أسبوع موت فاطمة الشىء الذى حرمه محمد عليه ، وزواجه واسترقاقه لعشرات وزواج ابنه الأكبر وحده من مئات . إذن ، اتقاء الله ممكن وواجب إلا فیما یمس القبيلة أو تماسكها أو قوتها ، هذا الأخير قانون جینیى أقوى من أى دين وأى إله . ما لا تسامح فیه قط ، هو قتل ابن للقبيلة ، وتحديداً لو أعلى منك رتبة . بن الخطاب قتل مسلماً ولم یقم علیه محمد الحد .

ويتداخل ونس ضاحكا : ' هو كان يقدر ؟ كان زمانه هو نفسه راح فيها ! إنما الشيء إلى محيرني موضوع فاطمة . إزاي تموت بعد مُجد على طول ، عدوى الزهري لا تقتل بسرعة هكذا ، هل على هو الذى تخلص منها ؟ ' .



### المشكلة أن المشاخي يريدون عمولة عن كل ممارسة جنسية تجرى في المجتمع !

- طبعاً الجنس لا يهم ذلك النسق القيمي في شيء . فكرتكم يا علمانيين غلط خالص أن الدين قيود ؛ الفقهاء تخففوا في كل شيء . هكذا أباحوا الدعارة وأسموها زواج المتعة ( ده إلى كان حرمه عمر بن الخطاب والحطابة والتخين إلى جنبي ده وصفه بالكافر علشان كده ، والشيعه سخروا من هذا المنع وقالوا من يكون هذا المدعو عمراً ؟ آه ، إذن منعه كحاكم ، وإذن ها نحن نعيده كحاكم ، أو قالوا إشمعنى المساكن تملك وإيجار والنسوان لأ ؟ ! ) . أيضاً أباحوا تبادل الزوجات أباحوه وأسموه إعاره الفروج ، حتى البيدوفيليا أباحوها وأسموها مفاخدة الأطفال ، ولو بنية الزواج بيسمونها الأسوة الحسنة كما حدث مع عائشة ما بين سن ٦ و ٩ سنوات ، وأنا أقصد أن هذه كلها فتاوى وهابية وليست شيعية فقط ، وسندها الشرعى قرآني وهو الحديث عن فترة عدة لمن لم يبلغن المحيض . حتى واقعة المفاخدة التي لا يوجد نص قديم صريح بها ، الانتشار الشديد للنقل الشفاهي لها عبر القرون والآن ، وإقرار المشاخي أنها شيء غير مستبعد طالما عقد ﷺ عليها بل وربما استنتاج بديهي ، ومن ثم فرحة كثير من جهات الإفتاء بمنح هذه الرخصة للرجال ، جعل منها الآن ديناً . الإباحة عندهم سكرها أسهل من التحريم طبقاً لقاعدة أن تحريم ما أحل الله أو رسوله خروج على الملة ؛ تحريم الرق والجواري كفر ، تحريم ختان الإناث كفر ، وهكذا . مجرد أن شاهد الرسول شيئاً ولم يعلق ، فقد دخل في دائرة الإباحة للأبد .

- روميو قارن ذات مرة بين كلاب الشوارع وعرب الشوارع عندنا ، والشيوخ حين تناقشهم في تلك الإباحة أو الإباحية الإسلامية تكون حجبتهم الوحيدة أن افترض أن هناك رجلاً ذا شهوة عارمة فهل تريدون منه أن يزيني ؟ أعجبتك امرأة ؟ الحل بسيط : أضف على فاتورة الزنا خمسمائة ريال فقط واحصل على وثيقة زواج رسمية ؛ أيضاً هناك هدية مجانية من محلاتنا ، ستعفى من عقوبة الرجم ، كذلك هدية ثالثة : لن تذهب للنار . فهل معنى هذا أن الإسلام دين مصمم للكلاب ومرسل إليهم ؟ أنا شخصياً أعتقد أن الكلاب أكثر عفة وتعففاً بكثير من العرب ، لا أعتقد أن لعابهم يسيل على كل كلبة يرونها ، ولا أعتقد أنهم مستعدون لممارسة الجنس ١٠ مرات في اليوم . عندما تسألهم عن الذبح الجموعى أو تجارة العبيد أو امتلاك اليمين أو زواج الصغيرات ، يكون الرد إن هذا كان العرف السائد وقتها ، فتضطر للسؤال إذن لماذا جاء الدين أصلاً ؟ ، ليرتقى بالإنسان أم ليقنن البداءة والإجرام ويضفى القداسة عليها مجرد أنها كانت السائدة ؟ ما يهمنى هو ما يلي : في مقابل كل ذلك التسبب انظر ماذا يجرمون : تصور أن ممارسة الإنسان للجنس مع نفسه ( الشيء الوحيد الذى لا يحتمل ضرراً ولا ضراراً على وجه الإطلاق ) ، يجرمون ؟ ! أنا أفهم أن تدعوك المسيحية لضبط شهواتك أو تحريك على حب عدوك ، أو أن تدعوك البوذية للتأمل والسمو الروحي ، لكن ما الحكمة أصلاً من وجود دين يبيح كل شيء ؟ المفروض هذا دين ، بالتالى أنا أفهم أن يريد الشيطان بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، لكن العكس لا أفهمه طالما . غير المسلمين يقولون هذا دين من الشيطان -جوهره يقول هذا بالفعل ، وكل ما هنالك أنه مغلف برطانة شكلية عن مكارم الأخلاق وبضع دعوات وكلمات سباب مزيفة ضد الشيطان ، أما في عرني أنا فعدم وجوده أفضل بكل المقاييس .

- وما الذى يغضب علماني مؤمن بالحرية المطلقة مثلك من هذا ؟

- يغضبني الكذب . لو مارست الجنس مع امرأة خارج الزواج خفية ، من رابع المستحيلات إثبات هذا عليك ، حالة واحدة فقط لا غير ينزل بك فيها البطش الهائل من جلد ورجم ، هى لو اعترفت به أو أعلنته للناس . فرج فودة قتل لأنه قال إنه تبعاً لتعاليم مُجد العلاقات السرية مباحة إلى ما شاء أصحابها ولو طول العمر 'أما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال ، فإن أحبا أن يتزايداً أو يتنازلاً تتاركا تتاركا ! ' . لماذا يقتل مجرد ترديد كلام مُجد عن ثلاث الليال أو عن رضاع الكبير ؟ الإجابة أنها أشياء يجب أن تمارس في الخفاء . باختصار يا حاج ، هذه شريعة تكافئ الكذب وتعاقب الصدق ، والهدف الحقيقي وراء دين كهذا لا يمكن إلا أن يكون مجرد خطة صريحة بسيطة ومباشرة للسيطرة على الناس ونهب أموالهم ، ولا شيء أكثر . فقط يحتاجون لبعض الكلمات المنمقة فإن لم تجد فالسيف أمضى وأحد . انظر كمثال لطرقهم الملتوية قولهم إن الله كرم المرأة بأن أعطاها ٢٧ حسنة عن الصلاة بالضبط كما الرجل لكن دون حاجة للذهاب للمسجد ، طبعاً ! هى بهيمة ، والبهيمة غير مكلفة ( أو على الأقل إناث البهائم حتى لا تقع في تناقض مع واقعة أن يعفور هو أول من نحق الشهاداتتين من المسلمين ) . المهم عندهم أن تبقى المرأة جارية

مجانبة حبيسة المنزل بأية حجة ممكنة حتى ينقضى عمرها ، ثم بعد ذلك حين تذهب لتحصيل تلك الحسنات تجد الحور العين في انتظارها وبنظرة في وجهها المكدود وجسدها البدين يخبرها أن هذا التشيك بدون رصيد ، أو بالأحرى يعلم أولئك المشاوخ سلفا أنها لن تجد بنكا ولا صاحب بنك من الأصل . أنا متأكد أننا لو قلنا لهم سنعطيككم رسوما مضاعفة على زواج المثليين والمثليات لأحلوه على الفور !

- لن يسمحوا بهذا أبدا ، لأن المثلية رمز للرخاوة والضعف . يستمتعون بهم نعم ، يخصون أعضائهم نعم ، يقبلونهم كعبيد نعم ، لكن أن يعترفوا بهم أعضاء في المجتمع مستحيل !

- المهم ، أقصد أن ذلك التسبب الجنسي الذى تصفه ( وموش قصدى حاجة تخص شركات السمسرة يا إدوارد ! ) ، هو عينه ما أقوله دوما إن المشكلة أن المشاوخ يريدون عمولة عن كل ممارسة جنسية تجرى في المجتمع !

- غلط ! هو عينه تعريف كلمة قبيلة ! أنت تعامل الدين طوال الوقت كبيزنس كأي بيزنس كنت تناقشه في جريدتك . الدين أعمق بكثير من أن يكون مجرد بيزنس يسعى للحم ويكره العدى ، أو يصمم على عقود زواج مدفوعة الأجر . أولا موش بس الضرورات ( مشيرا لونس : أو ' الدولارات ' ) تبيح المحظورات ، إنما كل شىء مغرى للرجال ( هؤلاء وقود الحرب ) ، فإباحة الدين له أسهل ما يكون ، كالعنائم والسبايا وملكات اليمين والغلمان ... إلخ ، بالمثل كل شىء يقمع المرأة ويجعلها في مقام الجارية المطيعة يتم الدفاع عنه بشراسة ، وهكذا . اسأل إدوارد أو أى حد ، وسيقول لك أن المسيحيين يصعب عليهم الآن العثور على عاهرات في هذا البلد ، لكنه قد لا يعرف السبب : أن الدعارة أصبحت خاضعة للشرعية . حتى العاهرات أصبحن يقدمن خدمة المأذون بأنفسهن هذه الأيام ، مجانا ودون الحاجة للمشاوخ . تقول لك في صمت زوجتك نفسى ، ثم عندما تنصرف تقول أنت طالق . وطبعا المسيحيين لقوا أنفسهم بره اللعبة فجأة . ألم تسأل نفسك يوما لماذا أباح الإسلام الزنا عمليا ، بأن جعل إثباته باجتماع أربعة شهود أتقياء يفشلون في تمرير خيط بين زانين لا يعيراهم انتباهها ويواصلان الاثمك في ممارسة الفعل بل ويناضلان بشدة ضد مرور ذلك الخيط ، هذا في مقابل التدقيق الهائل في الشكليات من حجاب ونقاب ووجه وكفين وأظافر قدمين ودليل الجلابية ... إلخ ؟

هنا يقاطعه ونس : ' موش عارف ليه ؟ علشان عائشة تطلع براءة ! ها ! ها ! ربنا سهلها على عبيده ، موش عارف أنتم زعلانين ليه ؟ ! ' . بس فيه سؤال محيرنى في موضوع رضاع الكبير : لو واحدة رضعت كل البلد ممكن تمشى عريانة في الشارع ؟ ثم يغنى : ' دحما دحما يا مدلل ! ' ، ثم يرفع الإيقاع : ' دحما يا دنيا دحما ! ' .



لا يوجد دين فعل هذا ، ولا حتى فعلته أبشع أنواع الشمولية ،

ذلك أن الإسلام ليس ديناً ، وليس حتى شمولية ،

إنما هو تجميد للأركيولوجيا الثقافية للتاريخ الإنسانى نفسه عند نقطة معينة ؛

فويبا جيينية مرضية لا مثيل لها في التاريخ الطبيعى منذ ظهور البكتيريا !

- أنا ها أفهمكم إيه هو الإسلام : الإسلام ليس اقتصادا فاسدا أو غشا تجاريا كما ينحصر أفقك الضيق ، وليس مؤامرة سياسية كما يصمم ونس الذى يرى في كل شىء مؤامرة ؛ هو شىء أبعد ، شىء فريد من نحوه في كل التاريخ : هو استجلاب ثقافة ما بأكملها ، تخنيطها ونقلها لكل زمان ومكان . هو اجتراء لحظة معينة من التاريخ الثقافى لمكان معين وتحويلها لدين مقدس مؤيد ، بدءا من جعل اللغة لغة الله ولغة الجنة حتى جعل الصنم قد بناه آدم نفسه وكلام النبي قد كتب بإصبع الرب نفسه قبل أن يكون الزمان ، مروراً بالنظام السياسى والاقتصاد والأكل والملابس وقانون العقوبات والطب ومعاملة النساء وتربية الأطفال وكيفية الذهاب للخلاء وكل شىء ، وتجميدها جميعا حتى آخر الزمان باعتبارها أسلوب الحياة الذى اختاره لنا الإله لكل زمان ومكان . تخيل فيلما طويلا يروى تاريخ البشرية عبر الأزمنة والأمكنة ، ثم إذا بك تشير فجأة بإصبعك وتقول ' قف هنا ، أريد كل الناس وكل التاريخ على هذه الصورة للأبد ، أنا الإله وهذه هى تعليماتى ' . رغم أن الإسلام قام على اختراع للترزية الكبار اسمه الماسح والممسوح كى يزيلوا به تناقضاته ، وبدونه كان من المستحيل أن يقوم ، إلا أنهم أنفسهم وقعوا في أكبر التناقضات إضحكا في كل التاريخ : إذا كان الله قد غير رأيه عشر مرات في عشر سنوات في كثير من القضايا ، فبأى منطق لن يغيرها ثانية أبدا في المليون سنة التالية ؟ ! أى شىء أيا ما كانت حدائته ( كاهندسة الجيينية أو الهندسة النانوية مثلا ) ، تذهب به لشيوخ سلفى جاد أو غير جاد ، مخلص أو غير

مخلص ، ستجده يقلب رأسه بسرعة بحثا عن آية أو حديث ، ولن يرد عليك إلا بقال الله وقال الرسول . هو أخرج من عقله تماما إحتمال أن يحدث شيء في الدنيا ، لم يحدث في أيام هؤلاء الناس ، ولم يرد فيه أثر تركوه لنا كرهانا أو سنة . إذا كان من الصعب جدا عليه قبول تطور التقنيات ، فبالأحرى من المستحيل عليه أن يتخيل أن الأخلاق نفسها يمكن أن تتطور لما هو أرقى من أخلاق عصره أو مواصفات إلهه . بالنسبة لي إحالة داروين للتقاعد شيء غير مقبول غير معقول وغير واقعي . لا يوجد دين فعل هذا ، ولا حتى فعلته أشبع أنواع الشمولية ، ذلك أن الإسلام ليس ديننا ، وليس حتى شمولية ، إنما هو تجميد للأركيولوجيا الثقافية للتاريخ الإنساني نفسه عند نقطة معينة ؛ فوياا جينية مرضية لا مثل لها في التاريخ الطبيعي منذ ظهور البكتيريا ! مثلا عمر بن الخطاب والخطابة كان واضحا كل الوضوح بخصوص مكتبة الأسكندرية : ' إن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنها غنى ، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها ' . نفس الشيء بخصوص مكتبات فارس : ' أن احرقوها أو اطرحوها في الماء ، فإن يكن ما فيها هدى ، فقد هدانا الله تعالى بأهدى منه ، وإن يكن ضلالا فقد كفانا الله تعالى ' . ابن الخطاب والخطابة اسم على مسمى حقا . علم العالم ليس أفيد من كم صرة دنانير حصل عليها بن العاص والعاصية ( العاهر الأبتير والعاهرة الأشهر ) ، مقابل تسخين مياه حمامات الأسكندرية لسته أشهر . احسبها أنت كم مليون كتاب تحتاجها لإيقاد ٤٠٠٠ حماما لمدة ستة أشهر ، بعدها فس على الأمر كل شيء . تخيل يا وحيد أنك أصبحت حاكما سلفيا ، وتريد العودة حرفيا لأثينا القديمة ؛ النساء ملابس شفافة ، ولا كلام إلا في الفلسفة ، ولا أحزاب إلا حزبي أرسطو وأفلاطون ، وكل من يأتي ببدع أو مستحدثات أو مذاهب أو تقنيات أو فلسفات من قرون أو أماكن أخرى تقتله ، موش أحسن مليون مرة من فرض حياة وشخصيات وسلوكيات شبه جزيرة البع من القرن السابع علينا ؟ !

- كلام جديد أوى يا : ح - ل - ج ؟ ! اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت حفريتكم الثقافية للبشرية ديننا ! إنك تجعل المسألة تبدو لي بسيطة جدا : على البشرية التي تنكب حتى نهاية الزمان على شيء واحد : دراسة ما قاله وما فعله أناس بأسماء من شاكلة قتادة وقحافة وعلقمة ، وحذيفة والمغيرة والوقاص ، وطلحة والزبير وعفان ، يقشعر البدن لمجرد التفكير في جذرها اللغوي ، وتأسى كل ما يخص شئون الحياة والعالم والعلوم والمستقبل من سيرة هذه الحفنة المعينة الصغيرة من البرابرة ؛ وإجابتي : أنا لو خيرت بين تأليه أسلوب الحياة الغربي في القرن الحادى والعشرين للأبد ، أو تأليه أسلوب حياة أثينا للأبد ، أو حتى تأليه أسلوب حياة الديناصورات ، فقطعا لن أختار العيش بالتقويم الهجرى . فقط لدى تحفظ واحد : أليس هذا كلاما مغرقا في الثقافة بعض الشيء ، وماديا وبيولوجيا يجب القول إن الإسلام استراتيجية للبقاء للعرق العربى ، لسالة لا ترى لنفسها عيشا ما لم تعط نفسها الحق في الاستيلاء على كل شيء وكل أحد ، والاسترقاق التام لكل البشرية !

- بالعكس ، لا شيء جديد في كلامي ، وأيضا لا شيء بسيط ! في الاقتصاد أو السياسة قد تكون الأمور بسيطة وواضحة ، لكن إذا كنا سنبدأ الحديث في الثقافة فليس لدى من قول سوى أهلا إلى عش الدبابير . لقد دخلت الآن لعرين الجيين ، القلعة التي لا يسهل اختراقها . يا صديقى ، فتش عن القبيلة . القبيلة هي ميليشيا الجيين ، وخط استحكاماته الكبير في معركة التحيو . لا تأخذ بظاهر الأمور ؛ في ذلك النسق القيمي كما تسميه ، المحرمات أقل بكثير مما تتصور ، تقريبا كل شيء مباح . ما يهم هو شيء آخر تماما ؛ شيء واحد فقط ظل وسيظل للأبد خطأ أحمر تراق دونه كل الدماء ، هو أن تتزوج الفتاة بدون موافقة الولي . إنها ذات الفكرة القديمة جدا ، القبيلة جدا ، دعر أن تضعف القبيلة وتفكك . النسق القيمي يهمله شيء واحد : القبيلة . أنا موش فاهم ليه استغرابك من أن الكرهان تم ترتيبه بالشبر ؟ لقد رتبوا السور من الأهم فالمهم . طبقا للمنظور القبلى العربى ، اليهود أهم موضوع إطلاقا ، يليه النصارى ، فالنسوان ، فالقردة والخنازير مرة أخرى ، فبن الغلط ؟ ! ويتداخل ونس : ' فيه غلط : أول القصيدة كفر ! يقول ' ذلك الكتاب لا ريب فيه ' موش ' هذا الكتاب ' . ثم أن المائدة موش ضد الخنازير ، بدليل أنها بتقول أحل لكم طعام الذين أوتوا الكتاب ! ' .

- حاجة واحدة هي دعر كل المتدينين إالى أنت شايفهم في بلادنا : فوياا اختلاط النسب ، فوياا ضعف السالة . فترة العدة ، من أهم المقدسات قبل الإسلام وبعد الإسلام ، لأن شجرة العائلة يجب أن تكون معروفة بدقة تامة .

- وألا يؤدى ما تسميه إعاة الفروج لاختلاط الأعراق ؟



أوه ! هنا ' في الأمر تفصيل ' بلغة الفقه الإسلامي : ظاهريا يبدو لكم العربي شديد الغيرة على نسائه ، وهذا غير صحيح بالمرة .

هو من الممكن أن يطلقها في لحظة أو يهددها للضيف أو يتاجر بها أو يبادلها مع أى أحد ،

أو يدعها ' لا تمنع يد لامس ' كما أباح رسول الإسلام ، ولا تنس أنهم جميعا من نسل أبي القوادين إبراهيم عليه السلام .

... تحديدا ، العربي غيور على شيء آخر تماما : سيطرته هو على نسائه !

هي متاع وبهيمة يفعل بها ما يشاء ولا يشعر نحوها بأى شيء ولا يهين نفسه حتى بتسميتها زوجة ،

وطبعا من حقه بدهاة أن يكذب عليها أو يضربها ما شاء كما أمره دينه -أقصد جبيناته التي اخترعت دينه ،

لكن بمجرد أن ترفع رأسها ، كأن تمارس إحدى نسائه الجنس مع آخر من غير رضاه ، أو أن تحب إحدى بناته أحدا من خارج القبيلة ،

هنا فقط يغار -يغار على نفسه- وتسيل الدماء مجورا !

- أنت موش فاهم الفكرة . المهم أن ينسب الطفل ( لو كان هناك طفل -بالذات ذكرا ، حتى لو كان من زنا ) لأبيه ، الطفل للفراش هذه هي الحكمة من شهور العدة ، ولا شيء آخر ( إلا طبعا استدلال المرأة بإعادتها بالأمر لكن بعد تلقينها درسا في الجوع ) . إعاره الفروج تمارس لصالح أحد أبناء القبيلة ، وغالبا تمارس لو الزوجة من خارج القبيلة ، 'فلاحة' كما يسمونها . لكن البعض يمكن أن يمارسها حتى لو زوجته ابنة للقبيلة ، أو من يسمون بالمخضبات ، لكن الإعاره هنا تكون عادة للفترات الطويلة كالسفر ، أيضا حتى ينسب الطفل ( لو كان هناك طفل ) لأبيه . لولا الأطفال لما كان شيء يهم . الفصل بين من هو ابن القبيلة ومن هو ليس ابنها ، هو الخط الأحمر الوحيد ، وهو الفلسفة الكامنة وراء كل شيء .

- من هذا الكلام ، يبدو لي أنك تكاد تصف المرأة البدوية كإناء قدر يبصق فيه كل من شاء .

- أوه ! هنا ' في الأمر تفصيل ' بلغة الفقه الإسلامي : ظاهريا يبدو لكم العربي شديد الغيرة على نسائه ، وهذا غير صحيح بالمرة . هو من

الممكن أن يطلقها في لحظة أو يهددها للضيف أو يتاجر بها أو يبادلها مع أى أحد ، أو يدعها ' لا تمنع يد لامس ' كما أباح رسول الإسلام ،

ولا تنس أنهم جميعا من نسل أبي القوادين إبراهيم عليه السلام . ... تحديدا ، العربي غيور على شيء آخر تماما : سيطرته هو على نسائه ! هي

متاع وبهيمة يفعل بها ما يشاء ولا يشعر نحوها بأى شيء ولا يهين نفسه حتى بتسميتها زوجة ، وطبعا من حقه بدهاة أن يكذب عليها أو يضربها

ما شاء كما أمره دينه -أقصد جبيناته التي اخترعت دينه ، لكن بمجرد أن ترفع رأسها ، كأن تمارس إحدى نسائه الجنس مع آخر من غير رضاه ،

أو أن تحب إحدى بناته أحدا من خارج القبيلة ، هنا فقط يغار -يغار على نفسه- وتسيل الدماء مجورا ! تعريف بنت القبيلة هو من جاءت من

بذرة أحد رجال القبيلة . وبالنسبة لهذه ، لا يمكن للغريب أن يقترب من أيهن خطوة واحدة أقل من ٤٠ مترا ، ولجود السؤال عن مضارب القبيلة

أو عن الماء ، وإلا كان يخاطر بغرامة مالية ضخمة اسمها دفع الحق ، أو ربما يخاطر بحياته نفسها ! الفكرة ليست إناء وبصقا ، الفكرة حتى ليست

نظرتهم الذكورية أن النكح هو ركوب ووطء وغزو وفتح وإذلال وامتلاك ، الفكرة أعمق وباختصار أنهم لا يعتقدون أن للمرأة أى إسهام في

الخصائص الجينية للوليد . هي ماكينه إنجاب لا أكثر ولا أقل ، وهذه يجب أن تكون مسخرة لإثمار القبيلة . يقولون الأرض هي الأرض ، وما

يصنع الفرق هو البذرة . خلقنا الإنسان من نطفة ، نظرية زراعية جدا للوهلة الأولى ، لكن لأنها من أناس يزدرون الزراعة ولا يفهمون شيئا فيها

فهى غير صحيحة . يتخيلون أن البذرة هي كل شيء ، وكل النمو اللاحق يأتي من الله ( أو ربما من الشيطان ) ؛ لا إسهام لأصلاح التربة ولا

لمائها في شيء منه ( لا داعى للقول إنه بما أنك إنسان سطحي ، فكل ما لفت نظرك هو كسونا العظام لحما ! ) . لو جاء صاحب شركة

Advanced Genes ( أو أيا من كان أغنى رجل في العالم حاليا ) ، يطلب يد أفقر بدوى ، لن يعطيها له ، أو كما يقول العرب المتمصرون

' ارميها للتمساح ولا تديها للفلاح ! ' ، أى تمساح النيل وفلاح الأرض مصرى الجذور . العرض عند البدوى شيء رهيب الأهمية فعلا ، لكن

يجب أن نحدد كيف يتمثله بالضبط . هو يعلو فوق كل شيء ، إلا مفهوم القبيلة نفسه . عائشة ليست من آل البيت ، ولا أية زوجة لمحمد ، هل

تعرف لماذا ؟ لأن -والكلام لجمهور الصحابة- ' المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها ' . وظيفة يعنى !

بتأخذ أجرة عليها وبعد الشغل تروح بيتها ، أو زى ما كنتم بتهزروا هنا : كل النساء عند العرب أو في منظور الإسلام عاهرات . الزواج مؤسسة

هشة جدا في الثقافة العربية ، وتسميته بالنكاح أو عقد النكاح لم تأت من فراغ ، موش زى فكرة الأسرة النووية في الغرب ، لدرجة تحلى الزوجة

عن لقب أسرتها لتحمل لقب أسرة زوجها ، والموجودة بدرجة أو بأخرى في أغلب الثقافات من قديم الزمان ، بدليل مثلا أن الإنجيل -وهو ليس

بعيدا عن ثقافات المنطقة- طرح فكرة الأسرة النووية حين قال تترك الزوجة بيت أهلها وتلتصق بزوجها ولا يطلقان أبدا . أهل بيت نُجَّد هم حسب تعريف ذات الصحابة ' أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده ' ، وهو تعريف يسرى على بيت أى أحد . إذن الأخ أو العم أهم من الزوجة مهما كانت صفتها ونسبها ، وهكذا ، ولو هو في ظروف اضطرارية يحتاج فيها لفرج ، كالسفر مثلا ، فلا ضير بالمرّة من إعارته إياه .

- الحقيقة موش فاهم . كل ما كنت أفهمه أنهم يدجنون المرأة فلا ترى الشارع إلا مرتين ، واحدة ذهابا لبيت الزوج والثانية للقبر ، وأنهم يسلبونها نصف الميراث ونصف الشهادة ، ويسلبونها كل شيء إن تمردت وطلبت ما يسمى بالخلع ، هذا بينما أنت تجعل الأمور تبدو معقدة جدا .



### هم آلات عاقلة باردة ثوابتها العلم والعلمانية والعملية والعالمية ،

### ونحن حيوانات غريزية انفعالية هاجسها الأهل والأرض والعرض والفرص !

- مكونات ثقافة أى شعب ترجع لآلاف السنين ، أى قبل كل الاختراعات التقنية المعروفة ، تتوالى هذه المخترعات ولا تتزحج الثقافة قيد أنملة . تقدر تقول إنها الترجمة المباشرة جدا للجيينات . انظر لما يبدو كفوارق ' ثقافية ' بين الغرب وبيننا ، ستجدها في عمقها أشياء مادية للغاية . عندهم الكدح وعندنا الرزق ، عندهم الانفتاح وعندنا الهوية ، عندهم الحرية الجنسية وعندنا الدين ، عندهم الابتكار وعندنا التقديس ، عندهم المنهج وشمول الرؤية وعندنا الأحادية وكون القبيلة كل العالم ، عندهم كل شيء موضوعى ومادى وعندنا كل شيء ذاتى ومشخصن ، عندهم المواجهة والواقعية والشفافية وعندنا الكرامة والشرف وشكليات الفضيلة ، عندهم الفرد والنقاش والتمرد وقوة الشخصية وعندنا السمع والطاعة والأسرة والإجماع . بصيغة أخرى : هم آلات عاقلة باردة ثوابتها العلم والعلمانية والعملية والعالمية ، ونحن حيوانات غريزية انفعالية هاجسها الأهل والأرض والعرض والفرص ! والفارق بين الآلة العاقلة الباردة وبين الحيوان الغريزي الانفعالى هو فارق مادى فيما أظن . ولو لم يكن فارقا ماديا لما كانوا دوما بنائين ، بينما نسقنا القيمي الذى نراه سماويا ومقدسا هو تحديدا الذى يجعلنا طوال الوقت طفيليين همجا هجامة هدامين مارقين نسعى لتقويض كل ما بينه الغير ، العدو دائما أبدا . هذه أيضا حقائق مادية . كما أن الشغل البدنى يؤلم العضلات غير المجبولة جينينا عليه ، فبالمثل تشغيل العقل يؤلم الدماغ غير المجبولة جينينا عليه . باختصار ، أو على بلاطة زى ما يقولوا : العقل العربى عقل دون-إنسانى ، يمثل تجريد المعانى والرموز والأفكار شيئا يتجاوز نطاقه الإدراكى ، كل حياته وبالتالى دينه وكل حياته قائمة على حسيات مباشرة ( العذاب بالنار والموت بالقتل والحوار بالإشاحة ولغة الجسد وحركة اليدين . مثال بسيط : اجلس لأحدهم ولاحظ وهو بيتكلم كلام عادى هادى المدى الذى تتحرك فيه ذراعيه ، تجده أوسع بكثير حتى من حركات ذراعى أنا الريفى حين أنفعل . حتى فى صميم العقيدة لا يذكر الله دون الرسول لأن ' أطيعوا الله ' وحدها لا تعنى أى شيء عند عقل العربى ؛ الأشاعرة التمسوا العذر للحنابلة لتجسيم الله -تمثال ضخم بارتفاع ٦٠ ذراعا يجعل ثقل وزنه العرش يزيق لدى الاستواء عليه ، يفعل كل ما يفعله البشر بما فيه بنص القرآن : الاستمناء !- ذلك أن عموم الناس فى نظرهم يصعب عليهم تمثل كائن غير مادى ، إلها كان أم ملاكا أم جنيا ) ، وأبسط نتيجة لكل هذا هى أنه يكره أى شيء مستعقد لأنه لا يفهمه ، ويتوجس منه توجس الثور من الرداء الأحمر . هل فهمت الآن لماذا الزراعة شر !



### ما قام به الإسلام ليس توحيد الأصنام فى الإله اليهودى-المسيحى

( حيث يستحيل على عقولهم العربية دون-البشرية تمثل كنهه أو وجوده ) ،

إنما وحدها فى صنم واحد كبير : تمثال مصمت ( صمد ) أخذه من أبى سمبل ووضعوه فى الستراتوسفير !

... فقط الحق يقال إنهم مع هذا لم يشركوا قط بأى إله إلههم الحقيقى المرئى الملموس : عمر بن الخطاب والخطابة !

- ( ضاحكا : ) وكأننى أسمع أرسطو يتحدث عن البرابرة ! ... فهمت ! ما قام به الإسلام ليس توحيد الأصنام فى الإله اليهودى-المسيحى ( حيث يستحيل على عقولهم العربية دون-البشرية تمثل كنهه أو وجوده ) ، إنما وحدها فى صنم واحد كبير : تمثال مصمت ( صمد ) أخذه من أبى سمبل ووضعوه فى الستراتوسفير ! ... فقط الحق يقال إنهم مع هذا لم يشركوا قط بأى إله إلههم الحقيقى المرئى الملموس : عمر بن الخطاب والخطابة !

- مسكين ! زمان إلهه مات لأن ما فيش أوكسيجين كفاية في الستراتوسفير ! المهم ، سمعتك تشرح لمنى الفارق بين الهجوم على الإسلام وبين إنكار المحرقة ، وتقول هذا دين وهذا علم ؛ هذه كلها أفكار ، والأفكار مجردات ، والمجردات أشياء تتجاوز النطاق الإدراكي لعقل الشخص العربي . من سب الرسول لا توبة له ، لأن الرسول شخص وزعيم من لحم ودم ، لكن من سب الله يستتاب ليس مجرد أن الله هذا يعني نفسه ولا يعنينا ، إنما أساسا لأن الله مفهوم تجریدی . الله وحتى الشيطان أشياء تقع وراء تمثله العقلي لا يفهمها ولا يصدقها ، وأقصى ما يمكنه تمثله من غير المرئيات هو الجن وأفعال السحر ، لأنها ليست بالضبط من غير المرئيات . إن نطاق مدركاته متوقف عند الفعل المنعكس reflex الغريزي البهيمي لقطعان المواشى . كل ما يفهمه العقل العربي في موضوع الهولوكوست هو أنك تنتصر لقبيلة اليهود وعدو قبيلة العرب . كل ما يفهمه هو فقط رابطة الدم ، هي معياره الوحيد في الحكم على الأمور ، لا قيمة للأفكار ولا للمبادئ ولا حتى للمصالح . فقط أنا وأخى ضد ابن عمي ، وأنا وابن عمي ضد الغريب ( أحد الأمثال الشعبية العربية الدارجة لا تحائية العدد ، لكن من القلة القليلة جدا منها المفعله فعلا على أرض الواقع بحيث ترقى لمستوى القانون الاجتماعى والثقافى إن لم يكن لمستوى القداسة ! ) .

ويتداخل ونس : ' فيه حاجة فاتتكم في ثالث أبو سمبل بتاعكم ده : الإسلام اهتم شديد الاهتمام بشخص يسوع ودقائق ولادته وحياته وموته ، لكن لا اهتمام مطلقا بطبيعة الروح القدس ، بل يتصورونه شخصا إنسيا هو الآخر ويتمنون لو كان مُجدّ تحديدا ! ' .  
لم يجد وحيد ما يضاف فاكتفى بأن تتمم : ' أهم حاجة نسيوها ؟ ! لك حاجات يا حاج ! ' .



### كل الحروب في التاريخ الإنساني هي حروب عرقية ، وفي التاريخ الطبيعي هي حروب جينية !

- إذن باختصار : أهم صفحة هي صفحة ٥ !
- ٥ ؟ ٥ إيه ؟
- ٥ يا حاج ! بتاع التوراة . عاوز أعرف رأيك فيها .
- ها تقول لى حواء ما خلفتش بنات ، وأولادها اتجوزوا مين ؟ اتجوزوا أمهم ، وحتى لو خلفت اتجوزوا أختهم ؟ ولا ها تقول لى الحكاية حلال للأنبيا محارم علينا ؟ !
- لا ! سيبك من دى ، أنا برضه ها أشغل نفسى بفوازير تلامذة زى دى ؟ صفحة ٥ هي صفحة مفترق الطرق لكل ما سيأتى بعد ذلك ! صفحة الـ first blood ! صفحة الاستنتاج . هي إल्ली ها تقول اتعلمنا إيه من الصفحات الأربع الأولى . عندنا ناس كثير بيسموا قايلين ولا أعرف أحدا اسمه هايبيل ؟ ما معنى هذا ؟ رغم كل دعاوى القداسة والنقاء ، نزوعنا الفطرى هو أن نحب القتل ونزدري الضحية ! أنا موش ضد العنف ، وأعلم علم اليقين أن العنف شىء جيد وكل التطور انبنى على العنف . لكن يا ريت إحنا حدائين زى قايلين ونقتل غيرنا ، إنما إحنا بطبعنا متخلفين ، وبنقدس التخلف ، والواضح أن كل المطلوب أن ننتقم لهايبيل .
- بس الحكاية دى في كل حنة . الإنجليز عندهم Cain و Caine أكثر من Abel . ما حدش بيحب المهزوم حتى لو كان حبيب رينا . كمان ما تنساش أن اسمه الأصلي قاين ، والعرب خلوه قايلين . أنت عارف قايلين معناها إيه ؟ معناها أبو القبيلة وحاميها .
- برضه أنت ما فهمتش أنا عاوز أقول إيه . أنا موش بأتكلم في التقدم والتخلف . أنا عاوز أقول أن ده يناقض نظريتك عن طيبة الشعب المصرى !

- ما فيش حاجة غلط . ده موجود وده موجود . أكيد سمعت أن المصريين يتخانقوا بالكلام والشتيمة والتهديد بس ، ولما يوصل الموضوع للضرب ، الجرى أصل الجدعنة . لو حد ضريك ها تقول له عيب كده ، ' كله ضرب ضرب ، ما فيش شتيمة ! ' . سمعتها قبل كده ؟ برضه أى قايلين من إल्ली أنت تعرفهم ما يقدرش يدبح فرخة . لو تقعد مع الصعايدة بتوع النار ، دماغهم ناشف موت في حاجات معينة ، إنما ككل طبيين ومسالين وفي حالهم . برضه موش ده لب الموضوع . لو عاوز تنقد بجد ، المشكلة موش في العنف في حد ذاته . المشكلة في اتجاه العنف . فيما قلته لك عن الراعى والزراع . الصفحات الأربعة الأولى تلخص كل شىء . وفهلا في منطقتنا العنف المقدس يجب أن ينتصر للبداءة وليس

للحدثة . لا أكثر ولا أقل . ده فى الدم ، لكن المفروض أن الدين جاء كى يقومه . الدين أدان قتل هابيل ! كل ما قاله أن البدائى أكثر نقاء من المتقدم ، لكن لم يقل أن يقتله .

ويتدخل ونس بنظرية مؤامرة جديدة : ' جايز تحريض غير مباشر ! ' .

يا لمحتى ! كل مرة أسمع كلاما من فم هذا الضهرى الماجن ، كأنى أسمع لأول مرة . لقد عاشت العرب كثيرا فى شبابى ولم يكن لدى شك فى تخلفهم وبدائيتهم ، بل لظالما استخدمت عبارة هوام الصحراء فى وصفهم ، وسواء نقلت هذا المصطلح عن أرسطو أم عن أمى فالمؤكد أنى كنت أعرفه ومقتنعا به ، فما الجديد إذن حتى يبدو لى كلام ضهرى وكأنى أسمع عن العرب لأول مرة ؟ بغباوتى تخيلت البدو مجرد بعض الناس البدائيين البسطاء فى سيناء أو مطروح ، والآن أكتشف أنهم ليسوا بسطاء ، وأنهم متوغلون متغلغلون فى كل ركن من أركان مصر من أعلى طبقاتها لأسفلها . تحت كل الوجوه التى نراها عادية فى الشوارع ، تحت كل بشرة وتحت كل ملابس عصرية ، توجد قوى طبيعية مخيفة لهذه الدرجة ، توجد مسوخ بشرية ووحوش لا سلطان لأحد عليها . هل نعيش حقا وتلك القوى البدائية الغاشمة ، تكمن وتتحرك -هنا والآن- تحت أنوفنا ؟ أنت حين تحدث الشيخ حجاب ، فترتجف أن لا عقل بالمرء وراء تلك اللحية إنما حيوان مفترس هائج ، ليس الشيخ حجاب هو الذى يتحدث ، إنما كتلة جينياته المتوحشة التى لا يمكن لأحد السيطرة عليها ، لا هو ولا غيره . دائما أبدا الجينيات هى التى تتكلم وليس البشر . هؤلاء ما هم إلا مطايا وماكينات هائجة ليس بيدها شىء من أمرها . أوه ! كلمة ' الرجل الشرقى لا يتغير أبدا ' ، وصف متواضع لما هو أسوأ بمراحل من مجرد قهر الزوجات . إنه برنامج كامل متكامل للدمار الكتلى الشامل لكل مظاهر الحياة على الكوكب !

- أنت كثيرا ما تتحدث يا حاج عن خبرتك مع القبائل البدوية . تقول إن المظهر الحدائى ، سيارات حديثة جدا ٤ × ٤ للتهديب فى سيناء ، أو بنايات شاهقة مبهرة فى الخليج ، ما هو إلا مظهر ، طبقة خارجية خداعة . الولاء للقبيلة يلغى المنطق تماما ويطلق قوى جبارة وغير عقلانية بالمرءة للقتل والتدمير واستحلال كل أحد . الأخلاق كل الأخلاق داخل القبيلة ، ولا خلق ولا أمان بالمرءة لمن هم خارجها . لكن هذا شىء مرعب حقا . وإذن لا مفر من العنف ، المواجهة . المتوقع منك أن تقول هذا ، لا أن تتحدث عن تقنيات تافهة وثانوية جدا وضعها الدين ، ولا تمس الجوهر من قريب أو بعيد ، بل بالعكس تضىف عليه القداسة .

- المواجهة موجودة فى كل حنة . الفيصل سيكون خامة القماش . بتقولوها إزاي بالإنجلش ؟ the right stuff ؟

- ( شاردا فى ابتهاج كمن تعاطى للتو جرعة من الماريوانا الجيدة : ) بنقولها الجينيات ! أنا طول عمرى يا حاج ما كنت مضبوط زى النهارده . طول عمرى بأقول الحرب الكبيرة إالى جاية ، ها تكون مع الصين وروسيا ، وجايز مع فرنسا كمان باعتبارها اشتراكية زيهم ومعادية للاقتصاد الحر ، جايز تدخل ثالث معاهم أو جايز بالكثير تقف على الحياد . أنت فاكرا الحرب الباردة حرب بين أيزنهاوز وستالين أو بين كينيدي وخروتشوف ؟ إنما ليست أصلا حربا بين أميركا وروسيا . ليست حتى حربا بين الرأسمالية والاشتراكية . إنما حرب بين شعوب . حرب بين أعراق . حرب بين جينيات . ولهذا لن تنتهى أبدا . كل الحروب فى التاريخ الإنسانى هى حروب عرقية ، وفى التاريخ الطبيعى هى حروب جينية ! من إتش جى . ويللز حتى ستانلى كيوبريك ، الكل يدين الإنسان ككائن مجنون يهوى الحرب ، بينما الحقيقة أنه برىء كل البراءة من هذه التهمة الظالمة . هو لا يدخل الحروب لمزاج أو عن هوى شخصى . طبعاً ! كيف وجينياتنا هى الكائن العاقل ، وما نحن إلا مطايا مسلوقة العقل والإرادة كل وظيفتها أن تنتصر لجينياتها ؟ !



**ينصر جينيك !**

... ويصرخ أسد بصدق حماسه المعهود ومن خلفه البعض ساخرا مستخفا : ' ينصر جينيك ! ' .



**الخل هو ' ووترلوو ٢ ' ؟**

فعلا ماذا عن الصينيين ؟ الليلة الماضية درست الدين والجيليين لكل الشعوب من أختاتون حتى الملك آرثر ، وتجاهلت الصين . ربما يهيمن على اللا شعور عندى أنهم مجرد ذلك الشرق الصوفى الطيب . فعلا لقد قابلت أناسا مهذبين كثيرين منهم . ذات مرة طلبت معلومة بسيطة بالتليفون

من سفارتهم ، ففوجئت بالملحق التجارى يأتينى بنفسه لمقر ' الاقتصاد اليوم ' بعد ١٠ دقائق . يحكى اليوم عنهم أنهم يكفون بشدة . أطفالهم يذكرون ١٩ ساعة يوميا ، بما فى ذلك أيام العطلات . لكن ألا يعدو هذا قسرا للذات ، ' حزقا ' كما يقال بالعامية . تاريخيا لا تقول جينانهم عنهم أى شىء من كل هذا . تقول فقط أشياء مذبذبة جدا . أقصى إنجاز لهم أن بنوا سورا حول أنفسهم . بالعامية أيضا ' يشدون حيلهم لغاية ما ها يتقطع ' قريبا . ثم إن ليس كل شىء كدح . أين ذهب الواحد بالمائة إلهام ؟ ! هل صدق أحد حقا يوما أن الإنجليز أو توماس إديسون أغبياء ؟ ! ثم ما هذا الكلام أصلا ؟ الصين تكدح ؟ أى كدح ؟ الصين لم تلعب الاقتصاد لعبا نظيفا أبدا . الصين لم تلعب حرية التداول لعبا نظيفا أبدا . الصين لم تلعب أى شىء لعبا نظيفا أبدا . ظلت تتحكم فى سعر عملتها حتى تغرق العالم بسلعها الفاسدة ، ظلت تتحكم بأجور شغيلتها لمستويات أقرب للسخرى فقط لا للمنافسة الشريفة إنما للهيمنة السياسية على العالم ، ظلت توظف هذا المال القدر للهيمنة على العالم الثالث وحكامه المرتشين ، وفى النهاية اتضح اللعبة حين دخلت منظمة التداول ، قلبتها برمتها بفضل تلك الأغلبية المنصاعة لها ، لما هو عكس أهدافها بالضبط . والآن الطامة الكبرى ، الترسانة العسكرية التى لم يحدث أن فهم الكثيرون الطائل من ورائها .

من غبائى أن تخيلت لوهلة أن الحزب الشيوعى لم يعد اسما على مسمى . بالعكس تماما . إنه الشىء الشيوعى الحقيقى الوحيد فى هذا العالم . هو الوحيد الذى لم ينس تعاليم ماركس وإنجلز الأصلية . الشيوعية لن تتحقق إلا عند لحظة نضج معين للرأسمالية . هم يرون أمثال لينين وناصر ، مجرد انقلابيين ، لصوص صغار متعجلين يسيل ريقهم على الفتات . لو أردت أن تسرق حقا ، لا تسرق شيئا أقل من اقتصاد أميركا ، اقتصاد العالم ، أو : إليك حل آخر : دع الشركات الأمريكية تأتيك باستثمارات هائلة جدا يمكن مقارنتها بحجم الاقتصاد الأمريكى أو العالمى ، ربه أو نصفه مثلا ، وساعتها فقط قم بتأميمها . أوه ! يا لهول ! إنهم لم يتخلوا عن الاشتراكية ولو للحظة واحدة . إنها نفس القصة الجينية ! الصينيون هم الصينيون . أقصد المهجامة هم عينهم فى كل مكان . نعم ، الصينيون هم الصينيون . تلك هى جينانهم . هم شعب لم يؤمن بالحرية أو بمارسها يوما واحدا من الأيام . عاصمة النهب وقطع الطريق تنتقل من يثرب لباريس لموسكو لپكين ، لكن الأساليب لا تتغير . لكن لا . لا وجه للقياس بين الصين وبين العرب . لن أقول إنها نفس لعبة الترقية والتمكين . لن أقول مؤامرات ، كالناصرية أو الإخوانية الخسيسية ، فأدبيات الحزب الشيوعى الصينى موجودة صراحة على الإنترنت . إجمالا ، دعك من العرب والمسلمين التوفاه ، الذين شغل تافهو رمسيس بالك بهم أكثر مما يجب . ببساطة حاول أن تسهم ، كما كنت تفعل طيلة حياتك . هناك ما هو أهم : فى الغد القريب قد تحكم الصين العالم ، لكنها لن تقود العالم . ستكون عصور ظلام صينية !

- يعنى أنت بتقول الحرب الباردة لسه ما خلصتس ؟ ثم ده ما له ومال البدو ؟ كلام غريب أوى ! إنما أنت ليه بتتكلم باللهجة دى ؟ صوتك مختلف خالص ؟

- ( متخليا عن نبرته الكسيرة إلى حماس واندفاع مفاجئين ) : ولا ها تخلص ! وها تبقى ساخنة ! كل الحروب الكبرى هى ما بين أمم ناجحة وأمم فاشلة . أمم تعانق الغد وأمم تعاديه . أمم ترحب بالمنافسة وأمم تصادرها . والمشكلة الكبيرة أن كل ده قدر مكتوب فى الجينيات وما لهوش حل . منذ أرسطو وحتى اليوم لم يحدث ما يحمل على الاعتقاد أن هناك شعبا اعتبره متخلفا قد تحول من التخلف للتقدم . تصنيفاته لا تزال هى حتى اليوم ، ولا تزال مشكلة كل المدن والحضارات هى حتى اليوم : قطاع الطرق ؛ وتحديدا أخطر ساللاتهم إطلاقا : العرب ! عرفت علاقة الكلام بالبدو بتوعك إيه ؟ المتخلفون لا يزالوا هم المتخلفين . أرسطو لم يعرف البريطانيين مثلا ، لكنهم تسيدوا لأنهم يطابقون بالضبط المواصفات التى وضعها للشعوب القائدة . مثل ذلك التغير شبه مستحيل ، أو على الأقل يحتاج لألفيات . نعم هناك هجرة ، وهناك موات أنتروبي ، لكن الحرب لم تنته بعد بانتصار قوى التخلف .

- على فكرة أنا موش موافق على حكاية القانون الثانى إالى كل شوية تقولها . علماء الديناميات الحرارية يقولوا بوضوح شديد أنه ينطبق على نظم حرارية محدودة ومغلقة ، يعنى مثلا ما ينطبق على فضاء الكون ، فما بالك وأنت جاي تطبقه على المجتمعات الإنسانية ؟ !

- ' هم ' يقولوا ، إنما ' إحنا ' لازم نفكر . روما اضمحلت بألية تشبه الموات الأنتروبي بالضبط ، كذلك بريطانيا . تذويب الفوارق بين الطبقات يقتل كل شىء . أنا لازم أعرفك ع الواد عبقرى الهندسة إين واحد من معارف أمى القدام ، قابلته مرة واحدة أول ما رجعت مصر وكان فاهم أنهم رفضوا يشغلوه معيد مجرد أنه مسيحى ، وأكد له نظريات فى موضوع الأنتروبي ده . أرجوك ما تطلعناش بره الموضوع : الحرب الكبيرة إالى بدأها المسلمون فى ١١ سبتمبر ، هى نفسها حروب نابوليون ، وحروب هانيبال ، إنما فى شكل تانى . نعم ، ساركوزى لا يحمل أية جينيات

فرنسية ، جبيناته شمالية شرقية أرستقراطية معتبرة ( ربما ما كان عليها أن تحط الرحال قط في بلد كفرنسا ) ، وطبعا لديه نوايا ممتازة ، لكن ماذا استطاع حتى اللحظة أو سيستطيع أبدا ، مع خراب يومي لأكثر من قرنين اسمه الثورة الفرنسية ، بل قل ماذا سيستطيع مع جبينات متأصلة العقم والخراب لألغيات كجبينات الشعب الفرنسي . الشعب الذى يشتغل بمتوسط خمس ساعات يوميا ، بينما يتناول وجبة الغداء وحدها في ست ساعات ( دع جانبا العبيد المهاجرين العرب والمسلمين ، أو الخثالة كما يسميهم هو ) . إن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى شعوب خطيرة بطبعها ، ذلك أنها لا تقيم وزنا كبيرا للقامة العيش ، لما يسمى فى الفلسفة بالمادية . إن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، شعوب ساموية ( ليس نسبة لسام بن نوح ، إنما للسمو ، وإن كانت الرابطة بين الأمرين غير معدومة ) ، لا تعبا بالدنيويات ، ذلك أن لديها أجنحة ثقافية ودينية و ' تيمايوسية ' تعلق فوق كل الاهتمامات التافهة للشعوب الأخرى . إن الشعوب ذات المكون الثقافى العالى ، ناهيك عن بالأخص منها تلك التى تفتقت عن فكرة جهنمية بحجم فحش فكرة إله التوحيد ، شعوب ترى كرامتها أو ' هويتها ' أهم من لقمة عيشها ، شعوب مبتلاة بجبينات تغلب التشنج على العقل ، شعوب يستحيل الارتكان لفرصة التفاهم بالمنطق معها ناهيك عن ترويضها ، ويمكن أن تجنب للتدمير فى لحظة وبأرخص أسعار التحريض ، وأسألوا الهنود الحمر . حاجة واحدة إالى كنت عاوز أقولها تخالف كلامك ، هى أن العرب والمسلمين دول ولا حاجة . هم أئفه من أن يمثلوا خطرا حقيقيا . حتى فى ١١ سبتمبر كنت مقتنع بكده . ها يبادوا من مجرد القنابل إالى ها تقع غلط فى النص . الإسلام الأسيوطى - إن جاز التعبير - الأرفع من النبى ومن الكرهان ، إالى بيقول عليه ونس ، ربما ليس بالخطورة التى يصورها لنا . كان من الأفضل لهم أن يبدأوا باحتلال الدول المجاورة لأفغانستان واحدة تلو الأخرى كى ينشئوا المزيد من ذلك العالم اليوتوبى المقدم ، مجتمع طالبان المثالى المتحرر من كل الضعف البشرى ؛ يقضون وزيرستان فكل باكستان فبقية الشرق الأوسط ، ثم يركزون تدريجيا على أوروبا بالتكاثر والهجرة والهجرة والتكاثر ، وهكذا ، لكن تشتيت الجهود لما وراء الأطلنطى أو بامتداد خريطة العالم هو - ساحوى - محض غباء . مشكلتهم هى ذات مشكلة هتلر : أن صبرهم قليل ، ورطم طائرة فى برج لا يسقط إمبراطورية ، وقطعا لا ينشئ إمبراطورية . ١١ سبتمبر كان نقطة بداية ' العك العكسى ' لهم ، وكل ما جنوه أن ببساطة تغير كثير من ساطرات اللعبة على نحو قد لا تفهمه يوتوبياتهم فاحشة العلو والغلو . بالفعل هم دين جديد وليسوا صحيح الإسلام كما يسمون أنفسهم ، بينما الأديان لا تنتشر إلا بالتسليم والاتباع ، بغسيل المخ بالتقديس ومنع الأتباع من محاولة المناقشة أو التشكيك أو المساس بالقدسية . هذه نقطة القوة فى الإسلام التقليدى مهما كان هشاً ومضحكاً فكرياً . يضاف إلى ذلك أن الدنيا نفسها تغيرت وصعب فى عصر السماوات المفتوحة والإنترنت وحرية تداول الأفكار أن ينجح أى دين جديد مهما كان بلا متناقضات . لقد صرت - رغم علمانيتي - أعتقد أن زكريا بطرس هذا الذى تحدثون عنه نزل من السماء ( حرفياً ) على حكوماتنا ليعطيها العصا السحرية لها فى حروبها المستطالة شبه الفاشلة على الإسلام ، بل وأعتقد أن أفكاره يجب أن تدرس لطلبة المدارس ، كجزء من مادة للأديان المقارنة ، تحل محل مادة التربية الدينية الحالية التى لا تزيد مجتمعا إلا إغراقاً فى الغيب والخرافة . ربما كل ما عليه أن يتقدم بطلب ، يستخدم فيه ما يجب من العبارات اللائقة لمخاطبة البيروقراطية المصرية الأعرق فى كل التاريخ : ' أتشرف بالتقدم لسيادتكم راجيا التفضل بالموافقة على بدء صحوة مسيحية ، أسوة بالصحوة الإسلامية التى تفضلتم بها بكرمكم المعهود قبل ٣٥ سنة ' ! أنا واثق أنه سيحصل على الموافقة ، لأن الواجب أن نترك كل تلك الأشغال القدرية لجيش الاستشهاد المسيحى الجديد يقهر الإسلام كما قهروا روما يوما ، معركة كلها مخضب بالدماء وبالسوائل المنوية وفضلات البول والبراز والحبض والنفاس ، بعد ذلك تتركوا لنا مهمة التعامل مع هذه المسيحية ، مبارزة أنيقة رقيقة لا تحتاج لأكثر من شوكة وسكينة . نحن اعتدنا قرونا نجادل المسيحية فيها فى عمر الحفريات وفى وظيفة الكلوروفيل ، لكنى أعترف أنها ليست معركتنا مجادلة من يقولون إن كل الكائنات - بما فيها الديناصور والماموث والحوت الأبيض والأزرق والبمبي - قد خلقت يوم فرك الإله يديه من بقايا الطين الذى خلق به آدم . عليهم - حكومتنا ورأس حربتها القديس بطرس الثانى - أن يأتوا بهم للمسيحية أولا ، ثم يدعونا نحن نتصرف معهم بطريقتنا بعد ذلك .

- أنت خرفت خالص !

- أنا بأشكرك على تأملاتك العبقريّة دى ، بس بأصحح فيها أن العصيان أو الخطر الأساس طول عمره ما كان من الجهاد الإسلامى ( = الحرابة الشرعية ) والقومية العربية ( = الحرابة غير الشرعية ) زى ما أنت فاكّر . أنا لم أخرف ولم أذهب بعيدا . بالعكس ، أنا لم أنس معركتى الأصلية لحظة واحدة . نعم ، هؤلاء قراصنة وقطاع طرق الحضارة وكل تاريخهم هكذا ، ونعم الإخوان وحكام الخليج وليس القاعدة أو طالبان هم صحيح الإسلام ومن فهموا الهدف الحقيقى من ورائه وما تدور حوله القصة ، لكن أى منهم جميعا لم ولن يمثل خطرا جديا أبدا ؛ هم هجامة صغار ، لا قيمة لهم بالمقارنة بالقراصنة الكبار ، الصين وروسيا وفرنسا . لا حل إذن . أقصد : الحل هو ' ووترلوو ٢ ' !

- ها تنتج فيلم اسمه كده ؟ !

ويجتز وحيد الكلام السابق : المهم خامة القماش ؟ ! لك حاجات يا حاج !



### كل العرب چانچاويد موش هاشم وأميه بس !

لشهور كانت قد تواترت أنباء متفرقة عن غارات الرعاة العرب على حدود مصر الجنوبية . بسبب الوقفة الصلبة الشجاعة للجنوب والغرب والشرق ضد مسلسل النهب العربي للسودان ، فإن حكومة الخرطوم الأعرابية لم تجد سوى توجيه غارات هجرتها شمالا يعيشون الآن نهباً وسلباً في صعيد مصر . لقد وصلوا لأسوان ، والآن يقال إن الأمن يضع حراسة مشددة على متاحف الأقصر ومحال الذهب والمجوهرات فيها . والأسوأ من الجانچاويد من باتوا يجدون في الجانچاويد الأسوة الحسنة : الفلسطينيون ممن لم يردعهم الجدار الفاصل الذى بنته مصر في وجوههم ، أخذوا عبر الأنفاق والصورايخ والحلفاء ، يستبيحون منتجعات سيناء نهباً وسلباً ، بعد أن كانوا يكتفون بتفجيرها في الماضى . الليبيون الذين لم تعد تفصلهم عن الإغارة على الأسكندرية سوى خطوة واحدة . يبدو أن ما حدث في أسبوط شجعهم كل هؤلاء أكثر ، إذ قدروا أن الأمن سيكون مشغولاً عنهم . هذه المخاطر لم تعد بالنسبة لنا في كوكب آخر ، أو حكايات من التاريخ . إنها مستقبلنا المحدق نفسه ، إن لم تكن واقعنا الحالى المعاش . مصر الجديدة ليست بعيدة جداً ولا حصينة جداً !

- أنت موش من بنى هاشم ومن الأشراف يا حاج ؟

- أيوه .

- يعنى چانچاويد ؟ ! زى الكتاب : رعاة لا موطن دائم لهم ، يغيرون على أراضى الزراع ، ينهبونهم ، يقتلونهم ، ويغتصبون نساءهم وبناتهم ، ويختطفون أبنائهم ؟ !

- ( بحدّة : ) أيوه چانچاويد ! ولعلمك : كل العرب چانچاويد موش هاشم وأميه بس ! وچانچاويد موش معناها قبائل رعى موش زرع وبس ، إنما حقول پترول كمان ، الغنم ممكن ترعى في حقول الپترول . وعلشان تنبسط كمان وكمان ، ترعى في مانهاتان وواشينيكتون وبالى ولندن ومدريد وروما وطوكيو كمان .



تقريباً ، أى من البشر سبعة البلايين - بما في هذا العرب - يمكن أن تجده إنساناً لطيفاً وتستمتع بالحديث معه إلى مقهى ؟

إلا أن معايير أمانا الطبيعة في الانتخاب الطبيعي قد تختلف قليلاً : هى لا تجلس إلى المقاهى !

- ما ترعلش كده ! سؤالى : أيزال أمثال هؤلاء يعيشون وسطنا ؟ طالما حدثتني أمى عن العرب ولم أفهم كلامها .

- تقريباً ، أى من البشر سبعة البلايين - بما في هذا العرب - يمكن أن تجده إنساناً لطيفاً وتستمتع بالحديث معه إلى مقهى ؛ إلا أن معايير أمانا الطبيعة في الانتخاب الطبيعي قد تختلف قليلاً : هى لا تجلس إلى المقاهى ! البدوى يمكن أن يكون طيباً عامة ، يمكنك أن تجالسه ، فتجده حلو المعشر بسيط وفطرى ، بل ويمكن أن تحس أنه غير متدين بالمرءة أو حتى أنه أصبح صديقك فعلاً . لكن فقط ارتكب ولو أدنى إساءة منك للقبيلة ، ستجده بينما أنت جالس تتناول العشاء معه وتتبادلان النكات ، تأتيه مكاملة فإذا به ينهض ويتناول سكين الطعام التى أمامه ويغرسها في صدرك دونما لحظة تفكير واحدة . سينقلب وحشاً ضارياً انتحارياً استشهادياً كاسراً ، حتى لو لم ترتكب تلك الإساءة معه ، وحتى لم يشاهدها بعينه ، إنما فقط أخبره شيخ القبيلة أو أحد أبنائها أنك فعلتها . السبب ؟ هو ذات الفارق القاعدى بين الراعى والزراع ، هو ذات السبب الذى يجعل المصريين شعب يميل للتسامح والحب ويجعل العرب يميلون للقتل والكره : الأول يرى كل زيادة سكانية يدا عاملة إضافية ستأتى بمزيد من الوفرة ، بينما الثانى يراها تهديداً للموارد الشحيحة . تلك هى مشكلة العرب والأعراق النيمايوسية الانفعالية المعنوياتية عامة . سيبك من إعارة الفروج ، لنقل إنها غير منتشرة جداً . تعدد الزوجات أنثروپولوجيا هو نفس المفهوم تقريباً . لماذا يبيحون تعدد الزوجات ولا يبيحون تعدد الأزواج ؟ نفس السبب بالظبط ! فى كل الأحوال المرأة شىء ، قطعة أرض ، والأدق نقرة فى الأرض لوضع بذورك فيها ، حتى لو بنت قبيلة أصيلة . ذكر القبيلة هو ما يفرق ، بذرته أهم ثروة على وجه الأرض ، وهى الزراعة الوحيدة الحلال . والخط الأحمر القانى جداً ، هو أن يضع أحداً من الخارج

بذرة في امرأة تنتسب للقبيلة ، هذا تعدى على أرضك لا يمكن غفرانه . هم يقتلونها خشية أن تنجب ، لكن لو هربت لربما ما اهتموا كثيرا بقتلها . هكذا المسألة ، مسألة جينية بحتة ، ولديهم فيها قاعدة ذهبية تقول ' العرق دساس ' ، والصياغة واضحة المقصد تماما ، أنه سوف يتسلل من خلاله شيء يهدد نقاء القبيلة وبالتالي يقوض سر قوتها وتماسكها . هذا هو معنى العرض عندهم ، وليس مجرد أن فرج المرأة انفتح لشخص آخر ، فهذا ليس مشكلة في حد ذاته . باختصار المسألة بيولوجية محضة : البشر غادروا مبدأ تعدد الإناث إلا العرب ، لأنها ببساطة آلية تكيفية تضمن بقاء النوع لعشيرة بيولوجية لديه اختلال في عدد الذكور لأن القتل هواية يومية وأسلوب حياة بالنسبة له . هكذا معظم الحيوانات ، فما بالك بالعرب ، الذين إن لم يجد أحدهم ابن عم ليقتله يقتل أخاه !

- فهمت ! لعل إذن ذلك هو سر أن الأشياء السيئة التي تستحق التحريم هي التي تعيش والعكس بالعكس ، ولهذا نزل متخلفين ، وده امتداد لكلامك في الانتخاب الطبيعي : تركيبنا الجينية مصممة بحيث تعزز المحافظة على تخلفها .

- طبعا ! بحكم التعريف ، أية بركة جينية مصممة للمحافظة على ذاتها . حتى المصريات اللاتي يستغرين قبول النساء العربيات ببساطة لتعدد الزوجات لا يفهمن السر . لو حدث ووجدت نساء ينفرن من تعدد الزوجات سينقرضن بعد قليل وتنقرض جينياتهم لأنها ببساطة تهدد للاستقرار البيولوجي .



### البول هو عماد التوحيد !

- ( مواصلا : ) الطامة الكبرى التي تفوق كل هذا وذاك ، هي ذلك الشيء المسمى الحداثة . سينقلون جميعا وحوشا استشهادية كاسرة لو استثموا في كلامك شيئا يدعوهم لتجاوز أسلوب الحياة الذي يحبون . أنت ببساطة تدعوهم هكذا للانقراض ، للتحلل ، to perish . على سبيل المثال ، وهو مثال صغير وثانوي ، الأسرة النووية نفسها من محداثات عصر الصناعة ، وشر الأمور محدثاتها . نحن لم نفتتح أبدا بمفهوم الأسرة النووية كما عرفه الغرب ، وأنتم تريدون منا الانتقال إلى عصر ما بعد-الصناعة حيث خلية المجتمع ليست الأسرة لا نووية ولا غير نووية ، إنما الفرد . لا يزال كلنا يتزوج ويموت دون أن يترك الأسرة الكبيرة . أنتم -أيها العلمانيون- تجدون مادة فكاهية جدا في تعاليم مُجد التفصيلية للغاية حول كيف تعاشر زوجتك وكيف تذهب للغائط وكيف تخرج الضراط ، لكنكم لا تفهمون أن هذا كلام شديد الجدوية والأهمية بل هو مسألة حياة أو موت . إنه جزء من تعريف القبيلة نفسه ، هذه التي يجب أن تلازمك بكامل أفرادها ٢٤ ساعة من يومك ، يذهبون معك أينما ذهبت ، بما في هذا فراش زوجتك ودورة المياه . أنتم -أيها العلمانيون- تجدون مادة فكاهية جدا في تعاليم مُجد التفصيلية عن البول الذي أدلى فيه بمليون حديث ، أو بالأكثر تتذكرون وتقولون إنه وسواس شخصي لمحمد أو أحد أعراض أمراضه الجنسية ، لكنكم لا تفهمون أن الأمور أسبق وأعمق من كل هذا ، وأن البول هو أيضا مسألة حياة أو موت . ببساطة : البول هو عماد التوحيد ! نعم ، لا تسخر ، البول -ولا شيء غير البول- هو الفكرة الوحيدة الكبرى التي جاء بها الإسلام . فيها وجد مُجد وعمر مفتاحا سحريا للتوحيد ومن ثم لبناء الدولة . إذا جعلت البول نجاسة هائلة سوف تعاقب عليها بزيارة الشيطان نفسه لك طوال الليل ، ثم تذهب بك بعدها لعذاب القبر الرهيب المقيم ، فأنت بالتالي تفرض على أتباعك الطهارة المتواصلة التي لا تقل عن خمس مرات يوميا . بعدها من السهل أن تجعل هذه الطهارة جزءا من الصلاة ( الشكلية جدا التي لا نظافة فيها بل أميل لما هو العكس : تبلل الحذاء والعمامة من الخارج ، ولو لم تجد ماء تتمرغ في التراب ، فالهدف أسمى بكثير من مجرد النظافة ! ) ، بعدها تجعل الصلاة عماد الدين وتاركها بالكليّة مرتدا يجب أن يستتاب أو يقتل ، بعدها تجعل الإثبات الوحيد لبراءتك من تهمّة ترك الصلاة عدم التخلف عن الجماعة ، فتكون قد حصلت على كل ما تريد . طبعا الدم ها يبقى للركب لو حاولت تعض الزكاة ، إلی هي طعام الكهنة زى ما بتسميها ( شوف مثلا كيف ينتفض المشاخر لو قلت لأحدهم إن ابني أو بنتي يعيشون في بؤس وأحق بالزكاة من أى أحد ) ، هذا عن الزكاة ، لكن الدم ها يبقى للأئمة لو مسست الصلاة . ليه ؟ لأن في الأصل لم يفترضوا أن طعام الكهنة سيأتي من أتاة تفرض على المسلمين المعدمين أصلا ، إنما من غزو خارجي للأثرياء ، ولهذا صار طعام الكهنة أكثر اعتمادا على أداء الصلاة منه على جباية الزكاة . الجماعة ثورة اتصالات ستمنحك أداة جبارة للترابط والتوصيل الفوري لما استجد من معلومات وتعليمات تخص الشأن القبلي ، أو بعبارة أبعد وأدق : صلاة الجماعة طاوور جيش ، يستدعى المجندين بنفير نوبة صحيان اسمه الأذان خمس مرات يوميا ، فيتمم القائد على قواته حضورا وطاعة ، يتأكد من مساواة الصفوف شد الساقين ضم الكعبين مد الذراعين فرد الظهر وتزامن حركات المشية ، وأن تنطلق صيحات الولاء والبراء بقوة وفي نفس واحد ،

والختام لليمين انظر ولليسار انظر ، وكما هو معلوم الصلاة بالقلب من غير صوت مسموع : باطلة ! ، وكما هو معلوم أيضا هم مُجَّد بالأمر بتحريق بيوت تارك صلاة الجماعة ، ومجرد التهديد بشيء كهذا يوضح ما هي أصلا الحكمة الفعلية من هذه الجماعة ، ولأن اللاحقين فهموا هذه الحكمة وفهموا وقتية الظروف التي كبلتها ، فراحوا يطبقونها ، أو على الأقل رأيناهم يؤلفون آلاف الكتب في حكم تارك الصلاة تنتظر من يقوم بالتطبيق . ( ملحوظة : لاحظ كذلك أن الصلاة بدون نعال هي بدعة ، والسنة الصحيحة لا يتبعها أحد اليوم إلا الجنود في أيام الحرب ! ) . بهذا إجمالا -انطلاقا من نزول قطرة البول وصولا منها لارتصاص الجيوش- يكون الجبين العربي قد حقق -ومن أقصر طريق- أسمى غاياته ، وبعد كل هذا تأتون لنا بغباوتكم العلمانية لتقولوا لنا إن الدين علاقة شخصية بين الإنسان وربه . قال مُجَّد ' إن العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ' ، يعنى حتى موش الفلوس إल्ली هي الزكاة ، لأن الصلاة أهم مليون مرة لبقاء الجبين . ليه المشايخ -أعدى أعداء اختلاط الجنسين- موش عاوزين يعملوا مساجد للنساء ؟ لأن هدف الصلاة إल्ली هو أخذ التمام قد انتفى : أعطيتهن حق تقرير المصير ! ثم مين قال أن ما فيش علاقة بين الإنسان وربه في الإسلام ؟ الدعاء علاقة بين الإنسان وربه ، فقط الصلاة حاجة تاني : خدمة عسكرية ! أنت عارف ليه دائما يصمموا أن ما فيش رهينة في الإسلام ؟ لأن رهينة هروب من الخدمة العسكرية ! ها ! ها ! ( ويشير إلى وجه وحيد مداعبا مرة أخرى بما كان يقال لإسماعيل يس في الأفلام : ) هو بعينه بغباوته !

- البول هو عماد التوحيد ؟ ! لا أعتقد أن كثيرين يشاركونك الرأي أن البول في الإسلام ينطوى على كل هذه العبقرية ؟ أنت عندك حق أن أثينا نفسها -ولا أى أحد- يجتمع خمس مرات في اليوم ، لذا أقصى ما يمكن أن يوافقك عليه البعض أن الإسلام ولد بثورة اتصالات ، وقضى عليه بثورة اتصالات !

ويعلق ونس : ' ها ! الأذان أيضا كان من اختراعات عمر ! حى على القتال ! حى على النكاح ! ' ، ويدلف لإطلاق النفير بلا توقف حتى أوقفوه ، ليقول وهو يلتقط أنفاسه بالكاد : ' هل تعرفون لماذا يجب دين الصهاك في العطس وينفر من الثاؤب ، الذى يقول إنه يدخل الشيطان في خيشوم الإنسان ؟ السبب واضح وعسكرى محض ! ' .



## - طب والحل ؟

### - حل واحد : لن تستعيد سيارتك إلا إذا خطفت أنت سيارة مقابلها من قبيلة الخاطف !

- هل تعرف لماذا تنطوى محاكم ' حق العرب ' على مظالم هائلة ؟ لأنها لا تعترف بشيء اسمه الفرد . يخطف أحدهم سيارتك ويخفيها في الجبل ، وحين تذهب للمحكمة العرفية ، يقول لك إن ابن قبيلتك الفلاني سرق منى شيئا قبل ثلاثين سنة ، وعليك أن تدفع ٥٠ ألف جنيه . أنا لم أسمع باسم قريبي هذا الشخص ، كما أن الواقعة تمت قبل أن أولد أنا نفسى ، ثم أنا لست ابن قبيلة أصلا ، أنا ابن المدينة ، ولدت في العريش ولم أعرف يوما غيرها ، وفوق الكل أنا ليس معى ٥٠ ألف جنيه . هذا ليس ردا مقبولا . أنتم كلكم فلاحين في بعض ! البدو لا ينسون ثأرهم أبدا . هل تخيل أحد حقا أن السعوديين يمكن أن ينسوا ، ولو بعد مليون سنة ، ما فعله إبراهيم باشا في الوهابيين في عقر دارهم في نجد ؟ المصريون عليهم تار ولن يهدأ بال السعوديين قبل أن يستوفوه على داير مليم . أنا خايف أن إल्ली بيعمله الجانجاويد في أسوان انتقام من إल्ली عمله إبراهيم باشا في أعمامهم في الدرعية ، أو عمله إسماعيل ابنه في آباتهم ، الزبير وأتباعه من تجار العبيد ، في بحر الغزال .

- طب والحل ؟

- حل واحد : لن تستعيد سيارتك إلا إذا خطفت أنت سيارة مقابلها من قبيلة الخاطف ! هذا يحدث كل يوم في سيناء ومطروح وغير سيناء ومطروح .

- وهو عينه ما حدث يوم سرقت القبيلة الأوروبية أموالك وخطفت أحد رجالك ، بذريعة أنك أسقطت لهم طائرة فوق لوكيربي . الوسيلة الوحيدة لاستعادة نقودك ورجلك ، أن تحتطف خمس ممرضات منهم ، وتحدد بقتلهن .

- باختصار ، هاجس تماسك القبيلة يأتي قبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، هو كل شيء . ( ثم خالطا الأمور بعضها البعض كعادته : ) أدى نتيجة أن ما فيش حكومة وما فيش محاكم جنائية ، وكل حاجة تحكيم مدنى ، زى ما أنت دائما بتطالب !

- ( محتجا وإن ليس محتدا : ) أنا برضه بأطالب بمحاكم تعاقبك على كل أفعال قبيلتك ؟ !

- ( بهدوء : ) إذن ببساطة : ما تطالب به لا يصلح عندنا ! خذ مثلا آخر : كل ما سمي بحجة الوداع ، ترسم حدود حقوق الإنسان في الإسلام . هي ليست حقوقا للإنسان ، هي فقط حقوق الإنسان المسلم على أخيه المسلم . ذلك أن لا حقوق لغير المسلم حتى يسلم . مثلا الزكاة لا تجوز لغير المسلم مهما كان احتياجه ، وإن جاز أن تقبل ( أو تغتصب ) أى شىء منهم استحلالاتا حلالا ، و' المسلم هو من سلم المسلمون من لسانه ويده ' ( سلم المسلمون وليس سلم الناس — لاحظ ! ) ، و' من غشنا فليس منا ' ( أما من غشنا فلا بأس ، فالتجارة شطارة وأمواك الكفرة كفارة ! ) ، وهكذا . تروح تتعالج عند الراهبات ببلاش حلال ، إنما تتبرع لهم حرام ( الأحسن من ده وده ، سيبك منهم خالص ، وروح اتعالج بالرقى والكهران مصحوبا بطقوس رشفة مقدسة من تناول الإسلامى -المكون من لبن النوق وبول البعير . بلى ، البول النجس إلا في حالة واحدة : أن تشربه ! هذا هو العلاج الذى يعلو ولا يعلى عليه وقطعا لا يتغير أبدا لأنه الوحيد الفعال للأبد ، بينما كل الراهبان والراهبات منذ أيام فرانسيس الأسيسى وجريجورى مندل لا يتلون عليك في مستوصفاتهم شيئا أصلا ، إنما يجرون وراء سراب اسمه state-of-the-art الطب الدينوى الكافر .

ويتداخل ونس : ' أنتم عملتم زى الغوغاء إلى خلوا مُجَّد تسلية وملطشة اليومين دول . الراجل ليس صاحب إعجاز علمى ولا تمجيص علمى : كل ما في الأمر -حسب روايات التاريخ إلى واراها الإسلام- أن بول البعير كان المصدر الوحيد للمح الطعام لدى العرب ! ' .

- ما قصده أنها كلها شرائع واضحة حتى من قبل حجة الوداع ' كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ' و' أشداء على الكفار رحماء بينهم ' ، وطبعا الزكاة لا تجوز لغير المسلم مهما كان احتياجه ، وإن جاز أن تقبل ( أو تغتصب ) أى شىء منهم استحلالاتا حلالا . هكذا أكملت لكم دينكم : القبيلة أولا ، القبيلة أخيرا . الإسلام لم يوحد القبائل كما يتخيل البعض . كما قلت لك الإسلام لم يفكر في دولة ، الإسلام حاول فقط خلق قبيلة أكبر ، قبيلة اسمها الأمة ، قبيلة بكل المواصفات المعروفة للقبائل ، وأهمها الولاء كل الولاء للقبيلة والبراء كل البراء ممن هم خارجها . لكن لأن ليس لها جذور جينية حقيقية ، لم تتوحد أبدا ، وظلت تقاتل بعضها بعضا . الزنا لا يكون زنا ، إلا مع مسلمة محصنة . عدا ذلك فهو ليس جريمة . إنها القبيلة الأخرى مرة أخرى . الأنتروبولوجيا مرة أخرى . وها أعيد عليك تانى : أى تحريم للقتل بالصبط في ذلك النسق القيمي ؟ قتل إخوة الإيمان ؛ أبناء القبيلة . العربى سيظل يقتل ويقتل حتى آخر الزمان ، جينينا هو آلة مبرمجة للقتل ، ولا يمكن أن يتعايش مع أى أحد في أى زمان أو أى مكان !

- ( مؤمنا على الكلام متنهدا : ) الآن فقط لاحظت أن فكرة الخطيئة الأصلية وتوارث اللعنة التى أتت بها اليهودية ، هى بالأصل فكرة قبلية جدا !

- ( ضاحكا : ) على الأقل الإسلام فيه حاجة كويسة ، أنه قال لا ترز وازرة وزر أخرى !

ونس معارضا : ' ١٠٠ مرة قلنا الإسلام يقول الشىء ويفعل عكسه ، أو بالأحرى يقول كل الأشياء ويقول عكسها ، ويضم عكس عكسها ، ويفعل شيئا رابعا ! ' .

- ( ضاحكا هو الآخر : ) إيه يا حاج ؟ في دقيقة واحدة رجعت تنفى عن الإسلام صفة قبلية !

- أنت عاوز تعرف السبب الحقيقى في أن البدوى لو خطفت له سيارة يخطف سيارة ولو خطفت له طفل يخطف طفل ؟ إنه عقلته الحيوانية دون-الإنسانية التى تفتقد أساسا للتفكير الابتكارى ، ولا حتى غير الابتكارى . هو فقط يرد غريزيا بفعل منعكس reflex يشابه الذى حدث ضده ؛ لو رفعت ساقك في وجهه سيرفع ساقه ، لو ناطحته سيناطح ، لكن لن يصد ساقك أو رأسك بذراعه مثلا أبدا !



- لا تنس أننا كشعوب تربينا تربية غربية عقلانية بالأساس ،

ويستحيل أن نقبل كلام المشاخذ عن الجن والعفاريت والجزية وملكات اليمين ورضاع الكبير والحلل وبول البعير وأجنحة الذباب .

أتخيل الإسلام جبلا يتصدع الآن في صمت وفي لحظة واحدة سنراه ترابا قد سوى بالأرض . حقا أنا استشعر أن انتصارنا قريب !

- أضغاث أحلام أن تتخيل شيئا سيتسوى بالأرض في لحظة ؛

أحمس احتاج ١٥ سنة لطرد الهكسوس من الدلتا ودك معاقلمهم الأصلية .

نعم هناك انفضاض صامت واسع عن الإسلام ، ونعم كل الاضطرابات الجارية هي أعراض انسحاب لترك مصر لإدماها الطويل هذا ،

لكن لا تتناس ذوى الجيينات العربية الذين سيقاتلون معركتهم الأخيرة يوما ، لأن لا بقاء لهم في الدنيا لو اختفى الإسلام !

... باختصار يا عاشق نجيب محفوظ : الله عند البدوى أكبر قليلا من الله عندنا ؛ هو شيخ القبيلة !

وباختصار أكثر يا الهائمين بزكريا بطرس :

الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع العرب ليست مخاطبتهم في شأن أدينتهم ، إنما في شأن إبادتهم !

- يعنى أنت موش متضايق أن مصر بتسبب الإسلام بتاعك ؟

- مين قال إن الإسلام أو غير الإسلام بتاعى ؟ ربنا هو إالى بتاعى ! ما تعرفه الجيينات من الأديان هو أساليب الحياة ، إما إنك تبحت عن

العبودية والرعب أم عن الشراكة والصدقة ، عن البلادة الفكرية أم عن الشعور العالى ، عن السنة أم عن الصوفة ، عن الناموس أم عن النعمة ، عن إحصاء الركعات أم عن النيرفانا ؟ أنت علمانى ولا تفهم شيئا ، وزى ما يقولوا : ' كله عند العلمانيين صابون ! ' . أنت فرحان أن الناس بتسبب الإسلام وفكر أنهم بقوا علمانيين والنسبة الأقل مسيحيين ، بعد شوية -والأيام بيننا- ها تلقى النسبة بقت العكس ، لأن الناس بتدور على الروحانيات زى ، والممكن إالى زيك هم الأقلية . تفتكر إيه أساليب التبشير المتبعة فى القنوات المسيحية ؟ اثنان لا ثالث لهما ، وكلاهما له أساس جيبينى واضح جدا : من تميل جيبيناته للصوفية المصرية يلعبون معه على وتر أنت فى الإسلام مجرد عبد يؤدى صلوات ميكانيكية ولا تحس بالله ولا تتلامس معه ، وعليك لو أردت معرفة الإله الحقيقى أن تترك لقلبك العنان ؛ أما ذوى الجيينات العربية فيلعبون معهم نفس لعبة مُجَدِّد : الرعب ! هل فكرت فى مصيرك الأبدى ، هذا نبي مدعى وستذهب معه لسعير جهنم وبئس المصير .

- كلام جميل ، فقط أراها استراتيجية واحدة : أن يحثوهم على قراءة الإسلام والمسيحية بأية طريقة . الترغيب أو التهيب ليس جوهر المسألة ،

المهم أنهم بالقراءة سيسهل عليهم اكتشاف الدين الذى عليه جيبيناتهم !

- ( ضاحكا : ) أنت بقيت معلم بقى ؟ ! فعلا ، لا شىء فى أى مجتمع بيولوجى فى الدنيا يتحرك بمعزل عن البعد الجيبينى ! أنا رأيت

الشخصى أن إالى موش عاجبهم الإسلام وعاوزين الصوفية بجد يروحوا للبوذية أو للهندوسية أحسن ، سيجدونها أكثر صوفية من المسيحية .

- المهم هو أن نتخلص أولا من طاغوت التقديس الإسلامى الرهيب . أكاد أجزم أن البلايين التى استثمرها خادم القرنين وأمير قطر فى بناء

المساجد فى الغرب ، هى كما كل استثماراتهم فاشلة وفلوس اترمت فى الأرض !

- كيف ؟

- المعاول تنهال على الإسلام من كل صوب وحذب ، سواء بالحروب الخارجية أو بالإعلام المسيحى أو العلمانى اللذان يقوضه أيديولوجيا ،

أو حتى من مجرد المشاخذ أنفسهم ممن يخرجون علينا بنصوص من صلب الإسلام لكن لم يسمع بها سواهم من قبل . تضارب فتاوى من يسمون بالأدعياء الجدد ضد الأدعياء القدامى والكل ضد نفسه ، كاف وحده لتفكيك الإسلام ، سواء كان من دعاهم للفتوى زكريا بطرس أم دعوا أنفسهم أم دعاهم الناس الذين أغرقوهم فى الدين إلى أن أضحوا أنفسهم -أى الناس- جبلا يشنق المشاخذ . لا تنس أننا كشعوب تربينا تربية غربية عقلانية بالأساس ، ويستحيل أن نقبل كلام المشاخذ عن الجن والعفاريت والجزية وملكات اليمين ورضاع الكبير والحلل وبول البعير وأجنحة الذباب . أتخيل الإسلام جبلا يتصدع الآن فى صمت وفى لحظة واحدة سنراه ترابا قد سوى بالأرض . حقا أنا استشعر أن انتصارنا قريب !

- أضغاث أحلام أن تتخيل شيئا سيتسوى بالأرض فى لحظة ؛ أحمس احتاج ١٥ سنة لطرد الهكسوس من الدلتا ودك معاقلمهم الأصلية . نعم

هناك انفضاض صامت واسع عن الإسلام ، ونعم كل الاضطرابات الجارية هي أعراض انسحاب لترك مصر لإدماها الطويل هذا ، لكن لا تتناس

ذوى الجيينات العربية الذين سيقاتلون معركتهم الأخيرة يوما ، لأن لا بقاء لهم فى الدنيا لو اختفى الإسلام ! ... باختصار يا عاشق نجيب

محفوظ : الله عند البدوى أكبر قليلا من الله عندنا ؛ هو شيخ القبيلة ! وباختصار أكثر يا الهائمين بزكريا بطرس : الوسيلة الوحيدة للتفاهم مع العرب ليست مخاطبتهم في شأن أديتهم ، إنما في شأن إبادتهم !



قريبا جدا سيأتى اليوم الذى ستضطر فيه للتفضيل بين أن تكون علمانيا في مصر مسلمة أو علمانيا في مصر مسيحية ، لأنك ببساطة لن تكون ذات العلماني ساعتها ، ولن تكون طموحاتك لنفسك أو لبلدك هي عينها . الأمر سيختلف لو حاولتم تحويل مصر من الحالة الإسلامية القسرية المضطربة إلى العلمانية مباشرة ، وبين أن تتركوها تعود لماضيها الطبيعي المسيحي ثم تعلمونها !

- التحول للمسيحية أربك كل المعادلات . يبدو أننا سندخل في متاهة دينية جديدة لا تدرى كم عقدا أو قرنا تحتاج : مصر تتحول للمسيحية أولا ثم تبدأ محاولات علمنتها من الصفر ؟ !

- هو بعينه بغاوته ! حتى بفرض أن الغرب علمانيون ونحن مثلهم سواء بسواء وأن لا أحد منا يتبع دينه وأن الأديان كلها خرافة × خرافة وخيال × خيال ، فأنت لا ترى الفارق بين خرافة وخرافة وبين خيال وخيال ، بين مثل عليا تشد الناس للتسامح والمودة ( أحبوا أعداءكم ) ، وأخرى تشدهم للقتل والسلب ( جهاد الطلب ) . هذا شيء أنثروپولوجى ، ولا علاقة له بالتربية . جبيناتنا هي التي ترفض ما ترفض ، الأهم أن لا جديد هنا ، فهي ترفضه من ١٤ قرنا . المفروض أنك أن أول من يفرح أن يطلق على الناس عندنا في مصر علمانيون من خلفية مسيحية بدلا من علمانيين من خلفية مسلمة ، ولا برضه كله عند العلمانيين صابون ؟ ! أسمع مسلمين يقولوا الغرب تقدم لما ثار على المسيحية . صح ! لكن تفرق أنت بثثور على إيه بالضبط ؛ المستوى كان على أصلا وأنت بتعلى عليه . دعنى أقولها لك بكل تواضع : كعلماني نعلم أنك لا تؤمن بشيء وتعالى على الجميع ، لكن قريبا جدا سيأتى اليوم الذى ستضطر فيه للتفضيل بين أن تكون علمانيا في مصر مسلمة أو علمانيا في مصر مسيحية ، لأنك ببساطة لن تكون ذات العلماني ساعتها ، ولن تكون طموحاتك لنفسك أو لبلدك هي عينها . الأمر سيختلف لو حاولتم تحويل مصر من الحالة الإسلامية القسرية المضطربة إلى العلمانية مباشرة ، وبين أن تتركوها تعود لماضيها الطبيعي المسيحي ثم تعلمونها !

- ها ! ربما الأسهل أن أصبح أنا نفسى مسيحيا ، أريح نفسى من كل هذا ، وأعيش بقية حياتى في السلام والهدوء التى يقولون عليها !

- ها ! ها ! فقط هناك مشكلة واحدة : أنت المسيح-الضد ، وما تنفعلش للحكاية دى خالص !

ويغنى ونس : ' أهه ده إالى موش ممكن أبدا ... ! ' ، ومرة أخرى يقرعه الحاج للاقتراب من أم كلثوم !

- على فكرة : أنا أعرف جيدا الفارق بين خرافة وخرافة وبين خيال وخيال ، لقد كانت ليلة ليلاء شربتها كلها في صحة جدتى ! المهم إذن أنك تطلب منهم أن يتخلصوا فورا وبلا هوادة من هويتهم وخصوصيتهم وكل ما فيهما تحلف مطلق لا يحتمل التأويل ، أليس هذا مطلباً مستحيلاً ؟

- أنا لا أطلب ، فقط أقول إما هذا وإما ستستمر المواجهة مع العالم حتى الانقراض ، الخروج من الجغرافيا ، زى ' المثأفين ' إالى زيك ما يقولوا . لا حق للمتخلف إلا الانقراض الكريم ، ولو عارض فلا حل إلا الانقراض القسرى : الإباداة !



إذا كان الانتخاب الطبيعي يقودنا للتخلف فلماذا لا نجرب الانتخاب غير الطبيعي ؟ !

- ها ! آدى أنت بتتكلم فى الانقراض ! ' الجيين الأثنائي ' جاب مفعول !

- هو بعينه بغاوته ! أنت موش فاهم حاجة ، أنا بأنتكلم فى الإباداة ، موش الانقراض . لا أحد يستطيع التخلص من شيء فى جبيناته . لا يوجد سوى شيء واحد أقوى من الجيينات : الإباداة ! عمر ابتكر تاريخيا فكرة الإباداة ( الإيثخان فى الأرض ) وكان أستاذها وصنع منها فى بدر أمرا كرهانيا هبط من فوق سبع سماوات كى يتلى للأبد ، الأمويون أبادوا الأنصار إباداة تامة ، أيضا أبادوا سلالة مُجَّد ولو لم ينجح الطفل زين العابدين لما كان هناك شيء اسمه الأشراف اليوم ، العباسيون أبادوا كل الأمويين ، وأيضا لولا أن أفلت شخص واحد لما كانت لهم سلالة اليوم ، صلاح الدين عزل كل رجال الفاطميين عن كل نساء الفاطميين حتى ماتوا جميعا وانقرضوا ، المماليك أبادوا الأيوبيين حتى آخر شخص ، مُجَّد على

قطع دابر الممالك جذريا ، وهكذا : لا شيء يقضى على الجييين إلا اجتثاثه اجتثاثا كاملا من على وجه الأرض . كل الدنيا فاهمة الحكاية دى إلا أنت ! هل سألت نفسك كيف تشتغل آلية الانتخاب الطبيعي عندنا وعند غيرنا ؟ لو أجبت على هذا السؤال لوجدت الحل لمشكلة التخلف . عندنا كل من يخرج بمحذثة يحرق فى النار أو على الأقل ينفى من الأرض أو يصبح منبوذا فقيرا لا يتزوج ولا ينجب المزيد من أصحاب البدع والضلالات مثله ؛ هكذا يلعب الانتخاب الطبيعي لصالح تجذير الجمود والتخلف ؛ كل من يخرج على الجماعة يحل دمه : من بدل دينه فاقتلوه . أنت أكثر شخص يتحدث عن الديكتاتوريات العسكرية اليمينية ، لكنك لا تعرف لماذا نجحت فى صنع النهضات . السبب هو أنها خلقت الآلية العكسية للانتخاب الطبيعي ؛ كل من يدعو للتخلف هو الذى يقتل ! إليك مشكلة العرب : قدما كان الانتخاب الطبيعي يشتغل لحساب القبيلة ، لحساب الجماعة البيولوجية الأكثر تماسكا ، اليوم العكس ، التماسك يؤدى للانقراض ؛ قبلية العرب وعقليتهم القنفذية يقودانهم للانقراض ، وهذا لم يفهموه أبدا ، بل هذا ليس كلاما جديدا وكان واضحا من البداية إذ فشلوا فى حكم العالم وقادوه لما تسمونه بعصور الظلام . أنت لا يمكن أن تحكم عالما كاملا بعقلية زعيم قبيلة ، هذا اسمه قهر وطغيان وليس جلوية وتكامل ، ولو كان لدى الأسكندر أو الرومان عقلية القبيلة لما نجحوا قط ؛ لما بنوا المدن والممالك بدلا من أن يدمروها كما فعلنا نحن .

- إنه تقريبا نفس كلامى عن النهضة والديكتاتوريات العسكرية اليمينية : إذا كان الانتخاب الطبيعي يقودنا للتخلف فلماذا لا نجرّب الانتخاب غير الطبيعي ؟ !

- لا وجود لشيء اسمه انتخاب غير طبيعى . هو انتخاب طبيعى ، لكن مثلا على صعيد أوسع ؛ عالمى ليكن . حتى التقنيات الجديدة ، تدخل كمجرد لاعب فى جديد فى ذات آلية الانتخاب الطبيعي . الإبادة والانقراض نفسيهما أجزاء أصيلة طوال الوقت من آلية الانتخاب الطبيعي .

- رغم ذلك لا زلت غير مقتنع أن الهوية لب المشكلة . الثقافة ليست شيئا ماديا ، ما يسمى بصدام الحضارات يتبلور فى اتجاه صدام طبقى عالمى ، بدليل التحالف بين قطاع الطرق الكبار فرنسا والصين وروسيا ، وبين قطاع الطرق الصغار العرب والمسلمين وكوريا وفنزويلا وزيمبابوى ... إلخ . حتى الحروب الأهلية العربية نفسها تبلورت فى اتجاه حروب طبقية ، وهذا واضح فى العراق ولبنان وغزة وغيرها . ولا بأس بهذا فالحروب الطبقية هى الحروب الوحيدة المادية ، ومن ثم الوحيدة المشروعة أو التقدمية ، وما عداها فهو حروب ثقافية ، أى ما يسمى حروبا صغيرة . بما أن الثقافة ليست شيئا ماديا ، إذن فهى ثانوية . اليهود ( شعب الرب المختار ) كانوا أسوأ شعب على وجه الأرض ( وتعريفها كما تعلم حيث رفعت روما رايتها ) ، وروما لن تزداد أحدا أكثر منهم ، وكانت تقول عنهم الشعب الوحيد فى الكون الذى يظهر فيه نبي كل أسبوع ، وشعب يظهر فيه نبي كل أسبوع شعب يستحق الإبادة تأكيدا ، ولا يصلح معه سواها ، أو على الأقل مزيج من الإبادة والتشتيت ، وقد كان . هؤلاء حين نشئتوا فى شمال أوروبا البارد ، عادوا بعد ألفى سنة عصريين حداثيين علمانيين متقدمين ؛ طبعاً موش فى يوم ليلة ، عارف ليه ؟ لأن الجيينات نفسها تغيرت . محارق بلاد الصقيع هى إلى صنع عرق الأشكيناز ، بينما إلى عاشوا فى الشرق ما فيش حاجة تقريبا اتغيرت فيهم ؛ عرق ساموى زى كل الشعوب سكان المناطق الحارة إلى حواليتهم .

- ( ضاحكا : ) قصدك اليهود سامويين لكن اتعالجوا !

- قصدى أن الهوية شيء ثانوى !

- مين قال كده ؟ كما تعرف الثقافة كاللغة ، إما أن تأخذها كلها أو تتركها كلها !

- خلاص يبقى نتركها كلها !

- ما ينفعش يا وحيد ! أنت لا تستطيع أن تنتزع شعبا من هويته ، دون قتل هذا الشعب نفسه .

- ده رأى عكس إلى كنت بتقوله دلوقت ؟ ( ويضحك : ) شيء مدهش ! ما تقوله إننا ها نقرض لو نخلصنا من هويتنا ، وها نقرض لو

ما نخلصنا منها !



لو عاوز تعرف القبائل العربية إلى احتلت مصر ، المقريزى عمل عنهم كتاب مخصوص :

١٦ قبيلة معروفين بالاسم والعنوان ( وعندك التحاليل الجينية كمان ) ،

أغلبهم فى الدقهلية والشرقية ، ممكن تروح تدور عليهم وتقتلهم .

على فكرة : لو عملت كده ها تكون خلصتنا من ٣/ الإخوان-الأخوان بتوع طز فى مصر ،

والسلفيين بتوع الجمعية الشرجية وجماعة أنصار السبة والمجاعة !

- مع احترامى لحقيقة أن دين الفرد مكتوب فى جيناته ، ألا ترى على أرض الواقع أن تعلمن المسلم أو اعتناقه المسيحية يبدو الآن كما شكة دبوس ، وأن كل مصرى يترك الإسلام الآن يسهل المهمة أكثر وأكثر على التالى له ؟

- أو يصعبها ! أنت لا يمكنك توقع رد فعل بقية البركة الجينية حين تهددها بسلب أوضاعها المتميزة التى اعتادت عليها بلا مجهود . أنا أخشى أن يكون رد فعل قاطنى مصر من ذوى العرق العربى عنيفا جدا . ( ثم محاولا طبع النقاش بروح دعابة ، لم يستطع أحد معرفة قدر الدعابة من الجد فيها : ) أنت لو عاوز تعرف القبائل العربية إلى احتلت مصر ، المقريزى عمل عنهم كتاب مخصوص : ١٦ قبيلة معروفين بالاسم والعنوان ( وعندك التحاليل الجينية كمان ) ، أغلبهم فى الدقهلية والشرقية ، ممكن تروح تدور عليهم وتقتلهم . على فكرة : لو عملت كده ها تكون خلصتنا من ٣/ الإخوان-الأخوان بتوع طز فى مصر ، والسلفيين بتوع الجمعية الشرجية وجماعة أنصار السبة والمجاعة ! لو حد عارضك منهم قول له الإجابة إلى حفظتها لك : نحن لا نفتش فى نوايا الصدور ؛ نحن نفتش فى نوايا الخلايا !

يتضحك الجميع إعجابا بالفكرة ، ويناغص البعض إدوارد ‘ لا كرامة لنى فى وطنه ‘ دى عندكم أنتم ، عندنا إحنا لا كرامة لنى فى قومه ‘ ، لكن وحيد يقول : ‘ بالعكس ، هذا كلام جاد جدا لأنه مادمى جدا ، وشخصيا لا أستطيع مقاومة ألا يعود الإسلام لأول مرة مجرد أيديولوجية أو كلام أو أفكار لا تمسك باليد ، إنما متجسدا فى أشخاص معينين ‘ .

- نصيحتى أن تقرأ الكتيب بدقة ، فللهولة الأولى قد تجعلك الأسماء التى يذكرها المقريزى تصرخ قائلا إنهم يحتلون كل مصر . هذا غير صحيح ولا تنس أن العرب كحكام كانوا يفرضون أسماء قبائلهم وفروعها على كل الأماكن دون أن يعنى هذا بالضرورة استيطاننا حقيقيا . المهم ، بالنسبة لى ربما من الصعب أن أميز بسرعة بين المصرى المسيحى والمصرى المسلم ، إلا أنى لا أحتاج لأكثر من دقيقة واحدة أو حتى مجرد نظرة لأخبرك هل هذا الشخص مصرى حقيقى أم مصرى عربى . عامة المهمة ليست صعبة ، بالذات لو لم تقل لهم إنك تتنوى قتلهم . جبيناتهم نقية لحد كبير لأنهم يرفضون تزويج بناتهم للمصريين ، ونادرا ما يتزوجون من بناتنا ، ثم أنهم لا يحتبثون ولا ينكرون أصولهم . بالعكس ، هم يحرصون على تلقينها لأبنائهم صباح مساء . فهتم ليه هم يقولوا طز فى مصر ؟ موش بس استعلاء المحتل ، وطبعاً موش علشان خاطر عيون الإسلام ، إنما فى الأول والأخير : علشان خاطر القبيلة !

- على فكرة : إيه انطباعك أنت عن اسم المصرى ؟

- ما له ؟ كويس ! زى أى اسم .

- ده اسم إهانة وتحقير ، قبيلتنا -لعنة الله عليها- كانت تقصد به أننا انفصلنا عنهم واندمجنا مع المصريين وبقينا ‘ فلاحين ‘ أكثر من اللازم .



## السيادة المنقوصة لمصر على سيناء

- أنت إذن يا كاره العرب ، من أنصار أن مصر فرعونية ؟

- ( ضاحكا : ) أولا أنا موش بأكره حد . هى المكنة بتحب وتكره ؟

- بتحتقر . بتعادى . موش لازم تكره !

ما الغاية من هذا الجدل ؟ لقد توصلنا مثلا لحقائق حول الدين والجهين ، وحول طبائع هذه المنطقة التى لا يمكن أن تصنع حضارة أبدا ، والتى حكم عليها أرسطو بهذا سلفا . لهذا السبب لم يفهم وحيد لماذا يستدرجه زهرى للحديث عن مصر الفرعونية . مع ذلك تولد لديه إحساس داخلى بأن هذه المنطقة الفكرية لا تزال حبلى بشيء ما غامض . لم يجد سوف تكرر بعض النتائج التى سبق وتوصلنا لها . قال كلاما يخص

الاقتصاد ، وكرر نظريته عن المال العري وأنه يتبع سياسة اخطف واجرى . ومرة أخرى وصفهم بأنهم نوقو ريش ، لا تقاليد ولا عراقة . وأردف أن مصر للأسف الشديد -وسواء بالجيينات أم بالعدوى- نسخة طبق الأصل من طريقة التفكير هذه . حكاية انحت الأرض ولما تخلص روح حنة تانية هى نفسها حكاية عبمعصورة : وضع تمويل شراء السلاح من الاتحاد السوفيتي كأولوية لا تفوقها أولوية ، وقال السد العالى ده حاجة ما يندفعش فيها فلوس أصلا ، إما يبجى صدقة ، وإما نسرق حاجة قصاده . عند قاطع الطريق شىء واحد فقط فى الكون تحتاج لدفع النقود من أجله ، هو السلاح . بعد ذلك ، ما أن حصلت على السلاح أصبح بوسعك الحصول على كل شىء مجاناً ؛ هكذا كانت الخطة الملهمة للزعيم الملهم شيخ الهجامة . بعد ذلك إذا كان أول شىء يفكر فيه قاطع الطريق هو شراء السلاح ، فإن ثانى شىء يفكر فيه بالضرورة هو اختيار أى طريق سيقطعه ، وطبعاً ليس فى العالم برمته طريق أكبر ولا أهم ولا أثن من قناة السويس . وتوالت سرقة أرض كبار الملاك عيني عينك ، ولما لقاها ما تكفيش أمم كل الثروات ، أجانب وبعدين مصريين ، وهكذا لما لا نهاية .

- وحياء رسول الله ، إالى ما بأحلف به باطل أبدا ، أنت زى ما قلت لك موش فاهم أى حاجة فى أى حاجة . كل حاجة داخلية فى بعض جوه محك ، لدرجة أنك شايف عبمعصور مصرى . ( ويشير إلى وجهه مداعبا : ) هو بعينه بغاوته !

- أمى كانت بتقول كده من قبل ما تتولد أنت . أنا عارف أنه موش مصرى ، ويا ريت تحترمنى شوية .

- أنت قرئت كلمتين لأرسطو بتاعك ، وبتطبقهم عميانى . مصر حاجة والعرب حاجة . الأرض حاجة غالية جدا عند المصرى ، بينما هى آخر حاجة لها قيمة عند الرجل . أنت فاكّر العرب بيحاربوا إسرائيل علشان الأرض ؟ الأرض عندهم على قفا من يشيل ، تعمل ألف دولة قد إسرائيل . بيحاربوها علشان دين واحد هو إالى صح ، وعاوزين نعرف مين هو . علشان شعب واحد بس هو الشعب المختار وخير أمة ، وعاوزين نحدد مين هو . بيحاربوهم علشان الجزية ، علشان يأسلموهم ، موش علشان خلاف فى الشهر العقارى على ملكية القدس . علشان إما يحطوا جزمهم على رقبتهم وإما يقتلوهم . حافظ الأسد اقترح على عبمعصورة أن يترك إسرائيل تحتل القاهرة ، لأن ليس المههم عنده الأرض ، إنما الانتقام وشرب دم العدو والتشفى بسحله فى الشوارع . صدام أو حزب الله أو المحاكم الإسلامية الصومالية كل الدنيا دى لا يقاومون إن أرادت أميركا أو إسرائيل احتلال الأرض ، إنما يجهزون سلفا العصابات التى ستغير عليهم . هذا هو الشرف فى نظرهم . صدام اهتم بإطلاق سراح كل المجرمين الجنائين ، ولم يهتم بوضع أية خطة عسكرية . نفس القصة مع ملالى إيران وبشار الأسد . الجانچاويد يهتمون باغتصاب النساء ونهب القمح ، بينما الأرض نفسها يمكن أن تدر عليهم أضعافا لو زرعوها . الأرض كلمة لا معنى لها فى العقل العري ، ولا السيادة ولا الحرب ولا القتال ولا أى شىء . هذه ليست من مفردات الشرف . مصر موش كده . مضبوط أول شىء يفكر فيه البدوى شراء سلاح ، لكن أول شىء يفكر فيه المصرى هو شراء أرض . عندنا ملكية الأرض هى أعظم شرف للفلاح المصرى ، ومستعد يضحي بدمه من أجلها . عبمعصورة كزعيم للقومية العربية حاول يفكر بطريقة البدو ، لكن ده جايز أحد أسباب فشله لأنه موش بدوى حقيقى . عاوز يكسب بالجيش ، بنى آدم أهبل بعيد عنك . موش فاهم أن البدوى اخطف واجرى . تقريبا كل حملات مصر لتأديب البدو فى السودان فشلت ، من أول نابوليون لغاية قوات الأمم المتحدة فى دارفور . جوردون إالى فتح الصين بحالها اندبح زى الفرخة فى الخرطوم . علشان كده أنا قلقان جدا من إالى بيحصل فى أسوان من الجانچاويد . هزيمة البدو صعبة جدا . باختصار ، حافظ الأسد كان صح ، وعبمعصورة رفض كلامه موش لأنه موش عاوز يشرب دم اليهود ، إنما فى النهاية رئيس لمصر يفترض فيه أنه صعيدى بالذات ، حيث التفريط فى الأرض عار ما بعده عار . لا معنى للدولة أو للوطنية عند العري . العلمانيون يقولون هدف مُجد كان بناء دولة ، ومن يسمون بالتنويريين أو التأويليين أو القرآنيين يقولون إنه لم يترك وصية بشكل معين دولة ، كلاهما لا يعلم أن السبب ببساطة أنه لم يكن يعرف أصلا معنى لكلمة الدولة أو الوطن . حتى حين أنشئت الدولة المسلمة لاحقا ، أنشئت من منظور قطاع الطرق ، نهب وسلب مباشرين ، ولا تخطيط للمستقبل ، لأن البدوى -من مُجد وعمر حتى صدام ومعمر- لا يرى فى نفسه استقرارا أو استثمارا فى مكان بعينه ، ولا يستطيع التفكير بهذا المنطق مطلقا حتى لو أراد . بدو سيناء هم أحد أبرز الأمثلة على التحالفات العابرة للولاءات الوطنية . هم الآن يفجرون المنشآت السياحية فى سيناء ، فى مناسبتين سنويتين محددتين ، أكتوبر وهو ذكرى عبور الجيش المصرى لسيناء ، وأبريل وهو ذكرى عودة سيناء لمصر . كانوا سعداء بالوجود الإسرائيلى بعد ١٩٦٧ ، لأنها -كدولة محتلة- كانت تتصرف كضيف على الأرض وتعتبر من حقهم كملاك افتراضيين أن يطلبوا مقابلا لكل ما يطلب منهم ، أما الدولة المصرية فتتصرف كصاحب أرض وسيادة وترى من حقها فرض قوانينها وسلطتها . لم ولن يحدث أبدا أن اعترف عرب سيناء بسلطة الحكومة المصرية ، ولم يحدث قط أن سيطرت الدولة المصرية سيطرة حقيقية على سيناء ، وهو ما يطلق عليه السيادة المنقوصة لمصر على سيناء .

- أنا عارف دى ، سيناء لا تزال محتلة ؛ إسرائيل خرجت منها لكنها لم ترجع لمصر ، إنما وقعت تحت الاحتلال العربى . النقطة إلى بأدور عليها حاجة مختلفة ، حكاية الشرف . بكلامك أنت هو شىء مشترك لا يختلف عند العرب عنه عند المصريين فى الصعيد بالذات . أما الغرب ما عندهوش المفهوم ده خالص . عنده المادية .

- ماشى ! ما اختلافناش ! لكن يظل الفارق بين مصر والعرب هائل .

- الفرق أن مصر هى الأكثر شرا . طبقا لنظرية الراعى والزراع بتاعتك ، بما أنه الشعب الأكثر تقدما فى المحيط الساموى حوله ، الطبيعى بالتالى أن يكون الأكثر شرا ، وليس أقل دليلا على هذا من اختراعه لإله التوحيد الذى تأسست باسمه أبشع مؤسسات قهر الإنسان ومقاومة التقدم فى التاريخ ، التى هى الأديان .

- أنت بتخرف تقول إيه ؟ المصريون أطيب شعب فى المنطقة وحتى فى العالم .

- ( ضاحكا : ) أنا عارف ، وعارف أنك كنت ها تقول كده . ها ! ها !

- أنت إلى بنى آدم جاهل ، كله عندك كليشيهات ! قال إيه ' الشعوب ذات المكون الثقافى العالى شعوب خطرة بطبعها ' ؟ علشان كلهم يبسهروا للصبح أو بيتغدوا فى ٦ ساعات بقوا شعوب خطرة ؟ كالعادة ، كله عند العلمانيين صابون ، الهنود الحمر والعرب زيهم زى المصريين عندكم . آه ، مصر ذات مكون ثقافى عالى مقارنة باليونان وروما الماديتين ، لكن هذا لا يعنى بالضرورة أنهم أشرار أو مدمرين أو أعداء للحضارات الثانية . ممكن تكون ثقافتهم كثيفة جدا ، وما بيناموش من الساعة ٩ زيكم يا إنجليز وأمريكان ، لكن ناس طبيين . ( ثم منفجرا : ) أعداء للحضارة إزاي وهم أنفسهم حضارة ؟



**- يا حاج ، الفرعونية موش حضارة . مصر موش أم الدنيا زى ما يقولوا ؛ مصر أم الدين ، لا أكثر ولا أقل !**

**- مصر لا أم الدنيا ولا أم الدين ؛ مصر حاجة تالته خالص : مصر رى حياض !**

- يا حاج أنت فاهم غلط خالص . فرعونية إيه ؟ الفرعونية برضه موش حضارة . زى ما قلت لك عندها بعض تقنيات صحيح ، لكن استخدمتها فى بناء المعابد والمقابر والتحنيط وليس إلا . حتى لو فيه تقنيات ، فهم لم ينشروها ، لم يستعمروا أحدا ، ولم يكونوا يوما إمبرياليين ؛ والإمبريالية كما تعلم شرط ضرورى - وإن ليس كافيا بالطبع- لأية حضارة . فى المقابل شوف إيه إلى خلد من اليونان وروما : الأكروبول والكوليسيام ؛ يعنى أماكن اللهو والفجور . رغم أن الهرم كان أعلى وأضخم بناية فى العالم إلا أنه لم يثر أدنى انطباع عند مؤرخى اليونان والرومان ، بل ورغم أن الإسكندر جعل الإسكندرية عاصمة للعالم ردحا من الزمان ، أو كما قال بلوتارك إن أول محاولة للتحضّر فى مصر هى ما قام به الإسكندر من بناء الإسكندرية ، ولولاها لظل المصريين فى ظلام التخلف للأبد ، إلا أن تصنيفهم للمصريين كبرابرة لم يترجح رغم ذلك قيد أملة . إله التوحيد فكرة نشأت فى دماغ أختاتون العامر ونقلها عنه موسى العابر وفجرها مُجد العاهر لحدودها القصى : ' وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ' . طبعاً سها أحيانا كثيرة وجسد ذلك اللهو الخفى تجسيدات كثيرة بعضها ساذج ومضحك ، وهو قطعاً لم يزد الإله توحيداً كما يزعم ، بل فقط زاده بطشاً وسفاهة ؛ لكن ما علينا ، المهم أن الفكرة الشيطانية تلك تظل دائما أبداً إبداعاً مصرياً أصيلاً ، بل أهم وأشهر إبداع مصرى إطلاقاً !

- أصحاب أسوأ اختراع فى التاريخ ، هذا كل ما تراه فيهم بعيونك العلمانية الضرية ؟

- يا حاج ، الفرعونية موش حضارة . مصر موش أم الدنيا زى ما يقولوا ؛ مصر أم الدين ، لا أكثر ولا أقل !

- مصر لا أم الدنيا ولا أم الدين ؛ مصر حاجة تالته خالص : مصر رى حياض ! لا هى مناطق باردة وناس نشيطة لأن النشاط بيدفيهم زى أوروبا وغيرها ، لكن فى نفس الوقت موش بدو نهب وسلب وقتل وقطع طريق . اسمه رى حياض ، فهمت ؟ ! رى حياض ! عارف يعنى إيه ؟ آه ! ها ! مصر رى حياض ؛ شعب له ٧٠٠٠ سنة ينام نص السنة فى انتظار الفيضان والنص التانى فى انتظار أنه يمشى . يعنى مصر موش هبة النيل . يعنى مصر نكبة النيل ! ( لكنه سريعاً ما يستدرك بالرأى النقيض : ) بعدين أشرح لك رى حياض معناها إيه ، جازيز يطلع سر الإحساس العالى بالزمن ودورة الزمن ، جازيز هو سر الهدوء والتأمل ، جازيز سر ازدهار الفنون ، جازيز سر الحس القومى فى مشروعات فترة عدم الانهماك فى

الأرض ، جازي حاجات كثير إلا الكسل . مشكلتك أن المسائل عندك بسيطة ومريحة . أنت بتقول الناس دى بدو ومتخلفين وقطاع طرق ، وفكر أنك لقيت الحل لمشاكل الدنيا ؛ تكتب مقالاتين عن الاقتصاد الحر أو عن العلمانية ، وهم ها يتكسفوا منك ويقوا عصريين ، ويشكروك أنك لقيت لهم التايهة ؛ فإكر أنك بكلمتين ممكن تاخذهم من إالى هم فيه وتدورهم بين يوم وليلة فى طاحونة الرأسمالية بتاعتك . سيبك من سام وحام وكل الكلام الفاضى ده الذى لا أصل فى التاريخ ؛ عرقيا وچينيا المصريون طبعاً ليسوا عربا ، ليسوا چانچاويد بنى هاشم أو غيرها ، وفى نفس الوقت ليسوا سامويين بفرض أن للكلمة معنى حقيقى يمكن أن يميز اليهود القدامى چينيا أو أنثروپولوجيا ، كذلك هم ليسوا حتى أفارقة وإن كانت جذورهم هناك . المصريون عرق فريد من نوعه تماما ، لا نظير له فى العالم كله ؛ تركيبة لا وجود لها فى كل الدنيا ، وإلى بيكلمك ده لف العالم ، وعارف بيقول إيه !

ويدلف ونس كالعادة للغناء : 'أدينا بندردش ... وانا أيه ؟ ... أوسخ ناس ! ... نخب نتعرف ... وانا إيه ؟ ... أزيل ناس ! ' ، ثم يصيح فجأة : ' أهبل ناس ، طالما بيحدفوا [ بتشديد الدال ] فلوسهم فى البورصة ، وإحنا نكسب ! ' ، ثم يعود لغناء من نوع آخر ' عواد باع أرضه ' ، وأخيرا يلقي بإحدى حكمه التى يعتقد فى عمقها الشديد : ' بس أقلها يا حاج فى مصر ما بنقولش على بتوع المغارات مغاوير ، بنقول عليهم مطايرد ؛ إحنا بنحترم الفتوات والقبضايات بس . برضه بنحترم من يشطرون ما بين ساقى المرأة الوحيدة ليلا فى الخلاء ، وكلمة شاطر وشطار كلمة حلوة أوى عندنا ! ' .

ويواصل الحاج وكأن هذه ترهات ، وكأن مصر تخصصه وتخصصه والتى لا يصح أن يتكلم عنها أحد سواه : ' لماذا لم يقل أحد إن السودان أو إثيوبيا مثلا هبة النيل ، والمياه عندهم أضعاف مصر . النيل نهر ضخمة وعنيف ، ولا يمكن أن يكون هبة لشعوب ضعيفة كهذه . حتى عندما يضعف قرب المصب ، كان أقوى من أن يروضه المصريون ، وانتظروا حتى جاءهم الإنجليز . المفارقة الأدهى أنه عندما أحبوا لأول مرة عمل شىء مفيد لبلدهم بأنفسهم كالسد العالى ( على الأقل كان يفترض فيه أن ينهى حقبة ال ٧٠٠٠ سنة من دورة الفيضان ، ويبدأ فى ضم المصريين لزمره بقية العرق البشرى الأسوياء چينيا ) ، كانوا كمن جاء ليكحلها فأعماها . أعادوا الوضع لأسوأ مما كان عليه . إذ ما حدث أنهم لم يباليوا بتكبيدها فى مقابله أبهظ ثمن فى تاريخها كله : الوقوف موقف العداء من كل العالم المتقدم ، ومن ثم هزيمة مخيفة أبدية ولا شفاء منها . النهارده عدى على حرب أكتوبر ٣٧ سنة ، لكن افتح أية صحيفة أو أية قناة تليشيچين ، وأنت تعرف إذا كان ده كلام ناس منتصرة ولا مهزومة . مصر يا أخ شىء ما مرش على أرسطو ، ولا حتى على خياله . خد ميننا مثلا : نموذج للحرحة ، ٧٠٠٠ سنة فيضان باينة على جسمه المرهط . شغل ، نو ! تعال عندى المزرعة وأثبت لك الكلام ده فى ظرف ساعة واحدة ! أو تتعب نفسك ليه ؟ فإكر الواد متولى إالى قلنا له ييجب لنا بن من باب اللوق عمل إيه ؟ أنا شخصيا لا أحترم أحدا لا ييجب مهنته ، من يجمع القمامة ييجب أن يعشق القمامة ؛ ييجب أن يرى الخير الهائل فيها ، وإلا فهو شخص غير محترم ' .

- خلاصة كلامك أن المصريين ما لهومش فى الحداثة ، المصريون لهم فقط فى الحداثة . الفهلوة هى أخص خصائص الشعب المصرى ! ويعود الغناء لأصله : ' أحدق ناس ! ' .

- يا حاج أنت دائما بتقول دول أطيب ناس ؟

- ما هم فعلا أطيب ناس برضه ! الوجه الآخر للفهلوة هو الجدعنة . هم ' فجر الضمير ' ، ما قرئت الكتاب ده ؟

- يا فرحتى بفجر الضمير ! الثورات التقنية الثلاث ، روما وإنجلترا وأميركا ، لا تدين بشىء لمصر رغم ما كان لديها من تقنيات عالية ، بينما تدين بكل شىء لفكر اليونان ، رغم أنها لم تصل أحيانا لذات التقنيات . هذا كان فكر الحياة ، وتلك كانت تقنيات الموت ! ... دكتور دوكينز كان سبسميه فجر التنفيل !

- تنكر أن الأخلاق المسيحية إالى بيتباهى بها الغرب مأخوذة عن مصر أصلا ؟

- ربما يعتزون بها ، لكن فعليا لا يطبقون إلا ' أخلاق ' أرسطو المادية العلمانية . هذه ليست مثاليات ساذجة ، إنما الأخلاق البناءة العملية الحقيقية .

- جازي عندك حق ! المهم ! أنا إالى على قلبى على لسانى ، وموش مكنة ، كمبيوتر ، أرسطو ، لوح تلج ، زيك . لكن الحال المايل ما يعجبنيش ، وكل دى عيال خرعة وبايظة .

- كمان إخوانك يقولوا عليك غير كده . قلبك طيب وأنت مبوط العمال فى الأرض ومدلهم .
- من ده على آده . أحيانا دمي يغلى منهم ومن إهمالم ، وأحيانا يصعبوا على وأقول دول غلابة .
- أنت بتجيب نظرياتك دى منين ؟
- موش من حد ، من إللى بأشوفه وبأحسه بنفسى فى الناس .
- كنت فاكرك ها تقول نظرية جمال حمدان فى ' عبقرية مصر ' .
- يضحك ضهرى : ' أنت قلت مين ؟ جمال حمدان و ' عبقرية مصر ' ؟ على فكرة اسمها ' شخصية مصر ' . نووووو ! موش دى خالص !
- دى بأعتبرها خيال علمى رخيص ! ' .
- أنت قلت نووووو ؟ أنت كمان بتعرف تقول نووووو ؟ يا سلام ! أوووووو !
- ( مقلدا الرئيس السادات : ) إحنا هنا فى مصر ما بنخاااافش ، ٧٠٠٠ سنة حضارررررة !
- ونس يجرب بدوره تقليد السادات بهذه العبارة وبعبارات شهيرة أخرى .
- حمدان ده بيقول لك المصريين ما ينفعوش إلا فى التجارة . لو كان قال أى حاجة تانى كنت صدقته ! لو المصريون شطار فعلا فى التجارة ،
- تقول إيه عن الفينيقيين أو حتى عن بحر الجزيرة ؟ روح اسأل أختى مديرة البنك تقول لك إحنا آخر ناس فى العالم نفهم فى البيزنس !
- جايز الراجل كان عاوز يقول إنهم ما يفهموش فى حاجة ، ولم يجب أو خاف أن يقولها صريحة ، وذكر أنهم ناجحين فى أبعد الأشياء
- احتمالية هو تلميح غير مباشر بذلك ؟
- موضوع مصر ده يطول ، فيه جديد وفيه قديم ، فيه أصلى وفيه وافد ، فيه خيال علمى وفيه بحث علمى ، فيه إزاي يخترعوا المراكب وما
- يجبوش السفر ، فيه إزاي اخترعوا العجلة الحربية وما يجبوش الحرب ، مصر دى موضوع منيل بنيلة ، وما تقلبش المواقع وحياتك .
- أما وحيد فيجتر الكلام السابق ، ويتساءل فى إعجاب : ' خيال علمى رخيص ؟ ! لك حاجات يا حاج ! ' .
- ... أيا ما كان ، هنا تنقطع فجأة الحوارات المطولة لصالة العملاء بشركة رمسيس ، السخيفة أغلب الوقت المتفردة أحيانا ، ذلك لأن حدثا
- جللا قد وقع وأنسى الجميع كل شىء !



## جـ ماضى قريب

خبر العمر !

صاح مينا : ' يا جماعة ! ' .

ردوا بصوت واحد : ' أيوه ! ' .

- خبر العمر !

- إيه ؟

- البنك الأهلى !

- ما له ؟



تطاولات مُجد حسنين هلوكة فاقت كل الحدود يا أستاذ .

الشیطان يعظ ! تصور وصلت به السفالة أن يتكلم فى الاقتصاد !

تطاولات مُجد حسنين هلوكة فاقت كل الحدود يا أستاذ . الشيطان يعظ ! تصور وصلت به السفالة أن يتكلم فى الاقتصاد ! أوه ، هالة الحبيبة ! يا لهول ما احتواه شريطك . ربما فعلتلك هى السبب فى فشل فيلم توم كروز . بل ربما أنت السبب فى فشل كل حياتى . ساحيبنى يا صغيرتى . ما هذا الذى أقوله ؟ هل بدأت استخدم الشماغات كالجذع إياه ؟ إن الذى كان يوما أشهر صحفى فى مصر وفى الدول المحيطة ، يتحدث اليوم فى الاقتصاد دون أن يعرف مجرد الفارق بين كلمتى دائن ومدين . لقد خجلت حتى من الاتصال بأصدقائى أقرابه ونسبائه فى كيبويد . كنت أعرف محتهم منه وتبرؤهم منه ومن أفكاره علنا ، ولم أرد الإنقال عليهم بسخريتى . إنه يشن حملة شعواء ضد من قالوا إن مصر كانت دائنة لبريطانيا ، ويعظهم بالعودة لوثائقه التى يقدمها ككشوفات جغرافية أهم من اكتشاف أميركا ، بينما هو نفسه لم يقرأ يوما سطرًا فى حسابه البنكى إلا الرقم الأخير الذى ينبئه بما حصل عليه من تلك القناة ، التى يكنيها ضهرى عن حق بالجعيرة ؟ هو يقصد أيضا أن مصر دائنة ، يقول نفس ما يقوله الجميع ، لكنه يحول الأمر لحرب مقدسة موهومة . ببساطة هذا التافه لا يعرف الفارق بين الكلمتين . يستخدمهما دون أن يدري استخداما معكوسا . إننا حتى اللحظة نتحدث فى اللغة ، وليس بعد فى الاقتصاد والمحاسبة ، دائن تعنى دائن ومدين تعنى مدين .

ثم ما كل هذه التمهيدات المنمقة ؟ تمهيدات لا تنتهى لكل عبارة من كلامه . كل جملة يسبقها دوما إما بـ ' حاجة مهمة جدا جدا ' ، وإما ' حاجة غريبة أوى أوى ' . أنا شخصيا لم أستخدم مرة واحدة فى حياتى أية عبارة من الاثنين ، بل لم أستخدم مطلقا أى وصف من أى نوع لكلامى . لأنه ببساطة حقيقية لا أعرف إن كان كلامى مهما جدا جدا أم لا ، أو غريبا أوى أوى أم لا . فهذه أمور يحكم عليها القارئ أو يشعرها هو وحده ، ولا تهمنى أنا نفسى من قريب أو بعيد . وقطعا أربأ بنفسى عن استخدام أسلوب مكشوف كهذا للفت الانتباه لشيء تافه أقوله ، أو فى المقابل لأنى أكذب وأريد صنع إلهاء أو تلهية distraction رخيص على طريقة حواة الشوارع .

أوه ، أبتها اللوح ! حقا لى مشكلة يجب أن أحسمها أولا ، إذا كنت مضطرا بالفعل للرد على ما قال ذلك الهلوكة . أنا لا أعرف بالدقة هل هو ريبب عبمعصورة أم لا . فارق السن ليس المعيار بالضرورة . ربما العكس هو الصحيح ، هلوكة هو العقل وعبمعصورة الريبب . لقد سبق وحسنت مؤخرا مسألة مشابحة ، قبلها لم أكن أعرف من هو التابع لمن : مُجد بن بجزيرة أم عمر بن الخطاب والحطابة ؟ أوه ! نسيت أن أخبرك أن أنساب أشرف الكون قد لحقتها مؤخرا بعض التصحيحات ، لأن ثبت أنهم جميعا أبناء سفاح . قصة مُجد التى كتبها خليل عبد الكريم قبل عقد من الزمان أصبحت الآن أشهر من نار على علم . بالمثل يقال إن والد عمر وأمه أخوان ، كلاهما كان ابن زنا وإلقى رضيعا على كوم الزباله ولما كبرا التقيا وتلاقحا ، وأتيا بابن حمال الحطب هذا . أحتاج مهلة من الوقت حتى أكون مثل ذلك الرأى أو غيره . ربما هلوكة على حق . هو يعاف دائما أن يسمى ناصريا . ربما يقصد أن ناصر هو الذى كان هلوكيا . أو ربما هناك مشكلة تخص أنسابهما هما أيضا ، لا أعلم . ساحيبنى ، لقد أصبحت أشك الآن فى كل أنساب بنى بعة ، سواء الباعرة منهم أو المستبكرة . أنا أتهرب ؟ هذا ليس تهريا . أنا لا أراوغ ولا أناور . أنتى تتهمينى

الآن بأسوأ ما يوصف به هلوكة نفسه . على أية حال عندك حق ! ربما لا داعى لمعرفه شىء كذلك أصلا . أنا لا أعرف ذلك ولا يهمنى أن أعرف . ما سأناقشه هنا هو فكر مجرد لا أكثر .

المهم ! هو يروى بتشويق كبير أكبر عملية ' نزع ' لغطاء الذهب المصرى . سأكتب : هنا اسمح لى عزيزى القارئ أن لا أتوقف من الآن فصاعدا عند كل كلمة أو مصطلح ، لأنها جميعا إما خطأ ، أو ببساطة تدل على شىء آخر . فمثلا كلمة غطاء الذهب هذه ، لم يستخدمها إطلاقا ، إما لجهله التام بها ، وهو الأرجح حسبما يستشف أصغر طالب اقتصاد أو محاسبة من طريقة كلامه فى الاقتصاد والمحاسبة ، أو لعلمه بها وجهله بمعناها ، أو لأن كل ما يهمله هو أن يصور الأمر على أنه مجرد ' كنز ' سرق وتم حمله فى ' صرر ' و ' سحارات ' .

نعم -عزيزى القارئ- معظم ما قاله من وقائع صحيح . نعم كان هناك رصيد ذهب ملك لمصر . ونعم أخذته إنجلترا ، ونعم ذهب فى ' صرر ' و ' سحارات ' لتمويل أمراء السعودية فى الثورة العربية ، أو لنقل حتى ذهب بعضه ربما لبريطانيا نفسها . لكن ما هى القصة ؟ ما هى المشكلة ؟ بادئ ذى بدء هو يتحدث عن البنك الأهلى باعتباره البنك المركزى المصرى . ذلك أن ثقافته تنحصر فى أنه رأى الجنيهاة القديمة تصدر عن البنك الأهلى المصرى . ويتحدث عن أن اللورد كرومر قد أسسه ، وهذه نكتة أخرى . أقصد نكتتين . الأولى أن العكس هو الأقرب للصحة ، فكرومر كان يشعر بالغيرة لأن حكام مصر كانوا يعتبرون السير كاسيل المؤسس الرئيس للبنك ، أهم بالنسبة لهم من المندوب السامى نفسه . والثانية أن البائس لا يعرف أن من الممكن تأسيس بيزنس بعيدا عن الحكومة . وكلامه عن ' رجال الأعمال إالى عاوزهم يبقوا كويسين ' وهو يصب نغمته عليهم لتعاملهم مع إسرائيل ، يقصد فيه بـ ' كويسين ' هذه أن لا يكون لهم أية رؤية أو وظيفة فى الحياة إلا دفع الضرائب للحكومة الاشتراكية ، ولتمويل حروبها القويمة العربية ضد أميركا وإسرائيل . كلا ، بل هناك نكتة ثالثة ، أن الهلوكة لم يسأل نفسه ماذا كانوا يؤسسون فى نفس ذات الوقت فى شبه جزيرة البعر التى أراد فرض هويتها علينا : كان الشيخ محمد عبد الوهاب يؤسس مصرفه الخاص الذى سقى بخيراته التى لا تنضب على المنطقة لأكثر من قرن تال !

الشق الخبيث فى الحديث عن البنك الأهلى المصرى ' كبنك مركزى ' ، هو الإيحاء السافل بأن أمواله هى أموال الشعب ! ماذا يعرف هذا الضير عقليا ، عن البنك الأهلى وعن تاريخه وعن أصحابه وعن مؤسسيه ؟ إنه حتى يقع فى منطقة الجهل باللغة مرة أخرى . الاسم ، مجرد الاسم ! اسمه البنك الأهلى ، وليس مثلا البنك الحكومى ، أو الخديوى ، أو الأميرى . الاسم فى حد ذاته أكبر وأعظم راية رفعت فى التاريخ المصرى تعلن مولد اختراع شىء جديد اسمه الملكية الخصوصية فى هذا البلد ، ملكية مستقلة بعيدا عن ملك الملك وفرعنة الفرعون . أما من منظور الإنجليز واللغة الإنجليزية فهو البنك القومى National ، أى الإقليمى أو المحلى ، بمعنى ليس الإمبراطورى ( هذا طبعا طبقا لمفهومهم الساذج أن كل شعوب العالم تصلح دولا قومية ، كما تمثلوا قارتهم هم بعد حقبة الحروب الدينية ! ) .

عزيزتى أين أنت ؟ اليوم مناسبة رائعة لاستذكار حوارنا القديم هذا عن البنك الأهلى . ليتك تشاركينى ولو ليوم مغامرة رمسيس العجيبة التافهة هذه . المسكين لم يفهم أبدا يا هالة أن التخلص من غطاء الذهب هو تحديث وليس نهباً . إصدار ورق نقدى بأكثر من قيمة المتوافر فعليا كغطاء ذهب ، إبان الحرب العالمية الأولى ، ليس عملية نهب إنجليزى للذهب المصرى ، بل تطور طبيعى . حجم تعاملات الناس كبر جدا ، ولا بد من حجم للنقد أكبر مما يتوافر من معدن الذهب فى الكوكب ، أو مما تملكه أية دولة مفردة منه . أية دولة متقدمة فى العالم اكتشفت أن اقتصادها كبر ، بحيث لا تغطى قطع المعدن الذهبية كل التعاملات بين الناس ، كانت تصدر عملات ورقية ، لها رصيد جزئى من الذهب ربما ، لكن هذا الرصيد سرعان ما صغر حتى تناساه الجميع فى كل مكان ولم يعد ذا أية قيمة ، بل القيمة فقط فى قيمة مصدر السند الذى تعهد بقيمته . ورقة النقد هو ورقة دين ، سند مالى كأى سند مالى ، لا يجب بالضرورة أن تصدره الدولة ، ومن هنا كان إصدار بنك قطاع خصوصى له . بل ربما أصلا ' لا يجب ' أن تصدره الدولة ، إنما يحق لأى أحد إصداره ، والناس هى الفيصل ، قدرة الاختيار the power of choice كما يسميها ميلتون فريدمان ، لكن هذه قصة أخرى . وهو حين يذكرنا بأن المصريين لم يكونوا يحترمون أوراق النقد ويحترمون الذهب ، لا يقدم كما تخيل دليلا إضافيا على أن تلك كانت عملية نهب ، إنما فى الواقع لم يثبت أكثر من أن هذا الشعب المصرى شعب جاهل بدائى متخلف لا يفهم شيئا ، على الأقل لا يفهم القيمة الحقيقية لهذا الاختراع الجديد ، الورقة أم جملين !

هو هنا يلجأ لتحويل الأمر . ٣٥ مليون جنيه ذهبي . ممتاز ! الجنيه الذهبى الآن بـ ٦٢٠ جنيها ، إذن نحن بصدد عشرات البلايين . أيضا ممتاز ! لكن يظل الجنيه الذهبى هو الجنيه الذهبى ، كذا جرام من الذهب ، كون الواحد منها يساوى الآن ٦٢٠ جنيها ، فليس لأن طرأت مثلا

زيادة على عدد بروتونات معدن الذهب رفعت من قيمته ، إنما لأن الجنيه المصرى الذى كان أيامها يساوى جنيها ذهبيا ، وأكثر قليلا من الجنيه الستليني ، هو الذى انهار ، فلم يعد يساوى أكثر من جزء واحد من ٦٢٠ جزءا من الجنيه الذهبى . من الذى أدى لانحيار الاقتصاد المصرى ، ومن ثم لانحيار قيمة الجنيه المصرى ، ولتخلف وشلل وإفكار وموات كل شىء فى هذا البلد ، واتضح أن كل ما فيه لا يساوى شيئا يوم حانت لحظة الحقيقة أيام السادات واضطرت للانفتاح على العالم ؟ أعتقد أن الهلوكة أدرى منا جميعا بالإجابة ، هذا لو نظر فى المرآة ، أو لو ذهب لقراءة الفاتحة على قبر زعيمه .

ثم يقول إن إنجلترا أخذت ذلك الذهب وأعطت به صكوكا للبنك الأهلى مستحقة على بنك إنجلترا . ما المشكلة ؟ بيع وشراء ! يقول إنهم أعطوا الذهب لحكام السعودية . يا للنكتة ! إنه يكشف بنفسه لماذا اشتروه ، أو بالأحرى احتاجوا لشرائه . هؤلاء السعوديون بدائيون ولا يعرفون أوراق النقد ، وكل تعاملاتهم بالمعادن ، بقطع الذهب مدققة الوزن ، ويحتاجون لتلك الجنيهاات التى تنوء بوزنها الصرر والسحارات لتمويل أى شىء .

هل مولنا نحن الثورة العربية ، أم مولها الإنجليز ؟ الإجابة واضحة ، لكنه هو لم يجب أبدا ، ونقل الحديث فجأة من الحرب العالمية الأولى للحرب العالمية الثانية . على أية حال الإجابة هى ما يلى : الأمر ببساطة يعتمد على مصير ما أخذناه من ورق مقابل ذهبنا . هل بللناه وشربنا ماءه ، أم سحبناه من بنك إنجلترا ؟

هنا تأتى المرحلة الثالثة من فيلمه المثير جدا ' النهب الكبير ' ، وأعترف أنه كان أكثر إثارة من الفيلم الذى كنت أشتغل عليه حينها : بعد أن ضحك علينا الإنجليز وحولوا الذهب لورق ، ثم بعد أن ضحكوا علينا وأخذوا الذهب نفسه مقابل نوع آخر من الورق ، الآن ما مصير هذا الورق الأخير ؟ يثير هلوكة جليلة حول قيمة ديون مصر لإنجلترا . يقول إن طعاما كثيرا ذهب للجيش الإنجليزى ، والسكك الحديدية استهلكت والطرق تأكلت ... إلخ . كلام ممتاز . بعد لحظة واحدة نكتشف أن ما تدين به مصر لإنجلترا ٤٣٠ مليوناً وليس ٣٥ مليوناً . من أين جاء الفارق إذن ؟ بل ربما ليس فارقا أصلا ، والأول قد سدد وهذه ديون مستجدة خلال الحرب الثانية . ثم هل ' خربت ' بريطانيا الطرق فعلا ؟ هل ' خربت ' السكك الحديدية فعلا ؟ هل نسى أنهم من بنوها أصلا ؟ وأن لن يعيد بناءها أو توسيعها أو حتى إمدادها بالقاطرات والعربات سواهم ؟ تلك التفوهات لا تعتبر فى معايير -الأخلاقية والعلمية معا- إلا شيئا واحدا : سفالة !

يتحدث عن بطولة هائلة لموظف طالب يبحث هذه الديون و ' حاربه بمجمات ' ، ومع احترامى لشخص كهذا ، لا أعرف شيئا عنه أو عن نواياه ، فقد أساء هلوكة إليه . أساء له بأن أضافه لمسلسل البطولات التى اخترعتها الناصرية و اخترعها اليسار ، بينما لا بطولة فى هذا مطلقا ، أو ربما هجامة وضعاء صنعوا منهم أبطالاً قوميين كأدهم الشرقاوى بتاع ضهرى وونس مثلا ( بل وحتى يضحكوا بما على المصريين المتدينين لوجه الله لا لوجه النهب والسلب ، جعلوا صديقه بدران-يهودا يحونه فى العشاء الأخير ، لكن إيش جاب لجاب ؟ ! ) . إذن مصيرها كما هو واضح أنها ديون لمصر مستحقة على إنجلترا ، وكل ما فعله المسئولون المصريون أن تفاوضوا على تقييمها وتحديدها . يقول ' أنا لا أعلم كيف قيمت الأشياء ، الله وحده يعلم ! ' . ربما الله يعلم ، ربما هؤلاء المسئولون المصريون يعلمون ، فقط المؤكد أنك أنت لا تعلم !

الآن وقد أصبحت المسألة ليست ذهبيا ' نخب ' فى الحرب العالمية الأولى ، إنما ' ديون ' مستحقة للبنك الأهلى ( القطاع الخصوصى غير المصرى ) ، أو للسكك الحديدية أو غيرها ممن كلهم تقريبا أجنب ، لحساب بنك إنجلترا . قد نقول له هنا ' وأنت مالك ؟ ' ، أو ' يا داخل بين البصلة وقشرتها ' . يمكنك أن تأتى لتسأل ضهرى عن تاريخ الملكية الزراعية فى مصر . سيعرف لك الملكيات بأنها تملك ، وبالأحرى لو شئت الدقة الملوك هم الآلهة نفسها ، وليس كما فى حلقة أخرى حسبما تقولين يا هالة ، يعرف أصل الملوك بسفالة ( سفالة الجمهورية الفرنسية ، من غيرها ؟ ! ) ، أنهم شيوخ قبائل ذوى إدعاءات دينية . لكن المهم ، أيا ما يكن ، سواء كانت الدين للبنك الأهلى ، أو بعضها حتى للحكومة ، أموال شعب ، هل ' أكلتها ' إنجلترا على مصر ؟ هو نفسه لا يقول هذا ، إنما يقول إنها سويت على مراحل . ما المشكلة ؟ بريطانيا كانت خارجة من حرب . يتناسى أن تلك أحوال عالم خارج كله من حرب . مع ذلك بريطانيا لم تقل مثلا إنها كانت تدافع عن مصر بموجب الاتفاقات ، وأن على مصر كما أية دولة أخرى فى العالم صغرت أو كبرت ، تحمل نصيبها من كلفة السلام العالمى ، ومن ثم ترفض بريطانيا رد النقود . بل ما حدث ببساطة أن وافق تشرشل على محاسبة مصر على كل كلفة الحرب حتى آخر بينى ، لا لشىء إلا لأنها بريطانيا . لأنها السيد ، السيد الذى ينعم على الرعية ، لا الذى ' ينهبهم ' كما تقول الأساطير اليسارية والناصرية .

يثير جلبه أخرى عن كونها لم تكن تدفع نقدا . أيضا ما المشكلة ؟ لقد جاءت كسلع . كمصانع ، كحداثة ! هل لم تكن في حاجة لتلك السلع ؟ هل فرضت علينا ؟ هل كانت سلعا فاسدة كسلع مصانعكم الناصرية ؟ لو رفضوا إعطاءنا السلع وأعطونا نقودا ، ألم يكن سيقول هلوكة إنهم يحبون عنا التقنية ، يحاصروننا ، ويحكمون علينا بالتخلف . الحقيقة أنه ربما يكون الهلوكة على حق ، فمن يحتاج أصلا لدفع نقود مقابل الحداثة ، إذا كان من الممكن أن تنهبها أو تسرقها ؟ المفاجأة بعد كل ذلك أن يكشف لنا هلوكة أن ريجيم عيمصورة الذى سرق أضعافا مضاعفة لها فيما بعد ، حصل هو نفسه على ١٣٥ مليوناً سترلينياً منها مباشرة ونقدا . تصورى : مباشرة ونقدا ؟ ! وتصورى : هو الذى يقول ؟ ! أى هذا الذى أسهمت تلك النقود في تمويل حصوله شخصيا طوال الوقت على ما أسموه الحد الأقصى للأجور ، نخباً من أموال الشعب ( أقصد طبعا الشعب الإنجليزي ! ) .

بعد ذلك يدلف البائس الذى لا يدري أين يناقض نفسه ، لموضوع آخر . أوه ! يا لكما من لا شيء يا زهرى ويا ونس . أنتما غلابية بجد . عفويان لا أكثر . شخصان متناقضان جائز ، لكن قطعاً لستما أشراراً كصاحبنا هذا . لكم أنا بقراس على شخصين رائعين مثلكما . إذا كان منظر ' النكسة ' و ' الصمود والتصدى ' و ' اللا سلم واللا حرب ' و ' الممانعة ' ، بكل مكره وخبثه وجبروته ، لا يلحظ هو نفسه أنه يقول الشيء وعكسه في نفس الجملة . يقول إن كل شيء كان مملوكاً للأجانب ، ويعدد بالأرقام الملكيات الأجنبية لكل شيء تقريباً ، ويقول إن هذا معناه أن مصر نهب . يقول إن حتى طلعت حرب نفسه كان مملوكاً للأجانب وأزيح من بنك مصر . يصورها كمؤامرة من ' البنك المركزى ' ، السلطة ، الإنجليزي ، ولا يعرف أن هكذا بديهيات الاقتصاد ، وقروض البنك الأهلى فلوس ناس ، وليست بحر ضرائب يغترف كما تعود هو .

جدى كان مديراً بإحدى شركات بنك مصر ، وهو نفسه كان يقول إن كان يقول إن الإمعان في التمصير خيار خاطئ ، توجه في غير الاتجاه الصحيح وماله الخراب . كان يقول إن طموحاتهم كانت أكبر من حجمهم الحقيقي ، وكان لا بد لما حدث أن يحدث . البنك الأهلى كان أمامه إما أن يستولى عليهم ، أو يتركهم ينهارون ، لكن أن يكون دوره تجاه بنك منافس هو إنقاذه من الإفلاس ، فهذا مما لم يسمع به أحد في كل التاريخ . لو كنت مكانهم لما فعلت غير ما فعلوا . مع احترامى ، طلعت حرب ، ومع ملاحظة مجاراته الشعبوية لخطاب ما سمي بالحركة الوطنية أو التمصير أو للقيم الدينية البالية ، هو ليس أحمد لطفى السيد ، وطموحات النهضة قبل ١٩١٩ تختلف جذرياً عن أى شيء بعد ١٩١٩ . وشئنا أم أيينا طلعت حرب هو أول تجسيد كبير لذلك السقوط ( لماذا اشتغلت عنده يا جدى ، ولم تستمع لنصيحة والدك بالاشتغال في السكك الحديدية ، أو حتى بقيت في إنجلترا أنت وجدتي ؟ ! ) . بالمعايير التي لا ترحم لأرقام الميزانيات ، هو لم يكن اقتصادياً كفئاً ، ولا حتى ربما مديراً كفئاً ، ولا يمكن للبنك الأهلى الاحتفاظ به . أنا نفسى خضت في طموحات أكبر من قدراتي وأفلست . لم أولول ، ولا أعتقد حتى أن طلعت حرب ولول ! فقط مات في هدوء بعد سنتين . إن لغة الأرقام لا تعرف الشعارات أيا هلوكة المسكين ، وأيضا لا تعرف الولولة !



هل تعلمين نص قانون الجزية الذى وضعه بن العاص والعاصية لمصر ؟

قانون بسيط جدا من مادة واحدة : أنتم ' خزانه ' لنا نأخذ منها قدر ما نشاء وقت ما نشاء ؟

مع هذا أنا لم أكن أتحدث عن الجزية أو الخراج أو المصادرة لصالح بيت المال ،

أو عن ثروة كل واحد من تلك العصابات العربية التي اجتاحت مصر المقدونية-الرومانية ،

فقط أتحدث عن ٥٥٠ طنا من الذهب ثروة شخصية خالصة لابن العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر !

هذه ليست إلا نقطة في بحر في تاريخ النهب العربي-المسلم ( وربما بالتبعية أحيانا المصرى ) للأجانب وللأقليات ولليهود ،

ولكل من جاء ليغرس نبتا أو يبنى طوبة على أرض مصر !

أنا أستطيع يا هالة تأليف كتاب عن تاريخ النهب الحقيقي الذى جرى على أرض مصر ! سأبدأ من حيث نصحنى زهرى : من خطط المقريزى ! يقول إن عمرو بن العاهر والعاهرة ترك ثروة ٧٠ بمارا من الذهب والبهار جلد الثور ويساوى أردنين مصريين والأردب ١٩٦ لترا ولتر الذهب بيزن ٢٠ كيلوجراما ، أى الإجمالى ٥٥٠ طنا من الذهب . هل تخيلتى الأمر : ٧٠ ' بالة ' عملاقة -الواحدة أضخم من حجم الإنسان البالغ- مملوءة ذهباً ؟ هل تصدقين أن ولديه -وكانا ورعين- رفضا وراثته قائلين هذا مال حرام ومنهوب من غير حق ويجب أن يعود من حيث أتى ، فلما علم معاوية أرسل وأخذه هو ( وما أدراك ما معاوية ؟ إنه ابن العاهرة الثانى ، أقصد الرابع ، أوه أقصد الألف ، وفي قول آخر إنه

وعدوه اللدود عمرو أخوان في الزنا من ذات الأب ! ) ؟ هل تعلمين أن عمرو بن العاص والعاصية ( المتعاص والمتعاصة ، العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ) هذا لم يحكم مصر ٥٥٠ أسبوعا ولا حتى ٤٥٠ أسبوعا ، مما يعني أنه كان يتريح نحو ٢٠٠ كيلو جراما من الذهب يوميا بحلول كل مساء ؟ احسبي كم يساوي هذا القدر الآن وابلغيني كم واحد من أغنى أغنياء العالم اليوم يحققون هذا . هل تعلمين نص قانون الجزية الذي وضعه بن العاص والعاصية لمصر ؟ قانون بسيط جدا من مادة واحدة : أنتم ' خزنة ' لنا نأخذ منها قدر ما نشاء وقت ما نشاء ؟ مع هذا أنا لم أكن أتحدث عن الجزية أو الخراج أو المصادرة لصالح بيت المال ، أو عن ثروة كل واحد من تلك العصابات العربية التي اجتاحت مصر المقدونية-الرومانية ، فقط أتحدث عن ٥٥٠ طنا من الذهب ثروة شخصية خالصة لابن العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ! هذه ليست إلا نقطة في بحر في تاريخ النهب العربي-المسلم ( وربما بالتبعية أحيانا المصرى ) للأجانب وللأقليات وللإهود ، ولكل من جاء ليغرس نبتا أو يبنى طوبة على أرض مصر !

أمتأكدة أنك قمتي بالحسابات على النحو الصحيح ؟ يا للهول ! ٧ أو ٨ مليون دولار يوميا ؟ أهذا معقول ؟ أنا نفسى لم أتخيل هذه الأعداد . كنت أعلم أن ما يوجد في هوامش روما من ثروات هو ليس بالقليل على أية حال ، لكن لم أحاول تخيل ماذا لو انتقلت تلك الثروات التي تعبت شعوب وأجيال كاملة فيها لآلاف السنين ، إلى يد شخص واحد أو حفنة أشخاص في طرفة عين ! ٣ بليون دولار سنويا ؟ أهذا معقول ؟ إنما ثروة تضاهي ثروة أغنى إنسان في العالم المعاصر ، وحتى هذه حقها الشخص في عمر كامل ، إن لم يكن عبر تاريخ آباء وأجداد أسرته ككل . أوه ، بل قل تضاهيها عشرات المرات أو مثلا تضاهي ثروات نصف أثرياء العالم ، باعتبار مجمل ثروات الكوكب آنذاك واليوم .

ما الذى اجتهد فيه ذلك السفاح الأفاق كمثل هؤلاء ؟ ما نسبة ما ورثه عن أهله كمثل بعضهم ؟ أوه يا لبراءتك يا طفلى ! أنا أعرف الإجابات ولا ترهقى نفسك بمثل هذه الأسئلة ! ما ورثه هو لا شيء : أما عن أمه فهي أرخص العاهرات أجرا إطلاقا في كل تاريخ مكة ، أما عن أبيه فلا أب له . أرجوكى دعى ابنه جانبا فهو ابن الأكرمين -هكذا لسان العرب يا هالة ؛ لسان عفيف لا يقول ألفاظا من قبيل ابن أسفل السافلين ؛ لكن ثمة مفارقة استوفقتنى هي أن أكرم الأكرمين هذا كان بخيلا جدا ، فلم يعرض على عثمان بن المعفن من كل هذه الثروة سوى ألف دينار كى يخدم له من الكرهان لدى جمعه له ، السباب عن ' الأبتز ' والمقصود به العاص أباه بالاسم وكان مقطوع النسل مثله . لعلى ' أظلمه ' ولعل عثمان هو الذى كان يطلب أسعارا عالية جدا من راغبي تعديل اللوح السماوى المنقوش على عرش الرب . ما الذى أجهد نفسه فيه ؟ قطعا هو لم يكتشف طاقة البخار ولا طاقة الكهرباء ولا طاقة نواة الذرة ، وقطعا لم يخترع قنوات الرى ولا الطائرة ولا الحاسوب ، إنما فعل ما هو أفضل منها جميعا : سارع إلى الانضمام لعصابة محمد ( وفى قول أصح عصابة عمر ) !



اعلموا أن لا شيء يسقط بالتقادم ! لقد انتهى عصر المسكوتات عنها ، وحن وقت فتح كل الدفاتر ودفع جميع الفواتير !

العالم كله سيجبركم قريبا أن تعالوا لنجلس ونتحاسب ، ولنرى ماذا نهبتم أو فعلتم في ال ١٤ قرنا ماضية .

بالنسبة لحالتنا نحن الأمور واضحة بلا جلوس : فقط عليك أن تعيد أولا ما نهبته السعودية القرشية وسوريا الأموية والعراق العباسية ،

من مصر ( الفرعونية أو المقدونية أو الهيلينية أو الرومانية أو الپطلمية أو القبطية أو البيزنطية ، لا يهم ) ، بعدها سنجلس ،

أو بالأحرى : لن نجلس ! ، والسبب بسيط : أن كل أموال الپترول لا تساوى ما نهبتموه منا !

لا غرابة أن عمرو بن العاص والعاصية ( العاهر الأبتز والعاهرة الأشهر ) هذا حقق ما لم يحققه إديسون أو روكيفيلر أو جيتس لسبب بسيط : أنه جمع على الجاهز ثروة أمة كاملة تعبت فيها لآلاف السنين لينهبها لنفسه ولبقية عصابته في أيام . أما أنت يا سيد هلوكة للتوضيح فاسمح لى أن أغيظك قليلا ببعض مما لا تفهمه : الأرقام ! بعيدا عن الثروات الشخصية ، الجزية والخراج كانت تقدر بملايين الدنانير سنويا ، ولم يحدث قط أن در أى قطر في أية مرحلة من مراحل الخلافة القدسية عددا من سبعة أرقام إلا مصر .

مهلا : ثمة شيء آخر قد يغيظك لحد الجنون ، ولا أنكر أن هذا يمتعنى ويشفى صدور قوم غير أعرايين : إن أقصى ما تفتق عنه عقلكم العربى -أفصد طبعاً الإسلام وليس قوميتكم العربية الجديدة العبيطة- قد نهب مصر نعم ، بعض هوامش الثروة نعم ، أرقام تذهلنا للوهلة الأولى نعم ، لكن بالمقابل انظر ماذا نهب العقل اليهودى : لقد نهب العالم كله ! لقد تفتق عقلهم عن كذبة جيدة الحياكة للغاية اسمها المسيحية ، لا تقارن نحائيا بإسلامكم الساذج المفوض . هذه قصة طويلة بما أسماء أناس من ذلك الشعب الصغير الذى يمثل عقدتك الكبرى في الحياة ، أناس شديدى

الذكاء والدهاء -أو على الأقل لديهم بعض مما ليس عندكم : الثقافة ، أسماء مثل يوحنا وبطرس وأقل من عشرة آخرين ، قصة ربما أرويها لك يا سيد هلوكة في فرصة أخرى ، لكن ما أريد قوله الآن هو فقط أنكم في كل لحظة من التاريخ لم تكونوا إلا الأذنون ، حتى في شروركم أنتم الأذنون ، حتى في لصوصيتكم أنتم الأذنون !

هذا عما لا تفهم وقد أطلت فيه ، لذا سأعود لما تفهم : لا أشك للحظة أنك تعلم أفضل مني أن العصاة المحمدية-العمرية كلها عاهرون أبناء عاهرات وتزوجوا من عاهرات فأنجبوا أظهر امة أخريت للناس . أرجو ألا تأخذ الأمور على محمل شخصي ، فأنا لا أعرف بالضبط مكونات شجرة عائلتك أنت أو ناصر ، وأؤكد لك أن لا مشكلة لدى مع العاهرات ولا أبناء العاهرات ، لكن لدى مشكلة هائلة مع الكذب ، مع أن تقولوا عن أنفسكم أشرف الناس وأنتم حطيط حضيض الأرض . ثانيا ، قل لي أية علمانية في هرولة عبمعصورة للأزهر لدى أول مواجهة مع الغرب ؟ اليوم أدهش حين أنظر لكتاب فلسفة الثورة الذي ألفته باسم عبمعصور . لن أفيض في التماهي المذهل داخله ما بين الأجداد الإسلامية والشيفونية العروبية ، فقط ذهلت من الغلاف الإسلامي الخالص حيث لم تجدوا رمزا للعروبة إلا حشدا من القباب والمآذن ، فوقها كلها الألهة-الالهة التي تحمل على أطرافها النجمات-الإلهات كما تعتادون أنتم حمل الفتيات الرضيعات على أطراف ذكورتكم . بصراحة ، أنتم حلمتم بتناسخ أجداد العصاة المحمدية-العمرية ، لكنكم حاولتم الترفع على الخرافة الدينية ، فقط كى تكتشفوا أن تغيير المسمى لشيء أوروبي جديد يماشى العصر اسمه القومية هو خطة هائلة العبط ، وبعد برهة واحدة أدركتم أن لا بديل لأن تكونوا أسرى للإسلام للأبد ، لأنه كان النجاح الوحيد في التاريخ العربي لقطع الطريق واسع النطاق ، وبصراحة مطلقة أشك تماما أنك أو ناصر أكثر ذكاء أو فهما للعرق العربي من عمر بن الخطاب والحطابة ( أو في الحقيقة أشك أنكم أكثر ذكاء من أى أحد على وجه الأرض ، وأسأل موشيه ديان عما كان يشغله في يونيو ١٩٦٧ ، أو أسأله مقولته الشهيرة عن تمكنكم الأسطوري من القراءة ثم من فهم ما قرأتم ثم من تنفيذ ما فهمتم ) . ماذا كانت النتيجة أن أصبحتم أشرس منه نبها وسلبا لثروة مصر . هنا أدين لابن العاهر والعاهرة ذاك بشيء من الاعتذار : أرجو ألا تسيء فهمي يا شيخ العرب . أنا لم أقل أن أسابعك الأربعمئة وخمسين هي أحلك فترة في تاريخ المصريين . هناك ١٨ سنة كاملة أحلك سوادا بكثير ، تلك التي حكم فيها حفيدك الأعرابي الهمجي الجلف -المثلك بالضبط- شيخ العرب عبمعصور ، ورفيق دربه شيخ العرب هلوكة ، المثلكما بالضبط .

على أية حال يا هذا الهلوكة ، أنت أولى من جدك عمرو بن العاص والعاصية ( العاهر الأبتير والعاهرة الأشهر ) بالسؤال المهم : أنت تريدنا أن نتحد مع ذوى الأعقلة أولئك ، أليس كذلك ؟ أنا موافق ! فقط لنلقى نظرة على ما استجد على أجندة البشر : اعلموا أن لا شيء يسقط بالتقادم ! لقد انتهى عصر المسكوتات عنها ، وحين وقت فتح كل الدفاتر ودفع جميع الفواتير ! العالم كله سيغيركم قريبا أن تعالوا لنجلس ونتحاسب ، ولنرى ماذا نخبتم أو فعلتم في ال ١٤ قرنا ماضية . بالنسبة لحالتنا نحن الأمور واضحة بلا جلوس : فقط عليك أن تعيد أولا ما نخبته السعودية القرشية وسوريا الأموية والعراق العباسية ، من مصر ( الفرعونية أو المقدونية أو الهيلينية أو الرومانية أو البطلمية أو القبطية أو البيزنطية ، لا يهم ) ، بعدها سنجلس ، أو بالأحرى : لن نجلس ! ، والسبب بسيط : أن كل أموال البترول لا تساوى ما نخبتموه منا !



**البشر إما بناءون وإما لصوص ، ولا شيء ثالث !**

**لا محل للجدل أنكم -طغمة مثلث اليسار والعروبة والإسلام ، وبتفاخركم أنفسكم- ذروة الفئة الثانية ،**

**مع ذلك أعترف لك أنك حالة متميزة ؛ لعبت دور الرجل الثاني باقتدار بحيث نجحت فيما فشل فيه عمر بن الخطاب والحطابة :**

**تفادى القتل !**

ما علينا ! خيلنا في البنك الأهلى ! ماذا يعنى بالضبط يا هذا البائس قولك أن كل مصر كانت مملوكة للأجانب ؟ أيعنى أن مصر ' نخبت ' ، أم أنها ' استعمرت ' ؟ هل كان لدى مصر بنوك وبورصة وعقارات وشركات نقل وسياحة وسفر وتصدير وتليجراف ومحطات إذاعة ومصانع أخشاب وأدوية وإسمنت وسماد ومطابع وصحف ومصائد أسماك ومحال سلع استهلاكية كبنزايون وعدس وصالون فير ... إلخ ، كالتى ذكرها كلها وأسهب فيها بالاسم وكنت شخصيا أكاد أنساها ؟ هل كانت هذه كلها شركات زاهرة أنشأها المصريون ثم جاء هؤلاء الأجانب ووضعوا اليد عليها بقوة السلاح ؟ هل هؤلاء أناس جاءوا لينهبوا بلد متقدم غنى بالمزارع والمعادن ، نقوم بتصنيعها ويتهافت على استيرادها الجميع ، ثم جاء الأجنبي ليحتلها عنوة و' ينزحها نزحا ' ؟ أم هم جاءوا لإعمار بلد شديد التخلف ، وأطلعوه من الصفر المطلق على اختراعات اسمها الطرق

ومشاريع الري والمزارع الكبيرة والمصانع ، وجعلوا لأرضه ومنتجاتها وزراعتها ومعادنها ثمنا بعد أن كانت لا شيء ، لا شيء مطلقا . هل نقل منبر الأزهري لأحد أعظم متاحف إنجلترا سرقة لكنز لا يقدر بمال ، أم تكريما وتجيلا وحبا للإسلام ، ولا أقول مجرد حفاظ على شيء كان سيتآكل ويندثر لو بقى عندنا ؟ هل بنى المصريون الأفاذا مصر الجديدة التي ذكرها أيضا بالاسم ، وجاء إيمان بجيوشه وسرقها منهم ؟ هل خروج القطن من مصر نخب ؟ ولا يقولون لنا هل كنا نزرع قطنا أصلا ، أم هم الذين جعلونا ' مزرعة ' ؟ ثم ما العيب في أن يجعلونا مزرعة ، هل كنا صناعة أو ما بعد-صناعة قبل ذلك ، أم كنا صحراء ؟ وحتى لو كنا نزرع القطن فما قيمة إن يبقى في مصر ؟ أكاد أجزم بأن كلمة تصدير مرادف عندهم لكلمة نخب !

تعود للكلام عن الملكيات ، فنذكر أن ملكية الخديوي إسماعيل للأراضي الزراعية ارتفعت من ٦ إلى ٩١٦ ألف فدان ، وإن كنت أشك قطعيا في الرقم الأول . أشك في كل ذكر له للأرقام ، هو ليس لديه أدنى حساسية لها ، أو يزورها معتقدا أن كل الناس مثله لا تستوعبها . إسقاط . مرض نفسي يعني . في مرة لاحقة قال إن صادرات مصر من القطن عام ١٩٥٥ إبان صفقة السلاح السوفيتية كانت ٣٥٠ مليوناً سترلينياً في السنة ، وهذا محض عبط مضحك . كى يهون من شأن الإنفاق على السلاح ، هاجس ناصر الأوحى في الحياة والذي جند له كل موارد مصر ، جعل صادرات القطن ٣٥٠ مليوناً ؟ إنها إذن super power ! إنها برقم كهذا سنويا ، يمكن أن تبني سدا عاليا شاملا محطة كهرباء إلى جواره كل ستة شهور . بضريبة ٥٪ فقط على القطن ، كان يمكنه بناء السد بأسرع مما بنته له قروض وجيوش الاتحاد السوفيتي . بأرقام كهذه تستطيع أن تبني ما تشاء من مصانع السلاح ، لا أن تستورده بالكاد . إنها تبني حتى القنبلة النووية وتستأجر كل عقول العالم مدى الحياة من أجلها ، فتحرم كل الدنيا منها . ( أرجوكمي خللي على جنب تكاليف مسلسل الحروب الناصرية ، فهذا هو الشيء الوحيد الذي يحسب فعليا بالبلانيين في تاريخ مصر البائسة ! ) .

ملكية الخديوي إسماعيل ؟ أنت ها تستعبطنا ؟ إيه الوقاحة والفجور دى ؟ أنت ما ينفعش معاك إلا بلدوزر زهري ؛ أربعة عشر قرنا وأنتم تقتلون الناس ، وها قد حان وقت أن يقتلكم أحد . البشر إما بناءون وإما لصوص ، ولا شيء ثالث ! كل من يسمون بالمتقفين والحادثيين ... إلخ هرولوا مع مطلع التسعينيات وراء فكرة المواطن الجلوبي ، شاركوني فكرة أن الوطنية لقيطة لا أب لها ، فتبنا الجنسية العالمية أو الإنسانية ، لكنهم -وبسبب كونهم يساريين عمى البصيرة- نسوا الشق الثاني من الرأى : يا نخب العالم اتحدوا ! نعم ، لا وجود لمفاتيح الجنسيات القومية أو العرقية ، لكن أيضا لا وجود لشيء اسمه جنسية جلوبية واحدة فقط لا غير ، إنما تحديدا هناك جنسيتان اثنتان بلا زيادة ولا نقصان ينضوي أى عرق أو قومية أو فرد تحت أحدهما : جنسية البنائين ، وجنسية قطاع الطرق ! انظر ماذا فعلتم أنتم : حرصتم على رفع أسماء هؤلاء البنائين العظام -مُجد على وأبنائه- من الشوارع ووضع أسماء مجرمين صرحاء أو بالأكثر عرب متمصرين بدلا منها ( طبعي ! أنتم قطاع طرق فماذا كنتم تفعلون غير ذلك ؟ ! ... أين أنت يا أمي كنت تقولين له في لحظة ما هي أصول سعد زغلول أو مصطفى كامل ، أو من أين اشتق اسم عرابي ) .

لا محل للجدل أنكم -طغمة مثلث اليسار والعروبة والإسلام ، وبتفاخركم أنفسكم- ذروة الفئة الثانية ، مع ذلك أعترف لك أنك حالة متميزة ؛ لعبت دور الرجل الثاني باقتدار بحيث نجحت فيما فشل فيه عمر بن الخطاب والخطابة : تفادى القتل ! نعم ، لقد صمد عمر هذا في منصب الخليفة عشر سنوات وهو إنجاز هائل الدهاء بكل مقاييس التاريخ الإسلامى ، لكنك لا تزال حيا ، وهذا أدهى ! بلى ، إن المراوغين أمثالك لا يصلح في الحقيقة إلا اقتلاعهم من الوجود اقتلاعا . بلدوزر يحملهم لقلب الصحراء الغربية ويتركهم هناك . في الواقع هذه ستكون خدمة لك . ستتيح لك أن تتغوط كما كان يفعلها الأنبياء المقدسين وأبطال التاريخ الأشاوس الذين تريد إحياء أمجادهم . أنتم لم يعجبكم معتقل جواتانامو ، بينما كنتم تلقون فيه رعاية صحية أفضل من التي توافرت لحياة النبي مُجد نفسه ، فلتذهبوا إذن للصحراء وتعيشون فيها كما تحبون .

أنا أتقزز منك حين تقول إن السياسة لعبة مصالح ، وكأن كل الناس حقيرين مثلك ، أو كأنكم وأميركا من طينة واحدة . هذا إلقاء وضيع ، أو ربما إسقاط . صاحب الثورة التقنية ، صاحب الرؤية الشاملة الجديدة لكل العالم ( وصاحب الحق في فرض رؤيته -ودا أو قسرا- على كل العالم ، ليس لأننا منصفون مهذبون ونريد رد المعروف له ومكافأته على إنجاز الجبار ، إنما ١- لأنه الوحيد الذى يرى عالما مختلفا لا يراه المتخلفون ولا يستطيعون وغالبا لا يريدون ، ٢- لأن الثورة التقنية هى الشيء الوحيد الذى يخول صاحبه أن يفعل ما شاء بالعالم ، كل العالم ، العالم الجديد ، الجديد المقدام ) ، صاحب مثل تلك الروية لا يفكر -حتى وهو يستخدم القسر- في مصلحته الأناية فقط . لن ينجح أصلا لو فكر

هكذا . هو بالأصل صاحب مبادئ ، ولو فكر بالمراوغة قليلا ، أو بالأحرى المحايلة ، فهذا فقط لأنه قابل معدومي الأخلاق مثلكم ، freaks من ما قبل التاريخ يستحيل إيفاهمهم أو التفاهم معهم . هم يلعبون بشرف وع المكشوف ، أما من يتآمر فهو الصغار الطفيليين على التقنية أمثالك . الكبير لا يتآمر . الكبير لا يحتاج للتآمر . أميركا أو إسرائيل حين تختصمكم تأتيكم بجيوش جرارة صريحة ، لكن أنتم يا من اتخذتم من ديوجول مثلكم الأعلى في الحياة ، لا تعرفون إلا المراوغة والعبث بالكلمات وإظهار عكس ما تبطنون وسياسة التمسكن حتى التمكين ، أو حين تصلون لمرحلة السلاح : أخذ الشعوب درعا بشريا لعصابتكم . اللعب القدر الضرب تحت الحزام التزييف التشويش والديماجوجية هي ديدنكم . وتعرفون أكثر من غيركم لأي مدى هذا شعب غبي وجاهل ، أقصد -وعذرا لك يا هالة- لأي مدى ' الصحفيون الشبان ' أغبياء وجهلة . سنوات مثلا تقولون لنا المقاومة ، ثم تقولون الحكام العرب ضعفاء لا يستطيعون رفع الحصار عن الفلسطينيين . طب إلی جاب الحصار هو المقاومة وحماس موش الحكام العرب . خليها تنفعكم . خليها هي إلی ترفعه ، أو تنقذ غزة من مصيرها النووي .

جاب منين إسماعيل الأراضى دى ؟ هل لف على فلاحى مصر المنتجين المبدعين العظام واستولى عليها فدانا فدانا منهم ؟ أم أنه أكمل وأصلح وافتتح القناطر الخيرية ومشروعات أخرى بحيث أضاف هذه الأراضى لمصر من صحاريها . للأسف لعله في حاجة أيضا لأن يذكره ضهرى أن مصر -كأية ملكية- لم تكن تعرف أصلا شيئا اسمه الملكية الخصوصية للأرض . كانت المعروف من الأرض كل الأرض ، ملكية خالصة لمحمد على وورثته . هكذا تنشأ أية مملكة في الدنيا ، الملك للملك . هل كان إسماعيل يهب الأراضى أم يهب الأراضى ؟ طبعا لم يجب أحد ، لأن أحدا لم يهتم أن يسأل . مع التزييف والتشويش والديماجوجية لا عقل لدى أحد أصلا ! الحكام العرب لا يستطيعون رفع الحصار !



تأميم القناة سرقة لا تحتمل التأويل ، الاستقلال نفسه سرقة لا تحتمل التأويل ،

الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء هو سرقة لا تحتمل التأويل ( فما بالك بإعطاء أنفسكم ؟ ) ،

كل نشاط قمتم به في حياتكم هو سرقة لا تحتمل التأويل ،

من الذى نهب من : الاستعمار هو الذى نهب العالم الثالث ، أم العالم الثالث هو الذى نهب الاستعمار ؟ !

ماذا تنتظرين يا هالة من سليلين أصيلين للهجامة العرب اللصوص قطاع الطرق -مثل ناصر وهلوكة- غير هذا ؟ ! للأسف لقد قالت لى أمى هذا الكلام مرارا ولم أستمع لها ؛ قالت ناصر ليس إلا لصا ، كل ما يريد إحياء ما قامت به قبيلته من قبل لنهب مصر ، وتكرار مجد أسلافه وغزواتهم المباركة . هؤلاء اكتشفوا فجأة أن جهود أسرة مُجد على ثم انفتاحنا الرائع على الاستعمار البريطانى قد جلب وأثمر خيرات كثيرة وأن مصر امتلأت بالثروات ، وأن ها قد حان وقت القطاف . إني أكاد أبكى يا هالة كلما تذكرت كيف كنت استخف بحكمة أمى العظيمة هذه ، وعصيتها وسافرت للكويت ، وواصلت الاشتغال معهم بعد عودتى ، وكل ما فعلته معها أن رحمت أطمئنتها أن هذا كله كلام قد مضى وتولى . بكيت بمعنى الكلمة يا هالة ، لحظة أن أقنعنى صديقى الجديد ضهرى بأن ما فى الجيبينات لا يمضى ولا يتولى أبدا . لا أدرى كيف حدث هذا ؟ لقد كانت أمى فى نصف عمرى عندما كانت تعرف كل هذه الأشياء . من علمها إياها ؟ هل أحمد لطفى السيد ؟ لا أعلم . كيف لا أبكى وأمى كانت تفتش عن الجيبينات حتى قبل أن يكتشفها واتسون ، وبجراقتى وغورورى لم أفعل إلا أن أستخففت بها ؟ ! هل بسبب تشربى للأفكار الحداثية القائمة على الفردية التنافسية والفرص المتساوية لكل البشر ، أم تأثر عقلى الباطن دون يدري بكلام اليسار عن أن البشر أنفسهم سواء ؟ لا أعلم ماذا كنت أعلم ، لكن المؤكد أنى لم أكن أعلم مطلقا ، أن ثمة طريقا ثالثا للحياة ، اسمه القبيلة ، اسمه العروبة !

سليل بنى مر ( وبالمناسبة حين كانت تذكر أمى هذا المصطلح لم يكن الأمر يعنى لى شيئا مطلقا ، أو تخيلت أنها تعابره بأنه قروى ، بينما كانت تقصد العكس ، أنه ليس قرويا ! ؛ أما اليوم فأعلم كم هي محافظة أسويط موبوءة بأمثالهم ، وكم من قرية تقع فى تخوم عاصمتها شمالا تحمل أسماء من شاكلة بنى قره وبنى حسين وبنى عدى حتى الحواتكة ) ، سليل بنى مر ساب ٢٠٠ فدان وأخذ الباقي . بعد ما بدد إلی أخده ولقاه موش مكفى ، أخذ ١٠٠ فدان تانيين . وبعد كده لقي كل الأرض موش مكفية ، لا من مسيحيين ولا من غير مسيحيين ، فأمر القناة ، إلی هي أموال أرامل وأيتام اشتروا أسهمها ، وإنما موش مهم . موش مكفية برضه . صادر كل أملاك الأجانب ، شركات ومصانع ومتاجر وكل حاجة ، وسماها التمسير . موش مكفية برضه . استولى على كل شركات ومصانع ومتاجر المصريين ، وسماها اشتراكية . كل واحدة من هذه جميعا ، لو شغنا تسمية الأشياء بمسمياتها ، هذه ليست إصلاحا زراعيا ، ولا تمصيرا ، ولا تأميما ، ولا اشتراكية ، هي فقط ببساطة متناهية : سرقة لا تحتمل

التأويل ! تأميم القناة سرقة لا تحتتمل التأويل ، الاستقلال نفسه سرقة لا تحتتمل التأويل ، الأخذ من الأغنياء وإعطاء الفقراء هو سرقة لا تحتتمل التأويل ( فما بالك بإعطاء أنفسكم ؟ ) ، كل نشاط قمتم به في حياتكم هو سرقة لا تحتتمل التأويل ، من الذى نهب من : الاستعمار هو الذى نهب العالم الثالث ، أم العالم الثالث هو الذى نهب الاستعمار ؟ ! ( حتى لا تسيء الظن بى أنا لا أقصدك أنت ولا أى من العربانيين أمثالك ؛ أنا أقصد أساسا البلاد التى كانت تعرف بعض الزراعة فاستولت على كل الأرض ، وتعلمت بعض الصناعة فاستولت على كل المصانع ، وشاهدت شيئا اسمه النقود فاستولت على كل البنوك ، أما هوام الصحراء الذين لا يعرفون السكن أصلا ولم يحدث يوما أن اعتبروا أرضا ما أرضهم أو اهتموا بالاستقرار فى مكان ما أيا ما كان ، فقصة أن الاستعمار ينهب پترول ' أراضيهم ' يمكن أن يفتيك فيها صديقى ضهرى أفضل منى ) .

... يا للوقاحة والفجور ! لقد مسح هلوكة وأمثاله العقول لدرجة أن أحدا لم يعد يسأل أى من مثل هذه الأسئلة البسيطة !

الحجة ؟ لا توجد حجة . أموالنا ردت لنا . الحجة ؟ فلسطين ؟ لا أحد يتحدث عم نهب العرب فى المقابل . يكفى فقط مصر ، هذه التى كانت يهودية بالكامل تقريبا ، نهبها عبمعصور حتى آخر مليم . لماذا يهود كل بلاد العرب أو حتى كل مصر ؟ يكفى البنك الأهلى المصرى . لو ترك هو ومصر لأصحابهما الحقيقيين من اليهود ينمون ويزدهران فى مناخ حدائى حر ، لأصبح الآن شركة من فئة التريليون دولار ، لا تكفى كل مصر الحالية تعويضا له . إنه وحده يشتري مائة فلسطين ومائة قدس ومائة أقصى ومائة صحرة من سوق العقارات ( أو يشتري ٢٠ سيناء من تلك التى أخذتها إسرائيل فى ١٩٦٧ تخليصا لجزء يسير من ديونها الفادحة على عبمعصور ) . إن مجرد المعونات التى أخذوها من أوروبا وأميركا منذ أوصلو ، تعادل ثمن فلسطين عدة مرات . لكن العجيب أنهم أخذوا النقود ، ولا يزالون يطالبون بالأرض . هل هم على هذه الدرجة من الغباء بحيث لم يفهموا معنى هذه الأموال ، أم هى مجرد سفالة وبلطجة بسيطة بالفانيليا كالعادة ، كالعادة من خير أمة التى شعارها مع الآخرين شحات وأنا سيدك ، أقصد عن يد وهم صاغرون . كل هذا وذاك بفرض أن أحدا أخذ شيئا من الفلسطينيين فى ١٩٤٨ ولم يسدد ثمنه ، بل هم قبضوا الثمن على أمل تعيد لهم الجيوش العربية الأرض أيضا ، فيظفرون بها وبثمنها معا . أو بفرض أن هؤلاء أشد شعب فى العالم تحلفا ، كانوا يملكون شيئا ذا قيمة أصلا . أو حتى أصلا أصلا اعتبرناهم قد طردوا رغما عنهم ، من قبل استيطان يهودى ظل مسالما لعقود بينما أمين الحسينى يربط كل يهودى تصل له يده لأربعة جياذ ويمزقه إربا . أربعة أجزاء كما دجاجة لضهرى ، ثم لا يكتفى بهذا بل بعدها يذبح الرأس بعيدا ' باسم الله ' ، شرعا .

هم فى خاتمة المطاف بدو والأرض لا قيمة حقيقية لها عندهم ، إنما تركوها لخطط فى نفس يعقوب . أولا وأخيرا ، هل كان سيكون هناك لاجئ فلسطينى واحد ، لو قبل العرب قرار التقسيم ؟ حتى قرار اللاجئيين ١٩٤ الذى تظنون به طوال الوقت يستخدم دائما أبدا كلمة **should** الاختيارية ، وليس **shall** الإجبارية ، ويتحدث عن إعادة التوطين ، وعن التعويض ، وعن شرط العيش فى سلام ، لكنكم لا تفهمون ، والسبب بسيط لم تقبلوا ساعتها ، وحتى اليوم ، بأى شئ أقل من إلقاء إسرائيل فى البحر . ما أفهمه أن من صنع المشكلة يتحمل ثمنها ، فقط أذكركم فى كلمة يتحمل ثمنها ، أن كل نقود الپترول لا تكفى لسداد ما نهبتموه من اليهود . أيضا أذكرك يا أخ هلوكة أن قرار ٢٤٢ ( وإن كنت شخصا لا أعترف بالأمم المتحدة ) ، لا يذكر كلمة فلسطينيين بالمرّة ، فقط يتحدث عن ' حل مشكلة اللاجئيين ' ، التى تفسرها إسرائيل على أنها تقصد اللاجئيين اليهود من البلاد العربية ، مشكلة اللاجئيين الوحيدة التى لم يتم تسويتها حتى الآن ، باعتبار أن اللاجئيين الفلسطينيين قد حسم أمرهم بقرارات القيادات العربية حرة الإرادة ، برفض إعادتهم فى سنوات الاستقلال الأولى . هنا يا هالة ، أنا أتكلم عن أموال يهود مصر ويهود المغرب والعراق التى أعرفها ، أما يهود الجزيرة العربية الذين تبخروا للأبد منذ قرون ، ولم يعرف أحد أين اختفوا واختفت أموالهم ، فلست خبيرا جدا بقصصهم . موش ده بالظبط كلامى إالى قلته لك فى ٢٠٠٥ ؟ لماذا تبسمين أيتها الخبيثة ؟ هل تريدان الإيحاء أنى لم أكن أملك كل هذه الردود على عصابة اللصوص الهلوكية-الناصرية ساعتها ؟ ! ربما ! جازير بعض حاجات استجدت ؟ على فكرة : أنا لم أخبرك أنى تعرفت مؤخرا بأناس لطفاء ، أسماؤهم ضهرى وإدوارد وسماء وونس وروميو وسوسن وأسد وآخرين ، أمل أن أعرفك بهم قريبا !

لماذا تضحكين ؟ أنا لا أقول نكتنا ، النكتة الوحيدة فى كل ما قلت أن ما سرقه عبمعصورة ، وزعه على الفقراء كى يشتري به حناجرهم وأرواحهم فى استفتاءاته المضحكة التى أدخلت للقاموس تاريخ السياسة مصطلح ٩٩.٩٩ / . ، أو لمعاركه الفاشلة المختلقة فيما أسماه القضية الفلسطينية . النكتة أنه فى كل الأحوال خسره ولم ينتفع بشئ منه . وإن كان على أن أعترف أن طبعا لا الرأسمالية ولا الاستعمار كانت لتستطيع

أن تنافسكم على شراء الحناجر والأرواح هذا ، لسبب بسيط أنها لم يكن في خطتها أن تفلس وتنتحر مثلكم ، أو لو شغنا صياغة أخرى ، لأنها لا تستطيع خداع الناس والتغريب بهم لأجندات سوداء خفية مثلكم ، إنما كل شيء لديها فوق الترابيزة ، خذ وهات ، وبالإرادة الحرة للجميع !



لا يوجد شيء اسمه الحرب على الفقر ؛ يوجد فقط الحرب على الفقراء !

لا يوجد شيء اسمه القضاء على التخلف ؛ يوجد فقط القضاء على المتخلفين !

لا يوجد شيء اسمه صراع حدود ؛ يوجد فقط صراع وجود !

لا يوجد شيء اسمه الخروج من التاريخ ؛ يوجد فقط الخروج من الجغرافيا !

يا هلوكة ، ها أقول لك مفاجأة ربما لم تحظر ببالك أبدا : أنا شخصيا لست ضد أن تصادورا كل مليم في البلد . أنا لست ديكتاتورية البروليتاريا . أنا لست ضد الحقد الطبقي . أنا لست ضد القومية العربية . أنا لست ضد أي شيء . افعلوا كل ما يحلو لكم ، وكما يحلو لكم . فقط بعدها اعطونا اقتصادا جيدا . أكرر إن لم تكن قد صدقت ما قلت : لا مانع عندي أن تنهبوا كل ما لدى أي أحد في العالم ، بالقوة أو تحت مسمى المعونات أو بأى مسمى ، وأن توزعوه على الفقراء ، أو حتى على أنفسكم ، لن أعترض إلا في حالة واحدة : أن تكتشفوا بعد خمس سنوات أن لم يحدث شيء ، وأن كل ما تغير هو أن هؤلاء الفقراء تزوجوا بسهولة أكبر ، وأنجبوا المزيد من الفقراء ، فتنفقم البؤس والعذاب والحرمان أضعافا ( هذا طبعا إن فاتهم شراء السلاح أولا بهذه المعونات أو في حال ظهور ثروات في أراضيهم ، كى يقتلوا بعضهم البعض ، طبعا لفهم هذه القبائل للأولويات ) . هذا فقط هو ما لا يمكن أن أقبل به .

سأفاجئك مفاجأة أخرى : أنا مثلك بالضبط ضد الاستعمار ! أو من أن على الاستعمار أن يعيد بلاد هؤلاء الناس لهم . يعيدها بالضبط بنفس الحالة التي وجدهم فيها عليها . لو كانوا مثلا ساعتها في عصر ما بعد-الصناعة يعيدهم لما ما بعد-الصناعة ، ولو ما قبل التاريخ يعيدهم لما ما قبل التاريخ . ما أعلمه أنكم تعلمون أكثر منى أن هذه الشعوب لا تتمثل أى مستوى للمعيشة أفضل . هم يحبون معيشتهم كما هى ، ولا يرون غيرها أسلوبا للحياة ، وغير مستعدين لتجربة أنماط حياة أكثر مجبوحة أو نظافة أو انفتاحا على أساليب الحياة ' المستوردة ' . لطالما هبطت عليهم معونات أميركا وأوروبا ، أو حتى بعض ما تفضلتم عليهم به من أموال نهب عرق الغير ، فماذا حدث ؟ لم يرفعوا مستوى معيشتهم ، إنما كل ما حدث أنهم استخدموها في إنجاب أطفال أكثر ، يمنحونهم -من خلال اقتسام هذه اللقمة الجديدة معهم- الفرصة الذهبية للتحيؤ مثلهم بالضبط نفس أسلوب الحياة المتوارث المتخلف المدقع . أيضا ما تعلمونه أكثر منى أن كل حدوتة الاشتراكية والناس الغالبة والقومية والملاوعة وهلم جرا ، الهدف منها إثراء حفنة كأمثالكم من لا شيء .

إليك مفاجأة ثالثة : أنا لست ضد المعونات ، ولست ضد أن تكون حتى مليون دولار للفرد الواحد . أنا أو من مثلك بعالم قائم على الشراكة وعلى الأخوة الإنسانية ، البناءون يدفعون وأنتم تنفقون . فقط ضعوا لهذه المعونات شرطا ولو واحدا على الأقل يساعدها على تحقيق رسالتها في القضاء على الفقر : أن تدفع مقابل تعقيم الرجل أو المرأة لنفسه . لو شاء أو شاءت حياة الرفاهية ، أهلا وسهلا ، لو لم يشأ ، فليبحث عن لقمة عيشه -ومن شاء من إنجاب- بنفسه ، بلا بلطجة ولا شكوى ولا ابتزاز . عفوا ، سيدى ، ما أسهل إنفاق النقود ( بالذات نقود الغير ) ، وما أصعب توليد الثروة ( بالذات لو لم يكن في جيبناتك ما يؤهلك لهذا ) . اعذرني إن كنت لا زلت متجمدا ليس فقط عند نموذج المدينة القديمة ذات الأسوار التي يسكنها بشر مهذبون ، بينما تحومون أنتم البدو حولها كل الأعوام تتحينون لحظة الانقضاض والنهب والسلب ، إنما لكوني متجمد أيضا عند نموذج الشارع اللندنى القديم ، نموذج الجنتلمان الأنيق واللص الأشعث ، وأن مليونا من أفلامكم المعنونة ' جعلوني مجرما ' لم تحز منى شعرة واحدة ، ذلك أن ما أعلمه ببساطة أن ما يجعل الشخص مجرما هو جيبناته وليس ما تسمونه بالظروف ، وأن ما يسمى بالحرب على الفقر شيء لن يجدى نائيا ، إلا يوم يتحول إلى حرب على الفقراء . أساسا ، ما الذى جعلهم فقراء سوى فشلهم وكسلهم ؟ ! لا يوجد شيء اسمه الحرب على الفقر ؛ يوجد فقط الحرب على الفقراء ! لا يوجد شيء اسمه القضاء على التخلف ؛ يوجد فقط القضاء على المتخلفين ! لا يوجد شيء اسمه صراع حدود ؛ يوجد فقط صراع وجود ! لا يوجد شيء اسمه الخروج من التاريخ ؛ يوجد فقط الخروج من الجغرافيا !



## ليسوا عربا وليسوا مسلمين !

أنا أعلم أنك تستمع بمثل هذا الجدل الكلامي الذي يمكن أن يمتد ليوم القيامة أو ليوم تمكينكم في الأرض أيهما أقرب ، لذا دعني آتى إلى لب الموضوع ، وأقولها لك صريحة : المصريون ليسوا عربا وليسوا مسلمين ! ؛ المصريون قوم طيبون مسلمون محبون وأتم الذين حاولتم تعليمهم الكراهية ؛ هم طالما عانقوا الاستعمار ، بالذات لو استعمار ، وليس -حسنا- نزحا . إلى ما قبل هبوطكم المشثوم علينا قبل ستين عاما كان من مظاهر الحياة اليومية للمصريين حبهم لكل أجنبي ابن حضارة . أحبوا اليونانيين وأحبوا الإيطاليين وأحبوا اليهود وأحبوا الأرمن وأحبوا كل ضيف أو وافد ، كلها حبا جما لحد التأخي . أحبوا الإنجليز قليلا واحترموهم كثيرا ، لا لشيء إلا لأن هذا هو بالضبط ما أراده الإنجليز بحكم طبيعتهم . هل تعرف لماذا لم يطلق المصريون نكاتا على اليونانيين أو الإيطاليين أو الأرمن ؟ لأن لهم نفس طبائع حب الناس والاختلاط بالغير والاحتفال والحياة الاجتماعية ، بالتالي اعتبروهم أهلا وكأنهم مصريون مثلهم بالضبط . لكن هل تعرف لماذا أطلقوا النكات بالبخل على اليهود ولم يطلقوا أية نكات على الإنجليز ، وكلاهما شعب لا يحب الاختلاط كثيرا ؟ أنا لا أحب الطبائع المصرية كثيرا ، لكنني فهمت بعضها . حين يدعوك أحد لمشروب أو وجبة طعام فتحاول الاعتذار ، يرد عليك مستغربا ' هل أنت بخيل ؟ ' . بعد قليل فهمت أنه لا يقصد البخل حقا ، إنما يقصد ' هل أنت متعالى ؟ ' . لأن الإنجليز آلهة كما وصفهم نجيب محفوظ في ثلاثيته ، فمن حقهم ألا يختلطوا بالناس ، لكن اليهود بشر ، وفي نظر المصريين ليس من حق البشر ألا يميلوا للعشرة ؛ يعنى النكت على اليهود من قبيل العشم لا أكثر . لم لا تسألني عن لماذا معظم النكت عن الصعايدة ؟ الإجابة : لأن المصريين أناس مهذبون وطيبون فاخترنا أكثر فريق منهم شبها بكم أو تأثرا بعاداتكم وأغرقوه بالنكات . حتى النكت على اليهود بها بعض التلميح إليكم ، فهم لا يحبون أن يعيش وسطهم أحد في جيتو ، وأنتم يا سكان المغارات هم أسوأ جيتو في التاريخ المصرى . فخمتو خبيبي ؟ عاوز أقول لك إن المصريين شعب مسالم وحكمه هو أسهل حكم لشعب في العالم ، لدرجة أنهم حتى رحبوا بالغانصين أمثالك وأمثال ناصرك . نعم يزدروهم ، نعم يعتبروهم -حتى من قبل أن يوجدوا أصلا- أتباع إله الشر الصحراوي ، لكن مع كل ذلك يأملون أن تتغير طبائعهم يوما ، إلا أنهم -هات ودنك : هم سدج ، لا يعرفون أن ما في الجبينات لا يتغير أبدا !



إن قيام إسرائيل أنهى للأبد ومن الجذور مقولة إن مصر مستهدفة .

لقد كان الحل الغائي لمعضلة الأمن القومي المصرى التاريخية : قطاع الطرق القادمون طوال الوقت من الشرق ؛ العرب !

بصراحة تامة : أنا مذهول أن النصير الأشهر للعروبة ، هو الذى يتكلم عن النزع والنهب ! إنه تاريخ كامل ، تاريخ مستوفى الطول والعرض ، طول قرون الزمن وعرض رموز الغضب والاحتلال ! ألم يحدث أبدا أن قرأت مثلا عن شخص اسمه عمرو بن العاص والعاصية ( العاهر الأبر والعاهرة الأشهر ) ؟ ! تعريف النزع هو النزع . مبدئيا أرجوك بلاش سيرة الإنجليز . الرومان والإنجليز والأمريكان حضارات ، والحضارة تعتقد أن كل العالم ملكها ، لذا هي لا تنزعه ، إنما تزرعه ! خيلنا على قندا ، ونشوف مين إلى احتلونا من غير حضارات التاريخ الثلاث المعروفة ، وندرس مين فيهم المتحضر البناء الذى يحاول محاكاة حضارة عصره وموالاتها ، ومين فيهم المهمجى النزاح الذى يمرق على الحضارة ويقطع عليها الطريق . أحمد بن طولون لم يكن مصريا ، لكن لم ينزع شيئا بلبلده الأصلي وأوقف النزع لخزائن الخليفة ، النزع الذى جعل المصريين يطلقون على تنعم سارقيه بشرواته وعرقه لفظ البعددة ( وليس اللندنة مثلا ) ، ويطلقون على الفهلوى النصاب صفة ' ناصح ' . عجيبة ! ما العلاقة بين النصب والنصح ؟ لا بد أن ثمة علاقة ، هل تعرف ما هي ؟ ' الناصح ' لقبكم القديم لأمرء المؤمنين ( والأمثلة لا تنتهى ، وأحيلك لصديق لى اسمه ونس يريد عمل بحث عن العرب فى الفلكلور المصرى ، قائلًا إنه أكبر المسكوت عنه فى التاريخ ! ) .

الأخشيد ذات الشيء ، الفاطميون ذات الشيء ، المماليك ( ممن كانوا يتربون حسب الكتاب — أقصد طبعا كتاب جمهورية أفلاطون الفاضلة ) ذات الشيء ، كل هؤلاء من أصول إما أوروبية شرقية وإما أمازيغية شمال أفريقية وبالطبع ذروة الجميع مُجد على ، يعنى لا عرب ولا فرس ولا عثمانلية ، وطبيعى بالتالى أن يكون المشترك بينهم كلهم ولعهم بالإعمار والبناء ، المشترك الآخر — والطبيعى بذات القدر- أن جعلوا مصر المستقلة مركزهم ، لم تكن لهم ولاية ولا خلافة خارجية كى يرسلوا لها شيئا ( فعلا ، لا أدري لماذا تتعالون عليهم ؟ هل لأنهم عبيد بهذه المواصفات أسوأ من العبيد بالاكنتساب الذين تحدث عنهم يونج وحكموا روما يوما ، أم هل يا ترى تعتقدون أن لكم على هؤلاء الجريين واليونانيين والألمان درجة مجرد أنكم الخطافين وهم المخطوفين ، يا ' سادة ' - يا عربان - يا هوام الصحراء - يا هجمة الليل - يا مرضى الإسقاط - يا

حنثالة چيبنات الكون ؟ ) . حتى الأيوبيين والأترک كانوا همجا هدامين وقتلة وأيضاً نزاحين ، لكن أحدا في الدنيا لا يمكن أن يباريكم أنتم همجيتكم وغباوة نزحكم . أخيرا ، أسرة مُجَّد على لم تنزح شيئا للخارج ، لأن قطعيا لا أحد جاءنا من الغرب ونزح شيئا ، قانون ينطبق على الجميع بدءا من المعز وليس انتهاء بتشرتشل ، أو لعل ذلك هو التعريف الدقيق لكلمتي شرق وغرب ( لحسن الحظ أن نشأت دولة إسرائيل لتحمي حدودنا الشرقية من غارات البربر القادمة من الشرق الآسيوي ، ولتحل مشكلة الأمن القومي المصري مرة واحدة وللأبد ، ليتبقى فقط ذلك الجيب الصغير المسمى غزة الذي يتحتم علينا التعاون نحن وهي لإبادته ) . بالطبع عاش كل أولئك حياة الترف والنجاح بفضل ملكهم على مصر وحرصهم على ازدهارها ، لكن أحدا لم ينزح منها للخارج إلا أنتم أيها العرب ، وأحدا لم يعنى باستدامة خيرها بل ينهبها كما الجراد حتى اقتلاع الجذور ، إلا أنتم أيها الجهال المخربون كما يسميكم ابن خلدون ، ممن لم يعرفوا من البناء إلا ثلاث قطع حجر للغائط ( في حال جمع خيال أحذكم وقرر رصها فوق بعضها قبل أن يبدأ في استخدامها الاستخدام الشرعى ! ) . هل هناك في التاريخ كله حالة إسقاط نفسى تثير الشفقة وتغلى الدم في العروق معا أكثر منك : عربى يتحدث عن نزح الإنجليز لثروات غيرهم ؟ !

إسرائيل ؟ غزة ؟ لعل أخيرا عثرت على الإجابة على السؤال الذى طالما حير أمى : البكباشى إالى موش لاقية له وصف ! الآن فقط فهمت لماذا فعل ما فعل ، ولماذا فعله بذلك السعار المجنون . عامة ، وعلى العكس من الدول العربية فى آسيا ، أفريقيا كلها لم يتغلغل فيها العرب . السعودية الخليج اليمن الأردن فلسطين العراق غالبية عربية طبعاً ، غرب العراق وشرق سوريا بين آه ولأ ، لكن العرب فى أية دولة أفريقية -ربما باستثناء ليبيا- هم أقليات محدودة . جازير يبحكموا معظم البلاد معظم الوقت ، لكن كأقلية جائرة لا أكثر . الشتات الأفريقى لو شئت التسمية . ألم تسأل نفسك لماذا كلمة غربة واغتراب وتغريبة كلها مشتق من كلمة غرب ؟ ( بينى وبينك ، هو سؤال طرحه على ضهرى يوما ) . ذلك تحديدا هو سر السعار الذى أصاب هذه الأقليات بعيد قيام الإسفين أقصد إسرائيل ؛ أحسوا بالعزلة عن جذورهم ، وأن مآلهم هو التهميش إن لم يكن الطرد أو الإبادة ، وهذا الإحساس بالخطر هو سر مسارعتهم للاستيلاء على السلطة فى مصر فى ١٩٥٢ ، ثم فى السودان وهلم جرا . الأدهى ، أن سعار الإنجاب المتفرد عالميا فى غزة لم يأت صدفة . كذا سعارهم الآخر فى قتل اليهود والمصريين . إن غزة البائسة وضع خاص جدا لأنها الكيان الوحيد فى العالم ذو الأغلبية العربية ، لكن المعزول جغرافيا كما الجزيرة عن الكتلة العربية الرئيسة ، ومن ثم ستظل جزدا مسعورا إلى أن نقتله يوما ونزجحه من عذابه .

... فى مقابل كل هذا ، ربما كان وجود إسرائيل وحماتها للأبد لحدود مصر من موجات النهب العربى ، هو فى نفس الوقت أحد أكبر الأسباب وراء ما يجرى الآن من تحول ملايين المصريين إلى المسيحية والعلمانية .  
... لقد أحسوا بالأمان !

... أو هل لديك تعريف أفضل من هذا للأمن القومى ، يا شيخ هلوكة ؟ !  
... لو فهمك على فذك ، أشرح لك : إن قيام إسرائيل أنهى للأبد ومن الجذور مقولة إن مصر مستهدفة . لقد كان الحل الغائى لمعضلة الأمن القومى المصرى التاريخية : قطاع الطرق القادمون طوال الوقت من الشرق ؛ العرب !



**مصر كانت تسير مع اليابان خطوة بخطوة ، إن لم تكن تسبقها ،**

**لولا أن ظهر لدينا أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول وجمال عجمصورة !**

أخيرا يستنكر ضرب المثل ' الظالم ' بأن الميجى بدءوا فى نفس الوقت مع مُجَّد على ، فكيف لم نصل لما وصلت إليه اليابان ؟ سأجيبك أنا . مصر قطعت من التقدم شوطا لا بأس به ، وأصبحت بالفعل شيئا باهرا مع انقلابة القرن ، من ١٨٩٠ حتى نشبت الحرب الأولى . مصر كانت تبنى على نحو لا يقل إدهاشا عما كان يتم فى ذات اللحظة من بناء كلوديا كاردينالى لبلدتها فى ' حدث ذات مرة فى الغرب ' ، ذات اللحظة من بناء كل هولليوود مثلا ، من بناء كل كاليفورنيا بالأحرى ( أنا أحدثك عن أجمل فيلم صنعه بشر ، لمجرد العلم لو لم يكن قد مر عليك . وبالمناسبة زميلتى هالة أيضا يعجبها هذا الفيلم ، لأنها تعتبر كتاباتها الريادية على الإنترنت أشبه بذهاب ذلك المستثمر الذى أصبحت البطلة أرملة ليعمر منطقة فى عمق الغرب انتظارا لأن تأتية السكك الحديدية فيصبح فائق الثراء ، وهى -أى هالة- كتبت ملايين الكلمات انتظارا لأن ليوم تنفضحوا أنتم فيه ويبحث الناس عن شىء بديل فيجدونها هى ، مادة ضخمة شاملة ووافية . أيضا ضهرى يعشق الفيلم ويقول إنه نفس قصة جده مايكل

كوك في صعيد مصر . عامة هو فيلم يعجب كل من يؤمن بالاستثمار بعيد المدى ، سواء في البورصة أو حتى في الكتابة ، ولا أعتقد أنه سيعجب قاطع طريق قصير النفس مثلك ! ) . المهم ، دون أن أخوض بالضرورة في الفوارق الجينية بين الشعبين الياباني والمصري ، وأن من المستحيل في كل الأحوال أن تتطابق التجربتان ، إذ ربما المقارنة ظالمة فعلا ، أسأل : متى جاءت الهوة ؟

سأجيبك أنا : مصر كانت تسير مع اليابان خطوة بخطوة ، إن لم تكن تسبقها ، لولا أن ظهر لدينا أمثال مصطفى كامل وسعد زغلول وجمال عبمصورة ! جاءت الهوة حين استولى الدهماء على كل شيء . يقول هلوكة إن اليابان لم تنهب ولذا ازدهرت ، وأقول ماذا كان سينهب أو سيزدهر في تلك الجزر الصخرية ، باستثناء البشر أنفسهم ، وبالأدق نخبة عقولهم السياسية والفكرية ؟ وأقول ما كان يجب أن يذكرنا الهلوكة بموارد تلك الجزر الصخرية ، وإلا بالقياس كان الأخرى أن تكون مصر قدرة عظمى أقوى وأغنى ألف مرة من اليابان . يقول هلوكة إن اليابان لم تعرف الاستعمار ولذا ازدهرت ، وأقول إنها هي التي كانت ترسل أبناءها لجلب المستعمر بكل الطرق ، وأجزم على مسئوليتي أنهم كانوا يحسدون الهند ومصر على ما تحظى به من وجود إنجليزي مباشر ويومي . يقول إنها لم تكن غنيمة ولذا ازدهرت ، وأقول إنها لم تعرف الاشتراكية ولذا ازدهرت . يقول إنها حققت تراكما اقتصاديا وثقافيا ولذا ازدهرت ، وأقول إنها لم تعرف ثورات الدهماء ولا محرضيها ممن يهدمون كل شيء ولذا ازدهرت . وأخيرا أقول إن ثورة الميجي تلك كانت حكما عسكريا يمينيا ، وأزيد أن تقريبا اليابان في كل لحظة من تاريخها حتى اللحظة لا تزال على العهد . وأقول إن الاحتلال الحقيقي لمصر ، لم يحدث ، ناهيك أن يصل مستوى النزح والنهب البشع ، إلا مرتين ، في حالتين : الأولى احتلال البدو العرب الذين نذر هلوكة حياته للتنظير لانتمائنا لهم ولقوميتهم المزعومة ، والحالة الثانية هي احتلال الطغمة الناصرية ( ذات البدو العرب ) ، واغتصابهم ثرواتها التي بناها الأجانب ، والأجانب وحدهم ! حالتان هما المثاليان للغاية لسيناريو الهجامة ضد البنائين !

أصارحك بشيء آخر : أنا لست من المتيمين بأكثر مما يجب بالخدوي لإسماعيل ؛ لا أعتبره نموذجا مثاليا للرأسمالي الحصيف ، وقطعا لا أحب تمنعته على الإنجليزي بل مولاته أحيانا لقطاع الطرق البونابرتيين ( ولو كان بذات إدراك خليفته توفيق -بعد فوات الأوان للأسف- لما هو تعريف الحضارة -بتاع فرويد وبتاعى- ومن هم بالضبط صناع المستقبل وسادته ، لربما تعاونوا سويا -بريطانيا وإسماعيل- على إسقاط الخلافة العثمانية ذاتها ، ولكان قد وفر على مصر الكثير ، ولكان قد أصبح لتاريخها ومكانتها شأن آخر ، بل لربما تغيرت خريطة العالم كله ، ولما كان لفرنسا ذكر فيها ، ولربما ما ولدت الشيوعية أصلا ) .

دعني أصارحك بما هو أسوأ : أكاد أرى فيروسا اشتراكيا ما قد تسلل لإسماعيل من كوميونات باريس أثناء ترده عليها ، وأجده قد ترخص في منح الحقوق السياسية والمدنية وأغدق على الفقراء وألغى السخرة وكان شعبويا بأكثر مما يحتمل العصر أو الواقع ... إلخ . هنا أذكر أن بريطانيا رائدة تحرير العبيد ورفيقة دربه فيه ، هي التي نصحته بالتمهل في إلغاء السخرة ، ذلك أنها في نفس الوقت أم مفهوم التنمية البطيئة الحثيثة المستدامة ( أو بلغتك الإسلامية العربية التي تفهمها ' لكل أجل كتاب ' ! ) . كان رأيها أن إطعام المصريين بوضعيتهم وذهنيتهم السائدة آنذاك ربما يكون أفيد وأرخص من دفع مرتبات لهم لا يعرف أحد كيف سينفقونها : تبغ ، أفيون ، مومسات ، لا أعلم ، أعلم فقط أنه قطعاً ليس الطعام المغذى ؟ ( وطبعاً كانت هي نفسها -وليس أي أحد آخر- من ألغاه في اللحظة المناسبة حين نضجت ظروفها بعيد دخولها مصر ) . للأسف ، هذه وتلك كانت من أسباب إفلاسه السريع ، وسبب ضياع كل تلك الفرص التاريخية التي ذكرت .

الإنجليز نهبوا مصر ؟ تعالى نحسبها سوا : نقارن بين ١٨٨٣ وبين ٤٠ سنة بعدها ( أول سنة استعمار وأول سنة استقلال ) : عدد السكان تضاعف ، من ٧ إلى ١٤ مليوناً ، وهذا شيء لو رآه أي محلل سكاني في عصور الجوع العالمي تلك لصاح : ' هذا ما يسمى بالوفرة ! ' . ... مصر كانت مدينة معدمة ، فتضاعف ناتجها الداجن الإجمالي من ٩ إلى ٤٠ مليون جنيها في ذات السنوات الأربعين ، وطبعاً سددت كل ديونها . الآن بماذا سوف تصيح : ' لكل أجل كتاب ' أم ' هذا نهب ' ؟ !

دعني أصارحك بشيء آخر ، بل دعني أصارحك الشعب المصري لأن الكلام من الآن فصاعدا لا يخص عربانجي مثلك ، وللعلم ، أنا لم أقبل قط منك أصلاً أن تنفخ شديك بلسان الشعب المصري بأنه خلاق منتج مبدع ، أو بالعكس ، أو بأنه منهوب ، أو بأي شيء ، لأنك ببساطة لست منه . السر هو أنني لست متيماً جداً بالشعب المصري ، ولدي اقتراح بسيط : إذا كنتم تقبلون تحريض الهلوكة بأن ذلك نهب ، والإنجليز شطفوا بلدكم ع الجاهز ، وأنتم هم الشعب المنتج المبدع ، لماذا إذن لا تتبادلان المواقع ؟ يأتي الإنجليز للسكنى هنا وتذهبون أنتم مكائهم . عددكم يساوي تقريبا عدد الشعب البريطاني أو الألماني أو الياباني . ماذا لو نقلنا أحد هذه الشعوب لأرض مصر ، وأرسلناكم بدلا منهم إلى البلد

المناظر ؟ أكاد أجزم أن أولئك بعد عشر سنوات سينتجون في أرضنا مرتين أو ثلاثا مما ينتجونه في بلادهم الحالية ، الجرداء والصغيرة لدى المقارنة ، وطبعا خمسون أو مائة ضعف ما تنتجه مصر الحالية ، أرض الخير كما نسميها جميعا . أما المصريون في مثل هذا السيناريو فطبعاً سيموتون جوعاً وبردا . ربما بعد ألفى سنة تنقلب المعادلة ، ويصبح الإنجليز سكان مناطق حارة متخلفين ، وأنتم أنشط وأكفأ وأذكى الأعراق ، لكن بدون سيناريوهات تخيلية -وبدون مواربة أو لف ودوران- لا شك مطلقاً في أن مشكلة مصر القاعدية هي المصريون ، ولا شيء يعفيكم من كل ما جرى لها . منذ الأسكندر العظيم وحتى اليوم ، من بناها دائماً أبداً غير مصريين ، ومن يجرها المصريون ولا أحد سواهم ، سواء بالإهمال المباشر ، أو بعدم حمايتهم لها من هكسوس الشرق كهلوكة وأمثاله ، أو -وهو الغالب- بطبيعتهم التي تترك أمثاله يضللوهم ويقودونهم للهاوية ، وربما لو وجدوا قيادة تصارحهم بالحقائق الجينية البسيطة لربما كد -بعضهم على الأقل- واجتهد وحظى بحياة أفضل .



**يقولون عن أنفسهم خير أمة أخرجت للناس ، بينما يعلمون تمام العلم أنهم قمامة جينية ؛**

**أنهم أخرى أمة أخربت للناس ، وليس في هذا أية إساءة أو تجاوز للحقيقة العلمية فهم حرفياً الفضلات التي لفظتها الأمم المجاورة !**

ها أنذا يا ست الكل قد انتهيت من مشاهدة الشريط . ما هذا الذي أتيت به لي أيتها العزيزة ؟ ألا يكفبك الشريط ؟ نسخة نادرة من مذكرات إسماعيل صدقي ؟ قطعاً لن أجدتها على الإنترنت . ربما فقط في دار الكتب . سمعت عنها ولم أقرأها أبداً . أراها كلها تتكلم عن السياسة وعن ' مواقفه الوطنية ' . إنه مهموم على ما يبدو بإثبات أنه ليس خائفاً . لماذا لا يتكلم في الاقتصاد ؟ إنه إنجازته الحقيقي . إنه الوطنية الحققة ، وإن كنت لا أعتقد جدياً أن لكلمة وطنية أو خيانة معنى أصلاً . لا أعتقد أنك سوف تعرفين قيمة الرجل من خلال ما يقوله عن نفسه . إنه سياسى في نهاية المطاف ، وعليه أن يراعى كلماته . ما قاله أعداؤه عنه هو الذي يكشف قيمته الحقيقية . ستعرفين كيف كان صدمة جبارة لهم ولكل ركود العقلية المصرية التي أفسدها المحرضون ، أو كانت فاسدة أصلاً وكل ما حدث أن استغلوها . على أية حال أشكرك جداً عليها . من أين حصلت على عليها ؟ أما زلت تنقبين في سور الأزبكية ؟ كيف تحافظين على هذه العادة ، وهي عادة الجيل السابق على جيلى ، وأنا نفسى لم أمارسها إلا لماماً ؟ !

عزيزتى لا تقولى إن الناس تعتقد أن هلوكة يجرى ' مراجعة ' لنفسه ولعصره ، ويهتمون به . ليست إشارة احترام هنا أو هناك لإسماعيل صدقي تعنى مراجعة . ليس تحاشى تسمية جريمة يوليو بالثورة مراجعة . هو لم يتغير . هل نسيت أنه صاحب مصطلحى النكسة والثغرة ( وربما أيضاً صاحب مصطلح النكبة وهو يغطى حرب ١٩٤٨ ، أما هزيمة ١٩٥٦ فيسميها المطب ) ؟ إنه دائماً أبداً بارع في المراوغة اللفظية والأكاذيب . لو لم يكونوا أربع هزائم بل أربعمائة لوجد في كل مرة وصفاً جديداً مخففاً مراوفاً مضللاً كذاباً كهذه . إنهما موهبة في الدماء العربية يا هالة . من عادة العرب ، أو بالأحرى من عبقرية العرب ، أن تسمى الشيء بعكسه . هذا هو لسان العرب يا هالة : يسمون تحضر وانفتاح وحراك مكة الغناء الزاهرة وقصص حبها الجميلة ما قبل الإسلام جاهلية ، ويسمون جهامة وعبوس وقمع عصور الظلام والحب المحرم بنور الإسلام ( أما حين يحكمون قبضتهم السوداء على منطقة الخيام تلك ، فيجعلون اسمها فجأة أم القرى ، بينما ما هي بقرية أساساً ! ) . يخلقون المنتقم الجبار ويدعونهم صباح مساء الرحمن الرحيم . يسمون البلطجة وقطع الطريق والانحراف الجنسى نبوة ووحى . يخلقون دين الصحراء ويختارون له علماً أخضر . يصممونه بحيث يكبت ويقتل كل شيء حر طبيعى أو أصيل في الإنسان ، من سماع الموسيقى إلى غيرة المرأة على رجلها ، ثم يسمونه بدين الفطرة . يعكسون ما شاء لهم العك والنسخ والفسخ والفسخ في الدين ، ثم يسمون عبادات الناس الأصلية بالبدع . يقدسون شخصاً أكثر وحشية من هانيبال ويسمونه نبي الرحمة ( ودقتها -لو شئت- نبي اللحمية ، لحمية تسفح وأخرى تنكح ! ) . يختارونه الوحيد الأكثر فسقا من كاليجولا ويسمونه بمتهم مكارم الأخلاق . ينسون أنه الأكثر بؤساً ودونية وانسحاقاً وعقداً نفسية وحقداً طبقياً في قومه ويسمونه أشرف الخلق . يطلقون جراد يثرب الدموى ينهش الأخضر واليابس في كل العالم ويسمونه هذا سماحة الإسلام . يولون أدنى أبناء عاهراتهم على أفضل شعوب الدنيا ويسمونه أولئك بالأعلون . يقولون عن دينهم إنه جاء بلسان مبين ، بينما هو حفنة من الأحاجي والمتناقضات لا يفهم منها أحد شيء وهم أول الجاهلين . يسمون أجهل الخلق جميعاً ( رجال الدين ، من غيرهم ؟ ) بالعلماء . يخلقون أشرس وأبشع مؤسسة دينية في التاريخ تحتكر كل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان بما فيها الذهاب معك للحمام ولفرش الزوجية ( بفرض أنهم يسمونها زوجية ) ، وبما فيها مجرد تفسير أبسط مفردات النص-اللفظ الذى صنعوه مبهماً جداً بحيث لا يعلم تأويله إلا الله وإياهم ( هذه الأخيرة حسب زعمهم المشكوك فيه ) ، ثم بعدها يقولون لكى إن

الإسلام لا يعرف الكهنوت . يجعلون المرأة أدنى من الجارية ويسموها بالجوهرة ؛ عندهم النساء sex slaves لا أجر لهن إلا طعامهن ، يعتقلونهن في البيوت أو خلف البرقع ويضربونهن وأحياناً يذبحونهن ، ويقولون تلك تكريم لهن من الله ( وطبعاً لم يقولوا لنا ولو مرة واحدة لماذا اختار الله المرأة ليكرمها وليس الرجل ، أو لماذا -إذا كان الإسلام قد كرمها حقاً- حين تتحدث المرأة عن حقوقها المهضومة لا ينتفض ضدها أحد إلا المشايخ ) . يسمون وجه المرأة وشعر المرأة وصوت المرأة وصدر المرأة وسيقان المرأة وكل أجمل الأشياء في الحياة عورة . يمزقون ويشوهون أعضاء الإناث ويسموها عملية تجميل . يتباهون بالأنساب ويهربوننا باختلاطها عندنا ومن أجلها يجرمون التبنّي النبيل ويصرون كل الأرض كسدوم وعمورة إلا منهم ، ثم حين تدقق في أنسابهم تكتشف أنهم أصحاب العقيدة الوحيدة في التاريخ التي تقول الولد للفراس وللعاهرة للحجر ، والوحيدة التي تبيح زواج الأم والأخت والابنة والجدة والحفيدة لأن في عرفهم النسب شيء والصهر شيء آخر ، والوحيدة التي كان يرسل نبيها مؤذناً يسبقه لدى رجوعه من الغزوات كي تخرج منكوحاته -أو بالأحرى ناكحاته- الرجال من عندهن . يأكلون في رمضان قدر ما يأكلون طيلة السنة ويسمون شهر الصوم . يقولون إن اقتصادهم الإسلامى اقتصاد بدائى بسيط نقى قائم على المقايضة أو تجارة السلع العينية المباشرة وينكرون الفوائد وينكرون البنوك ويكاد ينكرون النقود وطبعاً ينكرون المقامرة ( الميسر ) ، لكنهم تحت هذه الضحيج ينشئون بنوكاً يسمونها شرعية ، الأعجب أنها لا تفعل سوى المضاربة على أوراق لا تساوى ثمن الخبر الذى طبعت به بما يجعل وول ستريت نفسها تفغر فاهها ويسيل لعابها على ما يحققونه من ربح سريع . هم أمة الكذب والنفاق والعيش حياتين واحدة للعلن وأخرى في الخفاء ، ثم يعظونك في المعايير المزدوجة . يجعرون بشعار العدل ١٠ مرات كل دقيقة ، بينما هم أبشع من ظلموا بعضهم البعض . يجعرون باغتصاب حقوقهم ١٠ مرات كل دقيقة ، بينما مهنتهم الوحيدة في كل التاريخ الإغارة وقطع الطريق ولا هم أكبر من اغتصاب النساء واسترقاقهن . يجعرون باغتصاب أراضيهم ١٠ مرات كل دقيقة ، بينما هم آخر من عنتهم الأرض يوماً ، وكل ما همهم منها اختطاف البشر ونهب الشجر . يجعرون بكلمة التوحيد ١٠ مرات كل دقيقة ، سوطاً يلهون به كل الأعراق الأخرى ، بينما هم يشركون بإله التوحيد ليس فقط نبيهم وكل أحجار مكة القديمة والحالية إنما كل شيخ قبيلة عندهم . يجعرون بكلمة الوحدة العربية ١٠ مرات كل دقيقة ، لا لسبب إلا أن خناجر كل منهم قد باتت جاهزة بالفعل لقتل ابن عمومته ، إذ أن الحلم الدائم والأكبر والأوحد لكليهما هو الاستيلاء على مال الآخر ونسائه . يسمون مصر أم الدنيا وهى أم الدين ، معتقدين أنهم يحقرونها هكذا ويعلون من أنفسهم ، ولا يدركون أنهم بهذا يمتدحونها بما ليس فيها . يطلقون على إسرائيل وصف الدولة الدينية وهى أكثر علمانية مليون مرة من أى بلد عربى . يسمونها بالكيان الصهيونى بينما هم لا كيان لهم أصلاً . يقولون عن أنفسهم أرباب الكلام واللغة والبيان ، وهم يتخاطبون بالكاد بلغة الجسد بانفعال العضلات وغضبات التكشير والتشويح والإشاحة والإشارة ( ليس بمعناها الرقيق طبعاً ) . يسمون ثأثأتم الصوتية وركاكة وأخطاء كرهاهم الكريه بأنها إعجاز الفصاحة ، وأنا لم أجد فصاحة ولا بلاغة في نص عربى واحد ، ولو كان في اللغة العربية فصاحة أو بلاغة لاستخدمها نجيب محفوظ قبل أى أحد . يصفون إلههم عمر بالفاروق والعاقل إلى آخر هذا الهراء ، بينما يعلمون أكثر من أى أحد أنه أبشع شخص ولدته امرأة في التاريخ ؛ أبشع كينونة بيولوجية عرفتها الأرض انتهاها وشراسة وجورا واغتصابا ووحشية واستعبادا لبقية الكائنات ( فقط فاتهم أن يسموا عهده العصرية بأول إعلان علمى لحقوق الإنسان ولناهضة العرقية وهلم جرا ) . هكذا وهكذا إلى ما لا نهاية ، وفوق الكل يقولون عن أنفسهم خير أمة أخرجت للناس ، بينما يعلمون تمام العلم أنهم قمامة جيبينية ؛ أنهم أخرى أمة أخريت للناس ، وليس في هذا أية إساءة أو تجاوز للحقيقة العلمية فهم حرفياً الفضلات التي لفظتها الأمم المجاورة ! ... هكذا لسان العرب يا هالة ، وأعترف أنها موهبة يتفرد بها العرق العربى دون كل أعراق الأرض ، أن تستخدم كل كلمات اللغة على العكس من تعريف القاموس لها ، ومع ذلك يظل الجميع يفهم ما يقوله الجميع . لا شيء يقال إلا وكان المقصود تحديداً هو عكسه ، لا شيء يقال إلا لتغطية عقدة نقص أو بطحة ما ، وعلم النفس يطلق على هذا اسماً لا يحتمل اللغظ : مرض الإسقاط ، وعلم الجريمة يطلق عليه ألفاظاً أخرى !



ملحوظة : قمامة جيبينية ليست شتيمة ، بل هي واقع الحال ،

فالصحراء مكان لا ينشئ حياة إنما تنفى إليه من كل الأصقاع نفايات الحياة ،

ودائما ما كانت المدن تلفظ عناصرها السيئة خارجا ، ومن هنا صارت شبه جزيرة البعير هي مقلب زباله العرق البشرى ،

ولم يحدث يوما أن صنعت عرقا قائما بذاته باسم العرب أو بأى اسم .

... لا عجب أن معظم تاريخكم اسمه العرب البائدة ، لأنكم كنتم تموتون عطشا أولا بأول .

أما حين تسارع لاحقا قذف مدن حوض النهرين الفاشلة والمتخلفة أصلا بالمزيد ، امتلأت الصحارى بالأوغاد من ألف أصل وفصل .

لا غرابة بما أن حياتكم كلها عبارة عن مانشيتات ويفط وستيكرات تضعونها على السلعة الخطأ ،

أن تكونوا أكثر ثدييات على وجه البسيطة تتحدث في أنسابها وأصولها وعراقتها لا لشيء إلا لأنها الشيء المعدوم كلية فيكم .

بل لا غرابة أن ذلك التفسفوس والتشرمط في جذوركم هو سر الحروب التي لم تنقطع بينكم إلى اليوم ،

فليس لأمة في كل التاريخ ( وأساسا كلمة أمة فيكم مجاز ) أن اقتتلت هكذا فيما بينها ،

فقط أنتم ، أيها الكائنات دون-البشرية ، أيها الظاهرة الفردية من نوعها تاريخيا : القبائل الوغدية ؛ حثالة كل الحثالات !

ملحوظة : قمامة جيبينية ليست شتيمة ، بل هي واقع الحال ، فالصحراء مكان لا ينشئ حياة إنما تنفى إليه من كل الأصقاع نفايات الحياة ،

ودائما ما كانت المدن تلفظ عناصرها السيئة خارجا ، ومن هنا صارت شبه جزيرة البعير هي مقلب زباله العرق البشرى ، ولم يحدث يوما أن

صنعت عرقا قائما بذاته باسم العرب أو بأى اسم . . . لا عجب أن معظم تاريخكم اسمه العرب البائدة ، لأنكم كنتم تموتون عطشا أولا بأول .

أما حين تسارع لاحقا قذف مدن حوض النهرين الفاشلة والمتخلفة أصلا بالمزيد ، امتلأت الصحارى بالأوغاد من ألف أصل وفصل . لا غرابة بما

أن حياتكم كلها عبارة عن مانشيتات ويفط وستيكرات تضعونها على السلعة الخطأ ، أن تكونوا أكثر ثدييات على وجه البسيطة تتحدث في

أنسابها وأصولها وعراقتها لا لشيء إلا لأنها الشيء المعدوم كلية فيكم . بل لا غرابة أن ذلك التفسفوس والتشرمط في جذوركم هو سر الحروب التي

لم تنقطع بينكم إلى اليوم ، فليس لأمة في كل التاريخ ( وأساسا كلمة أمة فيكم مجاز ) أن اقتتلت هكذا فيما بينها ، فقط أنتم ، أيها الكائنات

دون-البشرية ، أيها الظاهرة الفردية من نوعها تاريخيا : القبائل الوغدية ؛ حثالة كل الحثالات !



أتصدقين حقا أن صلاح الدين كان ناصرا وفتاحا ؟ !

أتصدقين حقا أن صلاح الدين كان ناصرا وفتاحا ؟ ! كل انتصاراته المزعومة هي خيانات في الظهر . بدأ بولى نعمته نور الدين زنكى والى

حلب ، ولم ينته بالعاضد آخر الخلفاء الفاطميين الذين -ومعهم كل من بقى على شيعيته- أبادهم عرقيا جميعا حتى آخر رجل وآخر امرأة وآخر

رضيع ورضيعة ، وقلب الأزهر من جامعة متعددة الروافد للعلوم العصرية وللتسامح الدينى إلى أكبر قلعة عالمية للإسلام السننى الاستحلالى الإرهابى

المجرم . أما عن الصليبيين ، فحتى حطين التي جعلوا منها أسطورة كانت -ككل ' حروب ' العرب- هجمة ليلية من هذا الوغد السافل ، تحرق

مرابط الخيول وتذبح الجنود نياما . تسألينى لماذا لم يأخذوا حذرهم ؟ الإجابة أنه لم يحظر بباهم أن من بين البشر من هم على هذه الحقايرة ، وطبعا

لا توجد في تاريخ الغرب العسكرى سوابق من هذا النوع . الأدهى أن لم يكن لهذا ' النصر المظفر ' نتائج تذكر ، فما حدث هو أن استعاد

أورشليم بمعاهدة سلام من شروطها أن تظل لهم مملكة في عكا تضمن حرية العبادة والتنقل للقدس ، بمعنى آخر هو حصل على حق دخول

المسلمين لأورشليم والتعبد فيها لا أكثر ، وكلها أصلا أهداف ومبادئ ريتشارد الأصلية . الأدهى بعد ذلك أنه حين تغلغل فيه شعور الضالة أمام

فروسية ونبالة قلب الأسد صادق ووالى مسيحي مصر ، بل وأعطى اليهود وعدا بإنشاء وطن قومى لهم في فلسطين وقد كان ؛ ثم الأدهى والأدهى

أن عاد سليله في مصر وقدم القدس وبقية فلسطين هدية من جديد لفرديريك ، فقط كى يوهم نفسه ويوهم الناس أنه طرد الصليبيين من

المنصورة . عندك حق ، هؤلاء ليسوا عربا ، وتميزهم النسبى الضئيل سببه جيبيناهم غير العربية ، لكنك لم تفهمى ما أقصد : ما أقصده أن من

يتباهى بأمثال هؤلاء هم فقط العرب !

نعم ! نعم ! لقد قصدت هذا أيضا : تسمية الهزائم انتصارات هي من عاداتنا حتى اليوم !

تفتكرى أفقر حتى إطلاقا على وجه الأرض ، اسمه إيه ؟ اسمه نزلة الفياجرا ! أيوه ، جازيز عندك حق . طبعاً رمانه موش عربية ! فعلا إمبابة موش عرب ، بس أكيد اتعدوا منهم . العرب يا هالة بارعون لآخر مدى فى لعبة الكلمات . عندهم لو حلت الأمور بالكلام فقد حلت . لو أقنع بشار الأسد نفسه أنه منتصر ، فهو منتصر ، لو أقنع ملالى إيران أن أميركا لن تضربهم فهى لن تضربهم ، لو أقنع العرب أنفسهم أن فاران هى مكة فهى مكة ، وأن القدس بها مسجد أقصى على أيام الرسول فإن بها مسجدا أقصى . الكلام هو الحقيقة الوحيدة ، وهو يكفى لتغيير التاريخ ، أو حتى الجغرافيا . عند كل اقتتال عربى-عربى لا يظهر سوى شعار واحد ' الحوار هو الحل ' . تصورى ! لا أحد فى لبنان أو غزة أو موريتانيا أو أى مكان يطرح حلا يخص الموضوع أو يتكلم عن المشكلة ، فقط الحل أن نجلس ونتكلم حتى يوم القيامة ، أقصد حتى المعركة التالية بيننا ، وحينئذ يقولون من جديد لا يوجد سوى حل واحد : الحوار !



## الجمهورية العربية المنتهرة

كما قلت لك الكلام هو موهبة فى الدم العربى . باستثناء القتل هو حرفتهم رقم واحد . لكنى أعتزف أن الهلوكه هو تاريخيا أحد أعظم تجليات هذه الموهبة . لا ، ليس مجرد اختراع هذا المصطلح أو ذاك . كيف لا تذكرين ذلك الخطاب الشهير ؟ عندك حق ، لم تكونى قد ولدتى بعد ! ها هو على الإنترنت يا صغيرتى . بدأ بالقول ' أيها الإخوة : لقد تعودنا معا فى أوقات النصر وفى أوقات الخنة ، فى الساعات الحلوة وفى الساعات المرة أن نجلس معا ' ( أوقات النصر ؟ أى نصر ؟ الساعات الحلوة ؟ ' الحلوة ' ؟ ! يا للخرء ! ) . ثم يقول ' لا نستطيع أن نخفى على أنفسنا أننا واجهنا نكسة خطيرة خلال الأيام الأخيرة ' ( نكسة ؟ ألم يكن فى اللغة أية كلمة أفضل ؟ مثلا : الساحقة ، الماحقة ، العار ، الشنار ، الذل ، الهوان ، الفضيحة ، الكارثة الخيبة بالوية ، أو طبعاً : أم الهزائم ؟ بلاش كل ده ، لو مصمم على حاجة على وزن نكسة ، تبقى وكسة . لو أمكننى تمثل كيف خرجت كلمة كتلك من قلم داعر محترف كهلوكه ، فلا زلت حتى اليوم لا أتصور كيف خرجت من فم عبمصورة ، الذى كان حتى قبل ساعات قليلة يتصور نفسه ( The Master of the Universe ) . ثم يقول ' ولقد تحركت قواتنا المسلحة إلى حدودنا بكفاءة شهد بها العدو قبل الصديق ' ( لا تعليق عندى ! ) . ' ولقد كانت الحسابات الدقيقة لقوة العدو ، تظهر أمامنا أن قواتنا المسلحة بما بلغته من مستوى فى المعدات وفى التدريب ، قادرة على رده ' ( أيضا لا تعليق . لا ، انتظرنى ! لدى تعليق . تصورى ، أنى كدت يوما أن أمنح الضفدع الجعجاع السمين الأخنف المسفوح على يد ميليشيات بيروت المسيحية ، حسن نصر الله ، اعتمادا لا يستحقه . فحتى كلمة ' الحسابات الدقيقة ' هى من اختراع هلوكه . يبدو أن بالفعل كل شىء فى اللغة العربية المعاصرة من اختراع هلوكه ! ) . ثم يقول ' وفى صباح يوم الاثنين الماضى الخامس من يونيو ، جاءت ضربة العدو . وإذا كنا نقول الآن بأنها جاءت بأكثر مما توقعناه فلا بد أن نقول فى نفس الوقت وثيقة أكيدة أنها جاءت بأكثر مما يملكه ، مما أوضح منذ اللحظة الأولى أن هناك قوى أخرى وراء العدو جاءت لتصفى حساباتها مع حركة القومية العربية ' ( حاجة تقرف ! سأعرفك بشخص ظريف مرح اسمه ونس يصيغ نظريات مؤامرة أفضل بكثير ، ولا يقول أبدا أنه صاحب حسابات دقيقة ، ولا حتى يستخدم عبارة ' أكثر مما توقعناه ' أو ' أكثر مما يملك ' ! ) .

يمكنك أيضا أن تناقشى ونس فى العبارة التالية ' العدو الذى كنا نتوقعه من الشرق ومن الشمال جاء من الغرب ... طائرات بريطانية أغارت فى وضح النهار على بعض المواقع فى الجبهة السورية وفى الجبهة المصرية ، إلى جانب قيام عدد من الطائرات الأمريكية بعمليات الاستطلاع فوق بعض مواقعنا . ولقد كانت النتيجة المحققة لذلك أن قواتنا البرية التى كانت تحارب أكثر المعارك عنفا وبسالة فى الصحراء المكشوفة وجدت نفسها فى الموقف الصعب لأن الغطاء الجوى فوقها لم يكن كافيا ' . لماذا لم تتوقعه حساباتك الدقيقة من الغرب ؟ ثم أى غرب ؟ أميركا لم تكن قد أعطت إسرائيل سلاحا يذكر حتى ذلك الوقت . كلها كانت طائرات ميراج قديمة ، عاقبتها حتى فرنسا على استخدامها لها . أميركا كانت مصنفة تقريبا كعدو ، كحليف للسعودية أولا وأخيرا ، فضربت لها السفينة ليبرتى ، وقتل وجرح لها أكثر من مائتى ضابطا وجنديا . وواقعا لم تحظ إسرائيل قط بالاحترام ولا المكانة ولا التسليح من أميركا ، إلا بعد أدائها المنفرد المذهل فى هذه الحرب . هل سبق وسمعتى المكاملة التى رصدتها إسرائيل ( موجودة النهارده فى كل الأفلام الوثائقية ) ، والتى يقول فيها صاحبنا للملك حسين : ' تحب جلالتك نقول طيارات أميركية ولا نقول بريطانية كمان ؟ ! ' ( ولم يرد الملك حسين ربما لأنه كان مندهشا لسماع كلمة ' جلالتك ' لأول مرة من جانب زعيم العروبة الأوحده ) ؟ لكن انظرى كيف أن الكذب متأصل فى دمه ؛ حتى بعد انفضاح كل شىء لكل الدنيا يقول : ' طائرات بريطانية وأميركية ' ، ربما شاهدوها كما شاهدوا الملائكة

تخارب في صفهم هم . ' أكثر المعارك عنفا وبسالة '؟ نكتة سخيفة ، موش كده ؟ آه لو سمعها روميل أو مونتجومري ! ' الغطاء الجوي لم يكن كافيا ' . كافيا ؟ لقد كان صفرا !

في الجامعة كان لي زميل من المنيا من نفس عمري بالضبط ، حكى لي أنه كان قد أدى امتحان المرحلة الابتدائية ، أو لعل اسمها كان القبول للإعدادى ، يومى السبت والأحد ، وكان ذلك الاثنتين أول أيام ' الأجازة الكبيرة ' . كانوا قد وعدوهم قبيل الامتحانات بالزيارة السنوية المعتادة لطلبة الصف السادس لمطار المنيا ، إذ ثمة علاقة ما بين الطائرات وبين منهج مادة العلوم لديهم . وعدوهم جميعا بركوب الطائرة ، لكن لسبب غير واضح جدا بالنسبة له ، اسمه إعلان حالة الطوارئ في القوات المسلحة ، ألغيت الرحلة . لم يكفه ما أغدقوه عليهم في تلك السنة من رحلات لمصنع الكوكاكولا المثير المغلف بجوائظ الزجاج من كل الجوانب وكأن الأنجليز أرادوا لعبرى السبيل أو أطفال صعيد مصر أمثاله الولع منذ نعومة أظافرهم بإبداعات الهندسة الميكانيكية وعصر الصناعة ، أو مصنع الغزل الذى يخطف الأبصار والأسماع معا من سرعته وضجيجته ، أو مصنع السكر الذى لا تزال الماكينات المصنوعة من الزهر الأسود الضخم مكور الحواف تعمل فيه بهمة منذ أيام مُجد على باشا ( وهى أماكن مثيرة حقا لأنى شخصيا رحتها بنفسى معه ونحن بالجامعة ) . لم ينس وعد الطيران قط ، لذا استغل فرصة أول يوم في العطلة وذهب بنفسه للمطار منذ الصباح الباكر ، فوجد العرض الذى لم يحلم به قط : طائرات تسقط طائرات بسرعة البرق . لم يتخيل شيئين : أن ما سقط وجمع بعض قطع منه هو طائرات مصرية ، إنما -حسبما ظن- حطام طائرات إسرائيلية رسم عليها علم ما كان يسمى بالجمهورية العربية المنتحرة . والشىء الثانى الذى لم يحظر بباله أنه كان محظوظا جدا بما شاهد ، لأن كل بقية طائرات سلاح الجو المصرى قد دمرت على الأرض ، ولم تتح ولو لوحدة منها فرصة الإقلاع كما حدث لبعض زميلاتها في مطار المنيا . كان يقول بفخر إنه شاهد المعركة الجوية الوحيدة في حرب الأيام الستة . حين جاء للبيت بتلك القطع ، غضب منه أبوه ، وحبسه وأفسد عليه عطلته ، ربما حتى لا يتحدث لأحد بما رأى . لكن هذا الأب فعل شيئا آخر في نفس الوقت : لم يستمع ثانية أبدا لأحمد سعيد ، إنما ضبط مؤشر المذيع لبقية حياته على محطة عم حمدان ، ' صوت إسرائيل من أورشليم القدس ' .



**لقد كان ٥ يونيو ١٩٦٧ يوما مجيدا في تاريخ الحضارة الإنسانية ،**

**سحقت فيه قوى القهر والظلام ، البغى والتخلف ،**

**كسرت شوكتها وتمرغت أنوفها في التراب للأبد !**

أوه ، يا هالة ! أنت لم تعشى ذلك اليوم ، ولم تسمعى أبدا عم حمدان . لقد كان ٥ يونيو ١٩٦٧ يوما مجيدا في تاريخ الحضارة الإنسانية ، سحقت فيه قوى القهر والظلام ، البغى والتخلف ، كسرت شوكتها وتمرغت أنوفها في التراب للأبد ! رغم ما كنت أشعره بقوة من ألمها على الضحايا من بسطاء الناس ، لم أر السعادة على وجه أُمى في كل حياتها ، قدر ما رأيتها في ذلك اليوم ! مؤخرا فقط فهمت السر : مصر لم تحزم في ذلك اليوم ؛ مصر الطيبة لم تكن يوما عداوة لليهود ولا لأى أحد بمن فيهم السيئين ممن احتلوا ؛ لا مطاعم لمصر في القدس ولا غيرها ، مصر لم تعتد يوما على أحد ولم تخرج خارج ترابها إلا نادرا وللدفاع الأخير عن النفس ؛ من هزموا في ذلك اليوم هم العرب وحلمهم التاريخى باحتلال كل العالم ، وأعتقد شخصيا أنها كانت نهايتهم الأخيرة !

لن أطيل عليك ، إليك فقط ذلك السطر الشهير سيى الصيت : ' وأقول لكم بصدق ، ويرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفى في هذه الأزمة ، فإننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها . ولقد اتخذت قرارا أريدكم جميعا أن تساعدوني عليه . لقد قررت أن أتحنى تماما ونهائيا عن أى منصب رسمى وأى دور سياسى ، وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدى واجبى معها كأى مواطن آخر ' . يقولون إن هلوكة عكف على تأليف الخطاب فى تسع ساعات كاملة . بصراحة ، لا أستغرب . أنا شخصيا لا أستطيع الإتيان بجملة كهذه وحدها ، ولو تفرغت تسعة أعوام . ' على استعداد لتحمل المسئولية '؟ جدعنة يعنى ! وجاى على نفسك كده ليه ؟ ' قرار أريدكم أن تساعدوني عليه ' ، أقصد أن هناك احتمال ألا تساعدوني ، بل أجزم أنكم لن تساعدوني ، هكذا قمت ببرجتكم ، أجزم أن المظاهرات ستنفجر ، وأجزم أنى جعلتكم لا تنتفسون إلا بي . ' أعود الى صفوف الجماهير ' . أية صفوف بالضبط ؟ هل سيشتغل فلاحا أم عتالا ؟ ثم فى حدود فهمى المتواضع ، من يهزمون لا يعودون لصفوف الجماهير ، ناهيك عن أن يلقوا قبلها خطابات ' تنحى ' يرسمون فيها خطة ' للعمل العربى ' للمائة سنة القادمة . إنهم لا ' يتنحون ' ،

بل لا يلقون خطابات أصلا . فقط يحاكمون ويعلقون على المشانق ، أو -في حالة ما إذا كان لديهم ذرة من كرامة- ينتحرون ( بزيادة حرف واحد على ' ينتحون ' ) !

ربما هزم ناصر عسكريا في ١٩٦٧ مثلما هزم السادات عسكريا في ١٩٧٣ ، لكن انظرى كيف عرف هذا الأخير اللحظة المناسبة لإيقاف الحرب قبل أن تتحول الهزيمة الميدانية لكارثة شاملة بجلاجل ( كالعادة ! ) ، ثم كيف حول الهزيمة ( التي تأكيدا كان بذكائه وفهمه لوقائع التقنية والعصر وقدر حضارة الآخرين ومعدن جيئناهم ، يتوقعها سلفا لو استطل الأمر كثيرا بعد خضه يوم العيد الأولى ) ، كيف حولها إلى نصر سياسى مظفر واستعاد الأرض وحول مصر للانفتاح الاقتصادى وللولاء للغرب . هذا كان خداعه الاستراتيجى الكبير : إسرائيل وضعت خططها وقواتها انتظارا له عند المضايق ولم تفكر فى أى بديل محتمل آخر ، فإذا به يريد خط بارليف الرمزي والسلام ( و ' والسلام ' هنا ليست كلمة التريفة المصرية المعروفة ، إنما السلام مجد ! ) .

واضح يا هالة أن من المهانة لى شخصيا أن أرد على شخص هذا مستواه . أنا الذى ناقشت يوما أفكار حائزى نوبل ، أو حتى وجدت تناقضا فى عبارة لأينستين ، تريدنى منى أن أنزلق لجدال مع ذلك المستنقع المعته العفن المدعو مُجد حسنين هلوكة ؟ لا يا عزيزتى ، غير صحيح منك هذا القول ! مراجعة ؟ إطلاقا لم يتغير فيه شىء واحد . كل الأساليب الرخيصة تلك ، وجدتها فيما رأيت على الشاشة أمامى الآن . أقله من الناحية الصيغية جدا ، أنه يحول الاهتمام دوما عن تحافت محتواه بعبارتى ' حاجة مهمة جدا جدا ' و ' حاجة غريبة أوى أوى ' ( أليستا هكذا أم أنى نسيتهما ؟ ) . صدقنى ، لو تثقى فى خبرتى ككاتب ، لا يوجد كاتب واحد فى العالم لديه الحد الأدنى من احترام الذات يستخدم مثل هذه العبارات إطلاقا . منذ آخر مرة حضرت فيها المهرجانات الخطابية الطلابية فى بيروت ، لم أسمع أحدا يمهد لكلامه بأنه مهم جدا سواه . تحافت محتواه ! بالضبط ! المحتوى ! هذه إجابتى ! كما أقول دائما ' المهم المحتوى ' . هو لا يخفى أنه ضد كل ما يمثله إسماعيل صدقى ، ويغلف هذا بكلمات الرقة والود والصدقة . هو لا يجرى مراجعة من أى نوع . كل ما هناك أن أيام صوت العرب قد ولت ولا يستطيع الكتابة كالسابق : ' بصراحة ' .

من حيث المحتوى هو يشوه كل أحد ، الملكية ، الأحزاب ، الإنجليز ، الأميركيين ، حتى الحضارة الفرعونية يقول عنها مفلسة وحضارة موت . أما من حيث الظاهر -والظاهر فقط- الكل طيبون بائسون و ' حالات إنسانية ' يجللها على أريكته . أنتعبرين هذا مراجعة ؟ حالات إنسانية يمن عليها هذا الإله بالشفقة ؟ إنما نفس اللعبة ، ولا أقول ذكية ، إنما مكشوفة مفضوحة . هو لا يشفق عليهم لطيبة قلبه ، إنما لأنه على نحو غير مباشر يفتح الطريق لشىء آخر . شىء يلعب بالغرائر أيضا . هؤلاء أغنياء ولدوا بمعاليق ذهبية ولديهم كل السلطة والجبروت ( اكرهوهم ! ) . لكنهم عقيمون بؤساء ( توقفوا عن كرههم فأنتم الأعلون وخير امة أخريت للناس ، ثم إننا قتلناهم بالفعل على أية حال ، زائد أن ربما لدى حل بديل ) . الحل هو ذلك الضابط الشاب الفقير الجاد المجتهد ( أحبوه إذن وشجعوه وتعاطفوا معه كما تفعلون مع شجيع السيمة المكافح ) . باختصار اكرهوا كل من حكموكم وكل من احتلوكم وأحبوا فقط روبين هوود الطيب الجديد ، عبمعصورة . بنفس الطريقة اكرهوا أميركا وإمبرياليتها ، وانسوا مصر وفراعتها ، فالحل لكل المشاكل موجود ، وأقرب للسحر فى مفعوله : العروبة .

نعم أوافق على كثير مما يقوله عن قلة حيلة إنجلترا ( التى نخرت كليا من الداخل ، قبل أن ينخرها من الخارج أمثال ذلك بلطجى الهند العارى الوضيع ) ، لكن قطعاً : البديل ليس الاستقلال !

نعم أوافق على كثير مما يقوله عن تدهور أسرة مُجد على ( التى أيضا يساوى ببحث بينها وبين بقية الملكيات العربية ، وما هى بعربية ) ، لكن قطعاً : البديل ليس عسكر عبمعصور !

نعم أوافق على كثير مما يقوله عن كون ' الحضارة ' المصرية حضارة موت عقيمة ( أو بالأحرى أقول إنها ليست حضارة ، إذ كيف تكون حضارة وتكون موتا ؟ ! ) ، لكن قطعاً : البديل ليس العروبة !

نعم ، ما فعله الكولونيل لورانس ( أيام كان ملازما ) أن قرأ التاريخ وعرف أن شعار الوحدة العربية ما هو إلا نداء للقبائل لإعلان النهب والسلب ( على الغير لا على بعضها البعض ) ، وهذا ما فعله الإسلام ، لكن الفارق بينه وبينكم أن أعلنها صراحة فلبوا النداء ، أما اللف والدوران بتاعك فلن يؤدي لنتيجة قط لأنهم ببساطة لن يفهموه . نعم ، أوافق أن القومية العربية فكرة عبقرية ؛ فكرة أبدع فى اختراعها الكولونيل لورانس ( أيام كان ملازما ) ، وأدت دورا تقدما جليلا فى التاريخ بأن أسقطت خلافة الإسلام العثمانية ، أقصد خلافة الجبهة المتعفنة ، للأبد .

المشكلة أن أناسا مثلك -أقصد الهجامة مثلك- أخذوا على محمل الجد بعد ذلك تمخيخة الكولونيل لورانس (أيام كان ملازما) ، وصدقوها بينما هي مزحة محتلفة بالكامل ، والأهم أن الرجل لم يصل خياله أبدا لأن يشتمل فيها مصر أو عامة أى جزء من أفريقيا ؛ فقط هي وحدة وقومية جزيرة البعر وأبناء عمومتهم المستوطنين بكثافة فى الجوار الشمالى . عن أية لغة وعن أية وحدة تتحدثون ؟ ٩٥ ٪ ممن تتحدثون عنهم ليسوا عربا -ولن يكونوا- إنما مجرد ضحايا احتلال وترهيب ومحاولة طمس للهوية . العرب هم فقط أهل الجزيرة ، ولو من حق أحد الحديث حقا عن وجود قومية للبعر فهو عمر بن الخطاب والحطابة وأتباعه مشاهير السفاحين .

ربما من الجائز أن الإسلام لم ينتشر بجد السيف ، إنما بمقبضه فقط ، لكن اللغة العربية انتشرت حرفيا بجد السيف ، والآن -أيها الأقلية العربية التى اغتصبت حكم مصر فى سنة ١٩٥٢- تصدقون أكذوبة أنكم شعب واحد . اسألوا الأمم المتحدة التى تحبونها : هذا احتلال ، وفرض بعز الجزيرة لغتهم بالتنكيل وشلالات الدم على الشعوب المجاورة ، لا يجعلها شعبا واحد ولو يوم نهاية الزمان . رغم كونى كاتباً ، فهى ليست لسانى الأم ؛ لسانى الأم هو اللغة المصرية ، وبدرجة أقل قليلا الإنجليزية . هكذا كان كلامنا -أمى وأنا- فى البيت قبل سن المدرسة . لا أذكر أننا كنا نطق كلمة عربية واحدة ، وتعلمت العربية فقط فى المدرسة كأية لغة أجنبية أخرى ، بل ربما هى لغتى الرابعة بعد اللبانية أيضا ، إن لم أقل خامسة بعد العبرية ، هذه التى تعلمتها نفسى بنفسى فى الكبر . نعم ، تفوقت فيها كنتفوقى فى أية مادة دراسية أخرى ، الفارق أن لغتى الأجنبية الأخرى هى لغة الحضارة والثورات التقنية ، أما العربية هى لغة المحتل العربى الغاصب البدائى المتخلف التى فرضها على بلادنا فرضا . والآن تريدنى أن أصدق أنى أكون شعبا واحد مع اليمنى أو الجزائرى أو الصومالى ممن فرضتم عليهم اللغة العربية فرضا ، أو بالأحرى فشلتم فى فرضها ، لأنى أتحدى أى أحد ممن تسموهم عربا ، أن يفهم كلمة واحدة من كلام بلد غير بلده . ألم تلحظ يوما أيها المسكين أن الهوة بين اللغة العربية وبين اللغة المصرية أو اللبانية المعاصرتين ، أضعاف المسافة بين لسانكم المبين المزعوم ذاك ، وبين الآرامية أو حتى العبرية ، لغات أعدائكم اليهود !

عذرا أيا هالة المتناعة . لا تكونى جزعة هكذا . هذه ليست طبيعتك . لا تشغلى بالك به . عصره انتهى ، والآن لا يشاهده سوى الصحفيين الشبان . يلمون بالصعود الطبقي على طريقته ، ولا شىء أكثر . يعتقدون أن تدخين أحدهم لسيجار مثل سيجارى هذا ، يمكن أن يغير شيئا من حقيقة حضيض أهل الأرض ، أقصد حقيقة الجينينات . لقد أصبحوا فجأة يحبون السيجار ، بعد أن نجحت عصابة كاسترو فى سرقة هذا البيزنس والتاريخ العظيمين للبنائين الكوبيين . ألا يعد هذا تطبيقا لمبدأكم الأثير : أعطى من لا يملك لمن لا يستحق ؛ مبدأ اللصوص العرب الشهير ، تنفردون به فى وقت تتم فيه كل معاملات بقية العالم بمبدأ أعطى من يملك لمن يستحق ؟ !

... يا صديقى ، ليس المهم ماذا تدخن ، المهم المحتوى . محتوى ما تقول . المهم محتواك . المهم الجينينات !



### برنامج القمح مقابل الكلام ( أقصد الذهب مقابل الهراء ! )

لا تكونى لحوحة ! لقد قررت ألا يخاطب لسانى لسانه قط ، وسأوجه كلامى للشعب المصرى وليس له . منذ متى أصبحت تصرخين فى ؟ أوف ! ربما أرد . علشان خاطرك أنتى بس . ربما خطر العنوان ببالى الآن : ' البيوت الزجاجية ! ' ، أو لو سمحتى لى ساستعير إحدى كلماتك ' الشيطان يعظ ! ' ، كلها تصلح ، أية ترجمة عربية حلوة لكلمة ' Look who's talking ! ' . هو يتحدث عن كل الزعماء غربا وشرقا كبؤساء وك ' ظروف ' أو ' حالات ' إنسانية ' تستحق الشفقة ، وأنه وناصره فوقهم جميعا ، وإجابتي له ولناصره هى فقط ' Look who's talking ! ' .

يعظ فى ضعف الأسر المالكة العربية وأنها ' لم تكن مستعدة ' لمواجهة التحديات التاريخية ، وإجابتي له ولناصره هى فقط ' Look who's talking ! ' .

يعظ فى المؤامرات الدولية والاستعمار والإمبراطوريات ، ويختزع بين السطور وفوقها مليون نظرية مؤامرة فى كل تصرف صغير بسيط وعادى تماما عند العالم المتقدم ، وإجابتي له ولناصره ولما فعلاه على امتداد كل الخريطة العربية والأفريقية من انقلابات وتمويلات ودسائس ، لم يستثنوا منها بلدا واحدا ، هى فقط ' Look who's talking ! ' .

يعظ فى أن إسرائيل كدولة لم يكن لها حدود يوما ، وتعيش على التوسع . أية حدود ؟ هل كانت للعرب حدود يوما ، أم أن طموح توسعهم باسم الدين ولغة الكرهان يغطى العالم كله ؟ ثم أستم أنتم الذين رفضوا أصلا الاعتراف بأية حدود لإسرائيل ؟ ثم أى توسع ؟ حتى بغض النظر عن

الضرورات الأمنية ، كل ما ضمته إسرائيل هو أرض اللا أحد ، الضفة وغزة ، هذه التي لم تكن جزءا من أية دولة . أو ضمت الجولان ومزارع شبعاً ، وهى أراض سبق لسوريا أن اغتصبتها من فلسطين ولبنان . بالمقابل : كم عدد الدول التي توسعت في ضمها الجامعة العربية غربا وجنوبا وحتى في المحيط الهندي في نفس فترة عمر إسرائيل ، ذلك كى تساعد عربها على قمع الأقلية ( أو غالبا الأكثرية ) غير العربية فيها . أعتقد أصابع اليدين لا تكفى ، وكان التوسع سيتواصل ويتواصل ، لولا أن أوقفته لطمه إريتريا المهينة برفض الانضمام ؟ عفوا للاستطراد ، إجابتي له ولجامعته التي تتصدر بموها عبارة ' كنتم أحط امة أخريت للناس ' هى فقط ! Look who's talking .

يعظ في الذكاء والاستراتيجية والتخطيط وتحقيق النصر ، وإجابتي له ، لمنظر ' لا صلح ، لا اعتراف ، لا تفاوض ' ( وإن للعلم لأمننا الطبيعية لاءاتها الثلاث هى أيضا ' لا اشتراكية ، لا عرجية ، لا إسلام ' ، مع فارق أنها لا تتفزم ولا تتذلل أبدا أو تسمى مقاومة وممانعة وملاوعة ومشى حالك ) ، إجابتي لناصره ولهزائمهم ، عفوا أقصد ' نكساتهم ' هى فقط ! Look who's talking .

يعظ في موضوعية الصحافة ومهنتها وفي الخبر لا الرأى ، وفي ' التحريض ' الذى يقوم به بعض كتاب الحكومة أو برلمانيها ، وإجابتي لأصحاب أشهر إعلام تحريضى في تاريخ المنطقة ، الأبعش منذ رويسبيير ولينين ، من فاقوا جاندى نفسه في فظاعته وسوداوية ونهم طموحاته لا نهائية الشره ، ولصوت العرب ولجريدة الأهرام ( هذه التي كثيرا ما تتباهى برئاستك لها ، هى بدورها بالمناسبة : إحدى المسروقات ! ) ، إجابتي هى فقط و' بصراحة ' ! Look who's talking .

يعظ في ' غلبة العاطفة على العقل ' في بعض الحسابات العربية الحالية ، وإجابتي له ، ولناصر الانتصارات ، هى فقط Look who's talking!

يعظ في ارتباك الجهاز الحكومى والسلطة والوزراء وكل شىء في مصر السادات ومبارك ، وإجابتي له ولناصره ولعسكرهم الهواة بالكامل بسيطة جدا ، هى فقط ! Look who's talking .

يعظ في القهر وفي التوترات وفي ' القلق ' وفي كل شىء في مصر السادات ومبارك ، وإجابتي له ولناصره ولأرخبتيهما الديمقراطية ، هى فقط ! Look who's talking!

يعظ في عدم وضوح الهدف عند ' الناس ' ( وهى اللفظة التي يقصد بها السادات ومبارك ) ، وفي عدم قراءتهم لخريطة العالم ولخريطة المنطقة ولمازين القوى ، وإجابتي له ولناصره هى فقط ! Look who's talking .

يعظ في أن أحدا منهم لا يملك تعريفا للأمن القومى ، وإجابتي له ولناصره ولأرضنا التي ضاعت في ستة أيام هى فقط Look who's talking!

أخيرا ها هو يعظ في الاقتصاد ، وإجابتي لمنظر ' لا صوت يعلو على صوت المعركة ' ( وإن كنت شخصا لست ضد هذا الشعار ، لا صوت يعلو على صوت معركة أمنا جميعا ، معركة التنافس الطبيعي التي ستودى بكم للانقراض ) ، أولئك من لم يكونوا يجدون الصابون لغسل وجوههم صباحا ( ولا يجدونه حتى خلال رحلاتهم الكثيرة للاتحاد السوفييتي ) ، من كانوا يخوضون في مياه المجارى كل يوم للذهاب لأشغالهم ، إجابتي هى فقط ! Look who's talking .

يعظ في الفساد وفي تكوين الثروات وفي مص دمء الشعوب ، وفي عدم إنقاذ البنك الأهلى لبنك مصر ، وإجابتي لمن كون أول ( وآخر ) فكرة اقتصادية تخطر ببالهم هى التأميم والمصادرة ، هى فقط ! Look who's talking .

يعظ ( أحيانا قليلة للحق ! ) في التنمية والبناء والموارد وطبعا ثروات الشعوب العربية والمصرية ، وإجابتي له ولناصره ولفقرهم وإفقرهم للجميع هى فقط ! Look who's talking .

يعظ ( كثيرا جدا ، على العكس من هذه ! ) في النهب والسرقعة ، وإجابتي له ولناصره سارقي القناة وكل بناء تم على أرض مصر لأكثر من قرن سابق عليهما ، أن الأسكندر بنى داخل مصر ، الرومان بنوا داخل مصر ، أسرة محمد على بنت داخل مصر ، الإنجليز بنوا داخل مصر ، اليهود بنوا داخل مصر ، لم ينزح لخارج مصر سوى بدو الجزيرة ، فيما عرف في حينه باسم برنامج القمح مقابل الكلام ( أقصد الذهب مقابل الهراء ! ) ، ولم يسرق سوى أنتم ، وإجابتي لكم ولعروبتكم ولاشراكيتمكم وحتى لمصريتمكم المنتحلة هى فقط ! Look who's talking .

أوه نسيت شيئا : أنا مقطوع من شجرة ولا أتمتع بحياة أسرية دافئة ، لكن لم يحدث أبدا أن وعظت أحدا في تفكك أسرته . صاحبنا هذا يعظ في تفسخ الأسر المالكة وغير المالكة ، وفي توتراتها الداخلية ، بل ويعايرهم به ، وعلى فقط أن أذكره بموقف أسرته هو نفسه العلني منه ومن أفكاره ، وأقول : Look who's talking! .

في كل ما سيقوله هلوكة حتى آخر يوم في حياته أو حياتي ، لدى رد جاهز ، ربما يعفيني من الخوض كثيرا في سيرته العطنة-العطرة ، ردى دائما أبدا سيكون : Look who's talking! .

... ' هذا بلد استغل إلى درجة غير طبيعية ولا يزال يستغل مع الأسف ' ، هكذا كان قد بدأ حلقاته التلفزيونية الكارثية كغيرها أو أكثر قليلا . وردى أن هؤلاء الناس ، لأسباب سيكولوجية محض تتعلق بالدونية والأحقاد الطبقية والعرقية ، يرون في البيزنس ، أى بيزنس ، مع أى أحد ، أى أحد ، أنه نهب ! أى بيع وشراء نهب ! أى خد وهات هى نهب ! أى إعمار أو بناء أو مشروعات أو توظيف شغيلة ، هى نهب ! أية منفعة متبادلة هى نهب ! حتى التصدير نهب ! استصلاح مليون فدان نفسه نهب ! باختصار أى تعامل خارج نطاق القبيلة هو نهب ! دائما أبدا نحن منهوبون ومضحوك علينا ! والسبب واضح ولا غرابة فيه ، إسقاط نفسى بسيط لحد السفالة : أن عقولنا نفسها لا تعرف أن بالحياة منهاجا آخر غير محاولة نهب الآخرين أو الضحك عليهم !

هل تعرفين لماذا لا تظهر نظريات المؤامرة إلا عند العرب ؟ لأن المؤامرة جزء من سلوكهم اليومي ، والطبيعى جدا أن يتصوروا أن كل الناس تفكر مثلهم . إنه مرض نفسى ، يا عزيزتى . ألم تسمعى عن الإسقاط ؟ إنه آلية تكيف سيكولوجي معروفة . دائما ستجدين مثلا عربيا كبيرا له . اليوم أشهر مثال هو بشار الأسد . إنه الأكثر إثارة لتهكم الناس . كلما قصفت إسرائيل مكانا داخل سوريا ، يخرج واصفا الهجوم ' بالجبان ' ، بينما الكل يعلم أنه هو من ارتعدت فرائضه وأخرى في سرواله . عليك أن تعلمي أن عبمعصور هو أشهر حالة في التاريخ الحديث . يوم أخرى في سرواله ، ذهب ليلقى خطبة في الأزهر ، يتصنع فيها البطولة ويستأسد بصيحات الغوغاء على جنبه ، وما أكثر المرات التي بلل سرواله فيها بالخراء ! أما أشهر الحالات إطلاقا في التاريخ فهى قديمة وربما لم تسمعى عنها ، أعرابي خان قبيلة يهودية وذبح رجالها بالكامل ، ٨٠٠ شخصا ، ثم قال إنهم هم الذين خانوه ، ولا يعرف أحد كيف خانوه وكيف كان ساعتها على قيد الحياة أصلا . هذا هو الإسقاط . كل عيب في ناصر أو في العروبة أو في شخص هلوكة نفسه ، ينعت به صاحبنا هذا الآخرين . ولا رد أفصح من : Look who's talking! .



### التوريث هو الهاجس الوحيد لدى هلوكة وأمثاله

لا أستطيع أن أعدك أنى سأزيد اهتمامي بهلوكة بسبب ما سمعت اليوم . أو تعرفين لماذا ؟ ليس فقط لأن ردى جاهز سلفا ، إنما لأن كل تلك الدروس الأسبوعية له على قناة الجعيرة ، سواء كان عنوانها نظريات الأمن القومي أو كيف يمكن أن تدير إيران أو حماس الصراع على نحو أفضل مع أميركا وإسرائيل ، كلها تدور حول موضوع واحد فقط لا يتغير أبدا . موضوع يريد تلقينه للجيل الجديد بكل وسيلة ممكنة . لا ، ليس هذا الذى تقولين فقط . بالفعل أعلم أن التوريث هو الهاجس الوحيد لدى هلوكة وأمثاله ، الوسواس الأزلئ الأبدئ الذى يشغله كل ثانية حتى درجة الهلوسة ، توريث أحقاب الأحقاد الأقباب . ما قصدته شئ آخر ، الموضوع الذى سقمته أنا شخصا حتى درجة القبيئ ، وعلى مدى ذات العقود . موضوع عنوانه : كيف تسرق قناة وتفلت بفعلتك ١١ سنة كاملة !

المفارقة المضحكة أنه يروى لنا هذه القصص اليوم ، حيث كلنا يعلم أن نتيجة كل ذلك التباحث الهائل بـ ' قلب ناصر لموازن القوى العالمية ' ، قد أفضى لهزائم مخجلة ولفقر وجوع مطلقين . يوم قالوه في الخمسينيات والستينيات ، ربما كان ذا معنى ، لأنه كان يمكن أن ينطلى على البعض أو يغرر بهم . لكنى لا أفهم لماذا يقوله من جديد اليوم ، ونحن نعرف نهاية قصة الفيلم بالفعل !

عذرا أيا هالة الحبيبة . عندك حق ! إن الرجل يسأل سؤالا جديرا بالفعل بالإجابة : من هم البنائون ومن هم المهجامة للصوص ؟ لكن لدى مشكلة . اعتبريها شخصية لو شئت . ما لا تعرفينه يا عزيزتى أنه لم يحدث قط أن سرت في مظاهرة أو احتججت على شئ .

... أنا لست رد فعل لأحد .

... أنا لست ' مقاومة ' . ولا أحب أن تصفيني بوصف كهذا مرة أخرى .

... ثم إنى كذلك لا أجد الصراخ مثلك . فقط إما أن أفعل وإما أن أصمت .

... إما أن أكون بناء أو لا أكون أصلا .

... المشكلة أنى متعجرف . لا أرد على حفريات التاريخ .

... ولا أملك تيونرا فى تلفازى !



## درة التاج

البنك الأهلى المصرى هو درة التاج فى الاقتصاد المصرى ، والاسم الذى افترن وتمحورت حوله المعجزة الاقتصادية المصرية التى بمرت العالم كله ، على امتداد عشر سنوات ، هى تحديدا العقد الأول من عمره . تأسس فى ٢٥ يونيو ١٨٩٨ برأسمال قدره مليون جنيه سترلينيا ، وصدر بشأنه مرسوم خديوى من عباس حلمى الثانى ، وبه بالطبع افتتح السجل التجارى حين أسس لاحقا . لم يكن أول بنك تعرفه مصر . سبقته بنوك فرنسية فى الأغلب ، قليلة الشأن . لكنه أول بنك إنجليزى ، وأول بنك بمجده الضخامة ، والأهم أول بنك يصدر به مرسوم خديوى يخوله صلاحية إصدار العملة ، وقد باشرها بالفعل اعتبارا من أبريل ١٨٩٩ ، ولمدة ستين عاما ، إلى أن أمه ريجيم عيمعصور ، ومن ثم آلت تلك الوظيفة بعد شهر قليلة من ذلك إلى البنك المركزى المصرى ، الذى لم يستول فقط على هذه المهمة ، بل على المبنى العريق نفسه ، الكائن فى تقاطع شارعى شريف باشا وقصر النيل .

بفضل البنك الأهلى المصرى ، أصبحت مصر البلد الوحيد فى العالم الذى تحمل عملته نفس اسم عملة الإمبراطورية : الجنيه . شىء ما يضاهى أن تكون لديك ثانى سكك حديدية فى العالم ، مع فارق أنك بالنسبة للجنيه ، كنت الثانى والأخير !

كبار المؤسسين كانوا اليهودى الإنجليزى المانى الأصل سير إرنست كاسيل أحد أغنى أغنياء إنجلترا آنذاك ولاحقا مستشار الملك إدوارد ، واليهودى الإيطالى رافائيل سوارس أحد أغنى أغنياء مصر وأيضا مستشار الخديوى فيها ، وأخيرا تايكوون القطن اليونانى كونستانتين سالفاجو . والأخيران مستقران فى مصر منذ عقود ، وكانا يملكان بالفعل إمبراطوريات بيزنسية هائلة ، متنوعة كثيرا بالنسبة للأول بامتداد القاهرة خاصة وأغلب مصر عامة ، ومتخصصة أساسا فى زراعة وحلج وتصدير القطن بالنسبة للثانى ( الذى كان يملك معظم أراضى الدلتا وأغلب المرافق الخدمية لمدينة الإسكندرية ) ، أول من يحمل لقب ملك فى التاريخ المصرى : King Cotton !

على الأقل حتى تأميمه كان البنك يقدم خدمات الصيرفة التجارية مباريا أفضل مستوياتها العالمية . طوال الوقت كان له أبرز الأدوار إطلاقا فى تمويل المشاريع الكبرى ، وتشجيع الإقدام على ما هو حديث أو يحتاج لتمويل ضخم أو مغامر . فى الطليعة الباكرا لهذا ، إنشاء سلسلة محالج القطن ومصانع السكر الحديثة ، التى حلت محل السابقة المتقدمة التى أنشأها محمد على فى الأغلب . ومثلا كان مصنع سكر الحوامدية مفخرة كبرى لعصره ، إن اكتفينا بضرب مثال واحد . أيضا لا بد من ذكر أن البنك كان اللاعب الأكبر فى خصخصة الملكية الزراعية هذه نفسها . إذ تأسس هو نفسه بالتزامن مع بيع ' الدائرة السنوية ' ، لكورنسورتيوم بقيادة نفس الفريق المؤسس له تقريبا ، كاسيل وسوارس وآخرون ، والفارق بين الحدثين أربعة أيام فقط ، ٢١ يونيو و٢٥ يونيو ( فى الواقع أشياء كثيرة جدا حدثت فى مصر فى تلك السنة التى تطالعك مثلا كلما شربت بيرة مصرية الصنع . منها أشار هذا الكتاب إلى بدء إنشاء سلسلة القناطر الكبرى على النيل ، ولاحقا سيأتى على ذكر حملة تاريخية حاسمة لشخص اسمه كيتشينر على السودان ) . هذا الذى حدث كان أول ضربة خصخصة رئيسة للملكية الخديوية للأراضى الزراعية ، وطبعا الخبطة الكبرى فى كل تاريخ الخصخصة فى مصر . قيمة الصفقة كانت نحو ٦.٥ مليون سترلينى ، والمنطقى أن يتمهل كاسيل لعدة عقود ، فليس فى كل يوم يمكن أن يشتري إنسان بلدا كمصر ، لكن ما فعله كان العكس بالضبط . أتى بمليون سترلينى أخرى لتأسيس البنك ، بل قبل هذه وتلك كان قد استثمر ٣.٦ مليوناً تعاقدا بها على بناء سد أسوان وقناطر أسبوط . الأدهى أن وكان شراء أرض مصر المستصلحة لم تكن شيئا ' بملا العين ' فى منظوره ، فقد بدأ مشروعا عملاقا لاستصلاح الأراضى فى كوم إمبو ، كل هذا فى غضون أسابيع قليلة من ذلك العام الذى لا يتكرر ١٨٩٨ ، العام الذى تضاعفت فيه ثروة مصر القومية عدة مرات من خلال هذه الاستثمارات المباشرة مذهلة الأحجام والجرأة . لقد تغير جذريا وجه الخريطة الزراعية ، ودشنت ثورة خضراء كبرى دفعت بتقدم الزراعة والتصنيع الزراعى معا خطوات هائلة للأمام . ثم ارتقى البنك الأهلى بعد قليل بالمهمة لمستوى جديد ، بأن أسس بنوكا وشركات متخصصة لها ، البنك الزراعى المصرى سنة ١٩٠٢ ، والشركة العقارية المصرية سنة ١٩٠٨ ( التى

التحق بما طلعت حرب موظفا لبعض الوقت ) . وتأسس هذه الأخيرة أمر يستحق بعض الدهشة ، لأنه جاء بعد أقل من عام من الانهيار الكبير لبورصات العالم ، وكان البنك الأهلى أراد أن يقول لبقية الدنيا إنه أقوى من كل العواصف !

على العكس من كل البنوك المصرية ، ظل البنك الأهلى المصرى على عهده الأسمى ، شركة بريطانية مركزها لندن ، ذات طابع إمبراطورى عريق التقاليد المصرفية لأبعد مدى ، ويرفض توسيع ملكيته ، أو حتى مناصبه الإدارية العليا ، بحيث يدخلها مصريون أو غيرهم ، مهما كان مستوى ثرائهم أو حتى انتمائهم للأسر المالكة . باختصار ، لقد كان شركة الهند الشرقية ، فى نسختها المصرية ، وفى نفس الوقت كان وول ستريت فى نسخته المصرية كذلك ، بل فى الواقع كان أضخم كيان تجارى إطلاقا فى كل المسافة الممتدة ما بين أوروبا والشرق الهندى .



**دعنا نضع الأمر بطريقة ثالثة ربما أبسط حسابيا :**

**إذا كان البنك الأهلى وشركاته ومشروعاته وأراضيه هو فى يوم من الأيام كل مصر تقريبا ،**

**فقطعا كل مصر الحالية بعد أن دمرها قطاع طرق ١٩٥٢ ،**

**لا تصلح لتعويض عشر معشار ما يساويه البنك المؤمّم لو كان البلد قد استمر فى طريق البناء التحضرى السوى**

**الذى أسسه السير إرنست كاسيل وزملاؤه ورعته الرؤية المتفتحة لأسرة محمد على !**

الواقع أن تقدير وحيد لقيمة الثروات التى يمثلها البنك الأهلى بتربليون دولار بمعايير اليوم لو استمر يشغل فى مناخ اقتصادى صحى ، هو تقدير متواضع . يكمن الخطأ فى أن كاسيل -يوم اشترى- اشترى مصر كلها ؛ الجمل بما حمل كما يقال ، ودفع كامل الثمن عدا ونقدا . لا يصح النظر فقط له كمجرد ذلك الشطر اليسير الذى أسس به كاسيل البنك نفسه ، بل لكل استثماراته مجتمعة ، ذلك أنه بعد قليل تداخل الكل معا بإنشاء البنوك والشركات العقارية التى ضمت كل تلك الأراضى ( تقريبا كل أراضى مصر الصالحة للزراعة والتى دفع ثمنها للخديوى + ما شرع كاسيل فى استصلاحه + مشروعات الرى الكبرى الجديدة من سدود وخزانات وقناطر ) ، فأصبحت كتلة اقتصادية واحدة يقف على رأسها البنك الأهلى ( بالطبع دع جانبا مشروعات كاسيل الخيرية العملاقة ، وأقلها شبكة المستشفيات الكبرى -العامة والمتخصصة- الأولى فى تاريخ مصر ، فهذه لم تكن استثمارات قصد بها الربح ) .

على أن الطريقة الأوقع من هذه وتلك ، هى مقارنة استثمارات كاسيل الأولية فى مصر بنظيرتها من جانب روكيفيللر مثلا ؛ نتحدث فقط عن الاستثمار الأولى ، وندع جانبا أن كلا الاستثمارين قد شهق بالطبع على الفور بسرعة هائلة فى بورسته بفضل الثقة فى ريادته ورؤيته المستقبلية الغدوة وكفاءته الإدارية ... إلخ . فى مقابل استثمارات كاسيل الأولية التى قاربت نحو ١٢ مليونا ستيرلينا ، تأسست ستاندرد أويل بثلاثة ملايين دولار ونصف ليس إلا فى سنة ١٨٧٠ . فى عصر العملات الذهبية ذاك ، كان الستيرليني يساوى نحو خمسة دولارات ، ذلك أنه ببساطة كان يزن خمسة أضعاف ، بالتالى فاستثمارات روكيفيللر النفطية لا تكاد تساوى شيئا يذكر مقارنة باستثمارات كاسيل المصرية ( النسبة الدقيقة تحتاج لإدخال كثير من العوامل الثانوية ، منها مثلا فارق التضخم بمعناه الحالى ، إلا مع ذلك الارتفاع الفجائى الهائل فى أسعار السلع الذى صاحب نشوب الحرب العالمية الأولى . على أن الفارق المهم بالطبع ، هو ذلك النمو الهائل الذى جرى لثروة روكيفيللر فى تلك الـ ٢٨ سنة التى سبق بها تأسيس البنك الأهلى ، إذ كانت تقدر أصول ستاندرد أويل بمائتى مليون دولار بحلول القرن الجديد ، بما يمكن عامة القول معه إن القيمة السوقية للاستثمارين أصبحت تسير ساقا بساق فى ذلك الوقت ، وأن كاسيل قد جرى فارق الثروة هذا بأن ضحك قدرا أكبر من الاستثمار الأولى ) . المهم ، فى سنة ١٩١١ ، تفتت ستاندرد أويل جريا ثم تناسخت ( أو -لاحقا- أعيد تجميعها ) لأسماء من قبيل سوهايو وسوكونى وإسو وموبيل وإكسون وإكسون-موبيل وغيرها . رغم كل هذا العنت التاريخى الهائل الذى لاقتته من الحكومات الأمريكية المتعاقبة لا سيما حكومة تيودور رويسيلت ، فتلك الشركات التى خرجت من رحمها تساوى قيمتها مجتمعة اليوم عدة تريليونات من الدولارات وليس تريليونا واحدا !

دعنا نضع الأمر بطريقة ثالثة ربما أبسط حسابيا : إذا كان البنك الأهلى وشركاته ومشروعاته وأراضيه هو فى يوم من الأيام كل مصر تقريبا ، فقطعا كل مصر الحالية بعد أن دمرها قطاع طرق ١٩٥٢ ، لا تصلح لتعويض عشر معشار ما يساويه البنك المؤمّم لو كان البلد قد استمر فى طريق البناء التحضرى السوى الذى أسسه السير إرنست كاسيل وزملاؤه ورعته الرؤية المتفتحة لأسرة محمد على !

آه ! نسيت أقول حاجة يا هالة : بمناسبة الذكر الكثير للبنك الأهلي وللقومىة العربية : أما وقد عرفنا بعض أشياء عن حال مصر ومعجزتها الاقتصادية والتحضريية التي أعقبت تأسيس البنك الأهلي ، لماذا لا يحاول الهلوكة أن يصف لنا كيف كان آنذاك حال أحبائنا العرب الذين يريد لنا الوحدة معهم ؟ ! بصراحة أنا لا أعرف ، ويسعدنى جدا أن يساعدنى ، بحكم خبرته الكبيرة بهم . أيضا أنا مستعد لإعفائه من استخدام الأرقام فى المقارنات ، لعلمى بضعفه الشديد فيها ! لعلنى بالفعل فى حاجة يا صديقى لطرق أبسط حسابيا إن كنت تريدنى حقا أن أصرخ بما يمكن أن يسمع الناس !

صاح ميننا : يا جماعة !

ردوا بصوت واحد : أيوه !

- خير العمر !

- إيه ؟

- البنك الأهلي !

- ما له ؟

الآن هو آخر قطعة تماما ، تقرر الحكومة المصرية خصصتها . عفوا ، هو ليس آخر قطعة تخصص ، إنما آخر قطعة تمس بالخصصة . لا تزال بعد لدى الحكومة أملاك كثيرة . فقط هى خصصت نسبة من جميع الشركات ، حتى السكك الحديدية ومصر للطيران ، حتى المستشفيات وبعض المدارس والجامعات . نسب تكبير أو تصغر ، من مجرد خمسة بالمائة حتى البيع بالكامل . لكن بقى البنك الأهلي منيعا حكوميا بالكامل حتى اللحظة . الحكومة اختارت توقيتا رائعا . الأجواء الآن تبدو مثالية . الناتج الداخلى الإجمالى ينمو بمعدلات سنوية أعلى من معدلات نمو الصين . سوق المال مستقرة منذ شهور طويلة . المستثمرون لا يزالون متمسكون بهذا النوع من الاستثمار . الاضطرابات الدينية والحدودية نفسيهما ، لم تنههما أو تجعلهم يهربون للبنوك أو العقارات مثلا ، وكل لم تكن تلك الأحداث إلا ذات أثر سطحى ومؤقت . لم تحدث تكالبات كبيرة على الطروحات الأولية أو زيادات رأس المال خلال الشهور الأخيرة . بمعنى أن السيولة المالية قد تكون متاحة لدى الأفراد ، وسوف يتمكنون من تمويل هذا الطرح الكبير . وقبل وبعد كل شىء ، هو البنك الأهلي المصرى ، الذى لا يزال أضخم شركة مصرية ، وأعرقها سمعة ، والمؤسسة التى لا بد وأن يعرفها أو تعامل معها كل بيت وكل فرد ، ربما أحيانا أكثر من شركات الاتصالات الشهيرة المختلفة نفسها ، ولا شك أن الكثيرين سوف يتشجعون على تحويل بعض مدخراتهم لشراء أسهم هذا الصرح .

- الاكتتاب ضخم جدا ، وأكيد كيوبيد هى إالى ها تديره .

- إشمعنى كيوبيد ؟ !

- هو فيه غيرها ؟ !

- فيه رمسيس ! ( وتضج القاعة بالضحك ) .

- أنا موش بأهزر . الدنيا ها تولع يا جماعة ! إالى عاوز يشتري حاجة ، بالذات كيوبيد ، يجرى بسرعة !



## زكائب النقود المكدسة حتى السقف

أيا ما كان التوقيت الذى اختارته الحكومة ، كان الاكتتاب سينجح لا محالة . مجرد ضخامته كانت زلزالا رج كل شىء . مجرد الارتفاع الهائل الذى حدث لسعر سهم كيوبيد ( ومن خلفه طبعا معظم الأسهم ) ، كان كفيلا يجذب الناس للاستثمار عبر البورصة . لقد أخذ الناس ثقة ضخمة فى سوق الأوراق المالية ، واكتتاب البنك سيغضى بنجاح ساحق . وبالفعل كان الإقبال مذهلا . قلب كل موازين ونس . ارتفاع الأسعار يلوح فى الأفق ، لكنه لو جاء سيشمل كل الأسهم تقريبا ، وليس على نحو خاص نسيج بنها . لا بأس فى كل الأحوال . جند إدوارد كل أقرابه لتلقى طلبات العملاء ، بل وواحد منهم مجرد أن يأتى بمسدسه المرخص . عرض الحاج ضهرى هو أيضا خدماته ، وأتى بشخص آخر من طرفه

ذى مسدس أيضا . كان الجميع يبيتون طوال الليل في مقر الشركة . كانت النقود تأتي سائلة ، وكانت مفاجأة تفوق الخيال . هل يوجد حقا قرابة تريليون جنيهه مصرى تحت البلاطة ، كما يسمونها ؟

كان المفروض أن يتم تلقي أموال الاكتتاب في فروع البنك الأهلى فقط . تبدو كثيرة جدا ، قرابة الألف ، وسوف تستوعب . ثبت خطأ هذا التوقع . تم ضم كل بنوك مصر للمشاركة في المهمة . يضاف أصلا لكل هذا أن التقنيات الحديثة أصبحت تسمح منذ فترة بتعامل كل فرد من حاسوبه المنزلى مع حسابه البنكى ، تماما كما يتعامل صراف البنك مع هذا الحساب . مع ذلك فشل كل هذا لأن ثمة إبداعات نقدية هائلة لا يصلح معها إلا التسليم المادى لفروع البنوك . تم تمديد ساعات العمل الداخلى لتصبح ٢٤ ساعة في جميع البنوك . أصبح على كل موظف أن يشتغل ١٦ ساعة يوميا ، طوال أسبوعى الطرح ، لتلقى الأموال من شركات السمسرة ، ومن المكتتبين الذين كانت ترسلهم مباشرة للبنوك ، وما ينطوى عليه هذا من عد ما تحتويه حقائب النقود ، وطبعاً عدم رد أى عميل يأتى في المواعيد الرسمية ، بما يعنى أن هذه الطواوير الطويلة لن تنصرف قبل منتصف الليل مثلا . هذا ناهيك بالطبع عن عبء مجرد حراسة هذه الأموال ، التى كنت تراها بسهولة مكومة في ردهات أو طرقات مقار البنوك بعد استلامها ، إذ كانت فوق استيعاب كل الخرائن . شركات نقل الأموال اعتذرت عن كثير من الطلبات ، وبعضها لجأ لتلبية الطلبات بواسطة سيارات ميكروباص أو دفع رباعى غير محصنة .

بمرور أسبوع واحد من أسبوعى الاكتتاب كانت قد تمت تغطية الطرح بقرابة خمسين مرة . بمعنى أن من طلب شراء ألف سهم سوف يحصل فقط على أكثر من عشرين سهما بقليل . بنهاية المدة ربما يسفر الأمر على أن لن يحصل على أكثر من خمسة أسهم أو ربما سهم أو سهمين ، لا أحد يعلم بعد . بقية الأموال سوف ترد لأصحابها . أغلبها سيعود ' تحت البلاطة ' من حيث جاء . لكن نسبة هائلة لا بد وأن تذهب للبورصة . هذا كان السبب بدأت أسعار الأسهم تتسارع أكثر وأكثر صعودا ، أيضا بما يفوق كل خيال . وضع نادر ، ربما لا يتاح لأبناء الجيل الواحد معاينته لأكثر من مرة واحدة في العمر ، ويكفى أن أعاد اللون الوردى الجميل والضحكة الساحرة لوجه منى .

الحشر وحيد وضهرى فوق كرسى فوتيه واحد من تلك الموجودة في مكتب إدوارد ، وأمامهما التليفزيون لا يبعد أكثر من نصف متر ، وقد حول اتجاهه ليصبح بعرض الغرفة لا بطولها . راحا يشاهدان فيلما وثائقيا عن البنك الأهلى . رغم أن طول الفيلم ساعة كاملة ، إلا أن قنوات التليفزيون المصرى كانت تتناوب على إذاعته عدة مرات يوميا .

بعد انتهاء الفيلم قال ضهرى : الأجانب هم إالى عملوا كل حاجة جميلة في البلد دى . من أول مُجد على والإنجليز لغاية اليهود والمستوطنين الأوروبيين إالى أقاموا في مصر لغاية ما أكلهم عجمعصور بالحيا . المصريين ما عملوش شىء لمصر إلا أنهم خربوها .

- على فكرة إحنا آراءنا قريبة أوى من بعض !

- ( صائحا فجأة وكأنه تذكر شيئا ) : بس إوعى تقول لى اليهود إالى بنوا الهرم !

- أنا لا أعرف من بنى الهرم . أعرف فقط أن الأكاديميين الإسرائيليين هم على القمة عالميا ، لو قالوا شيئا يخالف ما يقوله الأكاديميون المصريون ، لن احتر كثيرا فيمن أصدق ساعتها . أليس كذلك يا خريج الزراعة المتمرد ؟

- لكنهم لا يفهمون أكثر منى . أنا درست هذا الموضوع جيدا جدا ، وأجزم لك أنه زعم غير صحيح . ثم أنت صهيونى ، بتحب الأشكيناز ، وتكره اليهود القدام ، بتدافع عنهم ليه ؟

- يا عم أنا ما دافعتش عن حد . أنت جاى غاوى شكل النهارده ؟ كل إالى قلته إن إالى يقول عليه العلم يبقى هو الصح . بصراحة ، أنا غير مهتم بمن بنى ذلك القبر المضحك الذى لم أزره قط في حياتى .

- لااااا ! ده أنت بعث القضية خالص !

- بعث القضية ؟ هو أنا كنت اشتريتها أصلا ، علشان أبيعها ؟ !

- القبر المضحك ده ، أكثر حاجة عاملة لنا پريستيج في العالم . تصور أنه فضل ٤٥٠٠ سنة أعلى بناية في العالم ( حتى بناء برج إيفيل ) ، بينما النهارده لا بناية تحظى بهذا اللقب لأكثر من عدة شهور ؟ ومع ذلك لا يزال -باستثناء الطول ، لا يزال شاسع البون إذا ما قورن بأية بناية معاصرة على وجه الأرض : لا يزال لا يقارن من حيث الوزن ( ٦ مليون طن ) ، ولا من حيث الكلفة ( بلايين مبلينة من دولارات اليوم ) ، ولا

من حيث سرعة البناء ( حجر من ذوات الطنين ونصف وزنا كل دقيقتين بلا توقف لمدة ٢٣ سنة متواصلة -ومسموح باستخدام أوناش البناء العملاقة المعاصرة لمن يود دخول السباق ) ، والأهم أنه غير قابل لأدنى مقارنة على وجه الإطلاق فيما يخص الخلود بالذات ( بفرض عدم صيانته نهائيا ، سيحتاج لزمان من قبيل المائة ألف سنة كى يتآكل ، فهل من منافس ؟ ! طبعاً هو الوحيد الباقي من عجائب الدنيا السبع ، أما أى مبنى حديث فلا يطمح أن يشهد حتى احتفال رأس السنة الشيك في ٢٥٠٠ ! ) .

- على أية حال هو عامل زى الست التخينة المكسحة ، وموش راكبة عليه كلمة **the tallest building** . خيلنا فى الجد : أنا مهتم الآن بشيء آخر تماما . شيء أكاديمى جدا أيضا . لو كنت لا زلت رئيسا لتحرير الصحيفة بدلا من هؤلاء التافهين ، لكلفت عشرة صحفيين أن يقوموا ببحث يساوى تريليون جنيه . أنا لا أصدق رقم التريليون هذا . أقصد أصدقه ولا أصدقه . أصدقه كرقم إحصائى يفتق العين ، لكن لا أصدقه من حيث مدلولاته على الأرض . هل تعرف أن رقم تريليون جنيه هذا ، كاف لشراء كل البورصة ؟ كل شركات مصر من أولها لآخرها ؟ معنى هذا أن لدينا اقتصادين وليس اقتصادا واحدا . اقتصادان متساويان فى الحجم ، واحد فوق الأرض ، وواحد تحت البلاطة . البحث سيسأل قبل كل شيء متى طبعت كل زكائب النقود المكسحة حتى السقف حولنا ؟ كنت سأرسلهم للبنك المركزى ولوزارة المالية ولمصلحة سك النقود ، وسأجمع أرقام عن حصيلة ما طبع سنويا من نقود منذ تأسيس البنك الأهلى حتى اليوم ، وأجمع أرقام ما تم إعدامه من المستهلك منها منذ ذلك التاريخ . وطبعاً أجرى مقابلات مع حاملى تلك الزكائب . أين كانوا يخبئونها ، ولماذا ، وأين . هل فى خزائن شخصية فى البنوك ؟ فى البيوت ؟ هل حرفياً تحت البلاطة ، تحت الأرض ، أى شيء بالضبط ؟

- بحث ممتاز ومشوق جدا ! أفنكر أنت أنجزت نص البحث بالفعل ، لك أسبوع لم تتوقف عن الكلام مع حملة الزكائب ! هل اكتشفت يا ترى أن للحكاية علاقة بدراوين والجيينات برضه ؟ اشركنى فى البحث ، وأنا أجيب لك قرار الناس دى .

- ممتاز !

- إنما إيه رأيك إحنا لازم نمشى دلوقت ، وموش لازم نيجى تانى لمدة أسبوع على الأقل . ده جو غير مريح بالمره . وحاسس أن إحنا زاحمين الدنيا أكثر ما هى مزحومة . ثم إن لا خوف على أسهمنا . كنا فاكيرين العكس . الناس ها تبيع الأسهم علشان تكتتب ، والأسعار تنزل . لكن إالى حصل مفاجأة فوق الوصف فعلا . منى كمان ها تبتدى دراسة وآخر يوم لها معانا النهارده . اتفقنا بعد الأسبوع ده ما يخلص ها أبيع لها أسمها . فلوسها ها تكون عملت الضعف على الأقل ، بسبب الجنان إالى إحنا فيه ده . وباللحظ وحده ها تشتري التويوتا إالى عاوازاها . أنا طول عمرى ما حصل لى حظ زى حظ الملعونة دى !

- ( مغايظا : ) أنت غيران منها ، حاقد ، موش أكثر !

- خلاص ؟ نتكلم نتفق نتقابل إزاي . زائد جازيز تفكر فعلا تكلم هالة صاحبتك إالى ما بتبطلش الكلام عنها . بقى أن تقترح على هالة أن تنجز بقية البحث وتنشره هى . العنوان ؟ ' اقتصاد ما تحت البلاطة يفوق حجما اقتصاد ما فوق البلاطة ! ' ، إيه رأيك ؟

- فكرة ! أنت تنفع صحفى ! يا للا بينا .

- تعال بس نقول لإدوارد أننا موش ها نيجى الأيام الجاية . الله يكون فى عونہ . جازيز كمان يكون عاوز خدمة ولا حاجة منى .

- كلك واجب يا حاج !

' شفت يا عم الحاج ؟ ! لما قلت إحساسى أن السوق ها يحصل فيه انفجار نزلوا على ضرب . شفت دلوقت إالى حاصل إيه ؟ ' ، ' معلش يا أسد يا بنى ، لا كرامة لنبي فى وطنه ! ' . هذا بينما يحاول ضهرى ووحيد شق طريقهما وصولا لإدوارد خلف مكتبه فى الطرف الآخر للحجرة .



يا ريت موضوع البورصة يفرجها على وأتوب عن الشغلانة دى

- أنا عاوزه أعمل تكوير يا سيدى الأستاذ ؟

- تكوير إيه يا ست ، إحنا بنعمل زلايية هنا ؟ اسمه تكويد !

يلق ونس : ' التكوير دى سورة فى القرآن يا بنتى ! ' ، ويلفت كلامه نظر روميو للمفاجأة الكبيرة : ' يخرب بيتك ! مين ؟ ! ' ، فترك سامر وتأتى إليه بسرعة : ' أستاذ رامى ؟ ! ' ، ' أطفاف ؟ ! ' .

توقع أن يجد لديها غصّة منه ، فهى كانت أول فتاة فى حياته ، واستهتاره دمر لها حياتها تقريبا ، لكن ما حدث هو أن فرحت به . أطفاف كانت مغامرته الأولى . غرر بما نظير إلحاقها بوظيفة عاملة خدمات بالفندق . فى إحدى غرف الفندق كان لقاءهما الجسدى الأول . ثم حين ذهبت لمنزله وجدت أخيه هناك . كان قد دعاه لحفل جنسى ، ففوجئ هذا الأخير بما تقول إنها تحب الأستاذ رامى . اكتفى بقبلة لها على جبينها ، وانصرف . بعد تخلى رامى عنها تزوجها شخص خليجى وسافرت معه . بناء على نصيحة المحامى-السمسار استعادت بكارتها من أجل هذا الزواج ، حلم الستر والحياة الكريمة على يد الفارس الذى جاء لانتشال سيندريللا من قهرها ومهانتها ، الذى لم تكن تعلم أنه سراب يوجد فقط فى القصص الخيالية . هناك فوجئت به يهدئها لإخوته وأسرته وأصدقائه . وحين عرض عليها أن يرسلها لإيطاليا لتظهر فى محطة ساتيلايت يملكها ، تتلقى المكالمات على الهواء بينما تتعرى وتتأوه ، رفضت وأصررت على العودة لمصر .

المؤكد أن بيع جسدها هو مصدر معظم تلك الأموال التى جاءت بها لاكتتاب البنك الأهلى . كان بيدها ' شغل ' فى العمارة ، فلاحظت الزحام . قالوا لى فيه اكتتاب . وقفت إمبارح ١٢ ساعة فى طابور البنك فى شبرا لغاية ما أخذت الفلوس . اسمه اكتتاب ! اكتتاب يا ' أطفاف ! ' ما تتكسفيش أوى كده . كل إالى أنتى شايفاهم دول لسانهم مقلوب زيك . أقله أحم طول النهار بيقولوا على العرب بعرب والبعبع عبير ، ويقولوا الدنيا برجل واحدة موش عارفين هى اليمين ولا الشمال ، وخذى من ده كثير . كل كلامهم فوقه تحت وتحتته فوق ، وبيشوفوا كل حاجة فى الدنيا بالمقلوب عكس كل الناس . تقدرى تقولى ١٠ مرات من غير ما تغلطى ' توريث أحقاب الأحفاد أحقاد الأقباب ' . بلاش دى ، سخيفة ؟ صح ؟ ! تقدرى تقولى ١٠ مرات ' عبير بعرب عربان أعراب العرب ' ؟ هى لم تغضب ، لا من السخرية من أخطاء نطقها ولا من الإشارة غير المقصودة لمهنتها ، بل فى الواقع لم تفرح قدر سماعها لاسم تدليلها القديم ذاك من جديد ، لأول مرة بعد عقود ولت خلالها براءة الصبا التى كانت .

- ٦٠ ألف كل إالى طلعتى بيهم من ١٥ سنة فى دى ؟

- من دى ومن مصر سوا . على فكرة أنا عندى بنت دلوقت . اسمها جميلة . يا ريت موضوع البورصة يفرجها على وأتوب عن الشغلانة دى . موش عاوزة جميلة تطلع تلقانى كده . بنات كثير عندهم أولاد وبنات موش شايفين أى عيب فى شغلتهن ، إنما أنا موش بالعاهة . يروى لها روميو أنه نال جزاء فعلته هو أيضا . فصل من الفندق لأن زميلة له اتهمته بملاحقتها . ساعتها أتى به إدوارد لرمسيس ، واعداد إياه بأرباح ربما لا تقل عن أية وظيفة .

- إمبارح ، واحد من الزباين إدانى كمبيوتر بايظ عنده ، قال لى صلحيه وخللى بنتك تلعب عليه . قالوا لى ده عاوز بارودة .

- بارودة ؟ قصدك بوردة ! أنا ها آجى معاكى وها أضبط كل المسائل .

ترد بدلال تلقائى : كل المسائل ؟ ثم بأسى : إالى اتكسر ما يتصلحش يا أستاذ رامى .

يعاهدها على أن يصلح كل شىء . ثم يعرفها بسوسن ، بصراحة تامة فيما يخص الاثنتين ، وبأنه ذاهب للتعرف على ابنة أطفاف وإصلاح جهازها . يجز أطفاف من يده ويدخل لإدوارد مقتحما كل الزحام وكل الروتين . ويقول له ' هات كارت من بتوعك واكتب عليه استلمت ٦٠ ألف جنيه . آدى الفلوس وآدى البطاقة ، حطهم بالدرج . ابقوا عدوهم بالليل وكمّلوا الأوراق براحتكم ' . ثم بمزاحه ' إحنا موش فاضيين للقرف بتاعكم ده ! الله يخرب بيوتكم كلكم ! ' . ولا يملك إدوارد الذى يملكه الإعياء سوى الانصياع ، وإن جادل ' ها يخربها فعلا ! أنا حاسس أن فيه فلوس كثير ها تضيع فى الفوضى إالى إحنا فيها دى ! ' .



... ربما كل الطرق تؤدي لروما ، لكن قطعاً كل الأشياء تبدأ من مصر !

مصر القديمة لم تكن حضارة طبقاً للتعريف الدقيق للكلمة ،

لكنها كانت من الريادة والعظمة بما يكفي لأن ' تكسر عين ' العالم للأبد .

لطالما ازدهرت أفكارهم وقادة اليونان وروما ، لكن لم يخفوا قط أن عظمة أهراماتها ومبانيها هي التي استفزتهم للتفوق عليها ،

ولولا هذه الغيرة لربما ما فكر أحد في البناء أصلاً .

وحتى اليوم -بما في هذا الأيام التي وصلت فيها مصر لقاع الفقر والتخلف- لم يملك أحد إلا أن يحترمها ويحترم أهلها ،

لأنهم أجداد كل الكلمات العظيمة ؛ البناء والإبداع والسمو !

... ربما جوهر كل مشاكل العالم الحالية هو أنه ببساطة واقف في انتظار أن تأتيه مصر بالشطحة التالية !

ألى هذا الحد من العمق تصل التفاوتات الجينية بين الشعوب ؟ الشعوب الجادة لا تقبل من الأديان إلا ما يحض على الكد . الشعوب ذات الكرامة الحقيقية لا تتحول عن دينها أبداً . المصريون لا هذا ولا ذاك . عانقوا الإسلام في لحظات ، ولو كان قد ظهر دين جديد بعده ، أو لو اخترعناه لهم اليوم ، يقرص آذانهم بأى شيء على غرار تلك الجزية ، لتروا الإسلام وعانقوه هو ، وهكذا . لى أسابيع أقرأ في التاريخ العربي ، لأكتشف أن كل التاريخ المكتوب ما هو إلا تاريخ عمليات الغدر . المصريون يعلمون أن العربي يقتل أقرب أقربائه من أجل رمية عين ، وهم -المصريون- يقولون ليلاً نهاراً ' العرب خوانين ' و ' العرب جرب ' و ' البعر غدر ' ( هذه الأخيرة من اختراعى أنا وليست نقلاً عن أمى ) ؛ المشكلة هنا أنهم رغم كل هذا آمن أغلبهم بالإسلام في لحظة ، ولا يزالون . لكن أليس هذا ما فعل كل المحيط الساموى الأرثوذكسى ؟ ما المانع أن كما رأينا الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، قد نراهم يخرجون منه أفواجا ويعيدونه لما يسمى بغرته الأولى ( طبعاً حاله حال كل دين آخر ! ) ، أو لعلنا بدأنا نرى إرهابات هذا بالفعل ، لكن قطعاً لن يذهبوا بعيداً ، لن يذهبوا مثلاً للعلمانية . هذا ما حدث فعلاً منذ ١١ سبتمبر ؛ على الأكثر ، جيناتهم ستحملهم إياباً للأرثوذكسية . لا فارق جذرى بين الأرثوذكسية والإسلام ؛ هي ممتازة كما الإسلام في الترطيب على القلوب الغائرة في ظلمات الغيب والخرافة والانفعال المتبلد واستمراء إرهاب صاحب ' وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون ' ووكلائه على الأرض . كلاهما يؤدي ذات الوظيفة التكيفية لدى الشعوب الإجرامية الكسول ، لدى زارع الحياض المصرى ، كما لدى قاطع طريق القوافل الحجازى ، وكما لدى البلشفي المافياوى الروسى ، ولدى كل البرك الجينية المشابهة : إشباع البطون بالطعام المنهوب وبالفضار الموهوم ، وطبعاً بالتسليم المريح للذات لقوى ما وراء الطبيعة . إنكم حتى تفتتم لنحو ١٥ كنيسة و ١٥ بطريرك ، بينما الكاثوليكية لا تزال كنيسة عالمية واحدة وياها واحد ؛ هذا أكبر دليل على أن جينيات عمر بن الخطاب والحطابة وصدام حسين تجرى جدا فيكم ، لا تستطيعون رؤية عالم أوسع من محيط القدم ، ولا زعيم إلا هذا الذى يظهر في المرأة . يا لقرنى منكم ومن كل شرقكم !

زهري يقول رى الحياض شيء خاص ، ويريد عزل المصريين عن كل هذا المحيط ، بل بفجره يحاول نفى صفة الكسل -التي أراها حولى كل لحظة- عن المصريين ، ويقول موسم فلاحية الأرض كان شغلاً شاقاً حرثاً وبذاراً وتنقية عشب ( ورى ، فرى الحياض لا ينفى الحاجة للشادوف والطنبور والساقية ! ) ، وموسم التحريق ليس للحصاد فقط إنما أيضاً لشق الترع وبناء السدود ، وموسم الفيضان كان موسم المشروعات القومية الأكبر وأكبر كالأهرامات والمعابد ، وكأن المواسم الثلاثة بتاعتهم كلها شغل وما فيش أجازة خالص ! كيف ؟ لا أكاد أرى فرقا بين مصريين وغير مصريين . أو ربما عنده حق ، ربما هناك فرق ، لكنى لا أعتقد فى صالح الشعب المصرى : لماذا هذا الشعب دون غيره ، منذ أختاتون ، هو الذى اخترع التوحيد ؟ قرأت كتاب فرويد عن موسى باعتباره تلميذاً يجلس فى حضرة أختاتون ، ولم أجد فيه ما يشبع نهمى عن اللغز المصرى . إنه لغز كبير حقاً . المصرى يخرج من بيته صباحاً ولا يعرف بالضبط ماذا سيحدث له ، أو متى يحدث . لا شيء اسمه وقت أو تخطيط . كل شيء عنده قدر . ' بالبركة ' ، ' إن شاء الله ! ' . فى حدود ارتحالاتى المتواضعة ، لا أعتقد أن ثمة شعب هكذا أبداً ، ولا أعتقد أن تلك خاصية جيدة .

بماذا أصنفك أنت نفسك على مسطرة الأديان . صوفى ؟ بالقطع لا ؟ إنك لست درويشاً هائماً على وجهك بحثاً عن الحقيقة . بالعكس ، أنت شخص عنيد قوى يكرس نفسه لتغيير ما حوله . فعلاً ! أنت مسلم فرنسيسكانى . ها ! ها ! سوف أجن جنونه حين أخبره بهذا التصنيف الجديد الذى اخترعته خصيصاً من أجله فى جدول الأديان ! لكن مهلاً ! هل نسيت علمانيتك أنت ؟ ألا يستحق شعب إسهامه الوحيد للإنسانية هو أن قدم لها أسوأ اختراع عرفه التاريخ ، ألا يستحق الانقراض الفورى ، إن لم يكن الإبادة . مع ذلك هو شعب لا تبدو عليه بوادر

الانقراض أبدا . خلود الموميوات تقمصه ولم يخرج منه . أوسخ ناس ؟ أم أهدق ناس ؟ رأسى ينفجر . مفعول الويسكى عاد كمفعول الماء . يا ليتنى قضيت كل عمري في لبنان ، أو حتى الكويت . أناس لهم عيوبهم ربما ، لكن مفهومون . يا ليتنى هاجرت للغرب . لم يكن ليصيبني مثل هذا العذاب يوما قط !

يا للهول ، لقد خرجت من حفرة كى أقع في بئر ! حاولت أن اكتشف سر التخلف وسر شعوبه ، والآن يدخلني هذا المنحل لتحدى جديد : اكتشاف أسوأ ألباز الدنيا جميعا : ضهرى نفسه ... مصر !

رى الحياض ؟ ما الجديد ؟ لم يحدث ولو لمرة واحدة أن قال هذا الضهرى الخسيس معلومة لم أكن أعرفها . رى الحياض ؟ أهذه معلومة تحتاج لمعرفة . مع ذلك كل كلمة أسمعها منه ، أشعر وكأنى أسمعها لأول مرة . أشعر وكأن الدنيا أصبحت غير الدنيا . ماذا أكون بالضبط ؟ أحمار يحمل أسفارا ! أعلق قانون الديناميات الحرارية الثانى فى إطار ؟ ماذا يقول ؟ ' إذا أرادت أمتنا الطبيعة أن تملك قرية ، أمرت معدميها فحكموا فيها ، فحق عليها الموت الأنتروپى ' ، أو فى الصيغة التى يحبها المصريون ' فحق عليها الاعتدال والوسطية ' ( دع العرب جانبا فهم يكرهون حتى هذا الغشاء الدائى ولا عجب أنهم يكرهون توليد الشغل لأنهم ينفرون من فكرة الاستقطاب الحرارى العالى ، وطبعا ليس إله أعظم فى نظرهم من رجل الثلج -راجع درجة حرارة أنامل الله فى قصة الإسراء والمعراج ، أو كيف يبعث كفاه البرد فى الصدر فى المنام ، أو راجع كلام هالة عن ' حرا وسلاما ' ، و ' الثلجة وبئس المصير ' ! ) . أتحدى أحدا يقول لى بالضبط ما المقصود بكلمة جعلناكم أمة وسطا . هل وسط بين الإيمان والشرك ، بين الوثنية والكتاب ، بين اليهودية والمسيحية ، بين الشمال والجنوب ؟ فقط أمازيغ شمال أفريقيا حاولوا الإجابة فقالوا : ' المسلمون : لا دين ، لا ملة ، لا شىء ! ' . الواضح أن الشرق أوسطيين استمروا فكرة التعلق بين السماء والأرض والرقص ع السلم ، ذلك لأنهم لا يقصدون شيئا أكثر من الموت الموع المشاع الأنتروپى ، ولا يعظمون أكثر من التزنية ممن مهنتهم لفق وتلفيق الأشياء بما يرضى الجميع ويحقق السلام الاجتماعى والوحدة الوطنية والإجماع الموهوم !

يا لى من مضحك . أيفعل أحد شيئا هذا ؟ يعلق نص قانون ؟ أرسطو أبو القوانين نفسه لم يفعلها . أهو تميمة تحمىنى من شرور العالم الحقيقى ؟ بل أهو تميمة تحمىنى من جهلى ؟ أهو تعويذة تدفع عنى رداءة الويسكى . فى صحة الأنتروپى !

تميمة ؟ تعويذة ؟ أوه ! إذن ضهرى محق أيضا أنى لست صاحب قضية ، ولا أعرف شيئا اسمه الكفاح ! على الأقل أصبحت أعرف الآن شيئا ! لأنفضن يدى من هذا الملعون . لو لم أفعل لربما جننت . لن تعرف أبدا كيف يفكر . لن تعرف أبدا كيف يسترسل فى كلام عشوائى متضارب لساعات ، ثم فجأة يلقي ببعض كلام علمى محكم مدروس ودقيق . لن تعرف أبدا كيف يتجاوز لديه العلم والفطرة ، الإيمان والشك ، كلها دونما عراك . لن تعرف أبدا كيف يمر بكل الأهوال والمتناقضات ولا يفقد سلامه الداخلى أبدا . لن تعرف ماذا جرى بالضبط حين اختلطت جبينات الدنيا كلها فى دمه . لن تعرف كيف اخترع أسوأ وأشر الأشياء إطلاقا فى التاريخ -الدين- وكيف يصر فى ذات الوقت أنه أحد أطيب وأخير شعوب العالم وأحبها للسلام جميعا . لن تعرف كيف يقف طوال الوقت على الخيط الرفيع بين الأبيض المطلق والأسود المطلق ، دون أن يشعر أن لديه مشكلة . لن تعرف حين تتضارب آراؤه فى ذات الدقيقة ، هل هو تافه حقا ، أم يعى ما يفعل . ربما الاثنان . ربما لا توجد نفس إجابة دائما . أحيانا هذه ، وأحيانا تلك . لا أعرف . أبدا لن يصبح ضهرى شخصية مفهومة . بل ربما لا يجب أن يصبح شخصية مفهومة أصلا .

... كيف يكون إلهها وفى نفس الوقت متخبط هكذا ؟ ربما هو فقط مصر ، وبالتعبية -وليس أكثر- مصر هى مخترعة الآلهة الكبيرة الأوائل !

... بل ربما هو غير موجود أساسا ، وليس إلا أحد شيطانى الداخلىة !

... إنه خطأ فاحش . من الخراقة أن تفتح صندوق پاندورا . الشخصية المصرية ليست مفهومة ، ومن الأفضل للجميع أن تظل كذلك . الأسوأ أنك لن تعرف حتى إذا ما كانت بالضرورة صندوقا للشرور أم ماذا . ربما هى العكس ، ولن تعرف أبدا .

... تستطيع فتح صندوق پاندورا وتحمل النتائج الوخيمة . لكن مصر ربما هى صندوق دراكيولا ، لو فتحتة للنور ، لتبخر كله فى لحظة ،

ولن تجد ساعتها شيئا . أو ربما هى صندوق بلا مفتاح أصلا !

... كيف تأتى لشعب أن يلهب حناجره تأييدا لبعمصور ، كما حبة بطاطس نسيت فى فرن كهبرى حتى شفت احمرارا ، ثم بعد شهور قليلة

يكورها أضعافا إنما من أجل نيكسون ؟ !

... بل انظر هذه : كيف تأتي لبلد أن يكون أول ثقب في الستار الحديدي خرجت منه الشيوعية لتغزو العالم ، وأن تسمى هي نفسها بعد ١٦ سنة فقط ، أول من ثقبه إلى الداخل ، قال للشيوعية ستوب ، ستموتين الآن ؟ ! بل يا للهول : هو المكان الذي انطلقت منه مؤخرا شرارة الارتداد عن الإسلام ، لكل العالم كما كرة الجليد !

... كيف تأتي لشعب أن يقلب الأزهر من مؤسسة شيعية لأكبر مؤسسة سنوية في العالم ( ولو بالاسم فقط في الحالتين ) ، ثم كيف تأتي له أن ينقلب من قاعدة للإسلام الصوفي الدراويشى إلى قاعدة للإسلام الجهادى ، أن يقنع أختاتون أن يقتل السادات ، وأخيرا قد ينجح في إقناع أختاتون بقتل نفسه !

... نعم ، صحيح هو شعب تافه خامل ، شعب تائه معدوم الشخصية ، شعب كله عبد ربه التائه ، شعب عبارة عن صفر مستدير كبير يتوسط الخريطة ، وفي الحالات النادرة التي يتحرك فيها يكون انفعاليا أهوج ، لكن مع كل ذلك شطحاته تقود العالم وتغير العالم .  
... إن حتى الصفات التي هي آخر ما يمكن أن يوصف بها شعب مصر كالإمبراطورية والإمبريالية ، هي أيضا من اختراعه ، وأسسها تحتمس الثالث قبل الأسكندر بأكثر من ألفية كاملة !

... بعد-الحداثة نفسها اختراع مصرى منذ ما قبل التاريخ . انظر لكيف يتخبط ضهرى عدة مرات في الدقيقة الواحدة ، وستدرك ما أعنيه !  
... يا للهول ! ليس من الضروري حتى أن تكون مصريا حتى تتخذ دعوتك تلك الطاقة السحرية . عبمصور لم يكن مصريا وفرض على الشعب المصرى حكم الأقلية العربية ، لكن لأن دعوته الشيطانية انطلقت من مصر غيرت وجه العالم ، ونشرت عليه ثوب الشيوعية الأسود . بعد سنوات قليلة تنبأ السادات ضمنا بسقوط الشيوعية يوم أذهل العالم بقراره غير المفهوم بطرد الخبراء ، وبعد شهور وضع مُجد عثمان إسماعيل المسمار الفعلى الأول في نعشها ، بينما العالم كله يقف متفرجا يصفق للنتائج لا أكثر !

... يا للهول ! إن مصر هذه وبنكها الأهلى ، كانت حتى ذات مرة السبب في طفرة كبرى للبورصات العالمية ، ثم كانت عينها السبب في انهيارها الفجائى التالى ، حتى تأميمه وتأميم الجنيه المصرى الذى كان يصدره ، حاول كينيدي محاكاته فأصدر دولاره المأفون المدفون أحمر اللون ! هذا أقصى ما يمكننى قوله عن المصريين يا ضهرى ، وأكثر من كده وأكثر من موافقتى لك أنه شعب طيب لا يميل للشر ، البيعة ها تقع على بالخسارة !

... ربما كل الطرق تؤدى لروما ، لكن قطعاً كل الأشياء تبدأ من مصر !  
... لا هو شعب عظيم ، ولن يكون ، ولا هو من أعراق الحضيض التي تلاصقه من كل نقاط البوصلة من تركيا لليبيا ، ولن يكون ؛ لكنه كان الإلهام والحافز الأول والأعنف لجميع الحضارات ، هو الذى قال للعالم عليك أن تؤمن بلهو خفى وهمى وستصطفى بنار اختراعنا المشعوم هذا لآلاف السنين ، فسارت البشرية كلها عمياء غمياء غيباء وراءه ، ثم هو الذى عاد ليقول للعالم بعد ٣٥٠٠ سنة عليك أن تصبح شيوعيا ففعل ، ثم قال له عليك أن تصبح رأسماليا ففهم ، ثم قال له عليك أن تصبح إسلاميا فصادق و نفذ بلا لحظة تردد ، ثم مؤخرا ها هو أول من قال للإسلام للخلف در !

... ربما كل الطرق تؤدى لروما ، لكن قطعاً كل الأشياء تبدأ من مصر !  
... مصر القديمة لم تكن حضارة طبقا للتعريف الدقيق للكلمة ، لكنها كانت من الريادة والعظمة بما يكفى لأن ' تكسر عين ' العالم للأبد . طالما ازدهارها مفكرو وقادة اليونان وروما ، لكن لم يخفوا قط أن عظمة أهراماتها ومبانيها هي التي استفزتهم للتفوق عليها ، ولولا هذه الغيرة لربما ما فكر أحد في البناء أصلا . وحتى اليوم -بما في هذا الأيام التي وصلت فيها مصر لقاع الفقر والتخلف- لم يملك أحد إلا أن يحترمها ويحترم أهلها ، لأنهم أجداد كل الكلمات العظيمة ؛ البناء والإبداع والسمو !

... ربما جوهر كل مشاكل العالم الحالية هو أنه ببساطة واقف في انتظار أن تأتيه مصر بالشطحة التالية !

... ألا يمكن -بل ألا يجب- أن يأتي المصريون من جديد ، بأعجوبة تقلب كل موازين العالم كما حدث في هذه المرات ؟

... ترى ما عساها تكون شطحتهم التالية ؟ قطعاً لا أحد يعرف !

... لو عرف أحد لما كان اسمها شطحة !

... البروفيسور بوانكاريه -أو لاحقا دكتور لورينز الذى صار واسع الشعبية لأنه جعل من الفوضى نظرية متكاملة الأركان- قالا إن خفقة جناح فراشة في البرازيل يمكن أن تسبب إعصارا في تكساس . ربما لا وجود للا يقين في دنيا الجسيمات ، لكنه موجود حتما في كل مكان يحل به إنسان ؛ حيث هنا تصبح اليد العليا دوما لنظرية الفوضى . في تاريخ كل البورصات بدأت جميع الانهيارات الكبرى بعملية بيع صغيرة تافهة واحدة جاء بعدها التفاعل المتسلسل . فقط فيما يخص التحولات الكبرى في تاريخ البشرية غالبا ما تبدأ عملية البيع الصغيرة التافهة هذه من مصر !

... على الأقل لعل عجائبهم ومفاجآتهم هي جزء أصيل من فهلوتهم ( وسأخني يا ضهرى على الكلمة ) . بل لعل ذلك الهرم يضى على شطحآتهم تلك القوة السحرية ، فيتأثر بقية البشر بالتعويدة دون أن يقصدوا . ربما كنت مخطئا وهذا القبر المضحك ذو سر بالفعل !

... مصر الشرارة والعالم صندوق البارود المتحين للانفجار ؟ أسوأ ما في هذه الفكرة أنها لا تزعجنى ؟

... كلا ، لا شيء غير مادي في هذا ! لا شيء يغضب معلمى أرسطو !

... يأتون أو لا يأتون ، بصراحة لم أعد أهتم . ما الفائدة من الاهتمام أصلا ؟

... نعم ، بالضبط ! تلك الأخيرة هي الصحيحة : إنهم صندوق بلا مفتاح !

... ضهرى لغز لن يفك مطلقا . ولأقسم على أن أخرجه من رأسى للأبد !

... أقسم أن لن أحاول معه ما حييت !

... مصر ليست صندوق الشرور !

... مصر صندوق الألغاز !

... السفنكس لن ينطق أبدا !

